

المُملکۃ العربیت السعوہ یہ وزادہ الفعلیے العال جامعہ لفوس سے محد بن سعوہ لفوسلوہیہ مرکسز السبحوث

بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب

رحمهالله

الجبزء الأول

719AT - 212.4



الآراء الواردة تعبر عن وجهة نظر أصحابها

فهرس الجـــزء الأول (المحتويـــات)

الصفح	المؤضــــوع
٩	مقدمة معالى مدير الجامعة
١٩	معلومات عن أسبوع الشيخ محمد بن عبدالوهاب
30	(حياة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وآثاره العلمية)
**	١ ـ محمد بن عبدالوهاب ودعوته إلى التوحيد
	للدكتور التهامي نقرة
44	عقيدة التوحيد
27	دعوة الإسلام إلى التوحيد
٤٦	خطر فساد العقيدة
٤٩	محمد بن عبدالوهاب
00	دعوته إلى التوحيد من خلال مؤلفاته
٧٣	٢ _ الإمام محمد بن عبدالوهاب في مدينة الموصل
	للواء الركن محمود شيت خطاب
41	٣ ـ الرسائل الشخصية للشيخ محمد بن عبدالوهاب
	للدكتور عبدالله بن صالح العثيمين
94	الرسائل من حيث الصحة
97	أسلوب الرسائل
1.1	الرسائل والظروف المحيطة بالدعوة
1.1	الحالة الدينية في نجد عند ظهور دعوة الشيخ

الصفحة	الموضـــوع
١٠٤	حالة البادية
1.0	بدء الدعوة في نجد
1.4	أسلوب الدعوة
۱۰۸	المعارضة النجدية
115	علماء الاحساء والدعوة
112	الأشراف والدعوة
117	٤ _ حياة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وآثاره العلمية
	لفضيلة الشيخ اسماعيل محمد الأنصارى
119	مجدد القرن الثاني عشر
14.	ولادته ونشأته
111	مشايخ الإمام محمد بن عبدالوهاب
141	من ثناء أهل العلم على الإمام محمد بن عبدالوهاب
12.	تلامذة الإمام محمد بن عبدالوهاب
122	مصنفات الإمام محمد بن عبدالوهاب
	دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب إلى ما عليه السلف
124	الصالح
10.	من آثار دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب
10.7	وفاة الإمام محمد بن عبدالوهاب
109	 ٥ ـ المرأة في حياة إمام الدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب لفضيلة الشيخ حمد الجاسر
178	مقدمــة
178	زوجة الإمام محمد بن سعود
177	ابنة محمد بن سعود
١٦٨	مالدة الشيخ محمدين عبداليهاب

179	الموضوع
١٨٢	زواج الشيخ
184	
	بنات الشيخ
191	(اعتهاد دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب على الكتاب ٦ ـ اعتهاد دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب على الكتاب
	والسنةلعنالي الشيخ عبدالعزيز بن محمد بن ابراهيم آل الشيخ
195	لمعالى الشيخ عبدالعزيز بن حمد بن جدد بن مقدمــة
198	مقدمـــةالدعوة تنشط من عقالها
190	الدعوة تنشط من عفاها
190	التخطيط للدعوة الاصلاحية
197 .	انتقال الشيخ إلى الدرعية
194	لقاء الشيخ بالأمير
۲۰۹	الدعوة السلفية
ب	خاتمة
T11	عامله عامله الكتاب على الكتاب على الكتاب على الكتاب على الكتاب على الكتاب الكتاب على الكتاب الكتاب المناب على الكتاب المناب الم
	والسنة
T1T	لفضيلة الشيخ مناع القطان
Y1A	بيئة الشيخ وعصره
TTT	بيئة الشيخ وعصره
لأدلة	اعتاد دعوة الشيخ على الحول و أولا : تأكيد على الرجوع إلى الكتاب والسنة
TTT	أولا : تأكيد على الرجوع إلى العقيدة يرتكز على ا
	4.
٣٩	من الكتاب والسله المسلم
	وان خالف مذهبه

بسم المدالرمن الرسيم داعية التوحيد في «موطن التوحيد»

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، وبعد

هذه بلاد مصطفاة:

فأول بيت وضع للناس ـ أى لعبادة الله وحده لا شريك له ـ كان في مكة المكرمة: «إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين».

وفى مهد التوحيد، وموطنه العريق _ مكة المكرمة _ صدع المسلم الموحد الحنيف الأواب أبو الانبياء _ ابراهيم عليه السلام _ بكلمة التوحيد، وأمر هو وابنه اسهاعيل _ عليها السلام _ بأن يطهرا بيت الله للطائفين والعاكفين والركع السجود، وأن يرفعا القواعد من البيت، وقد دعوا الله تعالى أن يجعلها مسلمين له، ومن ذريتها أمة مسلمة له، وأن يبعث في العرب رسولا منهم يتلو عليهم آيات الله و يعلمهم الكتاب والحكمة و يزكيهم.

وقد وصى إبراهيم - عليه السلام - بنيه بأن يثبتوا على التوحيد وأن يستمسكوا بالاسلام أبدا: «واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى، وعهدنا إلى إبراهيم وإسهاعيل أن طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود. وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فأمتعه قليلا ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير. وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسهاعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم. ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب

الرحيم. ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم. ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين. إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين. ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يابني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون».

وأعظم أدلة الاصطفاء، وأجمل براهين الاجتباء أن الله تعالى اختار من العرب _ أهل هذه البلاد _ رسولا نبيا، واماما للموحدين، وسيدا للمتقين، اختار محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم _ من ولد إسهاعيل عليه السلام.

لقد كانت مكة المكرمة منبته ومنشأه ومرباه وممشاه، وكانت المدينة المنورة مهجره ومقامه، ومثواه، وكانتا ـ مكة والمدينة ـ متنزلا لكلهات الله عليه صلى الله عليه وسلم.

فصدع امام الموحدين بالحق، وبشر وأنذر، وبلغ وجاهد، وأحيا أصول التوحيد، وجدد معالمه، ورفع لواءه، وأمات الوثنية والشرك وقضى عليها، وطهر الجزيرة من آثارها فى العقيدة والعبادة والتشريع والأعراف والتقاليد والعادات، فى الحياة الخاصة والعامة، وبنى أمة على التوحيد الخالص، لا تعبد إلا الله، ولا تدعو إلا إياه، ولا تستعين إلا به، ولا تتوكل إلا عليه.

وكان آخر كلماته _ قبيل أن يلتحق بالرفيق الأعلى _ : «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد.»

لقد قضى الله أن تكون هذه البلاد «مقرا» للتوحيد، وقاعدة لا نطلاقه، ومناخا لنسهاته الطيمة الزكية اللطيفة.

وصدق الله حيث يقول: «الله أعلم حيث يجعل رسالته».

فبعلمه المحيط ـ سبحانه _ «جعل» محمدا نبيا رسولا، وبعلمه المحيط ـ جل شأنه _

«جعل» هذه البلاد «موطنا» للرسالة، فلفظ «حيث» يقصد به «الرسول» متلقى الرسالة ومستودعها ومبلغها، ويقصد به «المكان» أيضا باعتباره _ أى لفظ حيث _ ظرفا مكانيا.

ومن الأدلة الباهرة _ في هذا المقام _ أن المعنيين _ اصطفاء الإنسان، واصطفاء المكان _ وردا على لسان إبراهيم _ عليه السلام _ وهو يدعو ربه ويرجوه.

ورد معنى اصطفاء الإنسان في قوله تعالى: «ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم».

وورد معنى اصطفاء «المكان» في قوله تعالى : «وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا...» وقوله تعالى : «وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجبنى وبنى أن نعبد الأصنام» وقوله تعالى: «ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون» .

ولقد قضى الله أن (تظل) هذه البلاد خالصة للتوحيد، مطهرة للركع السجود، حفيظة على أصول الإسلام.

ومن مظاهر قضائه _ سبحانه _ أنه كلها حاول الشرك، أو حاولت الوثنية أن ترفع صوتها، أو تنشر آثارها وموبقاتها، قيض الله عبدا من عباده الموحدين، وسخره ليدمدم على الوثنية، ويكبت سدنتها، ويلغى قبابها ومباخرها وسائر مظاهرها.

ومن هؤلاء الأئمة الموحدين الداعين الى عقيدة التوحيد، الناصرين لمنهج أهل السنة والجهاعة: الإمام محمد بن عبدالوهاب _ رحمه الله _ وطيب ثراه، وأكرم نزله، وأعلى درجاته في الجنة.

لقد ظهر الشيخ الإمام في حقبه يمكن أن نسميها «حقبة انتشار البدع والجهالة»، كان كثير من الناس ـ في تلك الحقبة _ يفسدون عقائدهم ويلوثونها بما يبطل نياتهم وأعماهم ، كانوا يتوسلون بغير ما شرع الله، ويستعينون بغير الله، ويدعون غير الله.

وكانوا يحكمون بغير ما أنزل الله. وكانوا قد اتخذوا أضرحة وقبابا وقبورا مجصصة يؤمونها.

وكانت البدع والخرافات والأوهام، كالتطير والتنجيم والسحر قد انتشرت انتشارا ألغى وظيفة العقل والتفكير.

وكان الجهل طاما بسبب قلة العلم، وندرة العلماء، وبسبب أن كشيرا من العلماء الموجودين يومئذ قد التاث علمهم بحيث لا يزيد العامة إلا خبالا.

هنالك جرد الشيخ الإمام نفسه لله، وحمل لواء الدعوة ، وتوكل على الله وصدع بالحق.

وكانت قضيته الكبرى هى: «التوحيد» ، وهذا من توفيق الله له إذ يسره لكى يبدأ عابداً به الأنبياء والمرسلون.

وللاخلاص والصدق ثهارهها اليانعة في هذه الحياة الدنيا، فقد أرى الله تعالى عبده محمد بن عبدالوهاب شيئا من ثهار غرسه، ونتائج عمله في هذه الحياة «وما عند الله خير وأبقى».

وهذا من عاجل بشرى المؤمن.

نعم ، واجه الشيخ مشقة وعنتا وصدودا بادئ ذى بدء، بيد أن الثبات على الحق، واليقين بأن الله سينصر دعوته، أذهبا المشقة والعنت والصدود.

وفى خلال سنوات تغير الحال، واستجاب الناس، وانتصرت دعوة التوحيد، ولا يذكر انتصار دعوة التوحيد إلا مقترنا _ تاريخيا وموضوعيا _ بذكر اماميها معا: الإمام محمد ابن سعود، والإمام محمد بن عبدالوهاب رحمها الله. فبتوفيق الله تفاهم الرجلان العظيان وتعاهدا على نصرة الإسلام _ عقيدة وشريعة.

فقد علم الرجلان أن «الدين» هو الأساس الوحيد لقيام الملك وصلاحه واستقامته واستمراره، كما علما أن الدعوة _ بلا سلطة أو دولة _ تفقد امكانات الدعم والرعاية والحراسة.

وهذا منهج علمى وعملى صحيح، فإن الانفصال المروع بين الدعوة والسلطان جر المسلمين إلى ضعفين:

ضعف مكانة الدعوة على المستويين : الداخلي والخارجي. وضعف الدولة من حيث تناقص الولاء ، واضطراب الأساس، ورفع البركة.

ان الحكم الإسلامي ظهير للدعوة ، وفي كنفه تظهر وتتمكن، وفي ذلك يقول الشيخ الإمام: «أن هذا الذي انكروه على وأبغضوني وعادوني لأجله إذا سألوا عنه كل عالم في الشام واليمن أو غيرها يقول: هذا هو الحق وهو دين الله ورسوله، ولكن ما أقدر أن أظهره في «بلدي» لأجل أن الدولة لا ترضى «بذلك»، وابن عبدالوهاب أظهره لأن الحاكم في بلده ما أنكره، بل لما عرف الحق اتبعه».

....

وهناك أمر جد مهم، ينبغى الانتباه إليه ونحن نتحدث عن الإمام محمد بن عبدالوهاب ، هذا الأمر هو: «المنهج».

فللشيخ الإمام «منهج» ينبغى أن نتعرف على «خصائصه» ذلك أن هذه الخصائص كانت سببا _ بعد توفيق الله _ في نجاح الإمام .

وإذ نبرز هذه الخصائص، ندعو العلماء وطلاب العلم إلى مزيد من البحث والدراسة، حتى يمكن استخراج المنهج المتكامل الذى استخدمه الشيخ وجدد أمر الدين فى ضوئه، وباستخراج هذا المنهج وتحريره يظفر طلاب العلم بأهم ما يحتاجون إليه وهو: «المنهج الصحيح».

ومن خصائص منهج الامام :

١ المحاجة بـ «الدليل» والوقوف عنده.

٢ ـ الاعتاد على «منهج» أهل السنة والجماعة في فهم الدليل نصا أو في تكوينه استنباطا.

- ٣ النفاذ إلى الموضوع دون لجاج، أو تطويل، أو لف ودوران أو اعتساف.
 - ٤ وضوح الرؤية ، واستبانة الطريق.
 - ٥ _ معرفة «الواقع» معرفة صحيحة.

....

وتوكيدا على منهج الشيخ الإمام ، وتجديدا لصياغة انتاجه العلمى، وتوسيعا لنطاق التعريف به، نظمت جامعة الإمام محمد بن سعود ندوة علمية موسعة، شارك فيها صفوة من علماء الإسلام ومفكريه ومثقفيه.

وكان من أهداف تنظيم هذه الندوة :

أولا: التقصى العلمي لكل ما كتبه الامام.

ثانيا: تحرير انتاجه على يد مجموعة من العلياء الموثوقين.

ثالثًا : تصنيف هذا الانتاج وطبعه وتوزيعه .

وقد تم ذلك كله ولله الحمد والمنة.

وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية حين بذلت هذا الجهد العلمى ، وأدت هذا العمل الفكرى، إنما انبعثت إلى ذلك بحافز أدائها لأهم وظائفها وهى: خدمة علوم العقيدة والشريعة. وطردا لأداء أهم وظائف الجامعة، انتخب «مركز البحوث» طائفة من البحوث التى قدمت فى تلك الندوة، وجمعها فى هذا الكتاب الذى نقدمه لطلاب العلم والدعاة بخاصة ، وللمسلمين بعامة ، بل لكل من يرغب فى التعرف على الحق، ويتحرى الخير.

وهذا الكتاب ثمرة طيبة من ثهار «مركز البحوث» الذى نأمل أن تكثر ثمراته، وأن يزدهر نشاطه العلمى والفكرى، وأن يطرد عطاؤه فى شتى المجالات التى تقع فى دائرة تخصصه واهتمامه.

ولئن تضمنت البحوث المنتخبة تقديرا لأصحابها ، فإن الجامعة لتذكر ـ بالتقدير والاعزاز ـ كل الذين أسهموا بإنتاجهم وجهودهم في تلك الندوة.

لقد مضى القول بأن علوم العقيدة والشريعة لا تنتعش، ولا تقوى، ولا تتمكن _ كها ينبغى أن تتمكن _ إلا فى «حكم إسلامى» يحمى جناب التوحيد، ويطبق الشريعة، ويرعى الدعوة والدعاة. ولقد رأينا ذلك واضحا فى عهد الامامين: محمد بن عبدالوهاب ومحمد بن سعود رحمها الله.

ورأينا ذلك _ حديثا _ فى عهد الملك عبدالعزيز، حينا شجع العلماء على قيامهم بواجبهم فى نشر العلم والدعوة، ومن أبرز العلماء فى عهده سهاحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمها الله، الذى تولى تأسيس الكليات والمعاهد العلمية والاشراف عليها، وقد كانت نواة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

ولقد عرف ذلك بنو الملك عبدالعزيز وخلفاؤه، فلزموه من خلال حراستهم لعقيدة التوحيد، وتطبيقهم للحدود، ورعايتهم العظيمة لعلوم العقيدة والشريعة ، وخدمتهم الصادقة للدعوة.

وعلى سبيل المثال، فإن الامكانات التي تتحرك بها جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية _ _ مالا، وحرية في العمل والنشاط، وتنظيا للندوات العلمية، وتشجيعا وتأييدا _ إنما هي جزء من الامكانات التي تسخرها المملكة في خدمة الإسلام والمسلمين.

من هنا، وتطبيقا لمبادى الإسلام وأخلاقه فى الاعتراف لأهل الفضل بفضلهم نقول: إن هذه المملكة هى القدوة فى الترابط الوثيق بين الدعوة والدولة، وبين الإسلام والسلطان، يرعى هذا الترابط ملك يعلم _ كها علم جده الأعلى من قبل _ أن «الدين» هو أساس الملك الصالح المستقر، ويعلم أن من أهم مسئوليات الملك الصالح: خدمة العقيدة والشريعة والدعوة.

وانا لندعو الله تعالى أن يؤيد _ بنصره وتوفيقه _ امام المسلمين ، وملك هذه البلاد فهد بن عبدالعزيز وولى عهده الأمين.

والله من وراء القصد، وهو الهادى إلى سواء السبيل، والحمد لله رب العالمين. د. عبدالله بن عبدالمحسن التركى مدر جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية



تعريف بأسبوع الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله



بسسم التدالرحمن الرحسينم

تعریف بأسبوع الشیخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوت ه واهتدى بهديه وبعد ...

فبتوفيق من الله سبحانه وتعالى قامت جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض بالدعوة لعقد لقاء لمدة أسبوع تدرس فيه دعوة الشيخ الإمام المجدد المصلح محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه الله ـ واستضافت نحو مائة وخسين عالما وباحثا وداعية من خارج المملكة وداخلها .

وكانت الجامعة خلال أربع سنوات سابقة للقاء قد بذلت جهودا مكثفة لجمع تراث الشيخ من مظانه، وتحقيقه، وفهرسته، وطبعه طباعة جيدة، وقدمت ذلك للباحثين، كى يكون مصدرا أساسيا لبحوثهم.

وقد تلقت الجامعة من العلماء بحوثهم الموثقة بالمصادر الأساسية وقامت بطباعتها .

وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية إذ تقوم بهذا العمل، إنما تنطلق من السياسة الحكيمة التي تتبناها حكومة المملكة العربية السعودية بدعم كل ما من شأنه جمع كلمة المسلمين، والعودة بهم إلى كتاب ربهم سبحانه وتعالى وسنة نبيهم - صلى الله عليه وسلم واستنفار طاقاتهم للنهوض بالأمة الإسلامية، والتأسى برجالها المصلحين في دعوتهم وجهادهم حتى تسترد حقوقها، وتستعيد مكانتها، وتؤدى واجبها في الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

وفى الفترة من يوم السبت ١٤٠٠/٤/٢١هـ إلى يوم الخميس ١٤٠٠/٤/٢٧هـ التى توافق ١٩٨٠/٣/٨م و ١٩٨٠/٣/١٤م كان انعقاد هذا اللقاء .

الموضوعات المطروحة للبحث فى الأسبوع :

رأت الأمانة العامة للأسبوع بعد البحث والمناقشة أن أهم الموضوعات التي يجب أن تطرح لاستكتاب العلماء والباحثين فيها هي:

- ١ حياة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وآثاره العلمية .
- ٢ _ اعتاد دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب على الكتاب والسنة .
 - ٣ _ صلة دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب بمذهب السلف .
- ٤ _ الشبهات التي أثيرت حول دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب .
- ٥ _ تأثر الدعوات الاصلاحية الإسلامية بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب .

ووجهت الأمانة العامة للأسبوع خطابات دعوة للعلماء والباحثين من مختلف أقطار العالم الإسلامي، تدعوهم فيها للكتابة في واحد من هذه الموضوعات.

وزودت الأمانة العامة للأسبوع كل باحث بمجموعة كاملة من مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب التي قامت الجامعة بتحقيقها ونشرها مهذه المناسبة

حفل الافتتاح

وقد تم حفل الافتتاح لهذا اللقاء العلمى الهادف الساعة الرابعة والنصف من يوم السبت ١٤٠٠/٤/٢١هـ تحت رعاية صاحب السمو الملكى الأمير سلمان بن عبدالعزيز، أمير منطقة الرياض. وبحضور حشد كبير من المدعوين، من المسئولين وأهل العلم والدعوة، وأساتذة الجامعات وطلاب العلم بقاعة الملك فيصل للمؤتمرات. وابتدأ الحفل بأيات من كتاب الله الكريم، ثم ألقى صاحب السمو الملكى الأمير سلمان بن عبدالعزيز كلمة طيبة أشاد فيها بأهمية هذا اللقاء على تراث الإمام محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه الله ـ وحث على الدفاع عن الإسلام، وأداء الحكام والعلماء والمفكرين لواجبهم نحو تحمل الأمانة امتدادا لتاريخ أمتنا المجيدة.

ثم تلا ذلك كلمة معالى الشيخ حسن بن عبدالله آل الشيخ، وزير التعليم العالى، التى نوه فيها بمكانة الامام المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وأشار إلى أن التاريخ وحده هو الكفيل بتسجيل هذه المكانة له .

ثم جاءت كلمة سهاحة الشيخ عبدالعزيز بن باز، الرئيس العام لادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد. وألقاها نيابة عنه الشيخ عبدالعزيز الفالح، الأمين العام لهيئة كبار العلهاء. وقد أشار في كلمته إلى نعمة الإسلام الكبرى وأن مستقبل المسلمين مرهون بالتمسك بالإسلام وتطبيق شريعته في شئون الحياة كلها.

ثم ألقى معالى الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركى مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية كلمة رحب فيها بالحضور، وتمنى لهم أقامة سعيدة وعودة حميدة، وألمح إلى اعتزاز جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بعقد هذا اللقاء العلمى، وما سبقه من جهود للاعداد له، وتمنى أن يثمر هذا اللقاء أطيب الثهار، وأكد على أهمية الأثر الواضح فى تلاحم الدولة والدعوة، وما أحرزه ذلك من نجاح فى تطبيق شرع الله، وذلك فى التقاء الإمام محمد بن سعود بالإمام محمد بن عبدالوهاب، وتعاهدها على نصرة دين الله .

ثم ألقى كلمة أعضاء الأسبوع الدكتور إسحاق أحمد فرحان، أستاذ التربية بجامعة اليرموك بالأردن، ورئيس الجامعة الأردنية السابق، أشاد فيها بفكرة عقد هذا اللقاء، وشكر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية على أعمالها السديدة، وما قامت به من جمع تراث الإمام الشيخ محمد بن عبدالوهاب وتيسير نشره، ودعا إلى توحيد كلمة المسلمين والتقائهم على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

ثم توجه الجميع لافتتاح معرض الكتاب الإسلامي الذي أقيم بهذه المناسبة .

وقد تم اختيار معالى الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركى، مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية رئيسا للقاء، واختيار الدكتور عبدالعزيز بن عبدالرحمن السعيد وكيل الجامعة وأمين عام الأسبوع نائبا للرئيس، واختيار الدكتور إسحاق أحمد فرحان مقررا عاما .

وتم الاتفاق كذلك على أن تناقش الموضوعات في لجنتين :

اللجنة الأولى : وتناقش البحوث المقدمة في الموضوعين الآتيين :

١ _ اعتماد دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب على الكتاب والسنة .

٢ _ صلة دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب بدعوة السلف .

وقد انتخب فضيلة الشيخ مناع خليل القطان رئيسا لهذه اللجنة، والدكتور سيد حجاب مقررا لها .

اللجنة الثانية : وتناقش البحوث المقدمة في الموضوعات الآتية :

١ _ حياة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأثاره العلمية .

٢ _ الشبهات التي أثرت حول دعوة الشيخ .

٣ _ الدعوات الاصلاحية التي تأثرت بها .

وقد انتخب فضيلة الدكتور عبدالله العجلان رئيسا لهذه اللجنة، والدكتور محمد إبراهيم نصر مقررا لها .

الندوات والمحاضرات:

عقدت أثناء الأسبوع ندوات هي :

الندوة الأولى : وموضوعها: حياة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأثاره العلمية . واشترك فيها:

١ _ الشيخ محمد بهجت الأثرى .

٢ _ الشيخ أحمد بن عبدالعزيز المبارك .

٣ _ الشيخ إسهاعيل الأنصارى .

وقد أدار الندوة الشيخ محمد بن عبدالله العجلان، وكيل الجامعة .

الندوة الثانية: وموضوعها: اعتاد دعوة الشيخ على الكتاب والسنة، وصلتها بمذهب

واشترك فيها:

۱ ـ د . محمد فتحی عثمان .

٢ ـ د. عبدالله عبدالماجد.

وأدار الندوة الدكتور على عبدالحليم محمود .

الندوة الثالثة: وموضوعها: الشبهات التي أثيرت حول دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وتأثر الدعوات الاصلاحية بدعوة الشيخ .

واشترك فيها:

١ _ الشيخ عطيه محمد سالم .

۲ ـ د. محمد سلام مذكور .

٣ ـ د. وهبه الزحيلس .

وأدارها الدكتور اسحاق الفرحان .

كها ألقى الأستاذ حمد الجاسر محاضرة بعنوان : المرأة في حياة الشيخ محمد بن عبدالوهاب.

البحوث المقدمة لاسبوع الشيخ محمد بن عبدالوهاب

	عندان الحدث	0
اسم الباحث	لمسل عنسوان البحث	
الشيخ أحمدبن عبدالعزيز	حياة الشيخ محمدبن عبدالوهاب وآثاره العلمية	١
أل مبارك	محمد بن عبدالوهاب ودعوته إلى التوحيد	۲
د. التهامي نقرة الشيخ محمدبن أحمد	حياة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وآثاره العلمية	٢
العقيلي الشيخ عبدالحفي <u>ظ</u>	حياة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وآثاره العلمية	٤
عبد العال الشيخ يوسف جاسم الحجي	حياة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وآثاره العلمية	٥
الشيخ أحمد زبارة	حياة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وآثاره العلمية	٦
اللواء الركن محمود شيت	الامام محمد بن عبدالوهاب في مدينة الموصل	٧
خطاب	1	٨
الشبيخ حمد الجاسسر	المرأة في حياة إمام الدعوة الشبيخ محمدين عبدالوهاب	٩
د. عبدالله العثيمين	الرسائل الشخصية للشيح محمد بن عبدالوهاب	١.
الشيخ إسهاعيل محمد	حياة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وآثاره العلمية	,
الأنصارى	the state of the s	11
الشيخ محمد يوسف	اعتاد دعوة الشيخ محمدبن عبدالوهاب على الكتاب والسنة	17
الشيخ مناع خليل القطان	اعتاد دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب على الكتاب والسنة	١٣
الشيخ صالح بن	اعتماد دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب على الكتاب والسنة	, 1
عبدالرحمن الأطسرم	at a short	١٤
الشيخ عبدالله بن سعد	اعتاد دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب على الكتاب والسنة	, .
الرويشد		

۹۱	اعتاد دعوة الشبيخ محمدبن عبدالوهاب على الكتاب والسنة	أالشيخ سياج الديسن
		كاكاخيل
١٦	منهج دعوة الامام محمد بن عبدالوهاب التميمي النجدي	د. عبدالله عبدالماجد
	والتضور السوداني لهذه الدعوة	
11	صلة دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب بمذهب السلف	الشيخ الغزالى خليل عيد
١٨	صلة دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب بمذهب السلف	د. على عبد الحليم محمود
19	صلة دعوة الشبيخ محمد بن عبدالوهاب بمذهب السلف	الشيخ أحمد عبده ناشر
۲.	السلفية في المجتمعات المعاصرة	د. محمد فتحی عثمان
11	خصائص التفكير الفقهي عندالشيخ محمدبن عبدالوهاب	د. عبدالوهاب ابراهيم
		أبوسليمان
**	الشبهات التي أثيرت حول دعوة الشيخ محمدبن عبدالوهاب	الفائد من ف
' '	اسبها في الرق عول د و السيل	السيح حمد يوسف
	ومماثلتها بشبهات أثيرت حول دعوة الشيخ المودودي	السيح حمد يوسف
	ومماثلتها بشبهات أثيرت حول دعوة الشيخ المودودى	د عبدالرحمن عميرة
	ومماثلتها بشبهات أثيرت حول دعوة الشيخ المودودي رحمهما الله.	د عبدالرحمن عميرة
	ومماثلتها بشبهات أثيرت حول دعوة الشيخ المودودي رحمهما الله. الشبهات التي أثيرت حول دعوة الشيخ الامام	د عبدالرحمن عميرة الاستاذ عبدالكريم
74	ومماثلتها بشبهات أثيرت حول دعوة الشيخ المودودى رحمهما الله. الشبهات التى أثيرت حول دعوة الشبيخ الامام محمد بن عبدالوهاب	د عبدالرحمن عميرة الاستاذ عبدالكريم الخطيب
74	ومماثلتها بشبهات أثيرت حول دعوة الشيخ المودودى رحمهما الله. الشبهات التى أثيرت حول دعوة الشيخ الامام محمد بن عبدالوهاب الشبهات التى أثيرت حول دعوة الامام محمدبن	د.عبدالرحمن عميرة الاستاذ عبدالكريم الخطيب الشيخ محمد نسيب
77	ومماثلتها بشبهات أثيرت حول دعوة الشيخ المودودى رحمهما الله. الشبهات التى أثيرت حول دعوة الشيخ الامام محمد بن عبدالوهاب الشبهات التى أثيرت حول دعوة الامام محمد بن عبدالوهاب والرد عليها عبدالوهاب والرد عليها الشبهات التى أثيرت حول دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب	د عبدالرحمن عميرة الاستاذ عبدالكريم الخطيب الشيخ محمد نسيب الرفاعسى
77	ومماثلتها بشبهات أثيرت حول دعوة الشيخ المودودى رحمهما الله. الشبهات التى أثيرت حول دعوة الشيخ الامام محمد بن عبدالوهاب الشبهات التى أثيرت حول دعوة الامام محمد بن عبدالوهاب والرد عليها الشبهات التى أثيرت حول دعوة الامام محمد بن عبدالوهاب والرد عليها الشبهات التى أثيرت حول دعوة الشيخ محمد بن	د. عبدالرجمن عميرة الاستاذ عبدالكريم الخطيب الشيخ محمد نسيب الرفاعمى أ.د. محمد محمد حسين
72	ومماثلتها بشبهات أثيرت حول دعوة الشيخ المودودى رحمهما الله. الشبهات التى أثيرت حول دعوة الشيخ الامام محمد بن عبدالوهاب الشبهات التى أثيرت حول دعوة الامام محمد بن عبدالوهاب والرد عليها عبدالوهاب والرد عليها الشبهات التى أثيرت حول دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب	د. عبدالرحمن عميرة الاستاذ عبدالكريم الخطيب الشيخ محمد نسيب الرفاعي أ.د. محمد محمد حسين الشيخ محمد عبدالرحمن
7 7 2 7 0 7 7 7 7 7 7 7 7 7 7 7 7 7 7 7	ومماثلتها بشبهات أثيرت حول دعوة الشيخ المودودى رحمهما الله. الشبهات التى أثيرت حول دعوة الشيخ الامام محمد بن عبدالوهاب الشبهات التى أثيرت حول دعوة الامام محمد بن عبدالوهاب والرد عليها عبدالوهاب والرد عليها الشبهات التى أثيرت حول دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب بين التأييد والمعارضة دعوة الامام محمد بن عبدالوهاب بين التأييد والمعارضة	د. عبدالرجمن عميرة الاستاذ عبدالكريم الخطيب الشيخ محمد نسيب الرفاعمى أ.د. محمد محمد حسين

مسلسل

د. عبدالباري عبدالباقي	الوهابيون والتقويم المعاصر لهم	79
أ.د. محمدسلام مدكور	تأثر الدعوات الاصلاحية بدعوة الشيخ محمدبن عبدالوهاب	٣.
الاستاذ عبدالفتاح مقلد	أثر دعوة الشيخ محمدبن عبدالوهاب في غرب أفريقيا	71
الغنيمي		
د. وهبـــــة الزحيلــي	تأثر الدعوات الاصلاحية الاسلامية بدعوة الشيخ	44
الشيخ أسهاعيل أحمد	تأثر الدعوات الاصلاحية الاسلامية في تايلاند بدعوة	22
	الشيخ محمد بن عبدالوهاب	
الاستاذ أنور الجندى	تأثر الدعوات الاصلاحية بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب	22
د. عبدالحليم عويس	أُثـر دعوة الامام محمد بن عبدالوهاب في الفكر الاسلامي	40
	الاصلاحي بالجزائر	
الشيخ عطية محمد سالم	دعوة الامام الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأثرها	77
د. مصطفی محمد مسعد	أثر دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في حركة عثمان	44
	ابن فودى الاصلاحية في غرب أفريقيا	
د.محمد السعيد جمال الدين	دعوة الشيخ وأصداؤها في فكر محمد اقبال	44
الاستاذ نجيح أحيد	تأثر الدعوات الاصلاحية بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب	49
عبداللــه		
الشيخ عبد القدوس	تأثر الدعوات الاصلاحية في العالم الاسلامي بدعوة الشيخ	٤٠
الانصارى	محمد بن عبدالوهاب	

النتائج والتوصيات

من خلال مناقشة الأبحاث المقدمة، وما عرض في اللجان والندوات من آراء وأفكار يقرر المؤتمرون النتائج والتوصيات التالية:

العصر الحديث، تتمثل في التلاحم الوثيق بين الدعوة والدولة، وذلك في مناصرة الإمام محمد بن سعود لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وهذه التجربة هي الصيغة الإسلامية الأصلية لقيام الدولة في الاسلام عقيدة وشريعة ومنهاج حياة على أسس راسخة من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

وعلى المسلمين كافة أن يعمقوا هذه التجربة الفذة فى تعاون العلماء والحكام على اقامة حكم الإسلام، وتطبيق شريعته، وشد أزر الدعوة الإسلامية مما يعود على الناس كافة بالنصر والتمكين فى الدنيا والفوز والسعادة فى الآخرة.

- ٢ أن المسار الصحيح للدعوة الإسلامية إنما يكون باستنادها إلى أصول الدين الحنيف، ومصادره من الكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة، فتستمد من هذه الأصول والمصادر وسائلها وأهدافها، وتصوغ أوجه نشاطها صياغة إسلامية وفق ما جاء عن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وما سار عليه سلف الأمة الصالح.
- أن الدعوة التى قام بها الإمام محمد بن عبدالوهاب دعوة إسلامية أصيلة، نابعة من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وهى حلقة من حلقات الاصلاح والتجديد في أمة الإسلام عبر القرون والأجيال مصداقا لقوله صلى الله عليه وسلم: «ان الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها».

وهى فى مجال التطبيق تلتزم باتباع النصوص الشرعية والاجتهاد فى إطارها، والاسترشاد بأقوال الأئمة السابقين .

- ويرى المؤتمرون ضرورة العمل على اعداد طائفة من العلماء ذوى المواهب الخاصة، وتأهيلهم تأهيلا يمكنهم من الاجتهاد فيما يجد من قضايا ومشكلات في ضوء الكتاب والسنة، حتى تحكم الحياة في جميع مجالاتها بشريعة الإسلام.
- ٤ أن لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله أثرا واضحا وملموسا في الدعوات والحركات الاصلاحية في كثير من بلاد العالم الإسلامي، وبعث الثقة في نفوس الدعاة والمصلحين بإمكان نصر الدعوة واتخاذ الإسلام منهج حياة .

ويؤكد العلماء المؤتمرون أن المعيار في وزن الدعوات وتقويمها يرتكز على مدى التزامها بكتاب الله سبحانه وتعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، واقتفاء أثر السلف الصالح في الاعتقاد والعلم والعمل والصبر ومحاربة ضروب الشرك والخرافات والبدع.

- ٥ أن حياة أئمة الإسلام العاملين من المجددين والمصلحين، بما تميزت به سيرهم من حرص على العلم النافع والعمل به، ودعوة الناس إلى الحق كها جاء في القرآن والسنة، وما كان عليه السلف الصالح، والصبر على ما تقتضيه الدعوة من مواصلة الجهاد والثبات في مواجهة التحدى، والثقة بعون الله والاعتزاز بدينه اتباعا لأمره وابتغاء مرضاته أن حياة هؤلاء الدعاة المهتدين المجاهدين تعد النموذج الرائع لتربية الدعاة واعداد العلماء المصلحين. مما يوجب أن توجه الجامعات والمعاهد والمؤسسات والمراكز الإسلامية عنايتها إلى دراسة حياة هؤلاء العلماء المصلحين العلمية والعملية، وتحليلها للاستفادة مما تحفل به من دروس نافعة حتى تقتفى الأجيال خطاها وتتأسى الناشئة بها، وفي هذا الاستيعاب لمآثر أئصة الاسلام، وأعهاهم الجليلة وسيرهم الراشدة في مجال التربية والتوجيه والاعداد والسلوك، تجديد دائم لدعوة الإسلام في زمن يحتاج فيه المسلمون إلى تألقها، ودفق عطائها، واشراق ضيائها.
- ٦ أن إيقاظ روح الجهاد الإسلامي قولا وعملا هو الطريق الصحيح للتصدى الحازم
 لما تواجهه أمة الإسلام من تحديات

ويرى المجتمعون ضرورة اجتماع كلمة القادة في الشعوب الإسلامية على الحق، وتوحيد جهودهم، واستنفار طاقات شعوبهم لبعث روح الجهاد في سبيل الله والأخذ بأسبابه، وإعداد العدة له بما في ذلك الاعتماد الذاتي في توفير السلاح بإقامة المصانع الحربية اللازمة، حتى لا يظل المسلمون معتمدين في تسليحهم على الشرق أو الغرب.

كها يرون ضرورة تقديم العون المالى والعسكرى للمجاهدين فى كل بلد مسلم يقاوم الظلم والطغيان، وبخاصة تقديم العون لتحرير فلسطين المسلمة من وطأة الاحتلال الصهيونى الغاشم الذى انتهك الحرمات الإسلامية المقدسة، وارتكب أبشع الجرائم بحق الشعب الفلسطيني المسلم.

ويرون أيضا أن الأمة الاسلامية حكومات وشعوبا مطالبة بتأييد حركات الجهاد الإسلامي لتحرير أفغانستان المسلمة، ودعم جهاد المسلمين في اريتريا والفلبين وغيرها.

- ٧ ـ أن للمرأة المسلمة أثرها الطيب في تاريخ الإسلام على مر العصور، كما أن لها نصيبا في تحمل أعباء الدعوة، وهذا أمر يستحق التقدير ويستوجب أن يعنى الدعاة إلى الله بالمرأة حتى تأخذ مكانها المناسب، من حيث إعدادها إعدادا صالحا لتربية جيل مسلم صالح، وإسهامها في مجال الدعوة (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر).
- ٨ ـ. أن الشبهات التي أثارها أعداء دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب هي من كيد الأعداء والمغرضين، وليس لها ما يسندها من كتابات الشيخ ومنهجه في الدعوة . ويجدر بالدعاة في مختلف أنحاء العالم أن يسلكوا في سبيل دعوتهم الأسلوب الحكيم الذي يدحض بقايا هذه الشبهات، ويوضح الحق الذي دعا إليه الامام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله .
- 9 ضرورة العنابة بإنشاء الكليات والمعاهد المتخصصة، لدراسة العقيدة وإعداد

الدعاة إلى الله وفق منهج السلف الصالح، ودعم الأقسام والمعاهد والكليات القائمة.

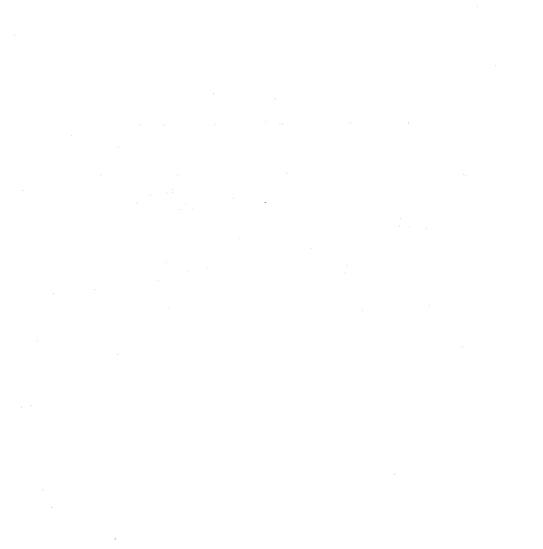
وأن يكون بين هذه الكليات والمعاهد والأقسام فى العالم الإسلامى تنسيق وتعاون ويوصى المؤتمرون جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بتقوية روابطها مع هذه الكليات والمعاهد، وتقديم الدعم العلمى والمالى لها، لتحقق أهدافها .

- ١٠ أن نشر الدعوة الإسلامية يتطلب الاستفادة من وسائل الاعلام الحديثة، وإعداد فئة من رجال الاعلام المثقفين ثقافة إسلامية واسعة عن طريق إنشاء كليات ومعاهد وأقسام متخصصة في الاعلام الإسلامي، لينقى هؤلاء الاعلام في البلاد الإسلامية من كل ما يتعارض مع الإسلام، وليوجهوه توجيها إسلاميا تعالج من خلاله قضايا المسلمين، ويسهم في تربية ناشئتهم وينشر الإسلام على الناس كافة.
- ١١ ـ ان التقاء علماء الإسلام لمدارسة أحوال المسلمين، والتذكير بواجب الدعوة إلى الله والعودة إلى الكتاب والسنة، والتزام أحكام الشريعة الاسلامية، مما يساعد على الصحوة الاسلامية ويعزز مسارها.

ويرى الأعضاء أن موسم الحج يتيح فرصة طيبة لمثل هذا اللقاء، وعلى مؤسسات الدعوة والجامعات والهيئات أن تتحمل مسئولياتها ازاء تحقيق هذه الغاية في موسم الحج وغيره من المناسبات.

- ۱۲ أن تعنى سفارات الدول الإسلامية بعامة وسفارات المملكة العربية السعودية بخاصة بشئون الدعوة الإسلامية، وذلك بتوثيق علاقاتها مع المراكز والمؤسسات والهيئات الإسلامية، ودعمها وتوحيد جهودها، والأخذ بيدها إلى تحقيق أهدافها .
- ۱۳ ـ أن الاعتراف بالحق لذويه، والتذكير بتراث الأئمة المصلحين، والعناية بدراسته
 والافادة منه، مما تعنى به الأمم الواعية في تاريخها، ولذا يرى المؤتمرون:
- أ _ أن تتابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية خدمة تراث ورسائل الشيخ

- محمد بن عبدالوهاب، وتحقيقها تحقيقا علميا، ونشرها .
- ب _ إقامة مكتبة خاصة بتراث الامام محمد بن عبدالوهاب وتلامذته، ومن نهج نهجه في الدعوة .
- جـ القيام بالدراسات التحليلية لها من أجل استخلاص الدروس والعبسر النافعة منها.
 - د ـ ترجمة المختار منها إلى لغات الشعوب الإسلامية وبعض اللغات الحية .



مبياة الشيخ محرري عبر (الوهاب وآثاره العلمية



محمد بن عبر الوهاب و دعوته إلى النوحير

للدڪتور التهامي نقرة

أستاذ محاض في دراسات المترآن والسنة بالكلية الزيتونية للشريعة وأصول الدين بتونس ومستشاريا لأمانة العامة للجامعة العربية بتونس



ب التوارمن الرحمن الرحميم عقيدة التوحيد

أجل ما فى الإنسان قلبه مستقر المعرفة واليقين، وخير ما يثبت فيه عقيدة إلهية واضحة المعالم عميقة الجذور، يغذيها بحياته فتهب له أسمى ما فى الحياة، وتفتح له أفاق الإيمان، منبع الأحاسيس الرفيعة، ومصدر العواطف النبيلة .

وإذا استقر الإيمان في الوجدان امتزج باليقين، فكان أطيب ثمراته الثقة في الله وصالح الأعمال، وهو المعنى الذي أصله رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله: «ليس الإيمان بالتمنى، ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل»(١).

فالايمان هو النور الذي إذا افتقده الإنسان، غشيه الظلام، وضل سعيه في الحياة الدنيا، ومن هنا كان أفضل آلاء الله على عباده هدايتهم للإيمان.

قال تعالى مخاطبا نبيه صلى الله عليه وسلم:

« يَمْنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْ قُل لَا تَمْنُواْ عَلَى إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللهُ يَمُنْ طَلَيْكُمْ

أَنْ هَدَنْكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَلْدِقِينَ » (الحجرات - ١٧)

وما العقيدة الإلهية إلا عقيدة التوحيد التي بها ارسل الله رسله، وأنزل كتبه وجعلها وصيته في الأولين والآخرين، فقال جل شأنه.

« شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَاوَصَّىٰ بِهِ عَنُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا ۚ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّبْنَا بِهِ عَ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُواْ الدِّينَ وَلَا نَتَفَرَّقُواْ فِيهِ " إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُواْ الدِّينَ وَلَا نَتَفَرَّقُواْ فِيهِ "

⁽١) لم يصح رفعه والمشهور أنه من كلام الحسن البصرى .

فأصول العقيدة وقواعد الايمان التي لا تتبدل بتبدل الزمان والمكان، ولا تتغير بتغير الأفراد والأقوام هي التي أوصى بها رسله، إذ أن دين الله واحد، وحقيقته التوحيد.

وقد رويت الأحاديث الصحيحة أن النبي صلى الله عليه وسلم أكد هذه الحقيقة في مثل قوله: «إنا معاشر الأنبياء ديننا واحد»...

ومن هنا يمكن القول بأن أقدم ديانة ظهرت في الأرض هي عقيدة التوحيد، وأن التوحيد ليس نهاية الأطوار، بل هو البدء والختام

وأن الوثنية ليست إلا أغراضا طارئة، نفثت سمومها عندما نسيت الإنسانية تعاليم السهاء وانتابت عقيدتها انحرافات، وتمكنت منها أوهام وخرافات، فعن عياض المجاشعى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى إحدى خطبه: «ألا إن ربى أمرنى أن أعلمكم ما جهلتم مما علمنى يومى هذا ... وانى خلقت عبادى حنفاء كلهم، وانهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بى ما لم أنزل به سلطانا ...»

وما تزال الشياطين تقعد للإنسان بكل طريق، صادة عن سبيل الله، صارفة عن وحدانيته، داعية إلى الشرك .

وكم عانى رسل الله في سبيل الدعوة إلى التوحيد، واجتثاث الوثنية، فكان أول ما بدأ به نبى الله نوح عليه السلام أن دعاهم إلى عبادة الله وحده .

« لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ عَقَالَ يَنَقُومِ آعُبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنَ إِلَهِ غَيْرَهُ وَ إِنِّى أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ عَظِيمِ »

(الاعراف ٥٩).

وكذلك كانت دعوة هود وشعيب وصالح وغيرهم من الرسل عليهم السلام، كل يقول لقومه: «اعبدوا الله ما لكم من إله غيره»

والمتأمل في سيرة خليل الله ونبيه ابراهيم عليه السلام، وما لاقاه من قومه عبدة

الأوثان كما بين ذلك القرآن، يتجلى له في وضوح جهاد رسل الله، ولا سيما أولو العزم منهم في مقاومة تيار الوثنية، والأخذ بأيدى الضالين الى حظيرة الوحدانية

فدين الله في جميع الأزمان هو إفراده بالربوبية والاستسلام له وحده بالعبودية، وما دام الله واحدا فلا بد أن يكون الدين واحدا في العقيدة، ولكن الناس قد تطغى عليهم الرواسب والفلسفات والأوهام، فتذهب بهم كل مذهب، وليس لهم برهان من عقل ولا سند من نقل، فيضلون ويضلون، ويلبسون الحق الذي جاءت به رسل الله اليهم بالباطل الذي صنعته ظنونهم وعقولهم، كها فعل اليهود والنصاري إذ ثاروا بالفلسفة الإغريقية التي تعدد الآلهة، وتزعم أن الله _ سبحانه _ قد أولد الأشياء، وأن طبيعة الخلق إنما هي ولادة شي منه وصدوره عنه كها تفيض العيون بالمياه، وقد عجزت عقولهم عن تصور خلق الله بنحو الإبداع، ان يقول للشي كن فيكون، لأن قدرته ذاتية.

فانحرف الزيغ باليهود إلى مهاوى الشرك، فادعوا أن لهم إلها خاصا بهم، وهو إله إسرائيل، وللشعوب الأخرى آلهة أخرى، ولم يخلص إلههم من صفات الحوادث ولامن شوائب النقص والتجسيم حتى فى أحدث توراتهم المزعومة كأسفار التثنية والعدد واللاويين بل بدأ انحرافهم وموسى عليه السلام بين أظهرهم، ومن ذلك عبادتهم للعجل الذي صنعه لهم السامرى من ذهب.

وزادت عقيدتهم في الله ارتكاسا في العهد الذي ألف فيه التلمود وهو القرون الستة الأولى بعد الميلاد^(١).

كها زاغت النصارى بعقيدة الثالوث وهو الآب والابن وروح القدس، ولم تكن هذه العقيدة موجودة في العهد الجديد، ولا في أعبال الحواريين ولافي تلاميذهم الأقربين بل كانوا أبعد الناس عن اعتقاد أنه أحد الأركان الثلاثة المكونة لذات الخالق، ولكن بولس هو الذي خالف عقيدتهم، وزعم أن المسيح أرقى من إنسان، وأنه عقل سام متولد عن الله، وكان موجودا قبل أن يوجد العالم، وقد تجسد هنا لتخليص الناس، ولكنه مع ذلك

⁽٢) انظر: اليهودية واليهود، على عبدالواحد وافى - ٣٥ - ٤٢ (ط مصر دار الهنا للطباعة).

تابع للإله، وان الثلاثة مع ذلك إله واحد رغم أن كل واحد منها مستقل عن الآخر، تعالى الله عها يقولون.

وعقيدة الثالوث موجودة في ديانة قدماء المصريين، وفي ديانة البراهمة لدى ملايين الهنود والصينيين والبوذيين.

ومن طريف ما يروى أن مسلما قال لأحد القساوسة: «إن بعض الناس أخبرنى أن رئيس الملائكة قد مات، فقال له القسيس: هذا محض افتراء، فإن الملائكة خالدون لا يوتون، فقال له المسلم وكيف وقد كنت تقول في وعظك: إن الإله قد مات على خشبة الصليب ؟ فكيف يموت الاله وتخلد الملائكة ؟

قال أحد الشعراء:

عجب اللمسيح بين النصارى وإلى الله والدا نسبوه أسلموه الى اليهود وقالوا إنهم بعد قتله صلبوه فلئن كان ما يقولون حقا فسلوهم، فأين كان أبوه ولئنن كان راضيا بأذاهم فاشكروهم لأجل ما صنعوه وإذا كان ساخطا غير راض فاعبدوهم لأنهم غلبود (٢)

دعوة الإسلام إلى التوحيد:

وإذا كان التوحيد هو قاعدة كل ديانة جاء بها من عند الله رسول كما يقرر ذلك القرآن في كثير من الآيات مثل قوله تعالى:

" وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِى إِلَيْهِ أَنَّهُ لِآ إِلَىٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ السَّنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِى إِلَيْهِ أَنَّهُ لَآ إِلَىٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ السَّنِياء - ٢٥)

فإن الإسلام هو دين التوحيد الخالص المطلق، وجوهر عقيدته ومحور عباداته وركيزة تعاليمه، والطابع المميز له بعبودية الانسان لله وحده، ومن ثم كانت عنايته

⁽٣) سيد سابق: العقائد الاسلامية: ١٤ (ط. مصر ١٩٦٧).

الكبرى موجهة إلى تحرير أمر العقيدة وتحديد الصورة الصحيحة التى يجب أن يستقر عليها الضمير البشرى فى حقيقة الألوهية وعلاقتها بالخلق، وعلاقة الخلق بها ...فنستقر عليها نظمهم وأوضاعهم وأخلاقهم وعلاقاتهم الاجتاعية والاقتصادية والسياسية، وما كان يمكن أن تستقر هذه الأمور كلها إلا أن تستقر حقيقة الألوهية وتتجلى خصائصها(١).

جاء الإسلام وفى العالم ركام من العقائد والتصورات والأساطير والفلسفات والأوهام والشعائر والتقاليد، اختلط فيها الحق بالباطل، والدين بالخرافة والضمير البشرى يتخبط فى ظلهات وظنون لا يستقر معها على يقين، ولا بد للإنسان من عقيدة تفسر له ما حوله، وتفسر له مكانه فها حوله.

أما الجزيرة العربية التى نزل فيها القرآن فقد كانت تعج بركام من باطل المعتقدات التى تسربت إليها من اليهودية والنصرانية والفرس ومن الوثنيات القديمة.

فمنهم من عبدالملائكة، ومنهم من عبد الجن، ومنهم من عبد الشمس والقمر، ومنهم من عبد الكواكب، ومنهم من عبد الأصنام إما بوصفها تماثيل للملائكة، وإما بوصفها تماثيل للأجداد، وإما لذاتها.

وكان بالكعبة التى بنيت لعبادة الله الواحد نحو ثلاثهانة وستين صنا، وقد سجل القرآن الكريم ألوان الشرك التى كانت سائدة فى الجاهلية قبل البعثة المحمدية، وأشار إلى كل ذلك بوضوح فى عدة سور منه (٥)، وكان جل ما نزل منه فى المرحلة المكية ومدتها ثلاث عشرة سنة يهدف إلى إنشاء عقيدة التوحيد ونشرها فى قوم لم يكلفوا بشريعة قط، لوجودهم فى فترة من الرسل تمتد من اسهاعيل إلى محمد عليهها السلام، وهى مدة تزيد على ثلاثة ألاف سنة، قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم:

⁽٤) سيد قطب: خصائص التصور الاسلامي ومقوماته: ٤٢ (ط٢ ـ ١٩٦٨)

٤) كسورة الزمر: ٣: ٤ ـ والزخرف: ١٥ ـ ٢٠ وسياً : ٤٠ـ٤١ والصافات ١٤٩ ـ ١٥٩، والنجم: ١٩ ـ ٢٨.

« لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَهُم مِن تَذِيرٍ مِن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّوُنَ » (القصص - ٤٦)

وبتعاقب الأجيال والوراثة والتقليد كاد يتأصل فيهم باطل الشرك ويستحكم، حتى ضار من العجب أن يقال لهم «الله واحد(١٠)»

« أَجَعَلَ ٱلْآلِهَ إِلَاهًا وَحِدًا إِنَّ هَاذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ »

(ص: ۵) .

وكم ضرب القرآن من أمثال، وساق من أدلة، وأقام من براهين، على إثبات أن الله واحد في ألوهيته.

وفي ذاته، فلا شريك له في ملكه، وليس كمثله شي.

وفي صفاته، فليس في أحد من الصفات ما يشبهها.

وفي أفعاله، فليس في أحد غيره مثل فعله، كل شي في قبضته، وجميع الأمور إليه.

وكم في القرآن ما يعد تصحيحا لما وقعت فيه الديانات المحرفة، والفلسفات الخابطة في الظلام .

ثم إن المساحة التى تشملها حقيقة التوحيد فى ضمير المسلم، وفى عباداته ومعاملاته وفى حياته الخاصة والعامة بعيدة الأغوار فسيحة الأرجاء، حتى صار كل شي فى الإسلام مقاما على التوحيد، ومنبثقا عنه، والمسلم يساق من باطنه لا من ظاهره، والعقيدة هى التى تلقى ظلها على حياته، لذلك اعتبرها القرآن غاية فى ذاتها .

قال ابن القيم: «ان كل أية في القرآن متضمنة للتوحيد، شاهدة به داعية إليه: فإن القرآن إما خبر عن الله وأسهائه وصفاته وأفعاله، فهو التوحيد العلمي الخبري، وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له، وخلع ما يعبد من دونه، فهو التوحيد الإرادي الطلبي، وإما إلزام بطاعته في أمره ونهيه فهو حقوق التوحيد ومكملاته، وإما خبر عن كرامة الله لأهل

⁽٦) التهامي نقرة: سيكولوجية القصة في القرآن : ١١١ (ط تونس ١٩٧٤).

توحيده وطاعته وما فعل بهم في الدنيا وما يكرمهم به في الآخرة فهو جزاء توحيده، وإما خبر عن أهل الشرك مما فعل بهم في الدنيا من النكال، وما يحل بهم في العقبى من العداب، فهو خبر عمن خرج عن حكم التوحيد، فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم (٧)

فالرجوع إلى الله وحده في التحريم والتحليل وفي التشريع ومنهج الحياة وميزان القيم والاعتبارات والتوجه إليه وحده في الطلب والعبادة والرجاء والخشية والتقوى هو من مقتضيات التوحيد: توحيد الألوهية والسلطان.

لذلك كانت كلمة «لا إله إلا الله» هي مفتاح الإسلام إذ بها يخضع المؤمن لعقائده وأحكامه.

فهي شهادة تتضمن إيمانا تاما بأن الله وحده هو مصدر الخلق والمعرفة وهدف العبادة.

فمن صرف شيئا من أنواع العبادة لغير الله فقد اتخذ إلها وأشرك مع الله غيره، لأنه سبحانه منتهى مطلب الحاجات، ومن عنده وحده نيل الطلبات.

« هُوَ الْحَيْ لَآ إِلَنهَ إِلَّا هُوَ فَأَدْعُوهُ مُعْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ آلْحَمَدُ لِلَّهِ رَبِ ٱلْعَلَمِينَ (عاد - ٦٥).

والتوحيد الخالص لله عز وجل ليس بالأمر الهين، إذ هو يتطلب معرفة ويقينا، ومراقبة وخشوعا ومجاهدة للنفس، حتى يكون الله هو غاية المؤمن في أقواله وأعياله، وأن يكون لديه أكبر من كل شيء، إذ بيده أجله ورزقه، ونفعه وضره، وهذا ما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يغرسه في قلب ابن عباس وهو غلام ناشى، حين قاله له، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجدد تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشى لم ينفعوك إلا بشى، قد كتبه الله

⁽٧) رابن قيم الجوزية : مداوج السالكين : ج - ٢٨٩/٣ (ط مصر - ١٣٣١)

لك ... وإن اجتمعوا على أن يضروك بشى لم يضروك إلا بشى قد كتبه الله عليك ... (رواه الترمذى). وبهذه العقيدة التى بثها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قلوب المؤمنين وصهرها فى نفوسهم، كتب الله لهم النصر فى مواجهة الطغيان رغم فلة عددهم وعدتهم، وأخرجهم من كل محن الابتلاء ظافرين، لأن ايمانهم بالله بلغ درجة اليقين، فهانت عليهم متع الدنيا، واستجابوا لله حين دعاهم لما يحييهم، رغم ما سلط عليهم أعداء الدين من سياط الوحشية والإرهاب، ولم يتخل النصر عن المسلمين إلا حين اهتزت عقيدتهم، واختل إيمانهم.

خطر فساد العقيدة:

وإذا لم يكن على وجه الأرض قوة تكافى وقوة التوحيد في عقيدة الإسلام الذي هو الدين عند الله، يصون الروح عن دنس الشرك، وتحريرها من الخنوع لغير الله، والعبودية لكل ما سواه، وخلوص العمل من آفة الرياء، وكان من عاجل ثمراته تلك الناذج البشرية الرفيعة التي ضربت أمثلة رائعة في الكيال الإنساني، أولئك الذين قيل لهم «إِنَّ ٱلنَّاسَ قَذ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيّانًا وَقَالُوا: حَسنُبنا اللَّهُ وَنعُمَ الْوَكِيلُ».

كانوا أعزة تأبى نفوسهم الذلة والاستكانة، لأنهم مرتبطون بالله الواحد الأحد، يستمدون منه العون والسند، ولا ينصاعون للظالم وإن قويت شوكته، وعلا في الأرض، وانهم معتصمون بحبل من الله متين، ولا تغرهم الحياة الفانية، ولا نعيمها الزائل، لأنهم واثقون بأن ما عند الله خير وأبقى.

إذا كان هذا أثر العقيدة الإلهية في النفس والحياة، فإن الانحراف بها عن جوهر التوحيد الخالص الذي دعم بناءه وأقام دعائمه على حقيقة الإسلام الأولى خاتم الأنبياء صلى الله عليه وسلم، هو عدول عن منهج الدين القيم وضلال عن سبيل الله، وتلويث للفطرة السليمة.

وإذا أقفرت الروح من روحانية صادقة، ملأ فراغها الشيطان بأوهام وأباطيل ما

أنزل الله بها من سلطان، والقرآن الكريم يؤكد هذه الحقيقة في أكثر من آية بما لا يدع مجالا للشك كقوله عز وجل:

«... إِنِ ٱلْحُكُمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُواْ إِلَّا إِيَّاهُ ذَالِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيْمُ وَلَكِنَّ أَكُثَرَ ٱلنَّاسَ لَا يَعْلَمُونَ » (يوسف - ٤٠).

«قُلْ أَرَءَ يْتُمُ مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَكُمُ مُ اللهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَكُمُ مُ اللّهِ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللللللللّهُ اللللللللللللّهُ اللّهُ اللللللللللللللللللل

فأى تمزق ينشئه التصور الخاطى في ضمير المسلم وحياته، هذا التوزع في التوجه والدعاء والرجاء والشعور والعبادة إلى غير الله ؟ إن معقد الدعاء والرجاء هو الذي يملك مفتاح العطاء، وهو واهب الحياة، وليس الذي وهبت له الحياة !

وحس الإسلام في تمحيص القلوب، ونقد الخطرات والاتجاهات مرهف شديد الحساسية، فكيف يسمح لمسلم أن يسلم وجهه لغير الله و يرجو غير الله، وينزل في وهدة يذل فيها لمن هو دونه، أو لمخلوق مثله في البشرية ؟

لذلك حذرنا من الشرك بكل صوره وأشكاله، لأن مساربه كثيرة، ومزالقه قد تدق وتخفى فلا يكاد يراها إلا الذين قدروا الله حق قدره، كها ورد فى الأثر: «الشرك أخفى من دبيب الذر على الصفا فى الليلة الظلهاء» وقد تصير أسباب الهداية بالجهل وسوء الاختيار ذريعة إلى الضلال والغواية، ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله، فيقول:

« وَ يَوْمَ يَحَشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عَبَادِى هَنَوُلاَ ءَأَمْ هُمْ ضَلُواْ ٱلسِيلَ ﴿ مَنْ قَالُواْ سُبْحَننَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَن يَخْذِ مِن دُونِكَ مِنْ أُولِيَآ ءَ وَلَكِن مَتَعْتَهُمْ وَءَابَآ ءَهُمْ حَتَى نَسُواْ ٱلذِكْرَ وَكَانُواْ قَوْمَا بُورًا » دُونِكَ مِنْ أُولِيَآ ءَ وَلَكِن مَتَعْتَهُمْ وَءَابَآ ءَهُمْ حَتَى نَسُواْ ٱلذِكْرَ وَكَانُواْ قَوْمَا بُورًا » دُونِكَ مِنْ أُولِيَآ ءَ وَلَكِن مَتَعْتَهُمْ وَءَابَآ ءَهُمْ حَتَى نَسُواْ ٱلذِكْرَ وَكَانُواْ قَوْمَا بُورًا »

قال يحيى بن معاذ: (إن للتوحيد نورا، وللشرك نارا، وان نور التوحيد أحرق لسيئات الموحدين من نار الشرك لحسنات المشركين) فاذا رأيت المرء يخشى الناس ولا يخشى الله، ويتعلق قلبه بالناس أكثر مما يتعلق برب الناس، ويبتغى رضاهم أكثر مما يبتغى رضاه، ويهرع بالنذور والحاجات الى من يظنه بابا لله، ويطلب منه ما لا يجوز أن يطلبه من غير الله، وإن أصابه خير نسى ربه، وإن اصابته فتنة انقلب على وجهه، فاعلم أنه قد أصابه دخل في توحيده، وخلل في إيمانه، ورقة في دينه .

ومن المسلمين من ينسى الحق إذا طال عليه الأمد، ويألف المنكر إذا تكرر أمامه وعمت به البلوى، فيجرفه التيار، ويظن أنه أحسن صنعا حين لم يخرج عن الجماعة، ولم يشذ عنها في موقف أو رأى أو عادة .

ومتى تكرر المنكر وأصبح الخاصة والعامة يرونه بأعينهم ويسمعونه بأذانهم ويلمسونه بأيديهم، زال قبحه من أنفسهم إلا من عصم الله من أهل العلم الأتقياء الأقوياء، أولئك الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم، ولا يسكتون عن الحق خائفين أو مجاملين، ولا مترخصين أو متأولين، وحمد الناس لا يغريهم، كها أن ذمهم لا يثنيهم، وهم قلة نادرة وسط الغثاء، وفيهم من أيقظه الله للإصلاح، ومن بعثه الله على رأس مائة سنة ليجدد أمر الدين كها جاء في الحديث، فانبرى كالسهم يقذف بالحق على الباطل فيدمغه، ويحيى روح التوحيد المطلق، ويجلى عن القلوب ما ران عليها من غشاوة الجهل والبدعة، حتى يكون الدين كله لله، وإن حمله ذلك من أذى المبطلين ومقتهم عناء وجهدا وجهادا، ولكنه يقابل السفه بالحلم، والأذى بالصبر والعفو، والعظائم لا يتصدى لها أو ينهض بها غير العظهاء.

يروون أن الإمام أحمد بن حنبل كان يقول في دعائه:

«اللهم من كان من هذه الأمة على غير حق _ وهو يظن أنه على حق _ فرده إلى الحق

ليكون من أهل الحق _ اللهم إن قبلت عن عصاة أمة محمد فداء فاجعلنى فداء لهم ...» $^{(\Lambda)}$.

إن هذا الجهاد لا يقل خطرا وشأنا عن جهاد الحرب بالسلاح، بل هو رغم مغارمه وأهواله يرجح بكل ما ينشد الانتهازيون من مال وجاه .

إنه إصلاح ودعوة لا ينتصر في ساحتها إلا من طهر نفسه، ونقى قلبه، وبايع بالإخلاص والولاء ربه، ونور بالعلم والمعرفة عقله وتسلح باليقين وقوة الحجة، وكان هدفه الأسمى أن يحرر النفوس من عنت الأهواء الجامحة، والجاهلية الغاشية، بما يقدمه من تضحية في سبيل الحق، وصبر على البلاء، ونشر لتعاليم السهاء، وتخليص لها من شوائب المنكرات والبدع، وترغيب في الخير بما يشيعه بسمو أخلاقه من نبل وفضل.

ومن بين هؤلاء المجددين المصلحين صاحب الدعوة السلفية شيخ الإسلام.

محمد بن عبدالوهاب:

ولد رحمه الله فى بلدة العيينة من نجد سنة خمس عشرة ومائة وألف من الهجرة. وبها نشأ، وحفظ القرآن الكريم ولما يبلغ العاشرة من عمره، وتلقى مبادى العلوم والفقه الحنبلى عن والده مفتى عيينة وقاضيها، ثم سافر الى الحجاز فى طلب العلم، وكان كثير التردد على علماء مكة والمدينة، مثل العالم الشيخ حياة السندى المدنى صاحب الحاشية على صحيح الإمام البخارى.

ثم ارتحل إلى البصرة فتعمق في درس الحديث والفقه .

وبعد ذلك قصد بلدة حريملاء حيث كان والده الشيخ عبدالوهاب قاضيا، وإذا خلا بنفسه عكف على دراسة كتب التفسير والحديث، ومؤلفات العلامة ابن تيمية ومؤلفات

⁽٨) محمد الغزالي (من معالم الحق) ١٣٦ (ط. مصر ١٩٦٣)

تلميذه ابن قيم الجوزية، وكان تأثره بهذين العالمين الجليلين واضحا في كتاباته وأفكاره واستدلالاته.

وفى حريملاء جرت حادثة جعلته لا يطمئن على الإقامة بها، فرجع إلى بلدة العيينة فتلقاه أميرها عثمان بن معمر بحسن القبول، وكان بها كثير من الأشجار والأحجار التى يعظمها أهل القرية ويذبحون لها، كقبة زيد بن الخطاب، وشجرة أبى دجانة، فساءه ما يرى من هذا الخبط في الضلال، وأقنع أمير البلدة بأن ما يفعله أهلها منكر وبدعة لا بد من وضع حد لهما.

فخرج معه يصحبها عدد من الجنود فقطعوا الأشجار التي كان الناس يلوذون بها وهدموا المشاهد والقباب، ومن بينها قبة زيد بن الخطاب، فشكوه الى حاكم الأحساء والقطيف آنذاك، فأرسل كتابا إلى عثبان بن معمر يأمره فيه بإخراج الشيخ من بلده فخرج منها وولى وجهه نحو الدرعية حيث نزل ضيفا عند أحد تلاميذه وهو الشيخ احمد ابن سويلم العريني، وذلك سنة ١٩٥٨هم، فلما علم بمقدمه أمير الدرعية محمد بن سعود زاره في بيت مضيفه، وجرى بينهما حديث حول ما يرى في قوم أهل نجد من الشرك الخفى والبعد عن عقيدة التوحيد، وتسرب البدع المنكرة كدعاء الأموات، وتقديس بعض الأشجار والأحجار، وهو ما كان عليه أهل الجاهلية الأولى.

وكان أهل نجد ينتابون قبرا يزعمون أنه قبر ضرار بن الأزور الصحابى المعروف يسألونه قضاء الحاجات، وتفريج الكربات، وشجرة تسمى الطرفية، يعتقدون فيها ما كان يعتقده مشركو الجاهلية في ذات أنواط، ومغارة يسمونها مغارة بنت الأمير، ونخلات يختلف اليها النساء اللائي لم يلدن أو لم يتزوجن، ونحو ذلك مما يمس بجوهر التوحيد في المعتقد، وبالأخلاق الإسلامية في السلوك.

وقد وجد من الأمير أذنا صاغية، وقلبا واعيا، واستعدادا طيبا لحماية ما يعتزم القيام به من دعوة الإصلاح ومقاومة البدع، وطمس مظاهر الشرك وتطهير الدين مما اختلط به من شوائب، وليس ذلك بهين في قوم رانت على قلوبهم خرافات وأباطيل فاجتالتهم عن

الفطرة القويمة لتصبح جزءاً من عقيدتهم، وقاعدة لتصوراتهم، وأن شعورا قويا متمكنا ليكفى وحده في تحديد نشاط الإنسان واتجاهه في الحياة، يقول باسكال:

إن تهيباتنا وأهواءنا وميولنا متصلة بعاداتنا وماضينا ومزاجنا، فقد تمر بنا الحياة طافحة بالعبر، ولكنا نستثقل فيها كل لطيف ونتجهم أمام كل حقيقة، ونستقبح كل جيل. (٩).

ولم تكن هذه الحقيقة التي تجهم لها أهل نجد يومئذ سوى عقيدة تصل الناس بربهم من غير وسطاء ولا شفعاء، فيؤمنون بأنه هو وحده صاحب الحول والطول، منه المبدأ وإليه المصير، فتتحرر قلوبهم، وتصلح نفوسهم، وتستقيم حياتهم.

وكان مما اشترطه عليه الأمير ابن سعود لمناصرته قائلا: «إذا قمنا بنصرتك وجاهدنا معك فلا ترتحل عنا أو تستبدل بنا غيرنا» وكانت نجد في تلك الفترة مفككة الأوصال غير خاضعة لإمارة واحدة مما أدى إلى الفوضى، وسفك الدماء، فتعاهدا على جمع الكلمة وإظهار دين الله، وإصلاح العقيدة والسلوك، وإزالة الشبهات، ومقاومة المحرمات، فدان لدعوته من دان من الهداة والمؤيدين وثار عليه من ثار من الخصوم والمناوئين، فأهدروا دمه ودم إخوانه الموحدين، وقد وجد من الإمام البطل محمد بن سعود في هذه المحنة سندا متينا، ومدافعا أمينا ضد العوادى، حتى استقام له الأمر وضمن سلامة الدعوة الإسلامية بعد عشرين سنة من النضال المتواصل، وفي سنة تسع وسبعين ومائة وألف من الهجرة توفي الإمام محمد بن سعود فخلفه ابنه البار عبدالعزيز، رحمة الله عليها، وعلى كافة المؤمنين الذين جاهدوا في الله حق جهاده وأخلصوا الدعوة لله.

خلف والده فى الحكم ، وفى مؤازرة الشيخ ومناصرته، وملاحقة المتمردين والمنشقين، حتى فتح الرياض وتهامة وما يليها من اليمن والحجاز ما عدا الحرمين الشريفين، ودانت له نجد كلها، وبعد مضى سبع وعشرين سنة من ولايته توفى الله شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب عن سن تناهز التسعين، وذلك سنة ألف ومائتين وست من الهجرة .

⁽٩) جيل صليبا: علم النفس - ١٥١ (ط- دمشق - ١٩٤٨).

ومن مؤلفاته رحمه الله ورضى عنه: كتاب التوحيد، وكتاب أصول الإيمان وفضائل الإسلام، وكتاب أحاديث الفتن، ومفيد المستفيد في حكم تارك التوحيد، وكتاب نصيحة المسلمين بأحاديث خاتم المرسلين، ومجموع الحديث مرتبا على أبواب الفقه .

ومن مختصراته: مختصر زاد المعاد لابن قيم الجوزيه ، ومختصر الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف للمرداوي الحنبلي، ومختصر الشرح الكبير لإبن قدامه المقدسي .

وطبع من رسائله فى مجلد (مجموعة التوحيد) الذى يحتوى أيضا على رسائل لشيخ الإسلام ابن تيمية (طبع دار الفكر) أنواع التوحيد _ مسائل الجاهلية _ كشف الشبهات _ هدية طيبة _ أوثق عرى الإيمان _ التوحيد الذى هو حق الله على العباد...

وفى مجموعة التوحيد أيضا رسالة لحفيده الشيخ عبدالرحمن بن حسن _ وموضوعها (بيان المحجة فى الرد على اللجة)، ولأبناء الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأحفاده الذين أوقفوا حياتهم على بث الدعوة ونشر العلم عدة تآليف مثل: تأسيس التقديس فى الرد على داود بن جرجيس، ومصباح الظلام فى الرد على الشيخ الإمام، للشيخ عبداللطيف بن الشيخ عبدالرحن، وتيسير العزيز الحميد فى شرح كتاب التوحيد،للشيخ سليان بن الشيخ عبدالله، وكتاب «دورنا فى الكفاح» لمعالى الشيخ حسن آل الشيخ،وقد أحسنت جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية صنعا إذ تشكلت بإشرافها وتحت رعايتها أمانة عامة تنظم مؤترا إسلاميا تحت عنوان «اسبوع الشيخ محمد بن عبدالوهاب» يكون فرصة للتعريف بوجهة هذا الداعية المصلح، وبحقيقة دعوته، وكشف الستار عا وراء الشائعات المغرضة التي لم يكن لها من هدف سوى الطعن على حركته الإصلاحية وعقيدته الدينية، وما أشاعوا حول دعوته فى بعض البلاد الإسلامية، قد يكون للخصومات السياسية والحروب التي دارت رحاها فى فترة من التاريخ بين النجديين، وبين أشراف مكة والأتراك والمصريين أوفر نصيب فيها.

ومن هذه الشائعات مثلا أن النجديين ومن تأثر بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب لا يعظمون النبى صلى الله عليه وسلم ولا يجبونه، ولا يصلون عليه كثيرا، ويعتبرون

التوسل به إلى الله ضلالا، ويقولون لمن يتوسل به أنه صلى الله عليه وسلم ميت لا ينفع ولا يضر، والحى أفضل من الميت .

كيف وهو حى فى قبره ومقامه لا يدانى، وفضله على أمته لا يضاهى، وطاعته من طاعة الله وجبه من حبه بل ومن كهال الإيمان، كها بينت ذلك الأحاديث الصحيحة، وقد كان الشيخ عبدالقادر التلمسانى أشعريا درس فى الأزهر العقائد السنوسية وجوهرة التوحيد وغيرها، وكان كثير الاعتراض على صديقه الشيخ أحمد بن عيسى، وعلى دعوة الإمام ابن عبدالوهاب التى أشيع عنها بأنها قاسية شديدة التزمت والغلو فى التفكير، فكان الشيخ أحمد يجيبه بمثل قوله: سبحانك يا رب، هذا بهتان عظيم، كيف ونحن نعتقد أن من لا يصلى على النبى فى التشهد الأخير صلاته باطلة، ونعتقد أن من لا يجبه كافر؟ وإنما نحن النجديين ننكر الاستغاثة والاستعانة بالأموات، لا نستغيث إلا بالله وحده، ولا نستعين بأحد سواه، كها جرى على ذلك سلف الأمة، وكان من ثمرات هذه المناظرات التى دارت بينهها مدة طويلة اقتناع الشيخ التلمسانى بأن عقيدة السلف أسلم وأحكم، إذ حار من دعاتها وطبع على نفقته كتبا كثيرة عنها، كان يوزعها مجانا، مثل: الصار ما دعاتها وطبع على نفقته كتبا كثيرة عنها، كان يوزعها مجانا، مثل: الصار المكى فى الرد على السبكى لابن عبدالهادى، والفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان المكى فى الرد على السبكى لابن عبدالهادى، والفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان للآلوسى. (١٠)

وليس من شك فى أن التزام آداب المناظرة الهادفة، والجدل النزيه الذى يستقطب معرفة الحق أيا كان مصدره، لما يفتحان آفاقا جديدة فى البحث، ويعدلان الموقف المتطرف ويغيران الاتجاه فى المعتقد والسلوك، سيا إذا توفر مع الجدل والحوار حسن النية والتجرد عن الأفكار المسبقة والتعصب والأنانية.

والحق أن ما أقدم عليه سهاحة الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركى مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وأصدقاؤه العلهاء العاملون، من إقامة هذا المؤتمر وجمع الأمانة _ التى شكلت لتنظيمه _ كل ما كتب الشيخ ودونه، وتحقيق نسبتها اليه وتوثيقها ونشرها في طبعة خاصة، وإرسال نسخ منها إلى الهيئات والباحثين الذين قبلوا

⁽١٠) عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ: علماء الدعوة : ١٢ - ١٣ (ط المدنى ١٩٦٦).

دعوة المؤتمر وأعربوا عن استعدادهم للإسهام فيه، عمل جليل الشأن بعيد الأثر فيه إثراء للمكتبة الإسلامية الذين لم تتوافر للمكتبة الإسلامية الذين لم تتوافر لديهم مؤلفات الشيخ وآثاره العلمية المعتمدة من جهة أخرى، وعندئذ يتسنى لهم التعرف على حقيقة دعوته، فيكتبوا عنها _ إذا كتبوا _ بجنهجية وموضوعية علمية (١١) تفاديا لكل نقص في المعلومات أو خطأ في نقل النصوص، أو ضعف أو مغالطة في الاستنتاج منها.

وقد أنجزوا بالفعل هذه الأعمال الكبيرة التى تتطلب صبرا وإيمانا وعلما وأتموا طبع ما يزيد عن عشرة مجلدات من كتب هذا العالم الداعية، ورسائله في العقيدة والآداب الإسلامية والحديث والفقه والسيرة النبوية، فجزاهم الله عن هذا الجهد وعما قدموا للإسلام والمسلمين خير الجزاء.

وقديما قيل: الناس أعداء لما جهلوا، والحكم على الشي فرع عن تصوره ... لأن من الناس من يصدرون أحكاما مرتجلة بتأثير ما تملى عليهم أهواؤهم وميولهم الشخصية أو بما أصبح له رواج بين الناس في تحسين شي أو تقبيحه، ومدحه أو ذمه، وليس لهم فيما يصدرون من آراء وأحكام ومدح وذم سند من نقل صحيح، ولا حجة من عقل حصيف.

وكيف يكتب لعقيدة زائفة أو زائغة أن تستقر في القلب، وليس لها مدد من قوة إلهية ولا سند من هدى ربانى ؟ فهل يقام بناء على غير أساس ؟

وإذا كانت المنهجية في البحث العلمي تعتمد على مصادر صحيحة موثوق بنسبتها إلى أصحابها بعيدا عن كل تزييف أو ادعاء أو تشويه، فإن ما قدمته أمانة هذا المؤتمر للباحثين ينم عن روح علمية أصيلة، وعن جدية وإخلاص للحقيقة والتاريخ.

حدثنى صديق لى: أن مجلسا جمع بينه وبين بعض العائدين من الحرمين الشريفين بعد أداء فريضة الحج، أثيرت فيه عدة قضايا دينية، وانطباعات طيبة وثناء عاطر على أهل المدينة المنورة، وما يتسمون به من لطف وفضل _ وكان مما استدرك به أحد الشيوخ الحاضرين _ ولكنهم _ للأسف الشديد _ وهابيون، فقال صديقى مصححا: بل إنهم

⁽١١) لجنة التحقيق لمؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب : ق ٣/١٠ و٤ (ط. مطابع الرياض) .

حنابلة سلفيون، والنسبة هنا ليس لها من مبرر، ولا معنى لتسمية الدعوة التى قام بها محمد بن عبدالوهاب بالوهابية، لأنها ليست مذهبا في العقيدة كالأشعرية ولا في الفقه كالمالكية، بل هو تابع لغيره فيها، وإن شئت فقل: هو سلفى العقيدة حنبلى المذهب، وما قام به من دعوة إلى التوحيد لا يعدو أن يكون إحياء لمذهب السلف، وإن شئت قلت: هو من باب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر. قال أحد الحاضرين الحق أن كثيرا من الحجيج يجهلون مناسك الحج وآدابه، ويفعلون ما قد يجر إلى الشرك الخفى، ومنشأ هذا الخلط والخبط أنهم أميون، وليست لهم ثقافة دينية، ولم يتلقوا قبل سفرهم لأداء فريضة الحج من المسؤولين عن الارشاد الدينى والتوجيه والوعظ في بلدانهم أى توجيه، ولا معلومات، وقد سمعت أحد الحجيج في المواجهة أمام الحجرة النبوية الشريفة يدعو الرسول بما لا يدعى به سوى الله كقول بعضهم: «بك لذنا يا رسول الله من كل ما نخشى فعجل بالفرج».

فهل يكون اللياذ بغير الله، وهل يكون طلب التعجيل بالفرج من سواه ؟

دعوته إلى التوحيد من خلال مؤلفاته

وكلمة التوحيد أو كلمة التقوى «لا إله إلا الله» تضمنت نفى الإلهية عما سوى الله وإثباتها لله الواحد الأحد، واللياذ من أنواع العبادة، إذ هى دعاء والدعاء مخ العبادة كما صح فى الحديث، فإن غاية ما يقع من اللائذ والمستغيث والمستعين، إنما هو الدعاء بالقلب واللسان، وقد وعد الله من قصر الدعاء عليه بالإجابة والإنابة، وذلك هو توحيد الأنوهة الذي أمر الله به فى كثير من الآيات كقوله تعالى:

«وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا اللَّهِ عَلْمَ إِنَّمَا أَدْعُواْ رَبّي وَلَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا أَدْعُواْ رَبّي وَلاّ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا رَشَدًا اللَّهُ وَعُواْ رَبّي وَلاّ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا رَشَدًا اللّهِ عَمْل أَعْدِ مِن دُونِهِ عَ مُلْتَحَدًا » (الجن ١٩-٢٢).

كما نهى الله عن الاستعادة بغيره :

«وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ ٱلْإِنسِ يَعُودُونَ بِرِجَالٍ مِنَ ٱلِخُنِ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا »

هذا هو الدين الذي بعث الله به نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم، وأمره أن يبلغه، ولكن الجهل بما بعث الله به رسوله قد عم هذه الأمة إلا ما شاء الله.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تطرونى كها أطرت النصارى عيسى بن مريم وإنما أنا عبد فقولوا عبدالله ورسوله) وقال له رجل: ما شاء الله وشئت، فرد عليه صلى الله عليه وسلم قائلا: أجعلتنى لله ندا، بل ما شاء الله وحده» (١٢)

وروى الطبرانى بإسناده أنه كان فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم منافق يؤذى المؤمنين، فقال بعضهم: قوموا بنا نستغيث برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا المنافق، فقال النبى صلى الله عليه وسلم: (إنه لا يستغاث بى، وإنما يستغاث بالله».

واستنادا إلى ذلك ذكر الشيخ محمد بن عبدالوهاب في قسم العقيدة أن من الشرك أن يستغيث أحد بغير الله أو يدعو غيره (١٣).

ولما سئل حفيده الشيخ عبدالرحمن بن حسن عن أبيات من البردة للبوصيرى قال فيها غلو، مثل قوله:

يا أكرم الخلق مالى من ألوذ به سواك عند حلول الحادث العم

قال: إن ذلك من الشرك، لأن فيه صرف خصائص الربوبية لغير الله، ولقد وقع فيما وقعت فيما لنصارى من الغلو الذي نهى الله ورسوله عنه.

وقال فى رده على من اعترض عليه مبرئا الشاعر من الشرك بقوله: حماه الله من ذلك، ويكفيه فى نفى هذه الشائعة قوله فى أول القصيدة:

⁽۱۲) بيان المحجة في الرد على اللجة للشيخ عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب _ مجموعة التوحيد: الرسالة ۱۳ _ ۱۳۹.

⁽١٣) مؤلفات الشيخ الامام محمد بن عبدالوهاب _ ق/٢/١٤.

« دع ما ادعته النصارى في نبيهم»

قال: (إن هذا يزيده شناعة ومقتا لأنه تناقض بين، وبرهان على أنه لا يعلم ما يقول) ثم قال: وهذه التبرئة إنما نشأت عن الجهل وفساد التصرف، فلو عرف الناظم وهذا المعترض ومن سلك سبيلها حق الله على عباده، وما اختص به من ربوبيته وألوهيته، وعرفوا معنى كلام الله وكلام رسوله لما قالوا ما قالوا هم وأمثالهم ممن جهل التوحيد، كما قال تعالى في حق من هذا وصفه:

«... وَ إِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآ بِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَأَعْلَمُ اللهُ عَلَمُ اللهُ عَلَيْكُ اللّهُ عَلَمُ اللهُ عَلَمُ اللهُ عَلَمُ اللّهُ عَلَمُ اللّهُ عَلَمُ اللهُ عَلِمُ اللهُ عَلَمُ اللهُ عَلَمُ اللهُ عَلَمُ اللهُ عَلَمُ اللهُ عَلَمُ اللهُ عَلَمُ اللّهُ عَلَمُ اللهُ عَلَمُ اللهُ عَلَمُ اللهُ عَلَمُ اللّهُ عَلمُ اللّهُ عَلَمُ عَلَمُ عَلَمُ عَلَمُ اللّهُ عَلَمُ عَلَمُ اللّهُ عَلَمُ اللّهُ عَلَمُ اللّهُ عَلَمُ اللّهُ عَلَمُ اللّهُ عَلَمُ عَلَمُ اللّهُ عَلَمُ عَلَمُ عَلَمُ عَلَمُ عَلَمُ اللّهُ عَلَمُ اللّهُ عَلَمُ اللّهُ عَلَمُ عَلّمُ اللّهُ عَلَمُ عَلَمُ اللّهُ عَلَمُ عَلَمُ عَلَمُ اللّهُ عَلَمُ عَلَمُ عَلَمُ عَلَّهُ عَلَمُ عَلَمُ عَلَمُ عَلَّهُ عَلَمُ عَلَمُ عَلَّهُ عَلَمُ عَلَمُ اللّ

وقال تعالى:

«لَهُ وَعُوةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ عَ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَفُم بِشَيْءٍ إِلَّا كَبُسِط كَفَيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَلْغِهِ عَ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَنْفِرِينَ كَبُسِط كَفَيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَلْغِهِ عَ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَنْفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَنْلٍ » إلّا فِي ضَلَنْلٍ » (الرعد: ١٤)

وقول البوصيرى:

إذا لم تكن في معادى آخذا بيدى :: فضلا وإلا فقل، يازلة القدم وهو مناف لقوله تعالى:

« وَمَاۤ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿ ثُمَّ مَاۤ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿ مُعَلِّمُ مَاۤ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴾ يَوْمَ لِا تَمْ لِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسِ شَيْعًا وَٱلْأَمْنُ يَوْمَ لِلهِ اللهِ » (الانفطار: ١٧-١٩).

وقوله صلى الله عليه وسلم لابنته فاطمة كها روته الصحاح: « يا فاطمة بنت محمد سليني من مالى ما شئت، لا أغنى عنك من الله شيئا» فتأمل ما بين هذا وبين قول

⁽١٤) الرسالة ١٣ من مجموعة التوحيد: بيان المحجة في الرد على اللجة للشيخ عبدالرحمن بن حسن ٤٣٨.

الناظم من التضاد والتباين، وأما قوله: «فان من جودك الدنيا وضرتها ...» فمن المعلوم أن الجواد لا يجود إلا بما يملكه، فمقتضى ذلك أن الدنيا والآخرة ليست لله بل لغيره ...

وفى الحديث الصحيح: لن يدخل الجنة أحد منكم بعمله، قالوا ولا أنت يا رسول الله ؟ قال (ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمته).

وقوله: «ومن علومك علم اللوح والقلم» لا يجوز أن يقال إلا في حق الله تعالى الذي أحاط علمه بكل شيء، كما قال تعالى:

إن إحاطة العلم بالمعلومات كلياتها وجزئياتها، وما كان منها وما لم يكن، فذاك إلى الله وحده، لا يضاف إلى غيره من خلقه، فمن ادعى ذلك لغير الله فقد أعظم الفرية على الله وعلى رسوله، فها أجرأ هذا القائل على الله في سلب حقه، وما أعداه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولمن تولاه من المؤمنين الموحدين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وذكر قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه: إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية والشرك، وما عابه القرآن وذمه، وقع فيه وأقره، ودعا إليه وصوبه وحسنه، وهو لا يعرف أنه الذي كان عليه أهل الجاهلية أو نظيره، أو شر منه، أو دونه فتنتقض بذلك عرى الإسلام ويعود المعروف منكرا، والمنكر معروفا، والبدعة سنة والسنة بدعة، ويكفر الرجل بمحض الإيمان، وتجريد التوحيد، ويبدع بتجريد متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم ومفارقة الأهواء والبدع، ومن له بصيرة وقلب حى يرى ذلك عيانا، والله المستعان.

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن: (وقد رأينا ذلك والله عيانا من هؤلاء الجهلة الذين

ابتلينا بهم في هذه الأزمنة، أشربت قلوبهم الشرك والبدع، واستحسنوا ذلك وأنكروا التوحيد والسنة، وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فضلوا وأضلوا) (١٥٠).

والحق أن حبنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم عرفاننا بما له من فضل علينا، وإعجابنا بأخلاقه وكمالاته، وتقديرنا لمنزلته الرفيعة عند الله، ومدحنا إياه مدح المحبين المخلصين، كل ذلك لا يمنعنا من اعتبار ما بين الخالق والمخلوق من حدود لا يمكن أن تحول أو تزول:

فليس لأحد أن يبغى على هذه الحدود فيتجاوزها، ويتوجه إلى مخلوق بما لا يجوز أن يتوجه به لغير الخالق، إذ في ذلك تنقص للألوهية وهضم للربوبية، ومساواة بالله رب العالمين .

ففى حديث الإفك لما نزلت براءة عائشة من السهاء، وأخبرها النبى صلى الله عليه وسلم بذلك، قالت لها أمها: قومى إلى رسول الله فقالت والله لا أقوم إليه ولا أحمده ولا إياكها، ولا أحمد إلا الله الذي أنزل براءتي، وفي رواية: «بحمد الله لا بحمدك»

وأخرج البيهقى بسنده إلى محمد بن مسلم قال: سمعت حبان صاحب ابن المبارك يقول: قلت لعبدالله بن المبارك، إنى لأستعظم قول عائشة للنبى صلى الله عليه وسلم: بحمد الله لا بحمدك، فقال عبدالله: ولت الحمد أهله.

وكان صلى الله عليه وسلم مثال التواضع لله .

قال له وفد بنى عامر: أنت سيدنا، فقال: السيد هو الله تبارك وتعالى، وقال له جماعة: يا رسول الله، يا خيرنا، وابن خيرنا، وسيدنا، وابن سيدنا، فقال: يا أيها الناس قولوا بقولكم، ولا يستهوينكم الشيطان، أنا محمد عبدالله ورسوله، ما أحب أن ترفعونى فوق منزلتى التى أنزلنى الله عز وجل، (رواه النسائى بسند جيد)

⁽١٥) المصدر السابق : مجموعة التوحيد: ٤٤٩ ـ ٤٥٣.

وقد عد الإمام محمد بن عبدالوهاب أن هذا الحديث ونحوه مما حمى الرسول به حمى التوحيد، وسد به طرق الشرك (١٦)

وقال في كلمة التقوى والتوحيد: هي الفارقة بين الكفر والإسلام ... وليس المراد قولها باللسان مع الجهل لمعناها، فإن المنافقين يقولونها، وهم في الدرك الأسفل من النار، مع كونهم يصلون ويتصدقون، ولكن المراد قولها مع معرفتها بالقلب، ومحبتها ومحبة أهلها، وبغض من خالفها ومعاداته ،كها قال النبي صلى الله عليه وسلم: « من قال لا إله إلا الله مخلصا» وفي رواية (حالصا في قلبه)، وفي رواية (صادقا في قلبه) وفي حديث آخر، من قال (لا إله إلا الله، وكفر بما يعبد من دون الله) إلى غير ذلك من الأحاديث الدالة على جهالة أكثر الناس بهذه الشهادة .. إذا فهمت ذلك فتأمل الألوهية التي أتبتها الله تعالى لنفسه ونفاها عن محمد صلى الله عليه وسلم وجبريل وغيرها أن يكون لهم منها مثقال حبة، واعلم أن الألوهية هي التي تسميها العامة في زماننا السر والولاية .

والإله معناه: الولى الذى فيه السر، كما يطلقه عوام نجد فى زمانه (ومثلهم فى العالم الاسلامى كثير) على من يعتقدون فيه من الأشخاص، ويقصدون به أن ذلك الشخص المعتقد فيه قادر على النفع والضر، وأنه يصلح لأن يدعى ويرجى ويخاف ويتوكل عليه، فصاروا يقصدون به ما يقصد بلفظ (الإله) .. ظنا منهم أن الله جعل لخواص الخلق عنده منزلة يرضى أن يلتجى الإنسان إليهم ويرجوهم ويستغيث بهم، ويجعلهم واسطة بينه وبين الله ..

والكفار الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا مقرين لله سبحانه بتوحيد الربوبية، وهو أنه لا يخلق ولا يرزق ولا يحيى ولا يميت ولا يدبر الأمور إلا الله وحده، كيا قال تعالى:

« قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمَعَ

⁽١٦) مؤلفات الشيخ الامام محمد بن عبدالوهاب «الباب ٦٥» ١٤٦.

وَ ٱلْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَمَن يُدَيِّرُ الْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْمَيْتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَمَن يُدَيِّرُ اللهُ ...» الْأَمْرُ فَسَيقُولُونَ ٱللهُ ...»

لكن الذى كفرهم أنهم لم يشهدوا لله بتوحيد الألوهية، وهو ألا يدعى ولا يرجى إلا الله وحده، لا شريك له، ولا يستغاث بغيره، ولا يذبح لغيره ولا ينذر لغيره (١٧)

ثم يورد الشيخ ما ينتحله هؤلاء من المبررات والأعذار الواهية فيجيب: (فإن قال قائل من المشركين: نحن نعرف أن الله هو الخالق الرازق المدبر، لكن هؤلاء الصالحين مقربون، ونحن ندعوهم وننذر لهم، وندخل عليهم ونستغيث بهم، ونريد بذلك الوجاهة والشفاعة، فقل: كلامك هذا مذهب أبى جهل وأمثاله، فإنهم يدعون عيسى وعزيرا، والملائكة والأولياء يريدون ذلك، كها حكى عنهم القرآن:

«... وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِ ۗ أُولِيآ ۚ مَانَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ رَالُونَ ...» وُلَّا اللَّهِ (الزمر: ٣)

«وَ يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَ يَقُولُونَ هَــَوُلَآءِ شُفَعَــَةُونَا عندَ ٱللَّهِ ...» (يونس: ١٨).

وقد ذكر الله تعالى فى كتابه العزيز آية تبين لك أن كفر المشركين من أهل زماننا أعظم من كفر الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال تعالى:

« وَ إِذَا مَسَّكُمُ الضَّرُ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّنكُمْ إِلَى الْمِق الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنسَانُ كَفُورًا »

(١٧) مؤلفات الشيخ الامام محمد بن عبدالوهاب: التسم الأول: ٣٦٣ ـ ٣٦٦.

فقد ذكر الله عن الكفار أنهم إذا مسهم الضر، تركوا السادة والمشائخ، فلم يدعوا أحدا منهم، ولم يستغيثوا به، بل يخلصون لله وحده لا شريك له ويستغيثون به وحده، فإذا جاء الرخاء أشركوا.

وأنت ترى المشركين من أهل زماننا _ ولعل بعضهم يدعى أنه من أهل العلم، وفيه زهد واجتهاد وعبادة _ إذا مسه الضر قام يستغيث بغير الله، مثل معروف.. وعبدالقادر الجيلاني، وأجل من هؤلاء مثل زيد بن الخطاب والزبير، وأجل من هؤلاء مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم. (١٨)

والحقيقة التى لا مراء فيها أن مثل هذا الصنيع عبث ولغو، فليس بين الله وبين عباده وسطاء ولا سياسرة.

وحين سرت هذه اللوثة بين المسلمين في جميع أنحاء الأرض أفسدت عقيدتهم وكادت تفسد عليهم حياتهم ومصيرهم، حتى نسوا الله نفسه، وذكروا ما دونه من طواغيت، ومن أنبياء أو من أولياء:

« وَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحُدَهُ ٱشْمَأَزَّتَ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ وَ إِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِ } إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ » (الزمر: ٤٥)

ومن هنا ظفر هؤلاء الشركاء بنصيب الأسد في كل شيء، في العبادة والإخلاص والسؤال والنذر، والحب والحياسة، ولم يبق لله فاطر السياوات والأرض شيء يذكر من ذلك.

وفى الحديث القدسى: (إننى والإنس والجن فى نبأ عجيب، أخلق و يعبد غيرى وأرزق و يشكر غيرى».

وحسب الدنيا ضلالا أن تعمى عن إشراق التوحيد في أنحاء الوجود. (١٩) فدعوة

⁽١٨) المصدر السابق ٣٦٩.

⁽١٩) محمد الغزالي: عقيدة المسلم ٥٠ (ط. مصر: ١٩٥٢)

الإمام إلى التوحيد الخالص تتجاوز حدود نجد إلى العالم الإسلامى كله وفيه بدون تعيين ولا استثناء من يدعون من دون الله عبادا أمثالهم، وينذرون لهم النذر، ويتقربون إليهم بالقرابين ويجعلونهم لله أندادا.

قال صلى الله عليه وسلم فى حديث رواه البخارى عن ابن مسعود رضى الله عنه : «من مات وهو يدعو من دون الله ندا دخل النار».

وقد كان الاستعبار الفرنسى بتونس يشجع ماديا وأدبيا على إقامة ما يسمى عندنا (بالزردة)؛ وهى ذبح الأنعام فى موسم معين، ينصب الناس فيه الخيام حول ضريح الولى المقصود أياما وليالى، استجابة للدعاء، والتاسا للبركة، ويحتفلون مع المسعوذين على أنغام المزامير ودق الطبول ونقر الدفوف، كها كان يشجع الطرقية المنحرفة عن طريق الهدى.

ولا شك أن هذه المسالك الشائعة بين الجهاهير الغفيرة من المسلمين لها دلالتها الخطرة على فساد التفكير وضلال الاتجاه، واضطراب المقصد، وكها قال فضيلة الشيخ محمد الغزالى: فإن التوحيد في الإسلام حقيقة وعنوان، وساحة وأركان، وباعث وهدف، ومبدأ ونهاية.

ولسنا ممن يحب تصيد التهم للناس، ورميهم بالشرك جزافا، واستباحة حقوقهم ظلما وعدوانا، ولكننا أمام تصرفات توجب علينا النظر الطويل، والنصح الخالص، والمصارحة بتعاليم الكتاب والسنة كلما وجد أدنى انحراف.

لقد اهتمت حكومة انجلترا في سبيل مكافحة الشيوعية بالحالة الدينية في مصر، فكان مما طمأنها على إيمان المصريين أن ثلاثة ملايين مسلم زاروا ضريح احمد البدوى بطنطا هذا العام، ويقول الشيخ الغزالي معقبا على ذلك:

(والذين زاروا الضريح ليسوا مجهولين لدى، فطالما أوفدت لوعظهم، فكنت أشهد من أعمالهم ما يستدعى الجلد بالسياط، لا ما يستدعى الزجر بالكلام، وكثرتهم الساحقة لا تعرف من فضائل الإسلام وأنظمته وآدابه شيئا، ولو دعوا لواجب دينى صحيح لفروا

نافرين، وإن كانوا أسرع إلى الخرافة من الفراش إلى النار، وحسبك من معرفة حالهم أنهم جاءوا الضريح المذكور، للوفاء بالنذور، والابتهال بالدعاء، ولمن النذر ؟ ولمن الدعاء ؟ إنه أول الامر للسيد، فإذا جادلت القوم قالوا: إنه لله عن طريق السيد البدوى، وأكثر أولئك المغفلين لغطا يقول لك: نحن نعرف الله جيدا، ونعرف أن أولياءه عبيده، وإنما نتقرب بهم إليه، فهم أطهر منا نفسا وأعلى درجة، وهذا الكلام على فرض مطابقته لواقع القوم، غلط في الإسلام، فإن الله سبحانه وتعالى لم يطلب منا أن نجى معنا بالآخرين ليحملوا عنا حسناتنا، أو ليستغفر وا لنا زلاتنا (٢٠٠)

«أَمْ لَكُمْ شُرَكَنَوْاْ شَرَعُواْ لَهُم مِنَ ٱلدِينِ مَالَرْ يَأْذَن بِهِ ٱلله ...»
(الشورى: ٢١)

ومن يدرس رسائل الشيخ محمد بن عبدالوهاب وخطبه فى التوحيد والشرك يجد دعوته فيها مدعومة بالحجج القاطعة، والبراهين الساطعة، وبما يقوى الإيمان ويصلح العقيدة ويدحض الشبهات، لاستناده فى الاستدلال إلى الكتاب والسنة، وكفى بها حجة على الضالين والمفترين، وعمله بما يدعو إليه، وكفى بذلك أسوة للمقتدين.

وهو كثيرا ما يفترض سؤالا يجيب عليه، ليلقن الدعاة ما يجب أن يتسلحوا به من أدلة النقل والعقل في دعوتهم إلى التوحيد ، كقوله في الرسالة السابعة «الأصل الجامع لعبادة الله وحدد»:

«فإن قيل: فها الجامع لعبادة الله وحده ؟ قلت: طاعته بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، فإن قيل: فها أنواع العبادة التي لا تصلح إلا لله تعالى ؟ قلت: من أنواعها: الدعاء والاستغاثة، وذبح القربان، والنذر، والخوف، والرجاء، والتوكل، والإنابة، والمحبة والخشية، والرغبة، والرهبة، والتأله، والركوع، والسجود، والخشوع، والتذلل، والتعظيم، الذي هو من خصائص الالهية ودليل الدعاء: قوله تعالى:

⁽٢٠) محمد الغزالى: عقيدة المسلم: ٥٥

«وَأَنَّ ٱلْمَسَاحِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهَ أَحَدًا»

ودليل الاستغاثة : قوله تعالى:

«إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَكُمْ فَأَسْتَجَابَ لَكُمْ ...»

و في بيانه للشرك وتعريفه ذكر له ثلاثة أنواع:

شرك أكر وهو: شرك العبادة والقصد والطاعة والمحبة. فمن شرك العبادة قوله تعالى:

« وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَنْبَنِي إِسْرَاءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهُ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكُ بَاللَّهُ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْحَنَّةَ وَمَأْوَنَهُ ٱلنَّارُ وَمَا للظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارِ»

ومن شرك النية والقصد: قوله تعالى:

« مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوْةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا نُوَفَ إِلَيْهُمْ أَعْمَلَهُمْ فيهَا وَهُمْ فيهَا لَا يُبْخَسُونَ إِنَّ أُولَنَهِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَاصَنَعُواْ فِيهَا وَبَيْطِلٌ مَّاكَانُواْ يَعْمَلُونَ » (هود ١٦-١٥).

ومن شرك الطاعة قوله تعالى:

« ٱتَّحَذُواْ أَحْبَارُهُمْ وَرُهْبُـنَهُمْ أَرْبَابًا مَّن دُونِ ٱللَّهَ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَا أَمِرُواْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ إِلَاهًا وَاحِدًا لَّا إِلَاهُ إِلَّا هُوْ سُبْحَانَهُ, عَمَّا يُشْرِكُونَ» (التوبة: ٣١)

(الجن: ۱۸)

(الأنفال: ٩)(٢١)

⁽٢١) مؤلفات الشيخ الامام ... ق: ٧٩٩/١ ـ ٣٨٠

وتفسيرها الذى لا إشكال فيه: طاعة العلماء والعباد فى المعصية، لا عبادتهم إياهم، كما فسرها النبى صلى الله عليه وسلم لعدى بن حاتم لما سأله فقال: لسنا نعبدهم، فذكر له أن عبادتهم طاعتهم فى المعصية. (رواه الترمذي).

ومن شرك المحبة قوله تعالى:

« وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ...»

(البقرة: ١٦٥)

- ٢ ـ شرك أصغر وهو: الرياء ، لقوله صلى الله عليه وسلم فى حديث رواه الحاكم
 «اليسير من الرياء شرك».
- ٣ شرك خفى، قد يقع فيه المؤمن وهو لا يعلم، كما قال صلى الله عليه وسلم: «الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النملة السوداء على صفاة سوداء في ظلمة الليل»

لذلك كان صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه: (اللهم إنى أعوذ بك أن أشرك بك شيئا وأنا أعلم، وأستغفرك من الذنب الذي لا أعلم.)

وعد من الشرك الخفى: الحلف بغير الله، لما رواه الترمذى وصححه الحاكم عن عمر ابن الخطاب رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من حلف بغير الله فقد كفر، أو أشرك».

وكذلك قول بعضهم في القسم: والله وحياتك يا فلان، وقولهم في الاعتراف بالفضل لولا الله وفلان، ولكن يجوز أن يقال: لولا الله ثم فلان (٢٢) عملا بقوله جل وعلا:

«...فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَنْدَادُا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ»

(البقرة: ٢٢)

واعتبر أن الإيمان بالله يتوقف على الكفر بالطاغوت، لقوله تعالى:

(٢٢) المصدر السابق: ١٠٩

«... فَمَن يَكُفُرْ بِالطَّغُوتِ وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ ٱلْوَثْقَ لَا الْفِصَامَ لَكَ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ »

(البقرة: ٢٥٦)

والطاغوت عام في كل ما عبد من دون الله ورضى بالعبادة من معبود أو متبوع أو مطاع في غير طاعة الله ورسوله .

والطواغيت كثيرة، ومن رؤوسهم:

١ _ الشيطان: لقوله تعالى:

« أَكُرْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَنْبَنِي عَادَمَ أَن لَا تَعْبُدُواْ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ روت ع " " عدو مبين ")

٢ _ الحاكم الجائر المغير لأحكام الله، لقوله تعالى:

﴿ أَلَرْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ عَامَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُ يُرِيدُ وَنَ أَن يَكُولُ إِلَى ٱلطَّاعُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ عَ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالاً بَعِيدًا »

(النساء : ٦٠)

٣ _ الذي يعبد من دون الله وهو راض بالعبادة ، لقوله تعالى:

« وَمَن يَقُلُ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهُ مِن دُونِهِ ۽ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَمْ »

الأنبياء _ ٢٩.

⁽٢٣) مؤلفات الشيخ الامام .. ق ١/٣٧٩

يقول الشيخ رحمه الله في رسالته الثانية عشرة:

الأصل الأول: إخلاص الدين لله تعالى وحده لا شريك له، وبيان ضده الذى هو الشرك بالله، وقد أسهب القرآن في بيان هذا الأصل من وجوه شتى بكلام يفهمه أبلد العامة، ثم لما صار على أكثر الأمة ما صار، أظهر لهم الشيطان الإخلاص في تنقص الصالحين والتقصير من حقوقهم، وأظهر لهم الشرك بالله في صورة محبة الصالحين وأتباعهم، (٢٠).

وما يزال هذا الخلل الخطير في دعامة التوحيد يعصف بالعقيدة الإسلامية في كثير من بلدان العالم الإسلامي، ولتخبط الكثيرين في لجج الوثنية، أو ما يشبهها في المعنى والحقيقة، لأن عقولهم لم تتحرر من الأوهام الفاسدة التي لا تنفك عن العقيدة الباطلة، ونفوسهم لم تتنزه عن الملكات السيئة التي تلازم تلك الأوهام، وقلوبهم لم تتخلص من تعدد المعبودين أشخاصا كانوا أم غير أشخاص كالهوى والمال:

«أَفْرَءَيْتَ مَنِ أَتَّخَذَ إِلَاهِهُ هُوَنهُ وَأَضَلَهُ ٱللَّهُ عَلَى عِلْمِ ...» (الجاثية: ٢٣)

وكما قال الشيخ محدم عبده فإن التوحيد الخالص: ألا يخضع الإنسان لأحد إلا لخالق السياوات والأرض، وقاهر الناس أجمعين.

وبهذه العقيدة تجلت للإنسان نفس حرة كريمة، وأطلقت إرادته من القيود التى كانت تعقدها بإرادة غيره، سواء كانت إرادة بشرية ظن أنها شعبة من الإرادة الإلهية كإرادة الرؤساء والمسيطرين، أو إرادة موهومة اخترعها الخيال ،كما يظن فى القبور والأحجار والأشجار والكواكب ونحوها، وافتكت عزيمته من أسر الوسطاء والشفعاء.. والمتكهنة والعرفاء، وزعهاء السيطرة على الأسرار، ومنتحلي حق الولاية على أعهال العبد، فيا بينه وبين الله، الزاعمين أنهم واسطة النجاة، وبأيديهم الإشقاء.. والإسعاد، وبالجملة فقد أعتقت روحه من العبودية للمحتالين والدجالين، فصار الإنسان بالتوحيد عبدا لله خاصة حرا من العبودية لكل ما سواه. (٢٥٠).

⁽٢٤) المصدر السابق : ق : ٣٩٣/١.

⁽٢٥) محمد عبده : رسالة التوحيد : ١٣٨ (طـ دار المعارف ـ مصر).

و يعجبنى فى هذا الصدد ما قاله القشيرى فى تفسيره للآيات المتضمنة قصة ابتلاء إبراهيم عليه السلام، بذبح ولده "فلها بلغ معه السعى": (إشارة الى وقت توطين القلب على الولد،... و يقال فى القصة: إنه رآه ذات يوم راكبا على فرس أشهب، فاستحسنه ونظر إليه بقلبه، فأمر بذبحه، فلما أخرجه عن قلبه واستسلم لذبحه ظهر الفداء وقيل له: كان المقصود من هذا فراغ قلبه عنه) (٢٦).

وقد أفاض الشيخ محمد بن عبدالوهاب القول في إخلاص العمل لله، وتفرغ القلب من كل ما يشغل عنه أو يوجه إلى غيره، وهي دقائق لا يحسها إلا من مارس الإيمان وعاش تجاربه الروحية، فهو يقول: (الفقر للمخلوق وصف لازم لا يفارقه في الدنيا ولا في الآخرة، فهو محتاج إلى الله من جهة ربوبيته، فلا نستعين بغيره، ومن جهة الألوهية، فلا يعبد غيره، كها قال تعالى:

« إِيَّاكَ نَعْبُدُوَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿ قَ ﴾.

فإن لم يعبده خسر الدنيا والآخرة، وإن لم يعنه على عبادته لم يقدر على عبادته ...

وإذا كان الخلق كلهم فقراء إلى الله والله يرحمهم بما شاء من الأسباب، فالله الذى أمرنا بالصلاة والسلام على نبيه هو الذى يثيبنا على ذلك... فعلى العبد أن يلاحظ التوحيد والإنعام.. ولكن هؤلاء جعلوا الهدية له بمنزلة الهدية إلى الله وكأنهم يتقربون إليه كما يتقربون إلى الله، فجعلوا المخلوق كأنه الرب الغنى عنهم، المجازى لهم، وجعلوا الرب محتاجا إلى عبادتهم وهو لم يبرى من الشرك والابتداع والغلو، هؤلاء الذين يهدون العبادات إلى الأنبياء لطلب الأجر منهم.

أما إشراكهم فقد ضاهواالمخلوق بالخالق .

وأما الابتداع: فهذا العمل لم يسنه رسول الله صلى الله عليه وسلم

⁽۲۱) القشيرى: لطائف الاشارات: ج: ٥/٢٣٨ (ط. مصر ١٩٧٠)

والغلو: حيث جعلوا في البشر شوبا من الربوبية والإلهية، ثم هم في تقربهم إلى غير الله بالأعمال يشبهون المتوكلين على غير الله المستغيثين بغيره. (٢٧)

(والشيطان يأمر بالشرك والنفس تطيعه، فلا تزال تلتفت إلى غير الله إما خوفا و إما رجاء، فلا يزال العبد مفتقرا إلى تخليص توحيده من شوائب الشرك)(٢٨).

ويظهر مدى تأثر ابن عبدالوهاب بابن تيمية من خلال آرائه وحججه، ومن خلال المسائل التى لخصها له، والتى طبعت فى كتاب (ملحق المصنفات)، وقد بلغت مائة وخمسا وثلاثين مسألة.

أما دعوته التى ضمنها دراساته وفتاويه وخطبه ورسائله فى فترة ضعف فيها كيان الدولة الإسلامية وتوقف المد الإسلامي، كها قال معالى مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية فى تقديمه لكتاب ملحق المصنفات: «فإنها لم تكن دعوة إلى أمر غريب، بل هى دعوة إلى العودة لدين الله والاستمساك بكتاب الله وسنة رسوله والوقوف عندهها، وتحرير العقائد مما خالطهها من شوائب، والعقول مما تفشى فيها من عادات وخرافات... فوجدت مناخا صالحا، وقوة تتبناها، وتدفع مها وتحميها ...

وميزة الإسلام أنه يجتمع في دعوته الفكر والعمل، والمنهج والتطبيق، والتشريع والحكم، ولابد أن يؤمن به الناس، ويلتزموه ويدافعوا به، ويدافعوا عنه...(٢٦)

وما أشد حاجة المسلمين اليوم _ حيثها كانوا _ إلى دعاة واعين مصلحين عاملين. فجهل السواد الأعظم منهم بحقيقة دينهم، وطغيان الطواغيت في الأرض، وتأثير الأيدلوجيات الاقتصادية والاجتاعية على العقول، والدعايات الإعلامية لمختلف المذاهب الفكرية التي لا تمت إلى الدين بصلة، وتجرؤ الناس على الاجتهاد في الدين، وتحكيمهم العقل في الوحى، وانحرافهم عن عبادة الله الحق، وسيطرة المادة عليهم، كل

⁽٢٧) مؤلفات الشيخ الامام : هلحق المصنفات : ١١٠ ـ ١١١٠

⁽٢٨) المصدر السابق: ١١٤.

⁽٢٩) المصدر السابق: تقديم: عبدالله بن عبدالمحسن التركى: ٢.

ذلك نتجت عنه جاهلية حديثة، أو جاهلية القرن العشرين كما سماها الأستاذ الداعية محمد قطب، وكما كشف عن ملامحها، وأوضح ما تولد عنها من فساد فى التصور، والعقيدة والسلوك، والسياسة، والاجتاع، والأخلاق، والفن...(٢٠)

وجل رجال الفكر الإسلامى لم يولوا الدعوة إلى الله من عنايتهم وجهدهم ما أولوه للبحث فى قضايا العقيدة، حتى كادوا يحولون الإيمان من بساطته إلى قضايا فلسفية وأقيسة منطقية ومناقشات كلامية، فعدلوا به عن نهج الفطرة، ولم يستطيعوا أن يحولوه من فكر إلى عمل ومن نظر إلى تطبيق، أما سواد العامة، فلم يتحرروا من ربقة الأسباب القريبة الخاضعة لعوامل التغير والفناء وتقلبات الظهور والاختفاء، بل ركنوا إلى الخرافات وإلى تلك الظلال المتقلصة ، وألهتهم الأسباب الظاهرة عن التوجه إلى رب الأرباب ومسبب الأسباب.

فكان مثلهم فى ذلك كمثل الذى يرى تفرق منابع الأنهار فى الأرض، ولايذكر أن مردتها جميعا إلى أصل واحد، وهو الماء الذى أنزله الله من السهاء، فسلكه ينابيع (٢١)

وفى افريقيا السمراء ما تزال بعض التأثيرات الوثنية القديمة تطغى على العقيدة الإسلامية، وتقوم بعض تصرفات القبائل هناك على رمز «الطوطم» وعلى مخلفات القرون البائدة، مثل قبائل البامبرا في مالى، وقبائل اليوروبا في نيجيريا.

يقول (رو) الكاتب الفرنسي في كتابه: « الإسلام في الغرب»:

«إن هناك وثنيين يذهبون إلى المسجد مع المسلمين، وقد جرت العادة عندهم أن يخفوا وثنيتهم ليظهروا بمظهر الرقى والتقدم، لأن المجتمع الوثنى أصبح يعتقد أن الإسلام صنو التقدم. (٣٢)

ولئن جاء الأوربيون إلى أفريقيا السمراء بنوع من الحضارة، فان الإقبال عليها من

⁽٣٠) محمد قطب : جاهلية القرن العشرين : ٤٧ ـ ٤٨ (ط دار الشروق: ١٩٧٨)

⁽٣١) محمد عبدالله دراز: الدين: ١٣٢ (ط الكويت: ١٩٧٤).

j.p roux; I, Islam en occident: 29(PARIS1959) (TT)

الأفارقة في السنوات الأخيرة تضاءل بصورة لاحظها المسيحيون أنفسهم، لأنها كانت مقترنة بتجارة الرقيق والتمييز العنصرى، والاستبداد والاستغلال والمخدرات والخمور والفساد الخلقى، وبالتالى فإنها لم تحمل معها المساواة ولا التسامح المسيحى المزعوم.

وفى أفريقيا اليوم اتجاه جديد نحو الإسلام، فقد أصبح الوثنيون عباد التعاويذ ينظرون إلى الوثنية صورة من صور التخلف الافريقى، ولكن بعض الطوائف المسيحية والكنيسة تعمل على تغذية الروح الوثنية ومسايرتها، إذ هى عندها أفضل من الإسلام، ولكن بدون جدوى، فإن كسب الإسلام لأقوام جديدة فى مناطق تشاد ونيجيريا ومالى يعتبر نصرا مستمرا للاسلام ولحضارته وقيمه.

إن هذه الأوضاع الجديدة في افريقيا السمراء وما عليه كثير من المسلمين في مختلف أنحاء العالم الإسلامي من تمزق وانحراف وبدع وبعد عن عقيدة التوحيد، .. واقتراب من الوثنية والشرك، كل هذا ونحوه، ليفرض علينا مسؤوليات دينية مضاعفة في مجال الدعوة لإزاحة ما ران على القلوب من غشاوة البدع والمنكرات، حتى لا تبقى نظرتها قاصرة عن النفاذ في بواطن الأمور وعن الامتداد إلى منابتها.

فلا بد أن نعرفهم بما يجهلون، ونذكرهم بما ينسون، وننبههم إلى ما هم عنه يغفلون.

ولابد للجامعات الإسلامية أن تولى شعبة الدعوة والإرشاد في كلياتها ومعاهدها العليا ما تستحق من عناية واهتام، لإعداد دعاة علماء عاملين يضطلعون بأعباء الدعوة الإسلامية، ويحسنون التبليغ بدفع وتشجيع من المؤسسات والمنظمات، كجامعة الإمام محمد بن سعود، ورابطة العالم الإسلامي، والمنظمة العالمية للشباب الإسلامي.

حيا الله العاملين لخير الإسلام والمسلمين، وأجزل لهم المثوبة.. وهو حسبنا ونعم الوكيل.

الامِنام محمدُ بنُ عبدالوها بُ في مدينة الموصلُ

للواء الركن محمع شيت فطاب عضو المجمع العالق



-9-

ذكر المؤرخ ياسين بن خير الله الخطيب العمرى الموصلى (۱) في كتابه: (غرائب الأثر) (۲)، في حوادث سنة ثبان ومئتين وألف الهجرية ، أن الإمام «محمد بن عبدالوهاب قدم الموصل، وقرأ العلم على العلاّمه مولانا ملاحمد الجميلي (۲) وأخذ عنه الكثير (۱).»

وقد ذكر هذا المؤرخ هذا الخبر في معرض الحديث عن وفاة الإمام دون أن يذكر سنة قدومه الموصل ولا مدّة مكوثه فيها طالبا للعلم.

ومن المعروف أن الإمام توفى سنة ست ومئتين وألف الهجرية لا سنة ثهان ومئتين وألف الهجرية، كها أورد المؤرخ العمرى فى كتابه: (غرائب الأثر)، وقد يكون سبب هذا الخطأ هو تأخر وصول نعي الإمام الى المؤرخ فى الموصل، لصعوبة المواصلات البريدية فى حينه، ولأن الأخبار تنقل بوسائط بدائية بالأشخاص المتنقلين سيرا على الأقدام أو على الدواب، كها أن البريد لم يكن منظها يؤمن انتقاله بسرعة ولا كان منتظها بين (نجد) حيث توفى الامام (والموصل) حيث يقيم المؤلف العمرى.

* * * *

⁽١) ياسين العمرى: انظر سيرته في: منهل الأولياء (٣٠٨/١): ومنية الأدباء (٢٨/١١): وزيدة الآثار الجلية في الحوادث الأرضية (١٦-٢٨).

⁽٢) غرائب الأثر في حوادث ربع القرن الثالث عشر _ نشر الدكتور صديق _ الموصل ١٣٥٩هـ.

 ⁽٣) انظر سيرته في شيامة العنبر (٣٣٥-٣٣٨) ومنهل الأولياء (٢٧١/١) والسيف المهند (مخطوط) والدر المكنون
 (مخطوط).
 (٤) غرائب الأشر ٣٤.

والمؤرخ العمرى كان معاصرا للإمام، فقد ولد فى الموصل سنة سبع وخمسين ومئة وألف الهجرية (٥) (١٧٤٤م) ، وتوفى بعد سنة اثنتين وثلاثين ومئتين وألف الهجرية (٢١٨١م) ، والإمام محمد بن عبدالوهاب ولد سنة خمس عشرة ومئة وألف الهجرية (١٧٩٢م)، وتوفى سنة ست ومئتين وألف الهجرية (١٧٩٢م) (٧) ، فهو شاهد عيان، لأخباره قيمة خاصة، وكان دقيقا فى تسجيل الأحداث الدائرة فى مدينة الموصل (٨) ، معنيا بذلك أشد العناية ، ومعروفا بالصدق والاستقامة فى تأريخه للحوادث، وليست له مصلحة مادية ولا معنوية تحمله على إقحام رحلة الإمام الى الموصل، ودراسته على أحد شيوخها، فالمؤرخ العمرى متصوف (١) شديد التمسك بالصوفية والدفاع عنهم ، يصف نفسه بأنه: «حسن الاعتقاد بالأولياء الكرام، و المشايخ العظام» (١٠) بينا الإمام السلفى ملتزم أشد الالتزام بالسلفية والدفاع عنها ، لا يرضى العمرى عن مسلك الإمام السلفى (١٠)، لأنه بناقض مذهبه ومشر به.

كها أن المؤرخ العمرى كان معاصرا للشيخ حمد الجميلي الذي توفى سنة سبعين ومئة وألف الهجرية (۱۲) (۱۷۵٦م) وترجم له فى كتابه المخطوط: (السيف المهند فى من اسمه أحمد)، مما يدل على أنه كان وثيق الصلة بالشيخ الجميلي، يعرف طلابه وشيوخه وأقرانه من علماء الدين، كما ترجم للشيخ الجميلي ايضا المؤرخ الموصلي محمد أمين بن خيرالله

g the first of the control of the co

⁽٥) منهل الأولياء (٣١٠/١).

⁽٦) زبدة الآثار الجلية ٢٢.

⁽٧) الأعلام (١٣٧/٧) وتراجم الأعلام المعاصرين في العالم الاسلامي ٤٩٣.

الله المنظمة الأفارط لجلية ٢٠٠١ (من المعالمين المناس المناس المناس المناس المناس المناس المناس المناس المناس ا

⁽٩) غاية المرام ٣٧٣.

⁽۸۱) : غرائب الأثر ۱۳۶۶ من المساور ۱٬۲۵۰ منده و بروجه ۱۰ مند مساور می داد.

⁽١٢) منهل الأولياء (١/٢٧١).

الخطيب العمرى، أخو المؤرخ ياسين العمرى في كتابه: (منهل الأولياء)(١٣)، وقرأ عليه (١٤)، مما يدل على أن الشيخ الجميلي وثيق الصلة بالأسرة العمرية.

والذين خبروا الحياة الاجتاعية في (الموصل)، يعلمون أن الصلة في الأسرة العلمية طلابا وشيوخا، هي أقوى وأمتن من الصلة في الأسرة العائلية: فقرابة العلم في الموصل الحدباء أعمق جذورا من قرابة النسب، والطالب بالنسبة لشيخه ولد متعلم، والشيخ بالنسبة لتلميذه والد ومعلم.

وأهل الموصل مهما تعلو منزلة أحدهم جاها وثراء ومكانة وسلطانا، يتواضع لأصحاب العمائم من علماء الدين أشد التواضع، ويحترمهم ويوقرهم ويحدب عليهم وهم يقدمونهم ويسيرون وراءهم ولا يتقدمون عليهم، ويتنازلون لهم عن صدور مجالسهم تطوعا، وينصتون لأقوالهم وينفذون لهم رغباتهم، وقلما تجد موصليا أصيلا يجهل تفاصيل أخبار رجال الدين ونشاطهم العلمي وجهودهم في الدعوة الى الله.

لا عجب في أن يتناقل الطلاب أخبار شيوخهم شفاها وتسجيلا، ويتناقل الشيوخ أخبار طلابهم حديثا وتدوينا، ويدون المؤرخ تلك الأخبار بأمانة وصدق

*

ولا يقلل من أهمية رحلة الإمام محمد بن عبدالوهاب العلمية الى الموصل وأثرها فى تكوينه العلمى واتجاهه الفكرى، إغفال المصادر والمراجع التى ترجمت له وأرخت لدعوته، لهذه الرحلة العلمية الى هذه المدينة العلمية، ولعل أهم أسباب إغفالها هو نشر كتاب: (غرائب الأثر) متأخرا فى سنة (١٣٥٩هـ ـ ١٩٤٠م) لمؤرخ غير متهم فى صدقه وأمانته، وكان نشر هذا الكتاب بعد صدور معظم تلك المصادر والمراجع ، وقد كان هذا الكتاب بعد صدور معظم تلك الماس، والواقع أن كتاب : (غرائب بعد صدوره مجهولا بالنسبة للذين كتبوا بعد إخراجه للناس، والواقع أن كتاب : (غرائب

⁽١٣) منهل الأولياء ومشرب الأصفياء من سادات الموصل الحدياء (١٧١/١٠٢١)،

⁽١٤) منهل الأولياء (١/٢٧٢)، الله

الأثر) مجهول بالنسبة لأكثر الباحثين العراقيين، فلا عتب على الباحثين من غير العراقيين عربا وأجانب.

وقد اقتصرت تلك المصادر والمراجع على ذكر رحلة الإمام إلى مدينة (البصرة) العراقية، ولم تتطرق الى رحلاته العلمية الأخرى (٥٠٠)، ولكن قسما منها ذكر رحلاته الى أمصار إسلامية أخرى خارج (نجد)، ومن تلك المراجع كتاب: (حياة الشيخ محمد بن عبدالوهاب) الذى صنعه حسين خلف الشيخ خزعل، فقد جاء فيه «ان رحلات الشيخ محمد بن عبدالوهاب امتدت الى بغداد وكردستان وإيران وبلاد الترك والشام وبيت المقدس» (٢٠٠).

وهذا المؤلف وغيره يقصد بتعبير: (كردستان)، هو ما نطلق عليه اليوم (شهالى العراق) ، وكان تعبير: (كردستان) يطلق على منطقة شهالى العراق قبل الحرب العالمية الأولى، فأصبح بعد تكوين العراق الحديث بحدوده الجغرافية يسمى بشهالى العراق.

ويبدو أن مؤلف كتاب: (حياة الشيخ محمد بن عبدالوهاب) نقل المعلومات التى أوردها فى كتابه مما دونه (مرجيلوث) فى دائرة المعارف الاسلامية (١٧٠)، فهو الذى ذكر أن الإمام رحل الى (كردستان) مع أن الناقل ألف كتابه وأخرجه للناس سنة ١٩٦٨م!

وبالإمكان استنباط زمان ومكان قضاء الإمام رحلت العلمية الى شهالى العراق بالمقارنة بين ما جاء في المصادر والمراجع التي تحدثت عن رحلته الى (كردستان) دون أن

⁽١٥) انظر سيرة الإمام محمد بن عبدالوهاب لأمين سعيد «٢٠» والاعلام للزركلي (١٣٧/٧)، ومحمد بن عبدالوهاب لمسعود الندوي.

⁽۱٦) انظر التفاصيل في كتاب: حياة الشيخ محمد بن عبدالوهاب (٦٥-٦٨) رومرجليوت في دائرة المعارف الإسلامية (١٠٨٦-١٠٨٩) روبرجس «٧» روبالغريف (٣٦٣/٤) روهيوجس (١٠٩٦) روزوير (١٩٢) ذكر بعضهم أنه سافر إلى بغداد وبعضهم ذكر سفره إلى دمشق وبعضهم جمع بينها انظر الهامش: ٤ من كتاب محمد بن عبدالوهاب.. لمسعود الندوي (٤١/٤٠).

⁽١٧) دائرة المعارف الإسلامية (١٠٨٦/٤) وهناك في إيران منطقة كردستان وفي تركيا أيضا.

تذكر البلد الذي استقر فيه، وما جاء في المصدر الجديد: (غرائب الأثر) ، ولعل في هذا الاستنباط ما يضيف جديدا على سيرة الإمام .

كانت رحلة الإمام الى العراق سنة (١٩٣٦هـ ـ ١٧٢٤م) ، فمكث فى بغداد ثلاث سنوات، أى أنه كان فى بغداد حتى سنة (١٩٣٩هـ / ١٧٢٧م)،ثم رحل الى شهالى العراق، فجابها بلدا بلدا، وقضى فى هذه الجولة سنة واحدة (١٨٠٠)، فقد غادر (نجدا) سنة ١١٣٦هـ.

وفى شهالى العراق مراكز علمية مهمة وبخاصة فى كركوك والسليانية وأربيل والعهادية ودهوك وزاخو، ولكن أهم تلك المراكز دون شك ليس على نطاق شهالى العراق بل على نطاق العراق كله والبلاد العربية هو مركز الموصل العلمى، فالموصل هى حاضرة شهالى العراق وأكبر مدنه، وأكبر المدن العراقية بعد بغداد، وكانت تستقطب أبرز شيوخ شهالى العراق بخاصة وقسها من علهاء البلاد الإسلامية بعامة، وكان يؤمها الطلاب والشيوخ لارتشاف العلم من مناهلها الثرة.

«لأن فيها أربعا وأربعين مدرسة علمية (١٠٠)» فى أيام زيارة الإمام لها، عامرة بعلماء الدين الأعلام، غاصة بطلاب العلم الموصليين وغيرهم

ومن المعلوم أن رحلة الإمام العلمية الى ربوع شهالى العراق ، لم تكن للاصطياف أو الاطلاع على المعالم السياحية، بل كانت جهادا فى سبيل العلم وحده، فليس من المستغرب أنه جاب المراكز العلمية فى شهالى العراق ، ولكنه قضى معظم عامه الدراسى فى المركز العلمى الرئيسى: الموصل، وهو عام ١١٤٠هـ ـ ١٧٢٨م)

وهذا يعنى أن الإمام دخل الموصل طالبا وعمره يومئذ خمسة وعشرون عاما، لأنه ولد سنة (١٩١٥هـ ـ ١٧٠٣م)، وهو العمر الذي يكون فيه الطالب في أوج نشاطه الذهني لتلقى العلم والإقبال عليه والتأثر به وبالمحيط من الطلاب والشيوخ والأحداث.

⁽١٨) حياة الشيخ محمد بن عبدالوهاب (٦٦-٦٦) وانظر كتاب: الموصل في العهد العثماني (٤١٤ـ وما بعدها).

١٩) انظر التفاصيل في: مدارس الموصل في العهد العثماني ـ سعيد الديوه جي بغداد ١٩٦٤م.

ولعل من أسباب إيثار الإمام للموصل على غيرها من المراكز العلمية في شهالى العراق، هو أن الموصل عربية بسكانها وتقاليدها ولغتها، وكانت عربية أصيلة قبل الفتح الإسلامي وأيام الفتح الإسلامي سنة ست عشرة الهجرية (٢٠)، وبعد الفتح حتى اليوم، هذا بالإضافة الى أنها أكبر مركز علمي في شهال العراق.

أما سائر المراكز العلمية الأخرى فى شهالى العراق، فهى ليست عربية بسكانها ولغتها: كركوك تركية، والسلمانية وأربيل والعهادية ودهوك.. وزاخو كردية، ولكن العربية هى لغة العلم فى المراكز العلمية كافة، لأن العربية هى لغة الكتاب العزيز.

ولكن، هل زار الإمام جميع المراكز العلمية في شهالي العراق، وكم قضى من وقت في كل مركز علمي زاره ؟

ذلك ما يصعب الإجابة عليه، ما دمنا ملتزمين بالنصوص التاريخية التي تحدثت عن رحلة الإمام العلمية في شهالى العراق ، ولكنه يمكن الاستنتاج أنه قضى معظم عامه الدراسي هذا في الموصل الحدباء.

_ ٤ _

وكل طالب علم يتأثر بأستاذه الذي يعلمه، والطلبة الذين يتلقون العلم معه، والمحيط الذي يعيش فيه، والأحداث التي تكتنفه.

وقد كان الشيخ حمد الجميلى الأستاذ الذى اختاره الإمام من شيوخ الموصل يقرأ عليه، فمن المفيد أن نتذكر شنينا من سهات الشيخ الجميلى الشخصية والعلمية ، لنعرف مبلغ تأثيره فى تلميذه محمد بن عبدالوهاب الذى كان فى ريعان الشباب.

كان فقيها فاضلا، جمع بين المعقول والمنقول، وزاحم الفحول، وتصدى للتدريس

⁽۲۰) الطبرى (۲۵/۵۳ وابن الأثير (۲۳/۲ هـ ۲۵).

فانتفع به الناس (۲۱)، حاز من الحكمة خيرا كثيرا (۲۲)، وكان أوحد عصره علما وأجلهم فهما (۲۳)،

وفى سنة (١٦٦٩هـ ـ ١٧٥٥م) بنى الوزير محمد أمين باشا الجليلى جامع (الباشا) فى مدينة الموصل من ماله ومال أبيه الحاج حسين باشا الجليلى (٢٠)، فاختار الوزير الشيخ الجميلى ليكون أول مدرس فى مدرسة جامعه، (٢٠) وكان للجميلى الحظ الأوفر عند حكام الموصل وولاتها والقبول التام ومن ندماء أعيانهم من أخلص أصدقائهم اليس بينه وبينهم حجاب (٢٦)، وهذا يدل على أنه برز فى علمه وتفوق على أقرانه من علماء الدين ، فأصبح شيخ شيوخ مدينة الموصل.

ويبدو أنه لم يتقرب لذوى السلطان فى محاولة للتكسب، «أراه مع ما هو عليه من مدارسة العلم، له من كسب يده، والتمسك بعروة الأسباب أو فى سهم لا يعتمد بعد الله إلا على معايش اخترع أسبابها، ومصايد للرزق ابتدع اكتسابها، وذلك لئلا يكون كلاً على الناس» فعمل بزازا وجماميا (٧٠٠)، أو عمل فى الحرفتين معا فى أن واحد. وهذا دليل على أن ذوى السلطان احتاجوا اليه فقربوه، ولم يتقرب إليهم، ولم يكن بحاجة اليهم، لأنه غنى ماديا بعمله، ومعنويا بعلمه، وليس لديهم ما يطمع فيه.

لقد قدمه عقله وعمله وحرصه على كرامة العلم والعلماء.

والذين أرخوا لعلماء الدين في الموصل، نصوا على المتصوفة منهم وذكروا لهم طريقتهم في التصوف، وأكثرهم نقشبندية أو قادرية، ولم ينصوا على أن الشيخ الجميلي كان متصوفا.

⁽٢١) منهل الأولياء (١/ ٢٧١-٢٧١).

⁽۲۲) شهامه العبد (۳۳۵).

⁽٢٣) السيف المهند في من اسمه احمد (مخطوط).

⁽٢٤) جوامع الموصل (١٨١).

⁽٢٥) جوامع الموصل (١٨٥).

⁽٢٦) منهل الأولياء (٢٧٢/١).

۲۷) شهامه العنبر (۳۳۵ ۳۳۳).

ومن الواضح أن الشيخ الجميلى أثر فى تلميذه محمد بن عبدالوهاب فى رجاحة عقله، وغزارة علمه، وفى التزامه بالكتاب والسنة وكرامة العلم والعلماء باعتباره العلم عبادة من أجل العبادات لا تجارة من أربح التجارات.

والشيخ الجميلى نسبة الى (جميل) مصغرا (٢٨)، وهو من أعراب البادية: ولكن ما استحضر من العلوم في خزانة محفوظته، أجرتها على لسانه جرى الماء المسجوم، كما قيل:

فلو بدا لشيوخ الحضر قمن له مستقبليه وقلن الفضل للبادي (٢٩)

ولعل من أسباب اختيار الطالب محمد بن عبدالوهاب الدراسة على الشيخ الجميلى بالإضافة الى أن الشيخ عالم متين، هو أنه من أعراب البادية، والجنس للجنس يميل، وقد وافق شن طبقه، كما يقول المثل العربى المشهور.

أما أثر أقران محمد بن عبدالوهاب فيه يوم كان طالبا في الموصل، فهو أثر كل طالب علم بأقرانه، فالحديث عنه حديث معاد.

أما أثر أهل الموصل بالطلاب الذين يعكفون على الدراسات الدينية، فإن طالب العلم ، كما كانوا يطلقون على طلاب المدارس الدينية، كان موضع احترامهم العميق وحفاوتهم البالغة واهتامهم الكبير، وكان أهل الموصل يرعون فقراء الطلاب حق الرعاية فتنهال عليهم العطايا والهدايا، ويدعون إلى الأفراح والولائم ، فلا يشعر الغريب منهم بغربته، ولا الفقير بفقره، وكان سكنى الغرباء في المدارس الدينية التي كانت تزودهم بالغذاء والكساء والغطاء، بالإضافة إلى رعاية شيوخهم وأغنياء البلد وحكامها، تلك الرعاية التي لا مثيل لها في المدن الأخرى إلا نادرا.

وأراد الله سبحانه وتعالى أن يتيح للطالب الشاب وهو في الموصل أن يشهد أزمة

⁽٢٨) منهل الأولياء (٢٧١/١).

⁽٢٩) شهامة العنبر (٣٣٥) والجميليون اليوم سكتوا الرمادى والفلوجه وبغداد، وعانة وسامراء والموصل وغيرها من المدن العراقية وتحضر وا ولم يبقوا أعراب بادية كها كانوا قبل مائة وخمسين سنة خلت.

نبوءة النبى جرجيس عليه السلام (٢٠) الذى له مرقد معروف فى الموصل يزار (٢٠)، محاط بجامع كبير يطلق عليه (جامع النبى جرجيس) (٢٢)

فقد أنكر الشيخ احمد بن الكوله (٢٣) نبوة النبى جرجيس، فأثار موجة عارمة من الإنكار والاحتجاج في الموصل أولا، ثم انتقلت الى المدن المجاورة، فانبرى الشيخ على بن الدباغ الحلبى الموقت في (حلب) (٢٤)، يرد عليه في كتاب أسهاه: (إتحاف الأنام بأخبار سيدنا جرجيس عليه السلام) (٥٦)، ثم بعث بكتابه الى الموصل مع قصيدة نظمها في النبى جرجيس عليه السلام (٢٦٠)، ظهرت في بعض لسان الأعزة فلتة في حق سيدنا نبى الله جرجيس ، فامتطت لها الأراجيف ظهور العيس الى (حلب) ، فرد هذه الفلتة هذا (الموقت) بتأليف كتاب نفيس ، يذكر في هذا الكتاب إثبات نبوة هذا النبى الكامل، ثم بعث مع الكتاب قصيدة في مدح نبى الله جرجيس.......(٢٧)»

وتصاعدت أزمة ابن الكولة تصاعدا مخيفا الى أن بلغت ذروتها فى الموصل ، حيث تألب عليه المشايخ وأصحاب الطرق ومعه المريدون والأتباع فشكوه الى والى الموصل، وكان يومذاك الحاج حسين باشا الجليلى، فأرسل اليه يأمره بالتوقف عن هذا الإنكار (٢٨٠)»

وتختلف الروايات في حقيقة موقف الشيخ أحمد بن الكولة بعد ذلك، فمن قائل: (إنه

⁽٣٠) انظر: قصة نبى الله جرجيس عليه السلام في: منهل الأولياء (٢٣/٢-٣١)

⁽٣١) انظر ما جاء عن المرقد في: منية الأدباء (٩٦-٩٦)

⁽۳۲) جوامع الموصل (۱۰۷_۱۲۷).

⁽٣٣) انظر سيرته في: السيف لملمهند في من اسمه احمد (٢٢ مخطوط) ومنهل الأولياء (١/ ٢٨٤) والروض النضر (٣٠-٢٩/٢)

⁽٣٤) انظر سيرته في: شيامة العنبر (٢٣٠) وسلك الدرر (٢٣٣/٣) وإعلام النبلاء (٧٨-١١)

٣٥) توجد نسخة منه في مكتبة دارد الحلبي في الموصل بخط مؤلفها الذي فرغ من كتابتها سنة ١١٤٥هـ.

⁽٣٦) انظر: نص القضيدة في شهامه العنبر (٢٣٦-٢٣٢) في أثنين وتسعين بيتا.

⁽٣٧) شيامة العنبر (٢٣٢).

٣٨) السيف المهند في من اسمه احمد (٢٢ مخطوط).

تاب وأناب (٢٦١)، ومن قائل: (إنه أصر على موقفه) (٤٠)، ومن قائل: (إنه أطاع ظاهرا وأنكر خفية) (٤٠).

ومها يكن موقف ابن الكولة، فليس ثمة دليل على أن هذه الدعوة السلفية قد خمدت، فقد استمر في حملته على المقامات والمشاهد وعلى من يتخذها وسيلة للتكسب (٢٠٠)، الى أن توفى سنة (١٧٧٣هـ ـ ١٧٧٩م) (٢٠٠).

وحمل الراية بعد ابن الكولة ابنه الشيخ محمد الذى كان : «شديد الإنكار على جميع الأولياء» (٤٤).

وبذلك انقسم الموصليون الى فريقين: فريق محافظ متأثر بالطرق الصوفية، وفريق سلفى يدعو الى نبذ تقديس الأولياء ، والى مقاومة الصوفية، وجمع كل فريق ما استطاع من حجج للدفاع عن أرائه.

لقد كان هدف الدعوة السلفية مقاومة نفوذ المشايخ أصحاب الطرق الصوفية، ومقاومة تقديس مراقد الأولياء ، وتنقية الدين من البدع بالعودة الى التمسك بالكتاب والسنة، وكانت حركة ابن الكولة احدى الفورات في الموصل من فورات الدعوة السلفية، سبقها فورات كثيرة وأعقبها فورات كثيرة، فالدعوة السلفية في الموصل قائمة في الماضى والحاضر وستبقى قائمه في المستقبل.

ولقد شهدنا في أيامنا صراعا عنيفا بين دعاة السلفية من علماء الدين والمتصوفة والمقلدين، وكانت ولا تزال مؤلفات السلفية القدامي كالإمام ابن تيمية والجدد كالشيخ محمد رشيد رضا، شائعة في الموصل ، يقبل عليها الناس إقبالا شديدا

⁽٣٩) السيف المهند في من اسمه احمد (٣ مخطوط).

⁽٤٠) منهل الأولياء (٢٨٥/١)

⁽٤١) الدر المكنون (٥٨٥ مخطوط).

⁽٤٢) الموصل في العهد العثياني (٤٠٩).

⁽٤٣) ابن الخياط - ترجمة الأولياء في الموصل الحدباء - المقدمة (١٣).

⁽٤٤) غرائب الأثر (٣٥).

وقد شاءت الأقدار أن يعيش الطالب محمد بن عبدالوهاب في الموصل وسط المعركة الفكرية التي أثارها الشيخ أحمد بن الكولة، ولا ريب في أنه تأثر بها، للتشابه التام بين آرائه التي دعا اليها فيا بعد، وبين مبادئ سلفيي الموصل، الداعية الى نبذ زيارة القبور وبناء القباب وتكبير العهائم وتوسيع ثياب علماء الدين، ووضع الأستار والعهائم والثياب على الأضرحة، والاستعانة بجاه أصحابها، والتمسك بالكتاب العزيز والسنة المطهرة (٥٠٠)، فقد أكمل الله دينه وأتم نعمته على المؤمنين ، وكل بدعة ضلالة، والضلالة وصاحبها في النار.

* * * *

_ 7 _

تلك لمحات سريعة غير متسرعة عن عام دراسى أو بعض عام لرحلة علمية إلى مدينة الموصل الحدباء من رحلات الإمام محمد بن عبدالوهاب العلمية إلى أمصار العالم الإسلامى، في وقت كانت كل أمصار المسلمين مفتوحة الأبواب لكل مسلم يطلب العلم أو الرزق، لا تفصل بينها الحدود والسدود، لا تجتاز الا بجواز سفر وسمة دخول، تؤهله للاجتياز مدة معينة من الزمن، يعتبر فيها (أجنبيا) تلاحقه الشرطة وتراقبه العيون، وقد أصبحت تلك الأمصار الإسلامية مفتوحة لغير المسلمين مقفلة بوجه المسلم، فيها المسلم من غير أهلها غريب اليد والوجه واللسان ، لا يواسيه أحد ولا يعينه على تحمل أعباء

وقد كان طلاب العلم والعلماء قبل أن تقام الحدود والسدود بين ديار المسلمين، يرحلون لطلب العلم والارتشاف من منابعه على زبدة العلماء الأعلام علما وعملا وورعا، فيحلون أهلا وينزلون سهلا، ويتسابق الناس للحفاوة بهم واستضافتهم وتزويدهم بالغذاء والكساء والغطاء والعطاء، فمتى يعود المسلمون الى ما كانوا عليه، ومتى يصبحون كالجسد الواحد أخوة في الله!

⁽٤٥) الموصل في العهد العثياني (٤١٤ ـ ١٥٥).

لقد أقامت قوانين الأرض بين أمصار المسلمين الحدود والسدود، ومزقت الجسد الواحد الحيّ، فأصبح أعضاء وأشلاء متفرقة بلا حياة، وكانت مساجد المسلمين تخرج المعظفين، وكان في كل مصر من أمصار المسلمين عدد فأصبحت معاهد المسلمين تخرج الموظفين، وكان في كل مصر من العلماء، وكان العلماء عديد من العلماء الأعلام، فأصبحت تلك الأمصار تخلو من العلماء، وكان العلماء المسلمون يحكمون أصحاب السلطان، فأصبحوا اليوم يستخذون للحكام، وكان الأمراء على أبواب العلماء، وكانوا فقراء بالمال أغنياء بكرامة العلم والعلماء، فأصبحوا أغنياء بالمناصب والمرتبات فقراء بكرامة العلم والعلماء، وأقفلت المدارس الدينية فخلت المساجد والجوامع من العلماء الدعاة الذين يرجون ما عند الله، وفتحت المدارس المدنية فعمرت بيوت الله بأصحاب الشهادات الموظفين الذين يرجون ما عند الله، عند الناس، وأقفرت ديار المسلمين من الأئمة المرشدين الا بقية تعد على الأصابع من علماء الدين المعتمدين الذين تعلموا في الجوامع، وأينعت ديار المسلمين بأصحاب الشهادات الموظفين الذين تخرجوا في الجوامع، وأينعت ديار المسلمين بأصحاب الشهادات الموظفين الذين تخرجوا في الجامعات، وآثر خريجو المعاهد المدنية الذين تعلموا العلوم الدينية فيها منابر الجامعة على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأن منبر الجامعة الذي يشغله المسلم وغير المسلم أدسم من منبر الجامع الذي يشغله المسلم وغير المسلم أدسم من منبر الجامع الذي يشغله المسلم دون غيره، وهكذا غزر الانتاج بكثرة الخريجين وساء التوزيع بقلة رجال الدين.

لقد صنعت الحدود ووضعت السدود فى ديار المسلمين، تلك القوانين الوضعية الذى جاء بها نابليون من فرنسا وربط خيوله فى فناء الأزهر، وجاء بها المستعمر ليذل المسلمين ويفرق كلمتهم ويستعبدهم ويجعل منهم مسلمين جغرافيين.

وسحقت المدارس الدينية المبادئ الوافدة والتعليم الغربى المستورد، الذى يسلب المسلم عقيدته ويعمر قلبه بالاتجاه المادى، فيصبح كالحيوان يهمه المسكن المريح والطعام الفاخر والجنس، ولا يهتم بما بعد الحياة، والمرء كما يعيش في الدنيا يرحل الى الآخرة، فلابد أن يكون لمصيره في الآخرة من تفكيره ونشاطه أو في نصيب، والمبادئ الوافدة والتعليم الغربى تعمل للدنيا ولا تعمل للآخرة، والحضارات المادية ماتت الى الأبد بعد موت دعاتها، والحضارات التى بقيت هي الحضارات التى جمعت بين المادة والروح، وقد أكثر الحكام المسلمون من حديثهم عن الانجازات المادية، ونسوا المتطلبات الروحية، وستفنى

تلك الإنجازات _ إن وجدت _ مالم ترتكز على أسس روحية مستمدة من تعاليم الدين الحنيف.

يجب أن نتعلم من سيرة الإمام محمد بن عبدالوهاب والأئمة الأعلام من علماء المسلمين، مما يفيدنا في حاضرنا ومستقبلنا، فنعيد الحكم بشريعة الله ونتخلق بخلق القرآن، ونطبق حكم القرآن لغة وعقيدة وشريعة، ومثلا عليا، ونتمسك بالكتاب العزيز والسنة المطهرة، لتزول الحدود والسدود، وتسود رسالة المسجد، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله.

والله أسأل أن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأن يهدينا حكاما ومحكومين الى سواء السبيل...

وصلى الله على سيدنا ومولانا رسول الله وعلى آله وأصحابه أجمعين.

* * * *



المصادر والمراجع العربية

ابن الأثير (عز الدين، أبوالحسن، على بن أبى الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم بن عبدالكريم بن عبدالواحد الشيباني، المعروف بابن الأثير):

- ۱ الكامل في التاريخ ـ بيروت ـ ١٣٨٥هـ.
 الجندي (أنور الجندي):
- ٢) تراجم الأعلام المعاصرين في العالم الإسلامي ـ القاهرة ـ .
 حسين خلف الشيخ خزعل: ١٩٧٠م
 - ٣) حياة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ بيروت ـ ١٩٦٨م .
 الزركلي (خير الدين الزركلي):
 - ٤) الأعلام ـ الطبعة الثانية ـ القاهرة ـ ١٣٧٨/١٣٧٣هـ .
 الديوه جي (سعد الديوه جي):
 - ٥) جوامع الموصل في مختلف العصور _ بغداد _ ١٣٨٢هـ.
- ٦) مدارس الموصل في العهد العثهاني _ مستل من مجلة سومر _ بغداد _ ١٩٦٤م.
 الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير الطبري):
 - ٧) تاريخ الرسل والملوك تحقيق محمد أبوالفضل ابراهيم القاهرة ١٩٦٠م.
 عهاد عبدالسلام رءوف (الدكتور):
 - ٨) الموصل في العهد العثماني _ النجف _ ١٣٩٥هـ .
 العمري (عصام الدين عثمان بن على بن مراد العمري):
- ٩) الروض النضر في ترجمة أدباء العصر تحقيق الدكتور سليم النعيمي بغداد ١٣٩٥هـ.
 - العمرى (محمد أمين بن خير الله العمرى):

- ۱۰) منهل الأولياء ومشرب الأصفياء من سادات الموصل الحدباء تحقيق سعيد الديوه جي _ الموصل _ ١٣٨٨هـ. ...
 - العمرى (ياسين بن خير الله العمرى):
- الدر المكنون في المآثر الماضية من القرون _ مخطوط _ توجد نسخة منه في المكتبة الوطنية في باريس تحت رقم (٤٤٤٩).
 - ۱۲) زبدة الآثار الجلية في الحوادث الأرضية _ تحقيق: عهاد عبدالسلام رءوف (الدكتور) _ النجف الأشرف/١٩٧٤م.
- ۱۳) غرائب الأثر في حوادث ربع القرن الرابع عشر _ عنى بطبعه ونشره الدكتور محمد صديق الجليلي _ الموصل _ ۱۳۵۹هـ.
 - ١٤) السيف المهند في من اسمه أحمد _ مخطوط _ في مكتبة سعيد الديوه جي.
- ١٥) منية الأدباء في تاريخ الموصل الحدباء _ تحقيق سعيد الديوه جي _ الموصل _ ١٣٧٤هـ.
 - الغلامي (محمد بن مصطفى الغلامي):
- ۱٦) شهامة العنبر والزهر المعنبر _ تحقيق الدكتور سليم النعيمي _ بغداد _ ١٣٩٧هـ. المرادي (محمد خليل المرادي):
 - ۱۷) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر _ القاهرة _ ۱۲۹۱هـ · الندوي (مسعود الندوي):
- ۱۸) محمد بن عبدالوهاب _ ترجمة وتعليق عبدالعليم عبدالعظيم البستوى _ مراجعة وتقديم محمد تقى الدين الهلالي _ الرياض _ ۱۳۹۷هـ.

الرسائلاالشخصية للثبخ محدبن عبدالوهاب

للدكتور عبراللہ بن صالح العثيمين

رئيس قسم المتاريخ - كلية الآداب

جامعة الملك سعود



بسمالتدالرهم والرحسيم

دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب بعيدة الأثر في مسيرة التاريخ الإسلامي الحديث. ومن هنا كان الاهتام الكبير بكل ما يتعلق بصاحبها، وكثرت الكتابات عن حيات ودعوته وما ترتب عليها من نتائج. بل إن نجاح هذه الدعوة أسهم في حفز همم بعض الكتاب الى التعمق في دراسة شخصيات علمية سبقته زمنيا، ونادت بمثل أو بعض ما نادى به.

والكتابات التى ظهرت عن الشيخ محمد مختلفة من حيث العمق والسطحية ومن حيث الإنصاف والتحيز، ومن حيث الجدة وعدمها. والمؤمل أن تكون من نتائج هذا الأسبوع دراسات تجمع بين العمق والحياد والإبتكار، وألا نجد الكثير منا فى نهاية الأمر يردد مع الشاعر العربى القديم قوله:

ما أرانا نقول الا معارا أو معادا من قولنا مكرورا

لقد كتب الكثير عن حياة الشيخ محمد شابا متعطشا للعلم أينا وجده، وصاحب دعوة مصمها على بذل كل ما يكفل نجاحها، وزعيا مساهها مساهمة كبيرة في توجيه أمور دولة فتية. كها كتب الكثير عن أصول دعوته وتأثيرها في مجتمعه وفي مجتمعات اسلامية أخرى.

وبحثى المتواضع المقدم إلى هذا الأسبوع لا يتطرق الى أى جانب من الجوانب السابقة بصفة تفصيلية مستقلة. لكنه محاولة لإيضاح ما تحتوى عليه رسائل الشيخ الشخصية من أهمية، خاصة فما يتعلق بشخصيته والظروف المحيطة بدعوته.

الرسائل من حيث الصحة:

من أهم الأمور التي ينبغي للباحث أن يعنى بها التأكد من صحة النص الذي يحاول دراسته. فها لم يصل إلى قناعة علمية بصحة ذلك النص، فإنه من العبث محاولة

استخلاص النتائج منه. وهذا ما سأحاول لفت الأنظار اليه في مقدمة هذا البحث.

لقد عاش الشيخ محمد بن عبدالوهاب حياة طويلة حافلة بنشاط مختلف النواحى: فمن المعروف أن حياته بصفته صاحب دعوة، ومساهاً فى توجيه دولة تقرب من ستين عاما، وطول حياته، وتعدد جوانب نشاطه، يجعلان المر يتوقع أنه قد كتب رسائل شخصية كثيرة جدا. لكن ما أثر عن الشيخ من رسائل لا يتفق مع ذلك التوقع. وعلى هذا الأساس فإن الباحث يكاد يجزم بأن كثيراً من رسائله الشخصية قد ضاع.

وموقف ابن غنام، الذي يعود اليه أكبر الفضل في إيراد ما أثر من هذه الرسائل، موقف يدعو إلى التأمل؛ فهو من ناحيته قد أورد من رسائل الشيخ ما هو مختلف الطول والقصر من حيث المضمون، بل انه في أحيان نادرة قد أورد شيئا من رسائل خصوم الشيخ تمهيدا لتدوين رده عليها. لكنه من ناحية أخرى: نص على أنه لم يدون كثيرا من أجوبة الشيخ عن بعض المسائل خشية الإطالة (۱). فهل عامل ابن غنام بعض رسائل الشيخ الشخصية معاملته لبعض أجوبته؟ أم أنه لم يعثر إلا على تلك الرسائل التي أوردها في كتابه؟ مهما يكن من أمر فإن ما أورده ابن غنام منسوبا الى الشيخ يبدو صحيحا.

على أن هناك مصادر أخرى نسبت الى الشيخ رسائل قليلة غير التى ذكر ابن غنام. وقد جاءت هذه الرسائل ضمن القسم الخامس من مؤلفات الشيخ الذى أفرده بعض الأخوة الكرام المهيئين لهذا الأسبوع لجميع الرسائل الشخصية المنسوبة اليه. وقد جعل هؤلاء الأخوة تاريخ ابن غنام أصلا قابلوا به وأضافوا اليه ما لم يرد فيه. ولاشك أن ما قام به هؤلاء الأخوة يستحق الثناء والتقدير. وبمقدار ما يكون الجهد يأتى اهتام الباحث بما عمل. ولهذا فإنه من المستحسن الوقوف عند بعض ما عمله أولئك الأخوة.

من دراسة القسم الخامس من مؤلفات الشيخ محمد تبدو للمتأمل ملاحظتان: الأولى : أنه يوجد اختلاف في بعض عبارات الرسائل المعدة في هذا القسم وبين

١٧) روضة الأفكار والأفهام.. طبعة أبا بطين، القاهرة ١٣٦٨ هـ جـ ١ ص ١٧٥، وسوف يشار اليه فيا بعد بروضة فقط.

أصلها في تاريخ ابن غنام دون الإشارة الى مواضع الاختلاف. من ذلك مثلا: رسالة الشيخ إلى علماء مكة المكرمة، ورسالته الى الشريف أحمد بن سعيد (٢).

والملاحظة الثانية: أن بعض الرسائل المضافة الى ما ورد فى تاريخ ابن غنام ليس فيها ما يرجح كونها من رسائل الشيخ نفسه. لنأخذ مثلا: الرسالة التى يقال إن الشيخ أرسلها الى عالم من أهل المدينة، فهى لم ترد إلا فى الدرر السنية، ولم يذكر اسم العالم الذى أرسلت اليه. ومن غير المرجح أن يرسل الشيخ رسالة الى عالم من علماء تلك البلدة دون ذكر اسمه. وبالإضافة الى ذلك: فإنه لم ينص فيها على أنها من الشيخ. والمتبع لرسائل الشيخ محمد يرى أنه عادة يبدؤها بعبارة: من محمد بن عبدالوهاب إلى فلان بن فلان. لكن هذه الرسالة لا تبدأ بمثل هذه العبارة، وإنما تبدأ بأسلوب يختلف تماما عن أسلوب الشيخ المعتاد.

وقريب مما سبق يمكن أن يقال عن تلك الرسالة التي يدعى أن الشيخ بعثها إلى عبدالله الصنعاني، فإنها لم ترد الا في الدرر السنية. ولم ينص فيها على اسم مرسلها. واذا قورنت بالرسالة التي كتبها عبدالله بن الشيخ محمد عند دخوله مكة المكرمة مع سعود بن عبدالعزيز، يتضح أن هناك تشابها كبيرا بين أجزاء من الرسالتين من حيث الأسلوب والمضمون (٢٠). ولعل في هذا ما رجح أن الذي كتب الرسالة الى الصنعاني هو الشيخ عبدالله بن محمد وليس أباه.

أما الرسالة التى يقال إن الشيخ محمدا بعثها إلى أهل المغرب فمن الواضح عدم رجحان كونها له ، وذلك لعدة أسباب: الأول: ما قيل عن الرسالتين السابقتين المنسوبتين اليه من حيث انفراد صاحب الدرر السنية بإيرادها، وعدم النص فيها على اسم مرسلها. الثانى: أنه من غير المحتمل أن يكون اهتام زعهاء الدعوة بالمغرب قد بدأ قبل استيلائهم على الحجاز ملتقى الوافدين الى بيت الله الحرام. الثالث : _ وهو أهمها _ أن هذه الرسالة قد شاعت في تونس زمن الباى حموده باشا. وقد ذكرت المصادر التونسية وصولها إلى ذلك القطر بعد أن تكلمت عن الأمور التى قام بها سعود بن عبدالعزيز في الحجاز.

⁽٢) القسم الخامس من مؤلفات الشيخ، طبعة جامعة الإمام ص ٤١، ٣١٢. وسوف يشار اليه فيا بعد بشخصية. وقارن ذلك بروضة ٨١/٢ و١٠٤.

⁽٣) انظر شخصية ص ١٠٠ ـ ١٠١ وقارنها بالدرر السنية ٢٧ جـ ١ ص ١٢٧

وهذا يتلاءم مع السبب الثانى وهو أن الاهتام بالمغرب ناتج عن الوجود السعودى فى الحجاز. وعلى هذا الأساس فإنه من المحتمل جدا أن تكون هذه الرسالة أيضا من كتابة الشيخ عبدالله بن محمد الذى كان مع سعود بن عبدالعزيز عند دخوله مكة، كما ذكر سابقا.

وقد ورد فى القسم الخامس من مؤلفات الشيخ رسالة قيل إنها جواب منه عن كتاب لم يقف على اسم كاتبه. وقد ذكرت هذه الرسالة فى مجموعة الرسائل والمسائل، إضافة الى ذكرها فى الدرر السنية. وأسلوبها مشابه لأسلوب الشيخ فى كثير من كتاباته. لكن ورد فيها ما يثير انتباه الباحث. ذلك أنه وردت فيها عبارة:

«هو مضمون ما ذكرت في رسالتك أن الشيخ محمدا قرر لكم ثلاثة أصول» $^{(1)}$.

وقد يبدو للمر أن من كتب هذه العبارة لابد أن يكون غير الشيخ محمد. لكن قد يكون الشيخ أورد نص العبارة التي كان قد كتبها من أرسلت اليه هذه الرسالة. وقد وردت في الرسالة أيضا عبارة:

«هذا الذي يدعو إليه ابن عبدالوهاب» (٥).

ولو كان الكاتب لها تلميذا للشيخ أو أحد أنصاره لكان من المرجح أن يضع كلمة « الشيخ » قبل ابن عبدالوهاب. وتعبير الشيخ عن نفسه بابن عبدالوهاب موجود في رسائله (٦).

ومن ناحية أخرى فإن في هذه الرسالة ما يشير الى أنها قد كتبت وعبدالله المويس لايزال حيا .

«ومع هذا: يقول لكم شيطانكم المويس إن بنيات حرمة وعيالهم يعرفون التوحيد فضلا عن رجالهم»(٧).

لكن ورد فيها ما نصه: «فكيف بمن له قريب من أربعين سنة يسب دين الله؟» (^).

⁽٤) شخصية ص ١٧٢

⁽٥) المصدر السابق

⁽٦) روضة ١٢٢/١

⁽V) شخصية ص ۱۷۳

⁽٨) المصدر السابق

ولو فرض أن دعوة الشيخ قد بدأت في نجد حوالي سنة ١١٤٥ هـ فإن هذه الرسالة _ حسب العبارة السابقة _ تكون قد كتبت خطيا سنة ١١٨٥ هـ تقريبا. ومن المعروف أن المويس قد توفى قبل هذا التاريخ بعشر سنين (١).

ومما سبق يتضح أنه رغم قلة ما أثر عن الشيخ محمد بن عبدالوهاب من رسائل شخصية، فإن نسبة قليلة من هذا المأثور تحتاج الى تدقيق وإعادة نظر.

أسلوب الرسائل:

إذا كان لأسلوب الكاتب دور في اكتشناف حقائق شخصيته، فإن رسائله أبلغ من كتاباته الأخرى في إلقاء الضوع على تلك الحقائق. ولعل أهم نقطة يلاحظها المتأمل في أسلوب رسائل الشيخ، تمسك كاتبها بالأصالة والبساطة.

فأغلب هذه الرسائل يبدأ بمثل العبارة الآتية:

«من محمد بن عبدالوهاب إلى فلان بن فلان. سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. ربعد:».

ومن الواضح أن هذا الأسلوب ينسجم انسجاما كاملا مع المحيط العربى اندى كان الشيخ عاتشا فيه: ذلك المحيط الذي لم يشهد آنذاك غزو المؤثرات الأجنبية، وهو في نفس الوقت يتفق اتفاقا تاما مع أساليب السلف الصالح من هذه الأمة الإسلامية. وفي ذلك ما يوضح رغبة الشيخ في تتبع خطى أولئك السلف في هذا المضار.

لكن بالرغم من أن التمسك بالأصالة والبساطة كان الصفة الغالبة في أسلوب الشيخ، فانه كان _ فيا يبدو _ على استعداد للتنازل قليلا عن هذا التمسك اذا كان يظن أن في التنازل مصلحة عامة لدعوته؛ فهو _ مثلا _ كان يدرك مكانة علماء مكة ومدى تأثيرهم سلبا أو إيجابا في مسيرة الدعوة، ولذلك خرج أسلوبه في رسالته اليهم عن أسلوبه المعتاد في كثير من رسائله.

فجاءت ديباجتها مشتملة على نوع من السجع المتكلف:

«من محمد بن عبدالوهاب إلى العلماء الأعلام في البلد الحرام. نصر الله بهم سيد

⁽٩) ابن بشر: عنوان المجد.. طبعة ٢ لوزارة المعارف، ١٣٩١ جـ ١ ص ٤ ـ ٥٥

الأنام، عليه أفضل الصلاة والسلام، وتابعي الأئمة الأعلام سلام عليكم ورحمة الله وركاته» (١٠٠).

وكان ـ أيضا ـ يقدر مكانة حاكم تلك المدينة المقدسة وتأثيره الإيجابي لو تعاون مع دعوته. ولذلك بدأ رسالته اليه بعبارات تدل على نوع من المهارة في المجاملة اللبقة. فلم يتوقف به الأمر عند التفخيم والدعاء بالعز في الدارين؛ بل تجاوزه الى الإشارة الذكية بأن الشريف بصفته النسبية أولى بنصرة الدعوة:

«بسم الله الرحمن الرحيم المعروض لديك أدام الله فضل نعمه عليك حضرة الشريف أحمد بن الشريف سعيد أعزه الله في الدارين، وأعز به دين جده سيد الثقلين أن الكتاب لما وصل الى الخادم، وتأمل ما فيه من الكلام الحسن رفع يديه بالدعاء الى الله بتأييد الشريف» (۱۱).

والشيخ اذ يؤمل انضهام رئيس قبيلة كبيرة الى دعوته يضيف فى أول رسالته اليه ما يعتقده من عوامل التأثير. فهو حين كتب الى زعيم إحدى القبائل فى الشام قال:

«من محمد بن عبدالوهاب إلى الشيخ فاضل آل مزيد، زاده الله من الإيمان وأعاذه من نزعات الشيطان. أما بعد:»(١٢).

وإذا كان المتأمل فى أسلوب الشيخ يرى تمسك صاحبه بالأصالة والبساطة فإنه يلاحظ _ أيضا _ من خلاله ذكاءه ومحاولته بالاستفادة من كل ما يراه مفيدا لمصلحة دعوته. فبالإضافة الى ما تقدم نراه حين محاول كسب أهل منفوحة والرياض عن طريق قاضى الدرعية، يصفه فى رسالته اليهم بقوله:

«إن عبدالله بن عيسى ما نعرف فى علماء نجد ولا علماء العارض ولا غيره أجل منه» (١٣).

⁽۱۰) روضة ۱٤٤/۲

⁽١١) روضة ٨٠/٢ ويلاحظ أن كلمة «حضرة» بمعناها هنا لم ترد في كتابات الشيخ الا في موضعين: أحدهما في هذه الرسالة، والثانى: في رسالته الى السويدى في العراق. ولعل السبب في استعماله لها في هذين الموضعين فقط اعتقاده أن التأثر بهذا النوع من الأسلوب واضح في القطرين الحجازى والعراقي.

⁽۱۲) روضة ۱/۱۵۱

⁽۱۳) روضة ۱٤٦/١

مع أنه يخاطبه في رسالة أخرى بقوله:

«أنتم ومشائخكم ومشائخهم لم يفهموا دين الإسلام ولم يميزوا بين دين محمد صلى الله عليه وسلم ودين عمرو بن لحي» (١٤).

ومن ذلك _ أيضًا _ إثارة النخوة في نفس المخاطب. فهو يحاول إقناع مخاطبه بقوله:

«إن لك عقلا، وإن لك عرضا تشح به، وإن الظن فيك إن بان لك الحق انك ما تبيعه بالزهايد» (١٥٠).

ويستثير همم أهل شقراء ضد خصوم الدعوة بقوله:

«والله العظيم إن النساء في بيوتهن يأنفن لكم، فضلا عن صاصيم بني زيد» (١٦).

بل إن حبه لنجاح دعوته جعله يقوى عامل الأمل على بادرة اليأس، فهو يخاطب عبدالله بن عبداللطيف الإحسائي بقوله:

«ما أحسنك لو تكون في آخر هذا الزمان فاروقا لدين الله كعمر رضي الله عنه في أوله» (۱۷).

مع أنه كان _ فيما يبدو _ يئسا من استجابته له حيث يقول فى نفس هذه الرسالة: «وإنما كتبت لكم هذا معذرة من الله ودعوة الى الله لأحصل ثواب الداعين إلى الله، وإلا أنا أظن أنكم لا تقبلونه، وأنه عندكم من أنكر المنكرات» (١٨).

ومما يلاحظه المتأمل في رسائل الشيخ اتصافه في حالات قليلة بنوع من الحدة. وهو أمر ذكره عن نفسه في رسالته الى عبدالله بن عيسى وابنه عبدالوهاب (١٩٠). وكانت هذه الحدة تظهر عادة في التعامل مع خصم نشط الحركة، أو عدو يبدو الأمل في إقناعه ضعيفا حدا.

فالشيخ _ مثلا _ يبدأ رسالته الى خصمه اللدود سلمان بن سحيم بالعبارة التالية:

⁽١٤) روضة ١٥٥/١

⁽۱۵) روضة ۱۰۷/۱

⁽١٦) شخصية ص ٢٩٢

⁽۱۷) روضة ۱/٤٥

⁽۱۸) روضة ۳/۱ ـ ۵۶

⁽۱۹) روضة ۱۵۷/۱

«الذى يعلم به سليان بن سحيم أنك زعجت قرطاسة فيها عجائب. فإن كان هذا فهمك فهو من أفسد الأفهام»(٢٠).

و يخاطبه فيها بقوله :

«صار لكم عند ضهامة في معكال، قصاصيب وأشباههم يعتقدون أنكم علماء» وقوله: «أنت رجل جاهل مشرك مبغض لدين الله» (٢١).

و يعبر الشيخ عن انفعاله أحيانا بأسلوب تهكمى لاذع. فهن يصور عبدالله المويس بصورة من يقول:

«اعرفونی اعرفونی ترای جای من الشام» (۲۲).

وأحياناً لا يذكر اسمه، وإنما يرمز اليه «بصاحب الشام» أو «شاميكم» (٢٣)

وأسلوب الشيخ في رسائله الشخصية متقيد - على العموم - باللغة الفصحى وقد أعد إعرابها. لكنه في أحيان قليلة يخرج عن هذا التقيد، فترد فيه عبارات أو كلمات يمكن أن تعتبر لغة عامة. وهذا الأمر شائع في رسائل الشيخ الى النجديين بصفة خاصة .

ففى رسالته الى محمد بن عباد وردت عبارة:

«تذكر ان ودك نبين لك ان كان فيها شي عاترك»

وفى رسالته الى عبدالله بن سحيم يقول:

«فلها غربلك الله بولد المويس»...« لا وجه سميح ولا بنت رجال»

ورسالته الى قاضى الدرعية وابنه أكثر احتواء من غيرها على مثل هذه التعبيرات. بل ان هذه التعبيرات هي الصفة الغالبة فيها ٠

⁽۲۰) روضة ۱۳۸/۱ و۱٤۲

⁽۲۱) روضة ۱۰۰/۱

⁽۲۲) روضة ۱۹/۱ ـ ۱۲۱

⁽۲۳) روضة ۱۰٤/۱

⁽۲٤) روضة ۱۰۲/۱ و۱۱۳

⁽۲۵) روضة ۲/۱ ـ ۱۵۷

الرسائل والظروف المحيطة بالدعوة :

الحالة الدينية في نجد عند ظهور دعوة الشيخ

تحدث ابن غنام وابن بشر وغيرها من أنصار دعوة الشيخ محمد عن الحالة التي كان يعيشها النجديون قبيل بدء هذه الدعوة. وقد أعطى هؤلاء صورة قاقة عن تلك الحالة. لكن ابن بشر نفسه أشار الى وجود علماء نجديين كانوا يتصفون بصفات جليلة. والدارس لما كتبه أولئك العلماء، مثل المنقور، يرى وضوح تلك الصفات فيهم. والمتأمل في سوابق ابن بشر يلاحظ أن حاضرة نجد، على الأقل، كانت بصفة عامة تقوم بالواجبات الدينية من صلاة وصوم وزكاة وحج. وماورد من شعر تلك الفترة، كشعر جبر بن سيار، ورميزان ابن غشام، وحميدان الشويعر لايتفق مع الضورة القاتمة التي تصف بها بعض المصادر حالة نجد أنذاك. ومع ذلك : فإن ماورد في رسائل الشيخ محمد يسهم إسهاما كبيرا في إيضاح كثير من جوانب الحالة الدينية في نجد قبيل بدء دعوته.

من المعروف أن قضية الاعتقاد بالأولياء أو من تعتقد ولايتهم، كانت من الأمور المهمة التي قام حولها نقاش حاد بين الشيخ محمد وخصومه، ورسائله الشخصية حافلة بالحديث عنها من عدة جوانب. فهي تحتوى على أسهاء تذكر أن بعض النجديين كانوا يعتقدون بأصحابها. ومن هذه الأسهاء: شمسان وداريس وتاج (٢٦). وتذكر الرسائل أن مما كان يفعله أصحاب هذه الأسهاء أخذ النذور من الناس (٢٠٠). كها أنها تذكر - أيضا -

⁽۲٦) روضة : ۱۳۰/۱، ۱۵۵، ۱۷۸، ۱۸۵، ۲۱۸، ۲۱۹، ۲۲۱، ویلاحظ أن الشیخ أحیانا یقول : أولاد شمسان وأولاده (روضة ۲۲۲۱)، أو یقول : محمد بن شمسان (روضة ۲۲۲۱)، أو یقول : محمد بن شمسان (روضة ۲۲۲۱).

⁽۲۷) روضة ۲۱٦/۱.

أسهاء بعض من كانوا يعتقدون بأولئك الأشخاص (۲۸). و يستفاد من رسائل الشيخ أن هذه الأمور كانت متوافرة في مناطق نجدية دون أخرى: فمنطقة العارض ومايليها جنوبا _ خاصة الخرج _ كانت متأثرة بها، بينا كانت منطقة القصيم _ مثلا _ خلاف ذلك.

فقد ذكر الشيخ في رسالته الى عبد الله بن على ومحمد بن جماز أن «أهل القصيم غارهم أن ماعندهم قبب ولا سادات».. لكنه كان يأخذ عليهم عدم معاداتهم لأهل الشرك (٢٩).

ورسائل الشيخ توضح موقفه ممن يرضون باعتقاد الناس بهم، ويأخذون النذور، غاية التوضيح. فقد كان يكفرهم. وغالبا ماوصفهم بالطواغيت. لكنه أحيانا يصفهم بصفات أخرى مثل: المردة الشياطين أو الكلاب (٣٠).

ومما يتعلق بالقضية السابقة موضوع التصوف. ومن المعروف ـ أيضا ـ..معارضة الشيخ للتصوف أو لبعض أنواعه على الأقل. ولعل من أطرف إشارات معارضته له لمزه لخصمه عبد الله المويس بأن أحد مشائخ مشائخه كان متصوفا، وكان يلقب بلقب العارف بالله (۲۱). ومما يتوقعه المرء خلو محيط مثل المحيط النجدى آنذاك من المذاهب الصوفية. لكن رسائل الشيخ تشير الى وجود أفراد متصوفة على مذهب ابن عربي وابن الفارض، مثل ولد موسى بن جدعان، وسلامة بن مانع (۲۲). وأفراد مغمور ون كهذين الرجلين من الغريب أن تكون بينهم وبين مذهب فلسفي في نزعته أية صلة. لكن اذا سلم بصحة ماورد في رسالة الشيخ، فانه يلاحظ انحصار ذلك الأمر في معكال التي تكون جزءا من مدينة الرياض الحالية.

⁽۲۸) مثل طالب الحمض: انظر روضة ٢/١٠٤، ١٥٤، ١٥٦.

⁽۲۹) شخصیة ص ۲۳۲.

⁽۳۰) روضة ۱۷۸/۱ و ۲۱۷.

⁽۳۱) روضة ۱۲۰/۱.

⁽۳۲) روضة ۱٤٧/١.

وتشير رسائل الشيخ ـ أيضا ـ الى أن سليان بن سحيم كان يذهب لحضور المولد ويقرأه على الناس، وأنه كان يكتب الحجب المشتملة على الطلاسم (٣٣). وكان سليان من سكان معكال المذكورة سابقا.

وعبارة الشيخ لاتنص بصراحة على حدوث الاحتفال بالمولد في نجد. وهي على أية حال الإشارة الوحيدة من الشيخ وغيره التي قد يفهم منها حدوث هذا الأمر في المنطقة.

ومن الأمور المتى ناقشتها رسائل الشيخ والمتعلقة بالتصوف والأولياء، مسألة كتابي دلائل الخيرات، وروض الرياحين. ويفهم من النقاش حولها أنها كانا من الكتب المقررة في نجد آنذاك. وقد ادعى سليان بن سحيم في رسالته التي بعثها الى العلماء خارج هذه المنطقة أن الشيخ أحرقها (٢٤). وقد نفى الشيخ في رسالته الى السويدى إحراقه للكتاب الأول، وذكر أن سبب ماروج عنه حول هذا الموضوع أنه أشار على من قبل نصيحته ألا يصير في قلبه أجل من كتاب الله، ويظن أن القراءة فيه أنفع من قراءة القرآن (٢٥٠). كما نفى ابن غنام إحراق الشيخ لكتاب روض الرياحين (٢١٠). وقد يبدو للبعض نوع من الغرابة في تعليل الشيخ لما أشيع عنه حول كتاب دلائل الخيرات. ذلك أن الإحراق شيء والنصيحة بألا يصير في قلوب الناس أجل من كتاب الله شيء آخر. ومن الملاحظ أن الإمام الصنعاني قد مدح الشيخ بقوله:

وحرق عمدا للدلائل دفترا . أصاب ففيها مايجل عن العد ولم يعلق ابن غنام وابن بشر اللذان أوردا هذا البيت في تاريخيها بأى شيء عليه (٣٠)، كما يلاحظ أن الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب حين تكلم عن الدعوة قال:

⁽۳۳) روضة ۱٤٠/۱

⁽٣٤) روضة ١١٢/١.

⁽٣٥) روضة ١٥٣/١.

⁽٣٦) روضة ١٢٩/١.

⁽۳۷) روضة ۷/۱: عنوان ۱۹/۱.

«ولا نأمر بإتلاف شيء من المؤلفات أصلا إلا مااشتمل على مايوقع الناس في الشرك كروض الرياحين» (٢٨).

حالة البادية:

وتشير رسائل الشيخ محمد الى مسألة في غاية الأهمية وإن لم تكن من المسائل التي كثر النقاش حولها بين أنصار الدعوة وخصومها. فالشيخ يذكر أن كثيرا من أبناء البادية كانوا لايمارسون الواجبات الدينية؛ بل إن كثيرا منهم كانوا لايممنون بقضية مهمة من قضايا العقيدة، وهي البعث بعد الموت. ففي رسالته الى محمد بن عيد يقول:

«ومن المعلوم عند الخاص والعام ماعليه البوادى أو أكثرهم... ففيهم من نواقض الاسلام أكثر من مائة ناقض» (٢٩).

وفي رسالته إلى سليان بن سحيم يقول:

«ومعلوم أن أهل أرضنا وأرض الحجاز الذي ينكر البعث منهم أكثر ممن يقر به، وأن الذي يعرف الدين أقل ممن لا يعرفه، والذي يضيع الصلوات أكثر من الذي يحافظ عليها، والذي يمنع الزكاة أكثر ممن يؤديها» (٤٠٠).

وإذا علم أن البادية أنذاك كانت تشكل قسما كبيرا من سكان هذه المنطقة، أدركت خطورة هذه المسألة. ولقد كان حدوث مثل هذا الأمر متوقعا لسيادة الجهل الدينى لدى هؤلاء _ كما تشير إليه عبارة الشيخ الأخيرة _ ولعدم وجود سلطة مهتمة بهذا الموضوع.

⁽٣٨) الدرر السنية ١٢٧/١.

⁽۳۹) روضة ۱۰۸/۱.

⁽٤٠) روضة ١٤٤/١.

ولعل هذا هو السبب الأساسى فى توقف الشيخ فى الحكم على من اتصفوا بالصفات المذكورة فى بداية دعوته، كما ذكر ابن غنام (۱٬۵۰). لكن لا بد أن ذلك التوقف لم يدم حين توافرت فيهم الشروط التى ذكرها الشيخ فى رسالته إلى أحمد بن ابراهيم:

«تعرفون أن البادية قد كفروا بالكتاب كله، وتبرأوا من الدين كله، واستهزأوا بالخضر الذين يصدقون بالبعث، وفضلوا حكم الطاغوت على شريعة الله، واستهزأوا بها مع إقرارهم أن محمدا رسول الله وأن كتاب الله عند الحضر، لكن كذبوا وكفروا واستهزأوا عنادا» (٢٤٠).

بدء الدعوة في نجد:

من المعروف أن دعوة الشيخ قد بدأت في نجد قبل وفاة أبيه سنة ١١٥٣هـ. فقد ذكر ابن بشر أن الشيخ أقام على الدعوة مدة سنين حتى توفى أبوه (٢٤٠). وهذا يعني أن الدعوة قد بدأت سنة ١١٥٠هـ أو قبل ذلك. ومن هنا فإن كلامه لايحدد السنة التي بدأت فيها الدعوة. وليس في رسائل الشيخ مايفيد إفادة كاملة في هذا التحديد، لكن فيها مايلقي بعض الأضواء. فقد وردت في رسالته الى عبد الله بن عبد اللطيف الأحسائى عبارة: «اجتمعت بك من نحو عشرين» (٤٤٠).

وقد ذكر في القسم الخامس من مؤلفات الشيخ أن هذه العبارة وردت في بعض النسخ :

«اجتمعت بك من نحو عشر سنين» (٤٥).

⁽٤١) روضة ٢٣/١.

⁽٤٢) روضة ٦/١ ـ ١٦٤.

⁽٤٣) عنوان ٢١/١.

⁽٤٤) روضة ١/٠٥

⁽٤٥) شخصية ص ٢٥٠.

وواضح أن العبارة في هذه النسخة تبدو أصح من العبارة الواردة في تاريخ ابن غنام. واذا سلم بصحتها فإن الشيخ كان في الأحساء قبل كتابته لهذه الرسالة بعشرة أعوام. فمتى كتبت هذه الرسالة؟

ليس هنالك نص محدد في تاريخ ابن غنام على زمن أو مكان كتابتها؛ لكن المتأمل في رسائل الشيخ يمكنه أن يستنتج بعض الأمور التي قد تساعد في هذا الموضوع. فقد ذكر الشيخ في رسالته الى عبد الله أنه تألم لكتابته مع أهل الأحساء ضده (٢٤٠). وذكر في رسالتيه اللتين بعثها من العيينة الى عبد الله بن عيسى وابنه عبد الوهاب أنها كانا يستهزءان بجواب ابن فيروز، وأن أمر عبد الوهاب أشق عليه من أمر أهل الأحساء (٢٤٠). فإذا كان عبد الله بن عبد اللطيف قد كتب مع أهل الأحساء، وكانت كتابتهم حين كان الشيخ في العيينة، فإنه من المرجح أن تكون رسالة الشيخ اليه قد كتبت في هذه البلدة. لكن اذا كان من المعروف متى سافر الشيخ من العيينة الى الدرعية فإنه من غير المعروف يقينا متى قدم من حريماء الى العيينة. فقد يكون قدومه اليها بعد شهور من وفاة أبيه، وقد يكون بعد سنة أو سنتين. واذا فإنه من المحتمل أن تكون اقامته في العيينة بين سنتي ١٩٥٣ (١٩٧٩هـ، وعلى هذا الأساس فإن رسالته المذكورة تكون قد كتبت في هذه الفترة، ويكون اجتاعه بعبد الله بن عبد اللطيف في الأحساء على الواقعة بين سنتي ١١٤٣ (١٩٤٩هـ. وبما أن الشيخ لم يطل الاقامة في الأحساء على الأرجح، فإن وصوله الى نجد من أسفاره خارجها كان أيضا في الفترة المذكورة. ومعلوم الريخيا أنه بدأ دعوته في حريملاء بعد وصوله اليها مباشرة.

ولاشك أن معارضة بعض علهاء نجد للشيخ قد بدأت منذ بدئه الدعوة،وقد ذكرت المصادر الأصلية حدوث المعارضة له قبل وفاة أبيه، وفي رسائله مايؤيد ذلك، فقد جاء في رسالة له من العيينة أن عبد الوهاب بن عيسى كان يعمل ضد الدعوة منذ أكثر من خمس سنين (٤٨). وذلك يعنى أن معارضته قد بدأت منذ سنة ١١٥٢هـ على الأقل.

⁽٤٦) روضة ١/٥٠.

⁽٤٧) روضة ٧/١ ـ ١٥٨.

⁽٤٨) روضة ٧/٧٥١.

أسلوب الدعوة:

تبين رسائل الشيخ أن من أساليب نشر دعوته مراسلة من كان يعتقد تأثيرهم على الناس؛ سواء من أمراء المنطقة أو علمائها، وإجاباته عن أسئلة من كتبوا اليه يستفسر ون عن حقيقة هذه الدعوة أو جانب من جوانبها ((13)). ومن بين تلك الأساليب _ أيضا ماكان يقوم به الأنصار والدعاة في البلدان النجدية المختلفة من شرح للدعوة أو مجادلة لخصومها. فكان ابن عيدان _ مثلا _ أحد المدافعين عنها في الوشم ((00)). وكان موسى بن سليم يقرأ رسالة كتبها الشيخ وعلق عليها أحد خصومه معترفا بصحة مافيها في عدة بلدان من إقليم العارض ((10)). وكان ابن صالح يجادل سليان بن سحيم في مجلس زعاء بلدة الرياض. ((10)).

وفي رسائل الشيخ مايؤيد قول ابن غنام من أنه كان في بداية أمره يدعو معارضيه بأسلوب هادىء. فهو يقول في رسالته الى أحمد بن يحيى :

«هذا ابن اسهاعيل والمويس وابن عبيد جاءتنا خطوطهم في إنكار دين الإسلام.. وكاتبناهم، ونقلنا لهم العبارات، وخاطبناهم بالتي هي أحسن ومازادهم ذلك إلا نفوراً» (٥٠٠).

ويقول عن عبد الله المويس أيضا:

«استدعيته أولا بالملاطفة، وصبرت منه على أشياء عظيمة» (٥٤).

ويبدو أن هذا الأسلوب اللين كان متبعا في مرحلة مبكرة جدا من نشاط الدعوة. وكان

 ⁽٤٩) هذا الأمر واضح في أكثر رسائله ويبدو أن هذا الاسلوب قد حقق نجاحا طيباً، كها كانت الحال بالنسبة لقاض الدرعية الذي ذكر الشيخ أنه كان من أكبر أسباب قبول الناس للدين. انظر روضة ١٥٦/١.

⁽۵۰) روضة ۹۷/۱.

٥١) روضة ١٤٠/١.

۵۲) روضة ۱٤١/١.

٥٣) روضة ١٧٢/١.

⁽٥٤) روضة ١٠٣/١.

اتخاذه في البداية ضروريا لعدة أسباب، منها ما يتوقعه المرء من أن المعارضة في بداية الأمر لم تكن عنيفة جدا، لأن الدعوة آنذاك لم تكن قد حققت من النجاح مايشعر معارضيها بالخطر، ويدفعهم بالتالي الى انتهاج أسلوب قوى ضدها. واذا سلم بذلك فإنه كان من المتوقع أيضا أن يكون موقف صاحب الدعوة تجاههم غير شديد. ومنها أن الشيخ كان يأمل في اجتذاب بعض المعارضين الى جانبه. والأسلوب اللين من عوامل كسب الآخرين. ومنها أن الشيخ كان يحس بغرابة بعض ماكان يدعو اليه لدى مجتمعه. ومن هنا كان لابد من انتهاج أسلوب اللين - مرحليا على الأقل - لئلا يكون رد الفعل في غير صالح الدعوة.

يقول الشيخ في إحدثي رسائله:

«لولا أن الناس الى الآن ماعرفوا دين الرسول، وأنهم يستنكرون الأمر الـذى لم يألفوه لكان شأن آخر، بل واللـه الـذى لاإلله الا هو لو يعرف النـاس الأمـر على وجهه، لأفتيت بحل دم ابن سحيم وأمثاله ووجوب قتلهم» (٥٥٠).

ومن المعروف بطبيعة الحال أن زعماء الدعوة حين رأوا الظروف مناسبة، اتخذوا أهم أسلوب من أساليب نشرها، وهو الجهاد.

المعارضة النجدية:

واضح من رسائل الشيخ أن دعوته لقيت معارضة شديدة من قبل بعض علماء نجد. فالمتتبع لها يلاحظ أن أكثر من عشرين عالما أو طالب علم وقفوا ضدها في وقت من الأوقات. ويأتى في مقدمة هؤلاء المعارضين عبد الله المويس من حرمة، وسلمان بن سحيم من الرياض.

ويستفاد من هذه الرسائل أن معارضي الشيخ من النجديين كانوا مختلفي المواقف.

⁽٥٥) روضة ٦/١ ـ ١٥٧.

فمنهم من عارضه منذ البداية واستمر في معارضته (٥٦)، ومنهم من كان يعترف في بداية الأمر بأن ماجاء به الشيخ أو بعضه حق، لكنه غير موقفه مع مرور الزمن (٥٧)، ومنهم -أيضا _ من كان متأرجحا في تأييده ومعارضته (٥٨). وتوضح الرسائل أن النجديين المعارضين أعطوا أسهاء مختلفة لما تضمنته الدعوة؛ قالوا عنه دين أهل العارض (٥١)، وقالوا إنه مذهب خامس (١٠)؛ كما ادعوا أنه بدعة خرج أول ماخرج من خراسان (١١).

ويبدو أن أسباب معارضة أولئك النجديين للدعوة كانت متعددة؛ رغم توافر بعض الأسباب لدى الجميع فإن بعضها قد توافر عند شخص دون آخر، ومن غير العدل إهمال جانب الاقتناع الشخصى لدى فريق من هؤلاء بعدم صحة بعض ماكان يدعو اليه الشيخ. كما أنه من السطحية عدم ملاحظة تغير موقف البعض طبقا لانتقال الدعوة من مرحلة الى أخرى، ومناداتها بأمور لم تكن تنادى بها، أو تطبيقها أمورا لم تكن تطبقها في بداية الأمر. ولعل أوضح دليل على ذلك ماذكره الشيخ نفسه في إحدى رسائله حيث

«صدقنى من يدعي أنه من العلماء في جميع البلدان في التوحيد وفي نفي الشرك، وردوا علي التكفير والقتال (٦٢).

وقوله في رسالة أخرى :

«إنهم يقولون لو يترك أهل العارض التكفير والقتال لكانوا على دين الله و رسوله ^(٦٢).

⁽٥٦) من هؤلاء المويس.

⁽٥٧) مثل ابن سحيم.

⁽٥٨) مثل عبد الله بن عيسى.

⁽٥٩) روضة ١٦٧/١.

⁽٦٠) , وضة ١٣٩/١.

⁽٦١) روضة ١٠٢/١ و ١١٦.

⁽٦٢) روضة ٧/١ ـ ١٠٨.

⁽٦٣) روضة ١٥٠/١.

ومن المعروف أن قتال أصحاب الدعوة لخصومهم لم يحدث في أول بدايتها.

ويعطى الشيخ في إحدى رسائله سببين أساسيين لتغير موقف بعض العلماء من الاعتراف بصحة الدعوة الى مناوأتها : الأول : أن العامة ستقول اذا كان مايدعو اليه الشيخ هو الحق فلم لم تدعونا اليه قبله؟ وعدم سؤال العامة لهم عنه لايبرر سكوتهم. وهذا يمكن أن يقال عنه بعبارة أخرى : إن هؤلاء.. المعارضين خافوا أن يفقدوا مكانتهم الاجتاعية، لأن الناس سيتساءلون عن علمهم وإخلاصهم، فإن كانوا لم يعرفوا الحكم قبل الشيخ فعلمهم قليل. وإن كانوا علموا الحكم وأخفوه فإخلاصهم مفقود. وفي كلتا الحالتين إضعاف لمكانتهم. والسبب الثانى: لتغير موقفهم في نظر الشيخ إنكاره عليهم أكل السحت والرشوة (١٤٠).

ومن الممكن قبول السبب الثاني من تعليل الشيخ السابق، لأن هذا الموضوع كان بطريقة مابين المسائل التى ذكرها ابن سحيم في رسالته الموجهة الى العلماء خارج نجد ليقفوا ضد الدعوة (١٠٥). لكن السبب الأول من التعليل لا يمكن قبوله دون تحفظ، فلو كان سليان بن سحيم وأمثاله يرون أن اعترافهم بصحة الدعوة قد يهز من مكانتهم الاجتاعية، لما اعترفوا بصحتها منذ البداية. ولعل السبب الأساسي في تغير موقفهم انتقال الدعوة من طور الى آخر مختلف نوعا ما.

وتشير الرسائل _ أيضا _ الى أن تغير موقف بعض المعارضين النجديين كان نتيجة تأثير البعض الآخر، كها حدث بالنسبة لتأثير المويس على عبد الله بن سحيم (٢٦٠). كها تشير الى أن عدم انضهام بعض علهاء نجد الى الدعوة ناتج عن عدم القدرة على اقناع الأمراء بها (٢٠٠).

⁽٦٤) روضة ١١٤/١.

⁽٦٥) روضة ١١٣/١.

⁽٦٦) روضة ١١٦//١.

⁽٦٧) روضة ١٠٩/١ و ١٦٢.

وتبين الرسائل أن نشاط المعارضة النجدية للدعوة كان مختلف الجوانب. وفي مقدمة أوجه ذلك النشاط الكتابة ضدها. والمتأمل في هذه الرسائل يرى كثرة تلك الكتابة، وإن كان من المتوقع أن أغلبها لم يكن طويل المحتوى. ويأتى في طليعة هؤلاء الكتاب المعارضين، سليان بن سحيم، وعبد الله المويس، وسليان بن عبد الوهاب. ومن الجدير بالمذكر أن بعض ماكتبه المعارضون النجديون - باستثناء الأخير من الثلاثة المذكورين - يكاد يكون مفقودا. ولاشك أن أصول كتاباتهم لو وجدت لكان ارتياح الباحث اليها أعظم. لكن رسائل الشيخ - على أية حال - تلقى أضواء على بعض مضامين تلك الكتابات. فقد ورد في هذه الرسائل أن سليان بن سحيم كتب أربعة أشياء : أولها تلك الرسائة التي بعثها الى العلهاء خارج نجد والتي أورد ابن غنام نصها في تاريخه (١٨٠). وقد أورد فيها كاتبها خس عشرة مسألة اعتبرها مآخذ على الشيخ.

الثاني: رسالة وصلت الى عبد الله بن سحيم. وقد ذكر الشيخ في رسالته الى عبدالله أنها تحتوى على أربع وعشرين مسألة (٢٩٠). وهي وإن اشتملت على بعض ماجاء في رسالة سليان الى العلماء خارج نجد.. الا أنها لاتحتوى عليها كلها، كما يتضح من جواب الشيخ. وهي - أيضا - تشتمل على مسائل لم ترد في رسالة سليان المذكورة أولا. (٧٠٠).

الثالث: رسالة أشار اليها في رسالته الى سليان بقوله: «انك زعجت قرطاسة فيها عجايب» (٧١).

وماناقشه الشيخ في هذه الرسالة يوضح أن رسالة سليان أو قرطاسته المشار اليها هنا غير الرسالتين السابقتين (٧٢).

⁽٦٨) روضة ١١/١ ـ ١١٣.

⁽٦٩) روضة ١٣/١ _ ١٣٢. ويلاحظ أن ابن غنام أورد رسالة الشيخ على أنها ردا على رسالة سلمان الموجهة الى العلماء خارج نجد.

⁽٧٠) قارن ماجاء في الرسالتين : روضة ١١/١ ـ ١١٣ و ١٣/١ ـ ١٢٢.

⁽۷۱) روضة ۱۳۸/۱.

⁽۷۲) قارن روضة ۱۳۸/ ـ ۱۶۱، روضة ۱۱/۱ ـ ۱۱۳ و ۱۳/۱ ـ ۱۲۲.

الرابع : أوراق ذكر الشيخ أنه وقف عليها. ومضمونها مختلف عها جاء في الكتابات المذكورة سابقا (٧٣).

أما المويس، فقد أشار الشيخ في رسالته الى عبد الله بن سحيم الى أنه ألف كتابا بعثه الى أهل الوشم. وقال إنه مشتمل على ثلاثة موضوعات :

الأول : علم الأسهاء والصفات أو العقائد.

والثاني: التوحيد والشرك.

والثالث: الاقتداء بأهل العلم.

وقد ناقش الشيخ الموضوعين الأولين في رسالته الى عبد الله، لكنه ترك مناقشة الموضوع الثالث؛ لأنه كها يقول قد أرسل رأيه حوله الى المويس نفسه (٧٤).

الوجه الثاني من أوجه نشاط المعارضة النجدية : مجادلة أنصار الدعوة في البلدان المختلفة. مثال ذلك : مجادلة ابن اسهاعيل جماعة الشيخ في ثرمداء، ومجادلة سليان بن سحيم لابن صالح في مجلس الشيوخ في الرياض (٧٥).

الوجه الثالث من أوجه ذلك النشاط: الاتصال بالعلماء، وذوى النفوذ خارج نجد وتحريضهم ضد الشيخ ودعوته. مثال ذلك: ماذكر سابقا من إرسال سلمان بن سحيم كتابا إلى العلماء خارج نجد، وشكواه له عند أهل الحرمين (٢٦). وقد ركب المويس وخواص أصحابه إلى أهل قبة الكواز وقبة رجب يخبرونهم بإنكار الشيخ لما هم عليه، ويستثير ونهم ضده (٧٧). كما ركب المويس مع ابن ربيعة وابن اسماعيل إلى أهل قبة أبى طالب وأغروهم بعدم اتباع الشيخ (٨٧).

⁽۷۳) روضة ۱۸/۱ ـ ۲۲۰.

⁽۷٪) روضة ۷/۱۰ ـ ۹۷٪.

۷۵) روضة ۱۰۲/۱ و ۱٤۱.

⁽٧٦) روضة ١٣٩/١.

⁽۷۷) روضة ۱/۹/۱ و ۱۹۰.

⁽۷۸) روضة ۱۰۹/۱ و ۱۲۰.

وواضح أن الاتجاه الى الاستنجاد بالخارج يعكس إدراك المعارضين النجديين لضعفهم أمام دعوة الشيخ وفشلهم في إيقافها.

الوجه الرابع من وجوه نشاط المعارضين المحليين: ترويج الكتب التي ألفها علماء غير نجديين ضد الدعوة بين الناس، كما روج المويس وابن عبيد كتاب القباني البصرى، وكما روج المويس وابن اسماعيل كتاب ابن عفالق (٧٩).

علماء الأحساء والدعوة :

وتلقى رسائل الشيخ أضواء على الدور الذى قام به بعض علماء الأحساء تجاه دعوته، وتبين أوجه النشاط التي كانوا يزاولونها، ومن ذلك كتابة الكتب ضده، وإرسالها الى زعماء المعارضة النجديين لتأييدهم أو إقناع من كان منضها اليه بمفارقته. وتوضح هذه الرسائل أيضا بعض النقاط التي ركز عليها أولئك العلماء.

ومن هذه الأمور: قضية الاجتهاد، والتنويه على أن الشيخ لم يكن مؤهلا لمارسته (^^). وقد أوضح الشيخ بدوره موقفه تجاه هذا الموضوع غاية الإيضاح في رسائله (^^).

ومن تتبع رسائل الشيخ، يتضح أنه كان في طليعة العلماء الأحسائيين الذين قاموا بالكتابة ضده القاضي عبد الله بن عبد اللطيف. ومن الواضح أيضا أن الشيخ محمدا كان شديد الحرص على ضم ذلك العالم الى جانبه، أو على الأقل التزامه الحياد بينه وبين خصومه (^^^). ومن أولئك العلماء محمد بن عفالق الذي يقول الشيخ عنه إنه زعم في كتابه أن التوحيد دين ابن تيمية، وأنه لما أفتى به كفره العلماء وقامت عليه الحجة (^^^).

⁽۷۹) روضة ۱۰٦/۱.

⁽۸۱) روضة ۱/۱۵.

⁽٨٢) انظر مدح الشيخ له وتودده اليه في الرسالة التي بعثها اليه. روضة ٢٠-٥٠. وقد أشار الحداد في مصباح الأنام ص ٤ ـ٥١لى أن اسم كتاب عبد الله ضد الشيخ سيف الجهاد لمدعى الاجتهاد.

⁽۸۳) روضة ۱۰٦/۱. ومن بين كتابات ابن عفالق رسالة اسمها :

[«]تهكم المقلدين بمن ادعى تجديد الذين» وربما كانت المقصودة هنا. على أن له رسالة أخرى بعثها الى عشهان ابن معمر. وفيها الكثير من الاستشهاد بأقوال ابن تيمية.

كذلك كان منهم ابن مطلق وابن فيروز. وقد أورد الشيخ في إحدى رسائله بيتين من الشعر قال.. إن أحدهما ورد في مصنف ابن مطلق والثاني في مصنف ابن فيروز (١٠٠٠). وكان الثلاثة الأولون في نظر الشيخ أشد عداوة من ابن فيروز : فقد قال عنهم :

«أما ابن عبد اللطيف وابن عفالق وابن مطلق فحشوا بالزبيل. أعني سبابة التوحيد، واستحلال دم من صدق به أو أنكر الشرك». أما ابن فيروز فانه _ كها يقول الشيخ _ أقربهم الى الإسلام (٥٠٠).

ويبدو أن الشيخ كان يدرك خطر أولئك العلماء الأحسائيين؛ لأنه حذر محمد بن سلطان منهم تحذيرا شديدا بعد أن سمع أنه سيعرض كلامه عليهم (٨٦٠).

ومن الأمور التي أشارت اليها رسائل الشيخ، وجود القبور التي يعتقد فيها أناس من أهل الأحساء (١٨٠)، بل وجود أمور تضاد أصل الإسلام على حد تعبيره (١٨٠). ولم يكن غريبا في مثل هذه الظروف أن يعتبر الشيخ تلك المنطقة بلد مشركين (١٨٩).

الأشراف والدعوة:

سبقت الاشارة الى أن الشيخ كان يدرك أهمية علماء مكة ومدى تأثيرهم، كما كان يدرك مكانة حاكم تلك المدينة. لذلك كانت مجاملته لكل منهما واضحة في أسلوبه. وفي رسائله مايبين أن المعارضة النجدية قد أدركت أيضا هذه المكانة وتلك الأهمية. وكان أن بذل زعماؤها جهودا كبيرة لكسب قادة مكة الى جانبهم ضد الشيخ. وواضح من تلك الرسائل أن جهودهم قد أثمرت. فقد بعث علماء مكة مكاتيب الى نجد تؤيد المعارضين للدعوة (۱۰۰). واتخذ حكام تلك المدينة موقفا عدائيا منها، فسجنوا فريقا من أنصارها حين قدموا للحج، ومنعوا أتباعها من أداء فريضته مدة طويلة (۹۱).

⁽۸٤) روضة ١٦١/١.

⁽۸۵) روضة ۱۲۱۱.

⁽٨٦). شخصية ص ٤ ــ ١٦٥. ٨٧) روضة ١٩٥١.

⁽۸۸) روضة ۱۹۲۱. (۸۸)

⁽۹۰) روضة ۱۹۱/ و ۱۹۰ روضة ۱۹۱ و ۱۹۰

وكان الشيخ يعترف بحق آل البيت الذين ينتسب اليهم أشراف مكة ويقول: إن الله شرفهم على أهل الأرض (٩٢).

بل إنه لام بعض أنصاره الذين انتقدوا أحد الأشراف لسهاحه بتقبيل يده ولبسه عهامة خضراء، مشيرا الى أن لبسهم الأخضر حدث قديما تمييزا لهم لئلا يظلموا أو يقصر في حقهم من لا يعرفهم.

لكن موقفه هذا لم يمنعه من مهاجمة ماكان سائدا في منطقة تحت حكم الأشراف؛ بل إن رسائله لاتلقى الضوء على ماكان سائدا فيها مما له صلة بالعقيدة فحسب، وانما تشير الى نوع من الانحطاط الخلقي الغريب. فيقول في رسالته الى البكيلي عن الوضع في مكة :

«حتى أل الأمر بالهتيميات المعروفات بالزنا والمصريات يأتون وفودا يوم الحج الأكبر، كل من الأشراف معروفة بغيته منهن جهارا»

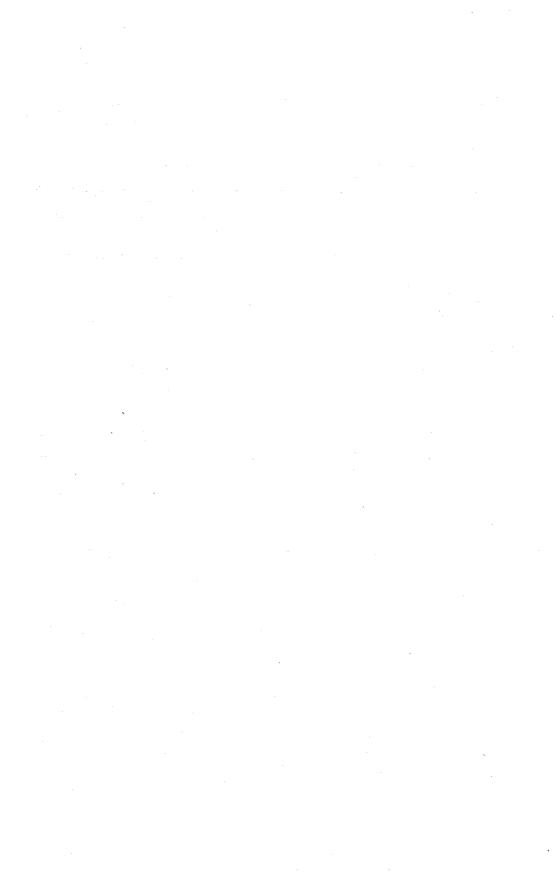
وواضح مافي هذه العبارة من تعميم دفع اليه ـ فيم يبدو ـ شعور عميق بظلم موجه ضد من كتبه. لكن وجود هذا الانحطاط الخلقي عند البعض على الأقل أمر ملفت للنظر.

أبها السادة:

إن ماورد في هذا البحث جزء مما تحتوى عليه الرسائل الشخصية للشيخ محمد وهو - كما لاحظتم - لم يتعرض لبعض أصول الدعوة المعروفة، ولم يورد مافي هذه الرسائل من مناقشة حولها. ولاشك أن من له عناية بمثل هذه الأمور سيجد في الرسائل الشيء الكثير.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.،،،

⁽۹۲) روضة ۲/۸۸



حياة الشيخ محمدُ بنَ عبدالوهابُ وآثاره العامية

کنفسیلة المشیخ ارسماعیلمحمدالانصاری

بالرئاسة العامة الإدارات المبحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية المسعود سيسة



بسمالتد الرحمن الرحسيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد سيد المرسلين، وعلى اله وصحبه أجمعين.. وبعد:

فقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها» رواه أبو داود في الملاحم من سننه، والحاكم في الفتن من مستدركه، وصححه ورواه البيهقي في معرفة السنن له، كلهم عن أبي هريرة رضي الله عنه ـ عن النبي صلى الله عليه وسلم.

والمراد بتجديد الدين إحياء مااندرس من العمل بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وإماتة ماظهر من البدع.

وقد اخترنا أن يكون موضوع بحثنا هذا أحد أولئك المجددين الذين أشار اليهم هذا الحديث الشريف، وهو شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب^(۱)الذى بزغ به في القرن الثاني عشر قمر التجديد، وانتصرت به راية التوحيد، فنقول وبالله التوفيق وهو حسبي ونعم الوكيل.

مجدد القرن الثاني عشر

هو محمد بن عبد الوهاب بن سليان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد بن بريد بن

⁽١) نقل العلامة الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن الامام محمد بن عبد الوهاب عن ابن غنام أن أكابر عصره شهدوا له بأنه من جملة المجددين لما جاء به سيد المرسلين وأن فضلاء أهل مصر والشام والعراق والحرمين تواتر عنهم الشهادة له بأنه مجدد الدين. أفاد ذلك في مصباح الظلام ص ٣٧.

محمد بن بريد بن مشرف (۲) التميمي، نسبة الى تميم الذى قال الصحابي الجليل أبو هريرة _ رضي الله عنه _ في بنيه «مازلت أحب بني تميم منذ ثلاث سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيهم: «هم أشد أمتي على الدجال قال: وجاءت صدقاتهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «هذه صدقات قومنا». وكانت سبية منهم عند عائشة فقال: «اعتقيها فإنها من ولد إسهاعيل» رواه البخارى في باب من ملك من العرب رقيقا فوهب وباع...الخ من صحيحه ج ٥ من شرح فتح البارى.

ولادته ونشأته

ولد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب سنة خمس عشرة بعد المائة والألف من الهجرة النبوية، في بيت أضاف الى شرف النسب شرف العلم؛ فإن والده عبد الوهاب كان عالما ذا معرفة تامة بالحديث والفقه وغيرهما، قاضيا وله أسئلة وأجوبة. ذكر ابن بشر في «عنوان المجد في تاريخ نجد «أنه اطلع عليها واستفاد منها. وسليان والد عبد الوهاب كان فقيه زمانه متبحرا في علوم المذهب، قد انتهت اليه الرياسة في العلم، وكان علماء نجد في زمانه يرجعون اليه في كل مشكلة من الفقه وغيره، ذكر ذلك في ص ٧٢ وقال بعد ذكره «رأيت له سؤالات عديدة وجوابات كثيرة وصنف كتابا في المناسك» وذكر أنه - أى سليان - كان معاصرا للبهوتي الحنبلي، وأنه اجتمع به بمكة المكرمة.

وذكر العلامة الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن في ترجمته للإمام محمد بن عبد الوهاب نفس ماذكره ابن بشر، قال «ووالده _ أى : الإمام محمد بن عبد الوهاب هو مفتي تلك البلاد، وجده مفتي البلاد، وآثاره وتصانيفه وفتاواه تدل على علمه وفقهه، وكان جده اليه المرجع في الفقه والفتوى، وكان معاصرا للشيخ منصور البهوتي الحنبلي خادم المذهب، اجتمع به بمكة». (٣).

وهكذا كان أعهام الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأبناء أعهامه علماء أجلاء، كما اتصل

⁽٢) روضة الأفكار والأفهام ج ١ ص ٢ .

⁽٣) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ج ٢ ص ٣٧٩ ـ طبعة مطبعة المنار.

العلم في ذرية الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب.. نسأل الله أن يستمر ذلك فيهم الى أن يرث الله الأرض ومن عليها وماذلك على الله بعزيز.

مشايخ الإمام محمد بن عبد الوهاب:

تلقى الإمام محمد بن عبد الوهاب _ رحمه الله _ العلم عن مشائخ كثيرين كما نص عليه غير واحد من أئمة العلم.

قال العلامة الشيخ حسين بن غنام في الفصل الثاني من «روضة الأفكار والأفهام» (٤) . «وأخذ - أى : الشيخ محمد بن عبد الوهاب - في القراءة على والده في الفقه على مذهب الإمام أحمد فسلك فيه الطريق الأحمدى، ورزق مع الحفظ سرعة الكتابة، فكان يحير أصحابه بحيث انه يخط بالخط الفصيح في المجلس الواحد كراسا من غير سامة ولا تعب ولا التباس. ثم بعد ذلك رحل في العلم وسار وجد في الطلب الى مايليه من الأمصار وما يحاذيه من الأقطار، فزاحم فيه العلماء الكبار، وأشرق طالعه واستنار، وثار الأمصار وما يحاذيه من الأقطار، فزاحم فيه العلماء الكبار، وأشرق طالعه واستنار، وثار العلم عن جماعة منهم : الشيخ عبد الله بن ابراهيم النجدى ثم المدنى الى أن قال : «وقد سمع - أى : الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله - الحديث والفقه عن جماعة بالبصرة كثيرة، وقرأ بها النحو وأتقن تحريره، وكتب الكثير من اللغة والحديث في تملك الإقامة، وحث على طريق الهدى والاستقامة، وكان أكثر لبثه لأخذ العلم بالبصرة ومقامه»ا.ه. والى ماذكره ابن غنام هنا يشير العلامة الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن ابن حسن بن محمد بن عبد الوهاب بقوله في «مصباح الظلام» ص ٨ : «وقد عرف طلب الشيخ للعلم ورحلته في تحصيله، كها ذكره صاحب التاريخ الشيخ حسين بن غنام الشيخ للعلم ورحلته في تحصيله، كها ذكره صاحب التاريخ الشيخ حسين بن غنام الأحسائي» (٥).

⁽٤) ج ١ص ٢٦ ط مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

⁽٥) ج ١ ص ٢٧.

وقال الشيخ عبد اللطيف في « مصباح الظلام» (٢) «وقد اجتمع - أى : الإمام محمد ابن عبد الوهاب - بأشياخ الحرمين في وقته ومحدثيها، وأجازه بعضهم، ورحل الى البصرة وسمع وناظر والى الأحساء وهي اذ ذاك آهلة بالعلماء، فسمع من أشياخها وباحث في أصول الدين ومقالات الناس في الايمان وغيره، وسمع عن والده وعن فقهاء نجد في وقته، واشتهر عندهم بالعلم والذكاء وعرف به على صغر سنه». وقال في موضع آخر من هذا المصدر «مصباح الظلام» (٧): اشتهرت رحلة شيخنا - رحمه - الله - وسهاعه للعلوم، واجتاعه بأعيان وقته، وقد أخذ الفقه عن أبيه عن جده سليان بن على - مفتي الديار النجدية في وقته - وسنده المتصل بأئمة المذهب الى الإمام أحمد معروف مقرر عندهم، وسمع الحديث من أشياخ الحرمين في وقته، وأجازه الكثير منهم، ومن أعلامهم محدث الحرمين الشيخ محمد حياة السندي، وكان له اكبر الأثر في توجيهه الى إخلاص توحيد عبادة الله والتخلص من رق التقليد الأعمى، والاشتغال بالكتاب والسنة. ورحل الى البصرة وسمع من أشياخها ورحل الى الأحساء؛ وهي اذ ذاك آهلة بالعلماء، فسمع منهم وأخذ عنهم وعرف قدرة أهل العلم والنهى».ا.ه

وقال العلامة الشيخ عبد اللطيف _ أيضا _ في ذلك في ترجمته للإمام محمد بن عبدالوهاب بعد أن ذكر قراءته الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل على والده قال (^) _ «ثم بعد ذلك رحل _ أى : الشيخ الامام محمد بن عبد الوهاب _ يطلب العلم، وذاق حلاوة التحصيل والفهم، وزاحم العلماء الكبار، ورحل الى البصرة والحجاز مرارا،واجتمع بمن فيها من العلماء والمشايخ الأخيار، وأتى الأحساء وهي إذ ذاك أهلة بالمشايخ والعلماء فسمع وناظر وبحث واستفاد، وساعدته الأقدار الربانية والتوفيق والإمداد.

وروى عن جماعة منهم: الشيخ عبد الله بن ابراهيم النجدى، ثم المدني، وأجازه من طريقين، وأول ماسمع منه الحديث المسلسل بالأولوية «قال الشيخ عبد اللطيف:

⁽٦) ص ٩:

⁽V) مصباح الظلام ص ۱۳۹، ۱٤٠.

 ⁽٨) في ترجمة الشيخ عبد اللطيف للامام محمد بن عبد الوهاب. وهي في مجموعه الرسائل والمسائل النجدية ص
 ٣٨٠.

وطالت إقامة الشيخ ورحلته بالبصرة وقرأ بها كثيرا من كتب الحديث والفقه والعربية، وكتب من الحديث والفقه واللغة ماشاء الله في تلك الأوقات»ا.ه

وقال ابن بدران في «المدخل الى فقه الإمام أحمد بن حنبل» «أجازه - أى : الإمام محمد بن عبد الوهاب - محدثو العصر بكتب الحديث وغيرها على اصطلاح أهل الحديث من المتأخرين»ا.ه

هذا بعض ماذكره أهل العلم في عناية الإمام محمد بن عبد الوهاب بالعلم وكثرة مشايخه فيه. وعلى سبيل المثال لا الحصر أذكر من مشايخه من يلي:

ا _ والده الشيخ عبد الوهاب _ مفتي نجد _ أخذ عنه الفقه بعد أن حفظ القرآن عن ظهر غيب،قال حفيده العلامة الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب «أخذ _ أى : محمد بن عبد الوهاب _ الفقه عن أبيه عن جده سليان بن على _ مفتي الديار النجدية في وقته _ وسنده المتصل بأئمة المذهب الى الامام أحمد معروف مقرر عندهم» (١٩).

۲ - الشيخ عبد الله بن ابراهيم بن سيف النجدى المدني، ذكر صاحب «التوضيح عن توحيد الخلاق»أنه قرأ عليه وأجازه بكل ماحواه ثبت الشيخ عبد الباقي أبي المواهب الحنبلي قراءة وتعليا من صحيح البخارى بسنده الى مؤلفه، وصحيح مسلم بسنده الى مؤلفه، وشر وح كل منها، وسنن الترمذى بسنده، وسنن أبي داود بسنده، وسنن ابن ماجة بسنده، وسنن النسائي الكبرى بسنده، وسنن الدارمي ومؤلفاته بالسند، وسلسلة العربية بسندها عن أبي الأسود عن علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه -، وكتب النووى كلها، وألفية العراقي، والترغيب والترهيب للمنذرى، والخلاصة لابن مالك، وسيرة ابن هشام وسائر كتبه، ومؤلفات ابن حجر العسقلاني، وكتب القاضي عياض وكتب القراءات، وكتاب الغنية لعبد القادر الجيلي، وكتاب القاموس بالسند الى مؤلفه، ومسند الإمام الشافعي، وموطأ مالك، ومسند الإمام الأعظم، ومسند الامام أحمد، ومسند أبي داود - أى : الطيالسي - ومعاجم الطبراني، وكتب السيوطي وفقه الحنابلة وسلسلته وأصوهم».

⁽٩) مصباح الظلام في الرد على من كذب على الشيخ الامام ونسبته إلى تكفير اهل الايمان والاسلام ص ١٣٩.

وماتلقاه الامام محمد بن عبد الوهاب عن الشيخ عبد الله بن إبراهيم بن سيف النجدي بالحديث المسلسل بالأولية والحديث المسلسل بالحنابلة. قال ابن غنام في روضة الأفكار والأفهام ج١ ص ٢٦ في بيان روايته عنه الحديث الأول «نقلت من خطه _ أي الشيخ محمد بن عبد الوهاب _ مانصه: «حدثني الشيخ عبد الله بن ابراهيم بمنزله بظاهر المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام عن شيخ الإسلام ومفتى الشام أبي المواهب الحنبلي إجازة قال : أخبرنا والدي تقى الدين عبد الباقي الحنبلي، وهو أول حديث سمعته منه قال : أخبرنا به المعمر الشيخ عبد الرحن البهوتي الحنبلي، وهو أول حديث سمعته قال: أخبرنا به شيخنا جمال الدين يوسف الأنصاري الخزرجي، وهو أول حديث سمعته منه قال : أخبرنا به والدى شيخ الاسلام زكريا الأنصاري، وهو أول حديث سمعته منه قال : أخبرنا به شيخ الإسلام أبو الفضل أحمد بن حجر العسقلاني، وهو أول حديث سمعته منه قال: أخبرنا الصلاح محمد بن محمد الحكرى الصوفي الخازن، وهو أول حديث سمعته منه قال : أخبرنا الحافظ زين الدين عبد الرحيم العراقي، وهو أول حديث سمعته منه قال: أخبرنا به الصدر أبو الفتح... وهو أول حديث سمعته منه قال: أخبرنا به الحافظ أبو الفرج عبد اللطيف بن عبد المنعم الحراني، وهو أول حديث سمعته منه قال : أخبرنا به الحافظ أبو الفرج عبد الرحمن بن على بن الجوزى، وهو أول حديث سمعته منه قال : أخبرنا به الحافظ إسهاعيل بن أبي صالح النيسابوري، وهو أول حديث سمعته منه قال : أخبرنا به والدى أبو صالح المؤذن، وهو أول حديث سمعته منه قال : أخبرنا به أبو طاهر محمد بن محمد (١٠٠) الزيادي، وهو أول حديث سمعته منه قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن يحيى بن بلال البزاز، وهو أول حديث سمعته منه قال : أخبرنا عبد الرحن بن بشر بن الحكم النيسابوري، وهو أول حديث سمعته منه قال: أخبرنا سفيان بن عيينة، وهو أول حديث سمعته منه عن عمرو بن دينار، عن أبي قابوس مولى عبد الله بن عمرو ابن العاص عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الراحمون يرحمهم الرحن ارحموا من في الأرض يرحكم من في السهاء»، تفرد به سفيان ولا يصح سنده عمن هو فوق سفيان (١١١)، ا.هـ

⁽١٠) ابن محمش بفتح الميم وسكون المهملة وكسر الميم الثانية أخره شين معجمة.

⁽١١) روضة الأفكار والأفهام ج ١ ص ٢٦، ٢٧، وقد صححنا من الاثبات مايحتاج الى التصحيح.

والى ماأوضحه ابن غنام أشار الشيخ العلامة عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن ابن محمد بن عبد الوهاب بقوله في ترجمة الإمام محمد بن عبد الوهاب ووى عن جماعة منهم : الشيخ عبد الله بن ابراهيم النجدى ثم المدني وأجازه من طريقين وأول ماسمع منه الحديث المسلسل بالأولية كتب السهاع بالسند المتصل الى عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهها ـ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم (١٢) من في السهاء»

وأما الحديث المسلسل فيقول ابن غنام في روضة الأفكار والأفهام ج ١ ص ٢٧ «قال الإمام محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله : حدثني الشيخ عبد الله بن ابراهيم الحنبلي بمنزله بظاهر المدينة المنورة عن شيخ الاسلام ومفتي الشام أبي المواهب بن تقي الدين عبد الباقي الحنبلي إجازة عن والده تقي الدين المذكور قال : أخبرنا الشيخ عبدالرحمن البهوتي الحنبلي قال : أخبرنا الشيخ تقي الدين بن النجار الفتوحي الحنبلي صاحب«منتهى الإرادات» أخبرنا والدى شهاب الدين أحمد ـ قاضي القضاة الحنبلي ـ قال : أخبرنا به بدر الدين الصفدى القاهرى والحنبلي قال : أخبرنا عز الدين أبو البركات الحنبلي قال : أخبرنا أبو على حنبل بن عبد الله الرصافي الحنبلي قال : أخبرنا أبو بكر أحمد بن جعفر الحنبلي قال : أخبرنا أبو الحسن بن علي الحنبلي قال : أخبرنا أبو بكر أحمد بن جعفر الحنبلي قال : أخبرنا أبو محمد عبد الله بن الإمام أحمد الحنبلي قال : حدثني أبي أحمد بن محمد بن حنبل إمام أحمد الحنبلي قال : حدثني أبي أحمد بن محمد بن حنبل إمام كل حنبلي عن ابن عدى عن حميد عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «اذا أراد الله بعبده خيرا استعمله قالوا : كيف رستعمله؟ قال : يوفقه لعمل صالح قبل موته» هذا حديث عظيم قد وقع ثلاثيا للإمام يستعمله؟ قال : يوفقه لعمل صالح قبل موته» هذا حديث عظيم قد وقع ثلاثيا للإمام يستعمله؟ قال : يوفقه لعمل صالح قبل موته» هذا حديث عظيم قد وقع ثلاثيا للإمام

⁽۱۲) قال العلامة المحدث الشيخ عبد الرجمن بن عبد الله الحنبلي الدمشقي ثم الحلبي المتوفى سنة ١١٩٢هـ فى «منار الاسعاد» ص ٣٠١ الرواية في «يرجمكم» بالرفع، كها نبه عليه شيخ مشايخنا الشيخ عبدالباقي - رجمه الله - فى الكواكب السائرة له فقد ذكر في ترجمة شيخه العلامة أبى الثناء محمد البيلوني الحلبي أنه لما أسمعه هذا الحديث المذكور أملاه عليه برفع «يرجمكم» على أنه جملة دعائية وقال له: هكذا أملاه علينا شيخنا البرهان بن العهاد الحلبي وأفاد أن الرواية في «يرجمكم» بالرفع لكونها جملة دعائية وليست بالجزم على انها جواب الامر انتهى ولا يمتنع الجزم عربية»أ.هـ.

أحمد» (١٣). وإلى هذا المسلسل بفقهاء الحنابلة أشار العلامة الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن الإمام محمد بن عبد الوهاب بقوله في ترجمة جده الإمام «سمع منه اى عبد الله بن ابراهيم النجدى _ مسلسل الحنابلة بسنده الى أنس بن مالك _ رضي الله عنه _ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «اذا أراد الله بعبده خيرا استعمله قالوا : كيف يستعمله؟ قال : يوفقه لعمل صالح قبل موته» وهذا الحديث من ثلاثيات أحمد» ا.هـ.

هذا _ وهناك طريقان أخران أجاز بهها الشيخ عبد الله بن ابراهيم النجدى شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب كها ذكره ابن غنام في «روضة الأفكار والأفهام» وأوضحه صاحب التوضيح احداهها _ عن ابن نصر الله عن الشيخ محمد البلباني عن الشيخ أحمد ابن علي الوفائي المصلحي عن الشيخ موسى الحجاوى عن القاضي برهان الدين بن مفلح عن والده نجم الدين بن مفلح عن والده القاضي صاحب الفروع عن جده عبد الله بن مفلح عن الشيخ تقي الدين أحمد بن تيمية عن شمس الدين أبي عمر عن عمه موفق الدين بن قدامة عن الشيخ عبد القادر عن القاضي أبي يعلى المرداوى عن ابن حامد عن أبي بكر الحوزى عن الإمام أحمد بن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن ابن عباس _ رضي الله عنها _ عن النبي صلى الله عليه وسلم.

٢ _ عن عبد القادر التغلبي عن عبد الباقي أبي المواهب المحدث عن الشيخ أحمد الوفائي عن موسى الحجاوى عن أحمد الشوبكي عن العسكرى عن عبد الرحمن بن رجب (١٠٠)عن ابن القيم عن تقي الدين أحمد بن تيمية عن شمس الدين نجل أبي عمر عن عمه موفق الدين عن الشيخ عبد القادر الجيلاني عن أبي الوفاء بن عقيل عن عن عمه موفق الدين عن الشيخ عبد القادر الجيلاني عن أبي الوفاء بن عقيل عن عن عدم الموبد الم

⁽١٣) روضة الأفكار والأفهام ج١ ص ٢٧.

⁽١٤) كذا في «التوضيح ووقع في كتاب «علماء نجد خلال ستة قرون» لفضيلة الشيخ البسام ج ٣ ص ١٤٥ مانصه «عن أحمد العسكرى عن على بن سلمان المرداوى عن ابن خندس عن ابن اللحام عن الحافظ بن رجب» ا.هـ وهذا هو الصواب الموافق لما ورد في إجازة الشيخ عبد الستار بن عبد الوهاب الدهلوى المكي للعلامة الشيخ عبد الله بن سلمان بن بليهد المسطورة في مقدمة كتاب «الأحكام السلطانية» للامام أبي يعلى.

القاضي أبي يعلى عن ابن حامد عن أبي بكر الخلال عن أبي بكر المروزى (١٥٠عن الأثرم عن الإمام أحمد عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن ابن عباس ـ رضي الله عنها ـ عن النبى صلى الله عليه وسلم»ا.هـ.

" من مشايخ الإمام محمد بن عبد الوهاب الإمام المحدث محمد حياة السندى (١٦) ذكر ذلك غير واحد منهم حفيده وتلميذه العلامة الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، والشيخ عثمان بن بشر. قال الشيخ عبد الرحمن في الرسالة التي أجاب بها من سأله عمن روى عنهم من المشايخ بعد أن ذكر ماتلقاه عن جده محمد بن عبد الوهاب «سنده - أى : محمد بن عبد الوهاب رحمه الله - معروف، تلقاه عن عدة من علماء المدينة وغيرهم رواية خاصة وعامة منهم : محمد حياة السندى، والشيخ عبد الله بن ابراهيم القرضي الحنبلي »، وقال الشيخ عثمان بن بشر في «عنوان المجد في تاريخ نجد» ص ٣٦ في ترجمة محمد حياة السندى « أخذ العلم عن جماعة منهم : الشيخ عبد الله بن سالم البصرى، صاحب الإمداد في علوم الإسناد وأخذ عنه جماعة أجلهم شيخ الأسلام محمد بن عبد الوهاب قدس الله روحه، والشيخ علاء الدين السورى وغيرهما» الهـ

وقد بين العلامة الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن في «مصباح الظلام» ما للشيخ محمد حياة السندى من أكبر الأثرعلى الإمام محمد بن عبد الوهاب حيث قال ص ٣٩ «كان له _ أى الشيخ محمد حياة السندى _ أكبر الأثر في توجيهه _ أى:الشيخ محمد بن عبد الوهاب _ الى إخلاص توحيد عبادة الله، والتخلص من رق التقليد الأعمى والاشتغال بالكتاب والسنة».ا.هـ.

 ⁽١٥) كذا في التوضيح وفي بعض الأثبات «عن أبي بكر غلام الحلال عن أبى بكر أحمد بن محمد بن هارون
 الحلال عن أبى بكرالمروزى عن الامام أحمد ابن حنبل»

⁽١٦) كان له اليد الطولى في معرفة الحديث وأهله ومحبته وصنف فيه مصنفا سهاد «تحفة الأنام» في العمل بحديث النبي عليه أفضل الصلاة والسلام، وله مصنفات غيرها رأيت له مصنفا عجيبا شرحا على الأربعين النووية سهاه تحفة المبين شرح الأربعين» ا.هـ. ذكر ذلك ابن بشر في عنوان المجدج ١ ص ٣٤. وقال الكتاني في «فهارس الفهارس» ج ١ ص ٣٤٤ له شرح على الترغيب والترهيب في مجلدين وشرح على الأربعين النووية ومختصر الزواجر والأربعين حديثا من جمع الملا على القارى والايقاف على سبب الاختلاف وتحفة الأنام في العمل بحديث النبي عليه الصلاة والسلام» ا.هـ.

3 - الشيخ محمد المجموعي صاحب البصرة، وهو عالم جليل أقام الإمام محمد بن عبد الوهاب يقرأ عليه. قال ابن بشر في عنوان المجد في تاريخ نجد ج١ ص ١٦ في خروج الإمام محمد بن عبد الوهاب من نجد الى البصرة يريد الشام قال : «فلها وصلها أى : البصرة - جلس يقرأ فيها عند عالم جليل من أهل المجموعة - قرية من قرى البصرة - في مدرسة فيها، ذكر لي أن اسمه محمد المجموعي فأقام مدة يقرأ عليه فيها وينكر أشياء من الشركيات والبدع وأعلن الإنكار واستحسن شيخه قوله : وقرر له التوحيد وانتفع به».ا.هـ.

0 - الشيخ على أفندى الداغستاني حينا اجتمع بالامام محمد بن عبد الوهاب في المدينة المنورة وأجازه، ذكر ذلك صاحب التوضيح عن توحيد الخلاق (۱٬۰٬۰). وذكر أنه أجاز الإمام محمد بن عبد الوهاب بكل ماحواه ثبت الشيخ أبي المواهب الحنبلي قراءة وتعلما وتعليا مما تقدم ذكره في إجازة الشيخ عبد الله بن ابراهيم بن سيف النجدى للامام محمد بن ابن عبد الوهاب، وممن عدّ الشيخ علي أفندى الداغستاني من مشايخ الإمام محمد بن عبدالوهاب الشيخ ابن بدران في «المدخل الى فقه الإمام أحمد بن حنبل» قال ص ٣٧ «وأخذ - أى: الشيخ محمد بن عبد الوهاب - عن الشيخ علي أفندى الداغستاني، وعن المحدث الشيخ اساعيل العجلوني وغيرهما من العلماء» اله وذكره - أيضا - الكتاني في «فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات» فقد صرح بأن الشيخ محمد بن عبد الوهاب أخذ عن طبقة كبار تلاميذ البصرى وتلاميذ تلاميذه كعلي الداغستاني ومحمد العفالقي» وذكره - أيضا - الشيخ محمد حامد الفقي في كتابه «تاريخ الدعوة الوهابية في الإصلاح الديني والعمراني في جزيرة العرب وغيرها «والشيخ عبد الرحن بن قاسم في جزء التراجم من «الدرر السنية» الطبعة الأولى.

⁽۱۷) وعلى هذا هو على أفندى بن صادق بن محمد بن ابراهيم الداغستاني أخذ عن الشيخ محمود بن عبد الله الأنطاكي عن الشيخ محمد بن على الكاملي عن الشيخ خير الدين الرملي وأخذ الشيخ على أفندى - أيضا عن الشيخ عبد الكريم الآمدى والشيخ أيوب الداغستاني ثم رحل الى الحجاز وجاور مدة وأخذ عن الشيخ محمد حياة السندى عن الشيخ عبد الله البصرى، وتوفى عام ١١٩٩. ذكر ذلك كله صاحب تقريب المراد في رفع الاسناد ص ١٢٢.

7 - عبد اللطيف العفالقي الأحسائي، أجاز الإمام محمد بن عبد الوهاب بكل ماحواه ثبت الشيخ عبد الباقى أبي المواهب الحنبلي قراءة وتعلما وتعلما، ذكر ذلك صاحب «التوضيح عن توحيد الخلاق» وممن ذكر إجازة العفالقي للإمام محمد بن عبد الوهاب الشيخ محمد حامد الفقى في كتابه «في أثر دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب».

٧ ـ الشيخ اسهاعيل العجلوني، ذكر ذلك العلامة ابن بدران في «المدخل الى فقه الإمام أحمد بن حنبل» والشيخ عبد الرحمن بن قاسم في جزء التراجم من «الدرر السنية»، والشيخ محمد حامد الفقي في كتابه في أثر دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب.

Λ _ الشيخ عبد الله بن سالم البصرى، فقد جاء في «حصر الشارد» من أسانيد الشيخ محمد عابد في كتاب المحب الطبرى القرى لقاصد أم القرى» رواه الشيخ عبدالله ابن محمد بن عبد الوهاب عن أبيه _ الشيخ محمد بن عبد الوهاب عن البصرى. ذكر ذلك العلامة الشيخ عبد الحي الكتاني الفاسي في «فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات». وتعقبه بقوله «ماذكره _ أي : صاحب حصر الشارد» من أن محمد بن عبد الوهاب أخذ عن البصرى فيه عندى نظر،فإن المعروف في تاريخ الوهابية أن محمد بن عبد الوهاب ولد عام ١١١١هـ ومات سنة ١٢٠٧هـ، وهو الذي في الخلاصة الدحلانية؛ فإذا إنما عاصر البصرى بنحو العشرين سنة، لأن وفاة البصرى كانت سنة ١١٣٤هـ،وعلى مافي التوضيح لحفيده سلمان أن ولادته كانت سنة ١١١٠ وكذا في الحطة لصديق حسن على هذا يستبعد أخذه عنه وهو بمكة وابن عبد الوهاب في نجد. والمعروف أن ابن عبد الوهاب الما أخذ عن طبقة كبار تلاميذ البصرى وتلاميذ تلاميذه، كعلى الداغستاني ومحمد العفالقي. وفي الحطة أنه أخذ عن عبد الله بن ابراهيم النجدي تلميذ الشيخ أبي المواهب الحنبلي، وانظر كتب أولاده كالتوضيح لسلمان بن عبد الله بن محمد ابن عبد الوهاب وغيره، والله أعلم؛ ولو صح أخذ محمد بن عبد الوهاب عن البصرى لكان آخر تلاميذه في الدنيا مع أن آخرهم موتا فها نحفظ الشمس محمد بن عبد الله المغربي، مات قبله سنة ١٢٠١ كما سبق في الأضداد للبصرى» هذا ماتعقب به الكتاني ما في حصر الشارد، وفيه عندى نظر من وجوه؛ أولها أن المعروف في تاريخ دعوة الإمام محمد ابن عبد الوهاب أو ولادة الامام محمد بن عبد الوهاب كانت سنة ١١١٥ لا عام ١١١١.

الثاني: أن ماعزاه الى «التوضيح» و«الحطة» غير صحيح. فقد جاء في «التوضيح» مانصه: «ولد: أى: الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ سنة ١١١٥هـ، وجاء في الخطة انه سنة خسة عشر بعد المائة والألف. وأما الخلاصة الدحلانية وغيرها من كتابات مؤلفها عن الإمام محمد بن عبد الوهاب فلا اعتبار بها لكراهته لدعوته وبغضه له؛ بل لو فرضنا أن الأمر بخلاف ذلك لاينبغي للكتاني أن يقلد من أخطأ في خطأه. فقد قال المؤرخ: الإغراق في التقليد الأعمى الى اتباع الأوهام الساقطة التي تدل على أن الناقل أو الناسخ كان لا يتأمل ما يقرأ و يجرى به قلمه ولله عاقبة الأمور»ا.هـ.

الثالث: أن الإمام محمد بن عبد الوهاب قد حج فى السنة الثانية عشرة من عمره، وكان الشيخ عبد الله بن سالم البصرى اذ ذاك لم يزل حيا، لأنه لم يتوف إلا عام ١١٣٠. فلا يستبعد اتصاله مادام الأمر كذلك.

٩ ـ الشيخ صبغة الله الحيدرى. ذكر ذلك الشيخ محمود شكرى الألوسي في تاريخ نجد: «يقال إنه ـ أى: الإمام محمد بن عبد الوهاب ـ قدم بغداد وأخذ عن صبغة الحيدرى» (١٨٠).

⁽١٨) وصفه الشيخ أمين حسن الحلواني المدني في «مختصر مطالع السود باخبار آل داود ص ٢٧ انه عالم علامة ثم قال: فمن أخذ عنه العلامة زين الدين الهكارى والعلامة محمد بن شروين والفاضل أحمد المحلي والجهبذ شيخ الكردوى الاسنوى ثم المدني، والشيخ عبد الملك العصامي في الحديث النبوى وهو أخذ عنه - أيضا - بحق سهاع عبد الملك من والده عن العلامة ابن حجر المكي وذكر أنه توفي عام ١١٩٠هـ.

من ثناء أهل العلم على الإمام محمد بن عبد الوهاب

حظي شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب من ثناء أهل العلم عليه بالشيء الوفير: وعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر منهم من يلى:

\ _ والده الشيخ عبد الوهاب، كان يتوسم فيه الخير ويحدث بذلك ويبديه ويؤمل بذلك ويرجوه ويعترف بالاستفادة منه على صغر سنه. قال سليان أخو الإمام محمد بن عبدالوهاب _ كان عبد الوهاب أبوه _ أى : محمد _ يتعجب من فهمه وإدراكه قبل بلوغه ويقول : لقد استفدت من ولدى محمد فوائد من الأحكام أو قريبا من هذا الكلام، وذكر ذلك العلامة ابن غنام في «روضة الأفكار والأفهام» ج ١ ص ٢٥.

Y ـ العلامة الأمير محمد بن اسهاعيل الصنعاني (۱۱) أنشد فيه قصيدة أثنى عليه فيها بقيامه بالتوحيد وبإلزامه من تحت يده إقامة شعائر الإسلام. بين في تلك القصيدة ماعليه أكثر الناس في زمان الشيخ محمد بن عبد الوهاب من التبرك بالأشجار والأحجار والقبور وغير ذلك من أنواع الانحراف.

يقول الصنعاني في تلك القصيدة

سلامي على نجد ومن حل في نجد . . وإن كان تسليمي على البعد لا يجدى لقد صدرت من سفح صنعا سقي الحيا . . رباها وحياها بقهقهة الرعد سرت من أثير ينشد الريح ان سرت . . ألا ياصبا نجد متى هجت من نجد

⁽١٩) وقد أثنى عليه ابن غنام في روضة الأفكار والأفهام بقوله ج ١ ص ١٩ كان مشهورا بالعلم والفهم. ا.هـ.

يذكرنى مسراك نجدا وأهله .. لقد زادني مسراك وجدا على وجد قفي واسألي عن عالىم حل سوحها .. به يهتدى من ضل عن منها الشد محمد الهادى لسنة أحمد .. فيا حبذا الهادى وياحبذا المهدى لقد أنكرت كل الطوائف قوله .. بلا صدر في الحق منهم ولا ورد وماكل قول بالقبول مقابل .. ولاكل قول واجب الطرد والرد والرد سوى ماأتى عن ربنا ورسوله .. فذلك قول جل قدرا عن الرد وأما أقاويل الرجال فإنها .. تدور على قدر الأدلة في النقد وقد جاءت الأخبار عنه بأنه .. يعيد لنا الشرع الشريف بما يبدى وينشر جهرا ماطوى كل جاهل .. ومبتدع منه فوافق ماعندى ويعمر أركان الشريعة هادما .. ومبتدع منه فوافق ماعندى أعادوا بها معنى سواع ومثله .. يغوث وود بئس ذلك من ود وقد هتفوا عند الشدائد باسمها .. كما يهتف المفطر بالصمد الفرد وكم عقروا في سوحها من عقيدة .. أهلت لغير الله جهرا على عصد وكم طائف حول القبور مقبل .. ومستلم الأركان منهي باليد

فقد سرنسي ماجاءنسي من طريقه . . وكنت أرى هذه الطريقة لى وحدى (٢٠)

وفي بيان حالة الأقطار وقت ظهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب يقول الصنعانى في قصيدة له أخرى:

⁽٢٠) وردت هذه القصيدة بكهالها في ديوان الصنعاني ص ١٣٢ ـ ١٣٢ وأشار اليها شيخ الاسلام محمد بن عبدالوهاب في «مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد »بقوله : «الأمر كها قال الصنعاني في قصيدته» أقاويل لاتعزى الى عالم فلا تسا وى فلسا ان رجعت الى النقد.

وذكر الصنعاني في «تطهير الاعتقاد عن أدران الالحاد »منها أربعة أبيات تبتدىء بقوله : أعادوا بها معنى سواع، وتنتهي بقوله؛ ويستلم الأركان منهي بالأيدى

وعبر الصنعاني عها ذكره منها بالأبيات النجدية

وذكرها ابن غنام في روضة الأفكار والأفهام ج ١ ص ٤٦ ــ ٤٩ ووصفها بأنها بديعة في معناها فانقة أترابها رونقا وحسنا.

أسائل من دار الأراضي سياحة . عسى بلدة فيها هدى وصواب فيخبر كل عن قبائح مارأى . وليس لأهليها يكون متاب لأنهم عدوا قبائح فعلهم . محاسن يرجى عندهن ثواب

" العلامة محمد بن على الشوكاني صاحب نيل الأوطار وغيره من الكتب المهمة، ذكره في ترجمة غالب بن مساعد أمير مكة من كتابه «البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع». وقال في ج ١٢ وفي سنة ١٢١٥ وصل من صاحب نجد المذكور أي: عبد العزيز بن سعود مجلدان لطيفان أرسل بهما الى حضرة حولان الامام حفظه الله، أحدها يشتمل على رسائل لمحمد بن عبد الوهاب كلها في الإرشاد الى إخلاص التوحيد والتنفير من الشرك الذي يفعله المعتقدون في القبور، وهي رسائل جيدة مشحونة بأدلة الكتاب والسنة. والمجلد الآخر يتضمن الرد على جماعة من المقصرين من سفهاء صنعاء وصعدة ذكروه في مسائل متعلقة بأصول الدين وبجهاعة من الصحابة، فأجاب عليهم جوابات محررة مقررة محققة تدل على أن المجيب من العلماء المحققين العارفين بالكتاب والسنة. وقد هدم عليهم جميع مابنوه وأبطل جميع مادونوه، لأنهم مقصر ون متعصبون فصار مافعلوه خزيا عليهم وعلى أهل صنعاء وصعدة، وهكذا من تصدر ولم يعرف مقدار نفسه، وأرسل صاحب نجد مع الكتابين المذكورين بمكاتبة منه الى سيدى المولى الإمام فدفع حفظه الله جميع ذلك، فأجبت عن كتابة الذي كتب الى مولانا الإمام حفظه الله على حفظه الله بميع ذلك، فأجبت عن كتابة الذي كتب الى مولانا الإمام حفظه الله على لسانه بما معناه: أن الجواب موجودان في مجموعين» الهد.

وذكر الشوكاني في ترجمة الإمام سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود من «البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع» ج١ ص٢٦٦. ذكر ماقام به الإمام محمد بن عبدالوهاب من الدعوة الى توحيد الله عز وجل والإنكار على المعتقدين في الأموات، وماقام به الامام محمد بن سعود من إجابته ونصره ومجاهرة من خالف دعوت دعوة التوحيد، وقيام الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود مقامه، وقيام الإمام سعود بن عبد العزيز مقام عبد العزيز من بعده، وما لذلك في بلاد اليمن من الآثار العظيمة فقال : «وصل اليه - أى : الى محمد بن سعود - الشيخ العلامة محمد بن عبد الوهاب

الداعي الى التوحيد المنكر على المعتقدين في الأموات، فأجابه وقام بنصره ومازال يجاهد من يخالفه. وكانت تلك البلاد قد غلبت عليها أمور الجاهلية وصار الإسلام فيها غريبا، ثم مات محمد بن سعود وقد دخل في الدين بعض البلاد النجدية، وقام ولده عبد العزيز مقامه، فافتتح جميع الديار النجدية والبلاد المقدسة والبلاد العارضية والحسا والقطيف وجاوزها الى فتح كثير من البلاد الحجازية، ثم استولى على الطائف ومكة والمدينة وغالب جزيرة العرب، وغالب هذه الفتوح على يد ولده سعود، ثم قام بعده ولده سعود فتكاثرت جنوده واتسعت فتوحه ووصلت جنوده إلى اليمن، فافتتحوا بلاد أبي عريش ومايتصل جنوده واتسعت ألم عمود بن محمد شريف أبي عريش، وأمدوه بالجنود ففتح البلاد التهامية كاللحية والحديدة وبيت الفقيه وزبيد وما يتصل بهذه البلاد، ومازال الوافدون من سعود يفدون الينا الى صنعاء الى حضرة الإمام المنصور والى حضرة ولده الإمام المتوكل، فكتب اليهها بالدعوة الى التوحيد، وهدم القبور المشيدة والقباب المرتفعة ويكتب الى صنعاء وفي كثير من الأمكنة المجاورة لها وفي جهة دمار وما يتصل بها»ا.هـ.

٤ ـ الشيخ العلامة محمد بن أحمد بن عبد القادرالحفظي (٢١) قال في الثناء عليه والإشادة بدعوته.

الحمد حقا مستحقا أبدا . لله رب العالمين أبدا مصليا على الرسول الشارع . وآله وصحبه والتابعي في البدء والختم وأما بعد . فهذه منظومة تعد

⁽٢١) وصفه الشيخ محمد بن محمد بن يحيى بن زبارة الحسني الياني الصنعاني في كتابه «نيل الوطر في رجال اليمن في القرن الثالث عشر» بأنه الشيخ العلامة البارع في الفنون وقال: كان سريع البادرة حسن المحاضرة مع تواضع ودماثة أخلاق واشتغال بما يقربه من الأخلاق وكان المرجع لأهل جهته بعد وفاته قال: «ولما ظهرت الدعوة النجدية _ يعني دعوة الامام محمد بن عبد الوهاب بالبلاد التهامية كان ممن مال اليها وحث الناس على اجابتها وكتب الى حاكم المخلاف السلماني أبي عريش القاضى عبد الرحمن البهكلي وسائر علماء المخلاف قصيدة في ذلك أولها:

هاج الشجى وهاج شوق المبتلي وبدت صبابات الغرام الأول وذكر أن له مؤلفات في النحو وغيره ومات بقرية رجار من عسير في سنة ١٣٣٧هـ.

حركني لنظمها الخير الذي .. قد جاءنا في أخر العصر القذي لما دعا الداعبي من المسارق . بأمر رب العالمين الخالـق وبعث الله لنا مجددا من أرض نجد عالما مجتهدا شيخ الهدى محمد المحمدي الخنبلي الأثرى الأحمدي فقام والشرك الصريح قد سرى . . بين الورى وقد طغى واعتكرا لايعرفون الدين والتهليلا . وطرق الإسلام والسبيلا . إلا أساميها وباقسي الرسم . والأرض لاتخلسو من أهل العلم وكل حزب فل وليجه . يدعونه في الضيق للتفريجة وملة الإسلام والأحكام في غربة وأهلها أيتام دعا الى الله وبالتهليلة يصرخ بين أظهر القبيلة مستضعفا وماله من ناصر . ولاله مساعد موازر في زلة وقلة وفي يده . مهفة تغنيه عن مهذه كأنها ريح الصبا في الرعب . والحق يعلو بجنود العرب قد أذكرتنسي درة لعمسر وضرب موسى العصا بالحجر ولم يزل يدعم الى دين النبي . ليس الى نفس دعما أو مذهب يعلم الناس معانى أشهد . . أن الإلله غير فرد يعبد وعبده .. رسوله اليكم وقصده أن تعبدوه وحده لاتشركوا . شيئا به والابتداع فاتركوا ومن دعا دون الالله أحدا أشرك بالله ولو محمدا إن قلتم نعبدهم للقربة أو للشفاعة فتلك الكذبة فربنا يقول في كتابه . . هذا هو الشرك بلا تشاب هذه معاني دعوة الشيخ لمن . عاصره فاست كبروا عن السنن فانقسم الناس فمنهم شارد . . مخاصم محارب معاند مابين خفاش وبين جعل . . شاهت وجموه أهل هذا المشل وبعدما استجيب لله فمن . حاد في الله تردى وافتسن

ذكر هذه الأبيات الشيخ سليان بن سحمان في كتابه «الصواعق المرسلة الشهابية على الشبه الداحضة الشامية» ص ٧٢، وأضاف الحفظي الى ذلك ماصرح به في «اللجام المكين والزمام المتين» حيث قال : ولقد كتبت الى بعض علماء اليمن وقضاتها منظومة قلتها في ذلك _ أى في الدفاع عن دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب.

والحق أولى أن يجاب وإنما . . لم أدر ماحيلولة المتحيل إن كان ظنا أن ذاك مخالف . فهو البرى من الخلاف المطل بل قام يدعو الناس للتوحيد . والتجريد والتغريد للرب العلى ويذب عن شرع النبي محمد . ويذم من يدعو النبي أو الولي أو كان ظنا أن فيه غلاظة . وفظاظة وشكامة لم تجمل فأقول حاشا أن فيه ليونة . وهيونة للمقبل المستقبل وإذا رأيت مفاسدا من بعضهم . فالشيخ عن ذاك الفساد بمعزل

ومما وفق فيه العلامة الحفظي مكاتبة أئمة الدعوة في كل مناسبة تقتضي ذلك. فقد كتب اليهم يسأل عن مسألة الضيافة هل هي واجبة أم لا؟ وعن طلب الإمام وعاله الزكاة من الأموال للباطنة هل يجوز له أم لا؟ وعن حكم العمل بصريح الحديث وظاهره اذا وجده المرء في الأمهات الست أو ماالتزم مخرجه فيه الصحة والحسن. هل للإنسان العمل به والاعتاد عليه وان لم يبحث عنه هل هو منسوخ أم لا؟ وهل عارضه أقوى منه؟ وفي خطاب الحفظي المتضمن لتلك الأسئلة تصريحه بأنه على ماعليه الإمام الشيخ محمد ابن عبد الوهاب من إخلاص الدعاء لله وترك عبادة ماسواه وأنه لايرضي بالإشراك والتخلف عن التوحيد ولو قدر فواق مفاجابه الشيخان الجليلان حسين وعبد الله ابنا الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب عن تلك الأسئلة بجواب سجل تحت عنوان «المسائل الخفظية» في الجزء الرابع من مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ط مطبعة المنار ص ٥٥ ـ ٥٤٥.

وكتب الحفظي _ أيضا_ الى أئمة الدعوة يسأل عن ضبط كلمة الاخلاص ومعناها وحقيقتها وحكمها ولازمها وفائدتها ومقتضاها ونواقضها ومتماتها، فأجاب عن ذلك

السؤال العلامة سعيد بن حجى الحنبلي النجدى بجواب طويل جدا ورد في الجزء الرابع من مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ص ٨٤٠ ـ ٨٧٤.

وكتب رسالة أخرى يسأل فيها عن مسائل أوردها عليه بعض المجادلين في الدعوة وسمى تلك الرسالة «اللجام المكين والزمام المتين» فأجاب عنها الشيخ حمد بن ناصر بن عثمان بن معمر الحنبلي بجواب جيد في مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ج ٤ ص ٥٨٢ ـ ٥٩٨.

وللحفظي ألفية مازالت مخطوطة نظم فيها خسة كتب للإمام محمد بن عبد الوهاب هي : تفسير كلمة التوحيد والخصال الثهانى وكتاب التوحيد والثلاثة الأصول وكشف الشبهات. وله في التوحيد رسالة قيمة سهاها «درجات الصاعدين الى مقامات الموحدين». أثنى فيها على الإمام محمد بن عبد الوهاب وعلى أنصار دعوته أثمة أل سعود حق الثناء قال فيها ص ٤٣ «فمن حين ظهرت هذه الدعوة النجدية الى توحيد الإلهية وجردت عليها السيوف فمن ردها وأباها فالكلام عليه واللوم متوجه اليه، وهي الآن بحمد الله قد غارت وطارت. والقرآن العظيم أكبر حجة على من بلغه،والمسائل الواضحة التي يشترك في معرفتها الخاص والعام،مثل توحيد الله بالعبادة وأنه لاشريك له فيها يدل عليها القرآن دلالة صريحة معقولة للتالي والسامع مع هداية العقل الى ذلك ودلالته عليه، وفهم المجال دلالة صريحة معقولة للتالي والسامع مع هداية العقل الى ذلك ودلالته عليه، وفهم الحجة غير بلوغها وللعلماء أقوال في هذا المجال. وقد نص القرآن العظيم على ذم قوم يحسبون أنهم يحسنون صنعا».. قال «كالدعوة الى التوحيد».

هذا أمر مستفيض وشىء مشهور على علم التوحيد أنه فرض لازم. وعلى الشرب أنه حرام محض، ولكنها حصلت غلطات شنيعة وعادات فظيعة وأعبال كفرية وأقوال شركية وردة صريحة وأفعال قبيحة تتابع فيها كثير من الناس وقلد بعضهم بعضا الا قليلا من الأكياس، وكادت تنظمس آثار مباني الشريعة وتنهدم معانيها المنيعة، وماأوتي الناس الا من قبل الولايات. وهل أفسد الدين إلا أولئك وأحبار سوء ورهبانها. حتى بزغ قمر التجديد وطلعت شمس التوحيد بدعوة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب أسكنه الله جنة المآب، فنور الظلام وأجلى الله به الغهام وبين سبل السلام الى بلوغ المرام، وألف

المؤلفات في التوحيد بجميع العبادات مع اقامة الحجج القاطعة والإنصاف التام في المناظرة والمراجعة، فعاد قارح الإسلام به جذعا ورجع دارس الأحكام به متبعا، وكان رحمه الله سنيا أثريا متبعا، وأجاب دعزته وآوى غربته السعيد المسعود محمد بن سعود على قلة من الأعوان وابتكار لهذا الشأن، ثم وازره بجهوده وبطوقه وعارضه حتى استوى على سوقه الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود.

0 - الشيخ محمود شكرى الألوسي قال في تاريخ نجد ص ١١٤ كان - أى: الإمام محمد بن عبدالوهاب - شديد التعصب للسنة كثير الإنكار على من خالف الحق من العلماء، والحاصل أنه - أى: الإمام محمد بن عبدالوهاب - من العلماء الآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر، وكان يعلم الناس الصلاة وأحكامها وسائر أركان الدين ويأمر بالجهاعات، وقد جد في تعليم الناس وحثهم على الطاعة وأمرهم بتعلم أصول الدين وشرائطه وأحكام الصلاة وأركانها وواجباتها وسننها وسائر أحكام الدين وأمر جميع أهل البلاد بالمذاكرة في المساجد كل يوم بعد صلاة الصبح وبعد العشاءين في معرفة الله تعالى ومعرفة دينه الإسلام ومعرفة أركانه وما ورد عليه من أدلة، ومعرفة النبي صلى الله عليه وسلم ونسبه ومبعثه وهجرته، وأول مادعا اليه من كلمة التوحيد وسائر العبادات التي لاتنبغي إلا لله: كالدعاء والذبح والنذر والخوف والرجاء والخشية والرغبة والتوكل والإنابة، وغير ذلك، فلم يبق أحد من عوام أهل نجد جاهلا بأحكام دين الاسلام، بل كلهم تعلموا ذلك الى اليوم بعد أن كانوا جاهلين بها إلا الخواص منهم. وانتفع الناس به من تعلموا ذلك الى اليوم بعد أن كانوا جاهلين بها إلا الخواص منهم. وانتفع الناس به من

وقال الألوسي في هذا الكتاب في موضع آخر «وقد قرر ـ أى : الامام محمد بسن عبدالوهاب ـ رحمه الله تعالى ـ على شهادة أن محمدا رسول الله من بيان ماتستلزمه هذه الشهاده وتستوعبه وتقتضيه من تجريد المتابعة، والقيام بالحقوق النبوية من الحب والتوقير والنصرة والمتابعة والطاعة وتقديم سنته صلى الله عليه وسلم على كل سنة وقول، والوقوف معها حيثها وقفت والانتهاء حيث انتهت في أصول الدين وفروعه، باطنه وظاهره وخفيه وجليه كليه وجزئيه ماظهر به فضله وتأكد علمه ونبله، وأنه سباق غايات وصاحب آيات لايشق غباره ولاتدرى في البحث والإفادة آثاره وأن أعداءه ومنازعيه

وخصومه في الفضل وشانئيه يصدق عليهم المثل السائر بين أهل المحابر والدفاتر.

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه . . فالناس أعداء له وخصوم كضرائر الحسناء قلن لوجهها . حسدا وبغيا إنه لدميم

7 - العلامة الشيخ عبد القادر بن أحمد بن مصطفى، المعروف بابسن بدران الدمشقي، وصف الإمام محمد بن عبد الوهاب في كتابه «المدخل الى مذهب الإمام أحمد بن حبل حنبل» ص ٢٢٩: بأنه العالم الأثرى والإمام الكبير قال: «ولما امتلأ وطابه من الآثار وعلم السنة وبرع في مذهب أحمد، أخذ ينصر الحق ويحارب البدع ويقاوم ماأدخله الجاهلون في هذا الذين الحنفي والشريعة السمحاء، وأعانه قوم وأخلصوا العبادة لله وحده على طريقته التي هي إقامة التوحيد الخالص والدعوة اليه وإخلاص الوحدانية والعبادة كلها بسائر أنواعها لخالق الخلق وحدد، وهب الى معارضة أقوام ألفوا الجمود على ماكان عليه الآباء وتدرعوا بالكسل عن طلب الحق، وهم لايزالون الى اليوم يضربون على ذلك الوتر وجنود الحق تكافحهم فلا تبقي منهم ولاتذر، وماأحقهم بقول القائل.

كناطــح صخـرة يومـا ليوهنها . . فلم يضرهـا وأعيا (٢٠) قرنــه الوعل ولم يزل مثابرا على الدعوة الى دين الله حتى توفاه الله تعالى سنة ست ومائتين وألف.

⁽۲۲) وفي بعض النسخ (وأوهي)

تلامذة الإمام محمد بن عبد الوهاب

تلقى العلم عن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب عدة من العلماء الأجلاء نذكر منهم من يلي :-

١ _ سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود أقام مدة سنتين يقرأ على الإمام محمد ابن عبد الوهاب، ثم كان يلازم مجالس الدرس عنده، ولهذا الإمام معرفة بالفقه والحديث وغير ذلك، وكان كما وصفه بعض العمانيين حيث قال :

إذا جزت باب السيف تلقاه فارسا . وإن جزت باب العلم تلقاه عالما وإن جزت باب السلم تلقى مسالما وإن جزت باب السلم تلقى مسالما وإن جزت باب الحكم تلقاه حاكما

ولهذا الإمام ترجمة حاسمة في عنوان المجد.

٢ حسين بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب القاضي في بلد الدرعية. قال ابن بشر في «عنوان المجد في تاريخ نجد» ج ١ ص ١٥١ «له مجالس عديدة في الفقه والتفسير وغير ذلك وانتفع أناس كثير ون بعلمه» ووصفه بأنه العلامة المفيد مفتى فرق أهل التوحيد.

٣ ـ على بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب وهو عالم جليل ورع شديد الخوف من الله عز وجل يضرب به المثل في الورع والديانة، وله معرفة تامة بالفقه والتفسير وغير ذلك، وقد عرض عليه القضاء فأبى.

٤ ـ عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب القاضي في الدرعية زمن سعود، وكان
 آية في العلم و في معرفته ومعرفة فنونه.

0 ـ ابراهيم بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب. وهو عالم فاضل أدركه ابن بشر وقرأ عليه «كتاب التوحيد» للإمام محمد بن عبد الوهاب، وقال في عنوان المجد في تاريخ نجد ص ١٠٣ «وأما ابراهيم ابن الشيخ فرأيت عنده حلقة في التدريس له معرفة في العلم، ولكنه لم يل القضاء. قرأت عليه في صغرى في كتاب التوحيد سنة أربع وعشرين ومائتين وألف».

آ _ حفيد الشيخ محمد بن عبد الوهاب (٢٣) الإمام القاضي عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب. ذكر تلمذته على جده في رسالته التي أجاب بها السؤال عن مشايخه الذين روى عنهم العلم قال : «اعلم أني قرأت على شيخنا الإمام المجدد شيخ الإسلام _ أى : محمد بن عبد الوهاب _ رحمه الله _ كتاب التوحيد من أوله الى أبواب السحر وجملة من آداب المشي الى الصلاة، وحضرت عليه مجالس كثيرة في البخارى والتفسير وكتب الأحكام بقراءة شيخنا الشيخ ابنه عبد الله رحمها الله وشيخنا الشيخ ابنه علي _ رحمها الله في سورة البقرة من تفسير ابن كثير وفي كتاب منتقى الأحكام بقراءة الشيخ عبد الله بن ناصر وغيرهم وسنده _ أى : الامام محمد بن عبد الوهاب _

⁽٣٣) لهذا الامام ترجمة طنانة في «عنوان المجد في تاريخ نجد» لابن بشر ج ٢ كان مما ورد فيها ص ٢٥ مانصه :

«قد كان منتبها فطنا لدسائس أهل البدع كتبت له مرة ودعوت له في أخر الكتاب وقلت في ختام الدعاء «انه على مايشاء قدير » فكتب الي وقال في أثناء جوابه : ان هذه الكلمة اشتهرت على الألسن من غير قصد وهي قول الكثير اذا سأل الله تعالى قال : «وهو القادر على مايشاء» وهذه الكلمة يقصد بها أهل البدع شرا، وكل مافي القرآن (وهو على كل شيء قدير) وليس في القرآن والسنة مايخالف ذلك أصلا لأن القدرة شاملة كاملة، وهي والعلم صفتان شاملتان يتعلقان بالموجودات والمعدومات وانما قصد أهل البدع بقولهم : «وهو القادر على مايشاء» أي أن القدرة لاتتعلق الا بما تعلقت به المشيئة» ا.هـ قال : وكتبت اليه مرة أهنئه بقدوم ابنه الشيخ عبد اللطيف من مصر وتوسلت الى الله في دعائي بصفاته الكاملة التي لا يعلمها الا هو فكتب الي فقال : «وقد ذكرت وفقك الله في وسيلة دعوتك ـ جزاك الله عني أحسن الجزاء عن تلك الدعوات ـ قلت : وأتوسل اليك بصفاتك الكاملة التي لا يعلمها الا أنت : فاعلم أيها الأريب الأديب أن الذي لا يعلمه الا هو كيفية الصفة، وأما الصفة فيعلمها أهل العلم بالله كها قال الامام مالك «الاستواء معلوم والكيف مجهول» ففرق هذا الامام بين ما يعلم من معني الصفة على مايليق بالله فيقال : استواء لا يشبه استواء المخلوق ومعناه ثابت لله كها وصف به نفسه، وأما الكيف فلا يعلمه الا فيقال «قتنبه لمثل هذا فالامام مالك تكلم بلسان السلف فانظر الى سعة علومه واطلاعه»ا.هـ.

رحمه الله _ معروف تلقاه عن عدة من علهاء المدينة وغيرهم رواية خاصة وعامة،منهم محمد حياة السندى والشيخ عبد الله بن ابراهيم الفرضي»ا.هـ.

٧ ـ العلامة الجليل القاضي حمد بن ناصر بن عثمان بن معمر قال ابن بشر في «عنوان المجد» ج ١ ص ١٥٩ «أخذ العلم عن عدة مشايخ أعلام أجلهم الشيخ محمد بن عبد الوهاب». ثم ذكر ابن بشر في ترجمته أنه صنف ودرس وأفتى.

 Λ - قاضى ناحية الوشم عبد العزيز بن عبد الله الحصين الناصرى ($^{(1)}$), وهو عالم عامل زاهد ورع حليم ليس للدنيا عنده قدر. أقام عند الشيخ محمد بن عبد الوهاب عدة سنين يقرأ عليه، وكان الشيخ يكرمه وهو الذى استعمله قاضيا فى تلك الناحية - ذكر ذلك ابن بشر في «عنوان المجد» ج ١ ص 777.

٩ - الشيخ العالم الزاهد سعيد بن حجر قاضي حوطة بني تميم في ناحية الجنوب زمن عبد العزيز وابنه سعود. قال ابن بشر ج ١ ص ١٧٢ «أخذ العلم عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وأخذ عنه عدة من ناحيتهم».

⁽٢٤) وكان عبد العزيز هذا موضع الثقة عند الشيخ محمد بن عبد الوهاب والامام عبد العزيز بن محمد بن سعود يتبين ذلك في قضيتين ذكرها ابن غنام في «روضة الأفكار والأفهام» الأولى: انه في السنة الخامسة والثهانين بعد المائة والألف أرسله الشيخ محمد بن عبد الوهاب والامام عبد العزيز الى والي مكة الشريف احمد بن سعيد اجابة لطلب الشريف منها أن يرسلا اليه فقيها وعالما يبين لهم حقيقة مايدعون اليه من الدين، ويحضر عند علماء مكة فأرسلاه اليه وكتبا معه الى الشريف رسالة، فلها وصل اليهم عبد العزيز الحصين نزل على الشريف الملقب بالقعر واجتمع هو وبعض علماء مكة عنده وهم : يحيى بن صالح الحنفي، وعبد الوهاب بن حسن التركي مفتى السلطان، وعبد الغني بن هلال، وتفاوضوا في ثلاث مسائل: الأولى : مانسب الى الشيخ من التكفير بالعموم، والثانية : هدم القباب على القبور، والثالثة : انكار دعاء الصالحين فيا لايقدر عليه الا الله فذكر لهم الشيخ عبد العزيز أن نسبة التكفير بالعموم الى الشيخ زور؛ وأقنعهم بأن هدم القباب على القبور هو الصواب وبأن دعاء غير الله عز وجل فيا لايقدر عليه الا الله من الشرك الذى فعله الأوائل، وأطلعهم على عبارة الاقناع في ذلك.

الثانية : من القضيتين أنه في السنة الرابعة بعد المائتين والألف أرسل الشريف غالب بن مساعد امير مكه الى الامام عبد العزيز كتابا يطلب فيه منه انسانا عارفا من أهل الدين يبين لهم حقيقة الأمر فأرسل اليه عبد العزيز الحصين وكتب معه الشيخ محمد بن عبد الوهاب رسالة بين فيها دعوته ومقاله.

- ۱۰ _ قاضي مرات الشيخ حمد بن ابراهيم بن حمد بن عبد الوهاب بن عبد الله،قال بن بشر في «عنوان المجد» ج۱ ص ۸۳ «قرأ على الشيخ محمد _ أى : ابن عبد الوهاب _ وتزوج ابنته وسكن الدرعية عنده».
 - ١١ _ قاضي الدلم وناحية الخرج محمد بن سويلم.
- ١٢ عبد الرحمن بن خميس. إمام قصر آل سعود في الدرعية والقاضي زمن عبدالعزيز وابنه سعود.
- ١٣ ـ الشيخ عبد الرحمن بن ناصر، كان قاضي بلد العيينة ثم كان قاضيا في الأحساء زمن سعود وابنه عبد الله.
 - ١٤ الشيخ محمد بن سلطان العوسجي. قاضي المحمل والأحساء.
- ١٥ ـ الشيخ عبد الرحمن بن عبد المحسن أبو حسين. قاضى حريملاء وبلد الزلفى ر وغيرهها.
 - ١٦ _ الشيخ حسين بن عبد الله بن عيدان القاضي في حريملاء زمن عبد العزيز.
 - ١٧ ـ الشيخ عبد العزيز بن سويلم. قاضي ناحية القصيم زمن عبد العزيز وابنه
 سعود، وابنه عبد الله.
 - ١٨ _ حمد بن راشد العويني. قاضي سدير زمن عبد العزيز.
 - 19 ـ الشيخ العلامة حسين بن غنام صاحب «روضة الأفكار والأفهام» وصفه ابن بشر في «عنوان المجد» ج١ ص ١٥٦ بقوله «كانت له اليد الطولى في معرفة العلم وفنونه، وله معرفة بالشعر والنثر. صنف مصنفات منها العقد الثمين في شرح أحاديث أصول الدين». ذكر ذلك في وفيات السنة الخامسة والعشرين بعد المائتين والألف.

هذا قليل من كثير ممن أخذوا العلم عن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى _ فقد قال ابن بشر بعد ذكر من سردناهم قبل من القضاة ج ١ ص ١٠٤ قال :

«أخذ عنه من القضاة من لايحضرني الآن عدّه عدد كثير، وأخذ عنه ممن لم يل القضاء من الرؤساء والأعيان ومن دونهم الغفير»ا.هـ.

مصنفات الإمام محمد بن عبد الوهاب

صنف الإمام محمد بن عبد الوهاب مصنفات كثيرة نافعة منها:

- ١ _ كتاب التوحيد فها يجب من حق الله على العبيد.
 - ٢ _ كتاب الإيان.
 - ٣ _ أصول الايمان.
 - ٤ _ فضائل الإسلام.
 - ه فضائل القرآن.
 - ٦ _ السيرة المختصرة
 - ٧ _ السيرة المطولة.
 - ٨ _ مختصر الصواعق.
 - ٩ _ مختصر العقل والنقل.
 - ١٠ _ مختصر منهاج السنة.
 - ١١ _ مختصر فتح الباري.
 - ١٢ _ مختصر الهدى النبوي.
 - ١٣ _ مجموع الحديث المرتب على أبواب الفقه.
 - ١٤ _ مختصر الشرح الكبير والإنصاف.
 - ١٥ _ كشف الشبهات.
 - ١٦ _ أداب المشى الى الصلاة.
 - ١٧ _ الاستنباط

١٨ _ مسائل الجاهلية.

١٩ _ كتاب الكبائر.

٢٠ ـ مفيد المستفيد في حكم تارك التوحيد.

وللإمام محمد بن عبد الوهاب مصنفات عديدة غير ماسميناه. فقد قال الإمام ابن غنام في «روضة الأفكار والأفهام» (٢٥) بعد أن ذكر من مصنفاته «كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد» و«كتاب الكبائر» و«كشف الشبهات» و«كتاب السيرة المطولة» و«كتاب السيرة المختصرة» و«مختصر الهدى النبوى» و«مجموع الحديث المرتب على أبواب الفقه» و«مختصر الشرح الكبير والإنصاف» قال : «وله رسائل كثيرة عقدنا للمختصرات منها فصلا واستوعبنا ماوقفنا عليه منها (٢٦)» وذكر ابن بشر في «عنوان المجد» ج١ ص الشبهات» و«كتاب الإمام محمد بن عبد الوهاب «كتاب التوحيد» و«الاستنباط» و«كشف الشبهات» و«كتاب الكبائر ومسائل الجاهلية» و«مختصر الشرح الكبير والانصاف» و«أداب المشي الى الصلاة» وقال في كلامه على تلك المصنفات ـ أى : مصنفات الشيخ «وصنف غير ذلك عدة نسخ وأوراق وفتاوى ومراسلات فقهية وأصولية أكثرها في أصول التوحيد، وذكر أنه رأى مجلدات عديدة من مراسلات الإمام محمد بن عبد الوهاب وفتاويه ونبذ وضعها لأهل الآفاق كلها في أصول الإسلام»ا.هـ.

هذا _ وقد بذلت جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية مجهودا كبيرا في جمع مؤلفات محمد بن عبد الوهاب مطبوعها ومخطوطها لإظهارها من طريق الطبع بالمظهر اللائت بمكانتها. فبحثت عنها في نجد وفي غيرها من مختلف الأقطار فحصلت منها الشيىء الكثير، ثم قدمت الجميع الى من ترى فيه من العلماء الكفاءة للقيام بالواجب نحوه، وذلك بأن يتولى البعض ترتيب تلك المصنفات حسب فنونها، ويتولى البعض الآخر ما يتطلبه

⁽۲۵) ج ۱ ص ۵۰

⁽٢٦) وذلك في الفصل الثالث في سرد بعض رسائل أرسلها الى بعض البلدان والى بعض خواص الإخوان.

الطبع من المقابلة والتصحيح والتعليق والإشراف بالدقة والتحرى على مايطبع، فبذل أولئك العلماء مجهودهم في أداء تلك المهمة التي تستهدف الجامعة من ورائها إطلاع القراء على علم الإمام محمد بن عبد الوهاب وعلى دعوته كما هي هي بأوثق طريق وأبعده عن كل تزييف أو تشويه أو ادعاء باطل، فنجحت في ذلك

جزاها الله عن الإمام محمد بن عبد الوهاب وعن دعوته خير الجزاء.

دعوة

الإمام محمد بن عبد الوهاب الى ماعليه السلف الصالح

يتضح من مصنفات الإمام محمد بن عبد الوهاب مجدد القرن الثانى عشر وتقاريره ومراسلاته أن دعوته ماكانت الا الى ماعليه الأمر فى عهد السلف الصالح. يتضح ذلك على :

- ' فى باب صفات الله تعالى وأسهائه دعا الى وجوب الإيمان بما فى كتاب الله تعالى من ذلك، وبما فى الأحاديث الثابته عن النبى صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل.
- فى توحيد الألوهية دعا الى ماتضمنته شهادة أن لاإله إلا الله من نفى استحقاق العبادة بجميع أنواعها عمن سوى الله تعالى واثبات العبادة لله عز وجل على وجه الكمال المنافى لكليات الشرك وجزئياته معتمدا فى ذلك على نصوص كتاب الله عز وجل وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأوضح فى بحوثه أن ما يفسر به بعض المتكلمين شهادة أن لاإله إلا الله وهو أنه لاقادر على كل شىء ومفتقر اليه كل ماعداه إلا الله. ليس معنى الشهادة المقصود بالوضع وإن كان لازم المعنى: اذ الإلىه الحق لا يكون إلا قادرا غنيا عما سواه، وصرح بأنه لخفاء هذا على من خفى عليه زعم أن الغاية المقصودة من هذه الشهادة «لا إلىه إلا الله» مجرد توحيد الربوبية.
 - ٣ فيا يتعلق بالرسل عليهم السلام يوجب الايمان بهم وبما جاءوا به من عند الله ويدعو الى تجريد المتابعة لمحمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم والى القيام بحقوقه من الحب والتوقير، وتقديم ماجاء به على كل ماسواه والوقوف معه حيثها وقف والانتهاء اليه حيثها انتهى، كها دعا الشيخ محمد بن عبد الوهاب الى الإيمان بملائكة الله وكتبه على الوجه الذى يرضى الله عز وجل.

- ٤ ـ فى مسائل القضاء والقدر والجبر والإرجاء والإمامة والتشييع، يدعو الى التزام معتقد السلف الصالح فى جميع ذلك والى البراءة مما عليه القدرية المنفاة والقدرية المجبرة ومما ابتدعته المرجئة والرافضة وغلاة الشيعة والناصبة من البدع.
- ٥ ـ فى أمور الآخرة دعا الى الإيمان بما أثبتته النصوص من البعث بعد الموت.. والحساب
 والميزان والحوض والصراط والجنة والنار والشفاعة وغير ذلك مما ثبتت به
 النصوص.
- ٦ ـ فى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قرر أن أفضل هذه الأمة بعد نبيها صلى الله عليه وسلم أبو بكر الصديق ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان ثم على بن أبى طالب ثم بقية العشرة ثم أهل بدر ثم أهل بيعة الرضوان ثم سائر الصحابة،ودعا الى تولى جميع الصحابة والكف عها شجر بينهم، وأوضح أنهم أحق أمة محمد صلى الله عليه وسلم بالعفو عها صدر منهم وأقربها الى المغفرة لفضائلهم وسوابقهم، وحذر من سلوك مسلك الروافض والنواصب فيهم.
- ٧ ـ فى علماء الأمة من أهل الحديث والتفسير والفقه وسائر العلوم الشرعية أثبت لهم الفضل والإمامة. ويأمر بقبول مالا يتعارض مع النصوص من أقوال أثمة العلم ومنع الانفراد عنهم برأى مبتدع أو قول مخترع ويرى للأئمة الأربعة أبى حنيفة ومالك والشافعى وأحمد بن حنبل من الفضل والإمامة مايليق بمكانتهم، ومذهبه مذهب الإمام احمد بن حنبل، ولكن اذا بانت له سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم عمل بها ولا يقدم عليها قول أى أحد كائنا من كان، بل هى فى صدره أجل من ذلك. يقول فى الرسالة التى اختصرت لأهل مكة «اذا صح لنا نص جلى من كتاب أو سنة غير منسوخ ولا مخصوص ولا معارض بأقوى منه وقال به أحد الأثمة أخذنا به وتركنا المذهب؛ كإرث الجد والإخوة فإنا نقدم الجد وإن خالف مذهب الحنابلة (٢٧). أ.هـ

⁽۲۷) كذلك كان محمد حياة السندى شيخ الامام محمد بن عبد الوهاب فقد ورد في ثبت الفلاني الكبير في ترجم، ابي الحسن السندي الصغير مانصه «كان إماما عالما بالسنة وأثارها عاملاً بها مجتهدا لاعصبية فيه قد

٨ ـ فيا يتعلق بدماء المسلمين وأعراضهم وأموالهم دعا الى التزام مافى كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم من تحريم جميع ذلك ولم يرض فى أى شىء من ذلك الا بمستند من الشرع.

هذا مجمل دعوة مجدد القرن الثانى عشر الإمام محمد بن عبد الوهاب وبه يتبين أنها ليست سوى تجديد مامضى عليه السلف الصالح من تصفية الدين من شوائب الشرك والبدع.

يعمَل بخلاف مذهبه فيا ظهر له فيه الحق على خلاف مذهب امامه كشيخه محمد حياة السندى» ٥٠١ نقل ذلك عن الفلاني العلامة الشبيخ عبد الحي الكتاني في «فهرس الفهارس والاثبات» ج ١ ص ١٠٤.

من أثار دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب

أعادت هذه الدعوة المباركة الدين الى ماكان عليه فى عهد السلف الصالح فظهر لذلك من الآثار مايلى:

- ١ قلع أصول الشرك في العبودية وهدم آثاره وسد أبوابه.
- ٢ الرجوع الى ما فى القرآن والحديث من توحيد الأسهاء والصفات وتوحيد العبودية بعد
 أن كاد الجهل بذلك يعم.
 - ٣ رفع غشاوة الجهل وكابوس التقليد الأعمى
- ٤ العناية بالعامة، وذلك بتعليمهم معنى الشهادتين وإلزامهم إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والصيام وسائر شعائر الإسلام بعد أن كان بعضهم لايعرف من الإسلام شيئا غير مجرد التكلم بلفظ الشهادتين على مافى تلفظهم بها من عوج ولا يقومون بشيء من واجباتهها.
- جمع شمل المسلمين بعد التفرق وإطفاء نيران الظلم والفتن وتأمين السبل، ففى

 "مختصر مطالع السعود الى طيب أخبار آل داود» للشيخ أمين بن حسن الحلوانى
 المدنى ص ٨٠ مانصه «ومن محاسنهم أى آل سعود حماة هذه الدعوة أنهم أمنوا
 البلاد التى ملكوها، وصار كل ماكان تحت ملكهم من هذه البرارى والقفار أى
 التى ذكرها المختصر قبل يسلكها الرجل وحده على حمار بلا خطر خصوصا بين
 الحرمين الشريفين، ومنعوا غزو الأعراب بعضهم على بعض، وصار جميع العرب على
 اختلاف قبائلهم من حضر موت الى الشام، كأنهم إخوان أولاد رجل واحد الى أن
 عدم الشرفى زمان ابن سعود، وانتقلت أخلاق الأعراب من التوحش الى الإنسانية

وتجد فى بعض الأراضى الخصبة هذا بيت عنزى وبجنبه بيت عتيبى وبقربه بيت حربى، وكلهم يرتعون كأنهم إخوان، ولا تجد أحدا يقول هذه ديرتى ولا يطاها الغريب مثلا كها هو مشاهد الآن»ا.هـ.

٦ - الجهاد لإعلاء كلمة الله عز وجل،قال الشوكاني في مرثيته بعد تعزيته فيها :

لآل الشيخ وأضعافها (٢٨) للمقرنين كلهم . . هداة العروى من محتدى فرع وائل هم الناس أهل الباس يعرف فضلهم . . جميع بنى الدنيا فها للمجادل لقد جاهدوا في الله حق جهاده . . . الى أن أقاموا بالظبى كل مائل

⁽۲۸) أي التعزية

وفاة الإمام محمد بن عبد الوهاب

توفى شيخ الأسلام محمد بن عبد الوهاب عن عمر يناهز اثنتين وتسعين سنة عام ١٢٠٦، بذل جهده طيلة ذلك العمر في طاعة مولاه والاستعداد ليوم المعاد والدعوة الى الله عز وجل. وقد رثي بمراثى كثيرة نقتصر منها على مرثيتين : إحداها لحسين بن غنام، والثانية للإمام الشوكانى.

قال ابن غنام:

الى الله فى كشف الشدائد نفزع لقد كسفت شهس المعارف والهدى إمام أصيب الناس طرا بفقده وأظهلهم أرجاء البلاد لموته شهاب هوى من أفقه وسائه وكوكب سعد مستنير سناؤه وصبح تبدى للأنام ضياؤه فقد غاص بحر العلم والفهم والندى فقوم جلا عنهم صدا الدين فاهتدوا وقوم ذوو فقر وجهد وفاقة لقد رفع المولى به رتبة الهدى أبان له من لمعة الحق لمعة المولى به أبان له من لمعة الحق لمعة فارتوى فأحيا به التوحيد بعد اندراسه فأنوار صبح الحق باد سناؤه

وليس الى غير المهيمن مفزع فسالت دماء فى الخدود وأدمع وطاف بهم خطب من البين موجع وجل بهم كرب من الحزن مفظع وبحر له فى منزل اليمن مطلع وبدر له فى منزل اليمن مطلع فداجى الدياجى بعده متقشع وقد كان فيه للبدية مرتع فأسهاعهم للحق تصغى وتسمع عووا واقتنوا مافيه للعيش مطمع بوقت به يعلى الضلال ويدفع وعام بتيار المعارف يقطع وأقدى به من مظلم الشرك مهيع ومصباحه عال ورياه ضيع

سواه ولا حاذي قناها سميدع يشيد ويحيى ماتعفى ويرفع ويدمغ أرباب الضلال ويدفع أمرنا اليها في التنازع نرجع وأمسى محياها يضيء ويلمع وقد کان مسلوکا به الناس تربع وحق لها بالألمعي ترفع وأنواء فيها تضيء وتسطع مصابا خشيناه بعده يتصدع وكادت له الأرواح تترى وتتبع وظنوا به أن القيامة تقرع وكادت قلوب بعده تتفجع يخالطها مزج من الدمع يهجع وأهل الهدى والحبق والبديين أجمع وليست على فقداه تهميى وتدمع وليست على ذكراه يوما توجع عليه وكبيد قد أبت لاتقطع مقوضة لها خلت منه أربع وشمس المعالى والعلوم تشيع ولم تك في يوم الوداع تودع وحسل به طود من العلم مجرع فيوم الجزايرجي له الخلد موضع وباكره سحب من البر همع ولا زال بالرضوان فيها يتع

سيا ذروة المجد التم ماارتقى لها وشمر في منهاج سنة أحمد وينفسى الأعادي عن جماه وسوحه يناظر بالآيات والسنة التي فأضحت به السهاء يبسم ثغرها وعاد به نهم الغواية طامسا وجسرت به نجد ذيول افتخارها فأثاره فيها سواح سوافر لقد وجد الإسلام يوم فراقه وطاشت أولو الأحلام والفضل والنهى وطارت قلوب المسلمين بيومه فضجوا جميعا بالبكاء تأسف وفاضت عيون واستهلت مدامع بكت ذوو الحاجات يوم فراقه فهالى أرى الأبصار قلص دمعها ومالى أرى الألباب تبدى قساوة لقد غدرت عين تضن عاءها يحق لأرواح المحبين أن تسرى وتتلبو سريرا فوقمه قمسر الهدى فها بالها قرت بأشباح أهلها فيالك من قبر حوى الزهد والتقيى لئن كان في الدنيا له القبر موضعا سقيى قبيره من هاطيل العفي ديمة وأسكنه بحبوحة الفوز والرضي

⁽ع) هذه المرثية كلها في «روضة الأفكار والافهام» لابن غنام ج ٢ ص ١٥٥ - ١٥٦.

وقال الشوكاني .

مصاب دها قلبى فأذكى غلائلي وخطب به أعشار أحشاي صدعت ورزء تقاضاني صفاء معيشتي غدوت به وهن التياع ولاعب أسير جوى أفنى فؤادى رسيه مصاب به قامت علتی قیامیة مصاب به ذابت حشاشة مهجتي مصاب به قد أظلم الكون كله مصاب به الدنيا قد اغبر وجهها رمیت به عن قوس أبرح لوعة به هد ركن الدين وانبت حبله وقام على الاسلام جهرا وأهله وسيم منار الاتباع لأحمد وهبت لنار الابتداع سهائهم فيامهجتني ذوبي أسي وتأسفا ويالسوعتى دومى وزيدى ولازمى ويامقلتي غني الكرى عنك جانبا وياجزعي لاغبت كن متجددا فقد مات طود العلم قطب رحى العلا وماتـت علـوم الـديـن طرا بموته إمام الحدى ماحى الردى قامع العدى جمال الورى رحب الذرى شامخ الذرى عظيم الوف كنز الشف معدن الصفا يهي السنا عذب طيب الثنا

وأحمى بسهم الافتجاع مقاتلي فأمست بفرط الوجد أي ثواكل وأنهلني قسرا أمر المناهل حليف أسى للقلب غير مزائل وقلب من الحزن البدح ذاهل ومن كرب لاقيت أعظم هائل وعن حمله قد كل متنى وكاهلى وكان على حال من الحزن هائل وقد شمخت أعلام قوم أسافل بها نجم روحمي كان أسرع أفل وشد بناء الغسى مع كل باطل نعيق غراب بالمذلبة هائل هوان انهدام جاء من كل جاهل (٢٩) بسم لنفس الدين صرد وقاتل و پاکیدی انقشی بحیزن مواصل ويافجعتني للقلب ماعشت نازلسي وجودي بدمع دائم السكب هاطل وياسلوتي ولي وللقلب زائلي ومركز أدوار الفحول الأفاضل وغيب وجه الحق تحت الجنادل ومروى العدى من فيض علم ونائل وجمم القمري صدر الصدور الأوائل جلى الخفاعن مشكلات المسائل منيل المنسى من سيبه كل أمل

⁽٢٩) كذا في أثر الدعوة الوهابية للشيخ محمد حامد الفقى وفي الدرر السنية قسم التراجم.

وشيخ الشيوخ الحبر فرد الفضائل وحمل مقاما من لحموق المطاول سلالة أنجاب زكيى الخصائل تبل قراه بالضمى والأحائل وقام مقامات الهدى بالدلائل من الفضل تثني عزة المتطاول له في تقادير لها من مماثل وكامل أوصاف وحسن شائل ضيب وعن مولاه ليس بغافل وجفن بهتان المدامع هامسل وفي الجهر طوال الدهر ليس بغافل الى الشيخ يعرى ليس بهفو لعاجل ضحوك ووجه للبشاشة باذل وعن منكر ينهى وليس بقابل برأى وتدبير وحسن تعامل وبالجاه عن مستوجمه غير باخل ولم يمض منه العمر في غير طائل لمن كان مظلوما وليس بخاذل بماضى سنان دافع للأباطل مضل وبدعي ومغو وفائل ومانكست أعلامه بالاراذل ولا عن وصال الاعتبار بغافل ولااشتد للإسلام ركن المعاقل يقيم اعوجاج السير من كل عادل مقام نبى في إماتة باطل سيبكيه عنى جفن طل ووابل

إمام الورى علامة العصر قدوتي محمد ذو المجد الذي عز دركه الى عابد الوهاب يعيزي وأنه عليه من الرحمن أعظم رحمة لقد أشرقت نجد بنور ضيائه امام له شأن كبير ورتبة فريد كمال في العلوج فهل ترى على خلق يحلى الشيخ لطافة وقلب سليم للمهيمن خاشع وجنب تجافيه المضاجع في الدجى وعن ذكر رب العرش في السر دائحا عفو عن الجانبي صفوح وحلمه يقابل من يلقى ببشرى ومبسم ويأمر بالمعروف في كل حالة ولم يأل جهدا في نصيحة مسلم يجازى بإحسان إساءة غيره تقمص بالتقوى وبالخشية ارتدى ومين شأنه قمع الضيلال ونصره وكم كان في الدين الحنيفي مجاهدا وكم ذب عن سامي حماه وذاد من ففيم استباح أهل الضلال لعرضه وليس له شيء عن الله شاغل فلولاه لم تحرز رحى الدين مركزا ولا كان للتوحيد واضح لاحب فها هو الا قائم في زمانه ستبكيه أجفاني حياتمي وإن أمت

ويبكيه طرسي دائما وأناملي عيد ببر فائض العلم سائل هنیئا له اذ کان أشرف حامل فقد كان غيث الجود كهف الأرامل وآها على تلك العلوم الجلائل وتوضيحه للمعضلات المساكل يبين المخبا منهما للمحاول لأحكام فقه الدين من للرسائل وكشف لشامى الحكم عند النوازل عليه وذو جسم من الحسن ناحل وردع أخبى الجهل الغوى المجادل ما أنزل القرآن أشرف نازل يجد ولا يخشى ملامة عازل لقد عبت حقا وارتحلت بباطل وثل التعصب بالسيوف الصياقل صرختم له بالقذف مشل الزواجل أتانيا بها طه النبسي خير قائل عليه وياحزنى لأكرم راحل ولكن قضاء الله أغلب حائل لكنت له بالجهد أي محاول

وتبكيه أقلامسى أسسى ومحابسري عجبت لقبر ضمه كيف لم يكن ومن نعش كان حامل جسمه ولا غرو وأن بكى الزمان لفقده فأها على ذاك المحيا وحسنه وأها على تحقيقه فى دروسه فمن للبخاري بعده ولمسلم ومن ذا لتفسير الكتاب ومن ترى ومن لسانيد سمت ومعاجم ألم تر أن الدهر نصف كآبة ومن للمعانى والبيان ومنطق ومن لك بالأصلين واللغة التي ومن بعده للصدع بالحق قائم أفق يامعيب الشيخ من ذا تعيبه نعم ذنبه التقليد قد جذ حبله ولما دعا لله في الخلق صارخا دعا لكتاب الله والسنة التي فوا أسفي والهف قلبيى وحسرتي و باندمي لو كان يجدي من القضا ولسو كان من ريب المنية مخلص

ومر الى أن قال وهو يعزي فيه آل الشيخ

أعـزيكـم مع ذى انتساب لوائل بجـارى القضا فى عاجـل ثم أجل لديه تعـالى من أجـور جزائل

فياسائر الأولاد للشيخ انسى وأوصيكم بالصبر طرا وبالرضا بتسليم أمر الله ثم احتساب ما

فما جزع يوما بنافع جازع ومثلكم لايعتسريه تزليزل فإن كان للجنات والدكم مضى وأنتم بحمد الله عنه خلائف وإنا لنرجو أن تكونوا أئمة وللخير والإحسان من كل وجهة ونسأل رب العرش يعظم أجوركم ولازلتم غيظ القلوب لكل من ولافجعت في الدهر ساحة سوحكم ولافجعت في الدهر ساحة سوحكم وأوفى الثنا منى عليكم مكررا

وماحزن رد القضاء بفاعل ولا وهن فى فادحات النوازل فقد كان فينا معقبا كل كامل بعلم وفضل شامخ القدر شامل بكم يقتدى فى دينه كل فاضل تحث اليكم مضمرات الرواحل ويعقبكم من طارقات الغوائل ويعقبكم من كل حاف وناعل يعاديكم من كل حاف وناعل برزء لموصول المسرة فاضل وجمل زاكى ذكركم كل عاطل وأزكى تحيات سواح كوامل

* ثم قال الشوكاني في تعزيته الأئمة من أل سعود في ذلك الإمام:

وأضعافها للمقرنين كلهم هم الناس أهل الباس يعرف فضلهم لقد جاهدوا في الله حق جهاده فناديهم في كل ناد مبجل سعود مضى والسعد حالف نجله لقد نصروا دين الإله وحزبه

هداة الورى من محتدى فرع وائل جميع بنسى الدنيا فيا للمجادل الى أن أقاموا بالظبا كل مائل فحقهم التبجيل بين القبائل كما حالف الآباء ليس براحل كما دفعوا داعى الهوى بالقنابل

ساق الشيخ عبد الرحمن بن قاسم مرثية الشوكاني هذه كلها في قسم التراجم من الدرر السنية ص ٢٠ ـ
 ٢٤ وأورد الشيخ محمد حامد الفقى الكثير منها في أثر دعوة الامام محمد بن عبد الوهاب في الاصلاح الديني والعمراني.

عليهم سلام الله ماذر شارق ومااهتزت الأزهار في صبح هاطل وأزكى صلاة الله ثم سلامه على المصطفى الهادى كريم الشائل محمد المختار من فرع هاشم وآل وأصحاب كرام أفاضل

وفى ختام كلمتى هذه نسأل الله أن يجزى الإمام محمد بن عبد الوهاب وآل سعود عن الاسلام خير الجزاء، والله ولى التوفيق وهو حسبى ونعم الوكيل.

المرأة في حياة إمام الدعوة الشيخ محدبن عبدالوهاب

لفضيلة الشيخ حمدا لجا سر



بسسم الندالرحمن الرحسيم

لم يعن من اطلعت على مؤلفاتهم من المؤرخين بجوانب حياة الامام المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب _ أسبغ الله عليه شأبيب عفوه ورضوانه _ إلا بما يتصل بدعوته إلى تجديد الدين، وتطهيره من شوائب الشرك والبدع والخرافات.

ولهذا فالباحث المتعمق في دراسة جميع جوانب حياته الخاصة تعترضه عقبات يقف أمامها حائرا.

فهو عندما يطلع على ما كتبه بعض مؤرخي الحجاز عن سفير الدعوة في عهد الأمامين عبدالعزيز وابنه سعود، العالم الجليل الشيخ حمد بن ناصر بن عثمان بن معمر (١٢٢٥هـ)، يجد فيا يطلع عليه أن الشيخ حمدا في سفارته الثانية سنة ١٢٢٠ ـ اجتمع له أهل جدةً في جامعها الكبير، فقرأ عليهم رسالة جَدّهِ في بيان حقيقة الدعوة.

وأول ما يتبادر إلى الذهن أن المقصود بكلمة (جدّه) الإمام الشيخ محمد بن عبدالوهاب.

ولكنه لا يجد بين مؤرخي نجد ممن عرفت مؤلفاتهم ما يؤيد هذا من قريب أو بعيد، وقد يكون هذا ناشئا عن عدم اهتامهم بمثل هذا الجانب من حياة الإمام، بل قد يجد المهتم بدراسة تاريخ هذه البلاد جوانب أخرى مما هو ألصق بها لايزال غامضا، ومنها ما يتعلق بالناحية العلمية في نجد عند ظهور الدعوة، وليس أدل على هذا من أن أحد مؤازرى الشيخ في عمله الجليل، عالم نجد في عهده الشيخ عبدالله بن عيسى بن عبدالرحمن الشيخ في عمله الجليل، عالم نجد في عهده الشيخ في إحدى رسائله بقوله (۱): (ما نعرف من علماء نجد، ولا علماء العارض ولا غيره أجل منه) ـ عندما يروم الباحث معرفة شي ممن علماء نجد، ولا علماء العارض ولا غيره أجل منه) ـ عندما يروم الباحث معرفة شي مما

⁽١) تاريخ ابن غنام المسمى «تاريخ نجد» تحقيق الدكتور ناصر الدين الأسد ـ ص ٣٤٢ ـ.

بتعلق بحياته لايجد فيا بين يديه من مؤلفات مؤرخي نجد ما يوضح له معالم تلك الحياة، بل لايجد أكثر مما ورد في رسائل الشيخ عنه وعن ابنه عبدالوهاب.

وما أرومه في كلمتي هذه عن (المرأة في حياة الامام) لا يعدو الاشارة إلى جانب من جوانب حياة الشيخ جدير بالدراسة، ولن يعدم الباحث المتعمق فيه من لمحات قد توضح له الطريق، فالوثائق الشرعية من أحكام ووصايا ووقف وقسمة عقار وهبات ونحوها، لا يزال كثير منها مما يتعلق بعصر الشيخ وما بعده محفوظا، وهي لا تغفل ما يتعلق بالنساء، وتعنى ببيان صلة القرابة، فهي لذلك من المصادر المهمة لمن يهتم بالنواحي التاريخية بصفة عامة.

ولا شك أن إهمال أثر المرأة في حياتنا بصفة عامة يعد تجاهلا لحياتنا كلها، ولواقعنا الذي نعيشه .

ولعلي لا أغرب في القول عندما أقرر أن من أسس دعوة الشيخ محمد ـ رحمه الله ـ إنصاف المرأة، والدفاع عن حقوقها.

فقد كان بعض الناس في عهده يتحايل بطريقة الوقف أو الهبة أو القسمة لحرمان النساء من حقهن تحايلا وصفه الشيخ في إحدى رسائله (٢): (إذا أراد الانسان أن يقسم ماله على هواه، وفرّ من قسمة الله، مثل أن يريد أنّ امرأته لا ترث من هذا النخل، ولا تأكل منه إلا حياة عينها، أو يريد تفضيل بعض أولاده على بعض، أو يريد أن يحرم نسل البنات _ إلى أن قال: ويفتى له بعض المفتين أن هذه البدعة الملعونة صدقة بر تقرب إلى الله، ويوقف على هذا الوجه قاصدا وجه الله).

ووصف الشيخ هذا (بالجنف والإثم) وشدد النكير على فاعله وأقام الأدلة الشرعية على بطلانه في رسالته المعروفة.

ولا أريد أن أتعرض لبحث موضوع ليس من صميم ما أردت تناوله من الناحية التاريخية.

⁽٢) أبن غنام «تاريخ نجد» تحقيق الدكتور ناصر الدين الأسد ص ٣١٦.

إن في واقع تاريخنا أمثلة حية لمشاركة المرأة في جميع الأعمال النافعة، حتى في مقارعة الأبطال، ومجالدة الأعداء بأدوات القتال، فغالية البقمية (٢) كان لشجاعتها وقيادتها الأثر العظيم في مؤازرة أنصار الدعوة حتى انهزم جيش طوسون بن محمد على باشا في وقعة تربية سنة ١٢٢٩ (١٨١٣م)،ثم تصدت مع المجاهدين لحرب جيش محمد على حين غزا تربة ليثأر لهزيمة ابنه، بشجاعة نادرة ، أثارت حفيظة الباشا الذي تمنى أن يقدر على إمساكها بعد انهزام جيشها وذهابها إلى الدرعية سنة ١٢٣٠ بعد هزيمة وقعة بسل، وقال عنها المؤرخ المصرى محمود فهمى المهندس في كتاب «البحر الزاخر» (١٠): وتكدر محمد على باشا كثيرا من هرب غالبية ونجاتها من يده، لأنه في اشتياق زائد لإرسالها إلى القسطنطينية، علامة وشهرة على نصره وظفره. انتهى.

ومع شهرة تلك المجاهدة الشَجاع، لم يرد لها ذكر في أهم المصادر التي بين أيدينا عن تاريخ الدعوة.

وقل مثل ذلك في سيدة شجاع انتضت السيف حتى أدركت الثأر من قاتل ابنها، ولولا ما حفظه لنا الشعر العامي والرواة المعاصرون من أمرها لكان نسيا منسيا، إنها السيدة لؤلؤة بنت عبدالرحمن أل عرفج من أمراء القصيم أل عليان من العناقر من تميم، التي قال عنها الأمير عبيد بن على بن رشيد _ يذكر السيف _:

ليا عاد ما نرويه من دم الأضداد ودوه يسم العرفجيسه ترويسه

وتجد خبرها مفصلا في كتاب «بلاد القصيم» (٥) للأستاذ الشيخ محمد العبودى.

⁽٣) انظر عن غالية مجلة «العرب» س ٥ ص ٨٠٠ و س ٦ ص ٣٩٤ و «الاعلام» للزركلي حرف الغين ـ ومجلة «الزهراء» ج ١ ص ١١٨ وتاريخ الجبرتى حوادث سنة ١٣٢٩هـ و «البحر الزاخر في تاريخ العالم وأخبار الأوائل والأواخر» ج ١ ص ١٣١٨ ١٨٨/١٨٧/١٧٣ تأليف محمود فهمي المهندس المتوفي في سيلان سنة ١٣١١ ـ منفيا مع عرابي باشا.

⁽٤) ج ١ ص ١٨٧ وما بعدها.

⁽٥) ص ٥٧٤ وما بعدها وهو أحد أقسام «المعجم الجغرافى للبلاد العربية السعودية» من منشورات (دار اليامة للبحث والترجمة والنشر) وشرح بيت عبيد: (ليا) إذا: (عاد): لم (ودوه): اذهبوا له ويعني السيف. (العرفجية): المنسوبة الى أل عرفج ، وغلط فؤاد حزة فظن الكلمة اسم روضة _ كها في حاشية كتابه «قلب

طال الاستطرداد وحسن العود للحديث عمن ألصق بالموضوع من كريمات عهد نشوء الدعوة.

زوجة الامام محمد بن سعود: أول امرأة تحدث مؤرخو نجد عن مناصرتها لدعوة الشيخ هي موضي بنت ابن وهطان، زوجة الأمير محمد بن سعود.

وهي من أسرة كريمة من أل كَثِير، ولا تزال فروع تلك الأسرة معروفة في بلاد نجد، وهي من أل فضل، الذين كانوا يسيطرون على الجزيرة، من بلاد الشام حتى جنوب الجزيرة خلال القرن الثامن إلى القرن الحادى عشر.

وآل فضل من قبيلة طي المعروفة، ولا تزال أسر كثيرة منهم متحضرة متفرقة في مدن المملكة، بعد أن انتقلت باديتهم إلى الشام والعراق.

وكان آل كثير في بادية العارض من أول القرن الحادى عشر _ على ما يفهم من كلام بعض المؤرخين (١) _ حتى منتصف القرن الثاني عشر _ وجرى بينهم وبين آل معمر أمراء العيينة مناوشات، من أشهرها محاولتهم نهب بلدة العيينة حتى غزوها سنة ١١٣٧ _ فاحتال أميرها محمد بن حمد بن معمر حتى قتل رئيس الغزو زيد بن مرخان صاحب الدرعية، ثم في سنة اثنتين وأربعين ومئة وألف قتلوا ذلك الأمير، قتله آل نبهان منهم.

ثم انحدروا إلى الشرق عند ظهور الدعوة وكانوا يتعرضون لبعض القوافل - كما ذكر ابن بشر في حوادث سنة ثلاث وأربعين ومئتين وألف.

وعندما سار الإمام تركي لغزو قبائل العجهان وأل مرة سنة ثمان وأربعين ومئتين

جزيرة العرب» ونبهت على ذلك في نقدى للكتاب. ومجمل معنى بيت الشاعر: إذا لم نرو سيوفنا من دم أعداثنا فخذوها منا وأعطوها النساء فهن أشجع منا ـ كها فعلت العرفجية.

⁽٦) انظر سوابق ابن بشر لسنوات ١٠٤٦ و١٠٨١ و١٠٩٧ و١١٠٥ و١١٣٠ و١١٣٣.

وألف تزوج في الأحساء ابنة هادى بن مِذُود رئيس عربان أل كثير، وأتى بها معه الى الرياض ، وكان أبوها قد قتل سنة ثلاث وأربعين ومئتين وألف(٧).

ونرجع للحديث عن تلك السيدة الجليلة موضي.

حين انتقل الشيخ محمد بن عبدالوهاب من العيينة إلى الدرعية سنة ١١٥٧ كارها مكرها (وَعَسَىٰ أَنْ تَكُرُهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرُ لَكُمْ).

وكانت الدعوة قد وجدت في هذه البلدة تربة خصبة، فَنَبَتَتْ وَغَتْ، فحل الشيخ ضيفا على أحد تلامذته حتى استقبله محمد بن سعود على نحو أوجز وصفه ابن غنام بقوله (^): (فلها سمع بذلك الأمير محمد بن سعود قام من فوره ومعه أخواه ثنيان ومشارى ، فأتاه في بيت أحمد بن سويلم، فسلم عليه، وأبدى له غاية الإكرام والتبجيل، وأخبره أنه يمنعه بما يمنع به نساءه وأولاده).

ولكن ابن بشر فصله على هذا النحو^(۱): (فعلم به خصائص من أهل الدرعية ، فزاروه خفية، فقرر لهم التوحيد، فأرادوا أن يخبروا محمد بن سعود، ويشيروا عليه بنزوله عنده ونصرته، فهابوه، وأتوا إلى زوجته وأخيه ثنيّان الضّرير، وكانت المرأة ذات عقل ودين ومعرفة، فأخبروهها بمكان الشيخ، وصفة ما يأمر به وينهى عنه، فوقر في قلبيهها معرفة التوحيد، فلها دخل محمد بن سعود على زوجته أخبرته بمكان الشيخ، وقالت له: إنّ هذا الرجل ساقه الله إليك، وهو غنيمة، فاغتنم ما خصك الله به. فقبل قولها. ثم دخل عليه أخوه ثنيان وأخوه مشاري وأشارا عليه بمساعدته ونصرته) انتهى. ثم كان من أمر الإمامين ما هو معروف.

ولا داعي لمجاراة بعض مؤرخي نجد من المتأخرين من غير أهلها في المقارنة بين موقف الجوهرة زوجة الامام محمد بن سعود بموقف أمِّ المؤمنين خديجة رضي الله عنها مع

⁽Y) «عنوان المجد» ج ٢ ص ٥٧/٤٢ طبعة وزارة المعارف.

⁽A) ابن غنام : «تاریح نجد»: ۸۰.

⁽٩) «عنوان المجد» ج ١ ص ٢٤ ـ طبعة وزارة المعارف سنة ١٣٩١ (١٩٧١م).

النبي صلى الله عليه وسلم _ أول ما نزل عليه الوحي، ثم لما أمره الله بالجهر بالدعوة ، إلى الإسلام، فمقام أمَّ المؤمنين لا يُسَامَى، وإن اتفق الموقفان في مناصرة الحق.

ورحم الله ابن بشر فلولا إشارته الموجزة التي تقدم ذكرها عن أثر تلك السيدة الكريمة في حث زوجها على قبول الدعوة، ومناصرة إمامها تلك المناصرة التي عادت بخير العوائد وأعظم النتائج، لَجُهلَ أمرها.

ابنة محمد بن سعود: جاء في كتاب «علماء نجد خلال ستة قرون (١٠٠)» في الكلام على الأمراء الذين وقفوا في وجه الدعوة: (عثمان بن حمد بن عبدالله بن معمر، أمير العيينة، الذي ناصره أول الأمر ثم تخليً عنه، فبعد أن انتقل الشيخ إلى الدرعية، واتفق مع الأمير محمد بن سعود ، صار عثمان يشن عليهما الغارات من العيينة، ويرسل كوكبات الخيل عليهما الفرسان، وكان الأمير محمد بن سعود من الضعف وعدم القوة والعدة بحال لا يستطيع معها مقابلات حملات عثمان بن معمر. ولذا كانت بنت محمد بن سعود تقول من قصيدة لها شعبية:

ما شاقني كود سرنية لابن معمر تطل على النزلال كل عشية يايب شف للخيل خيل مثله وإلا فزل من شيخة الدرعية

ولم يذكر مؤلف الكتاب الأستاذ الشيخ عبدالله البسام مصدره. وأورد البيتين الأستاذ، عبدالله بن خيس (۱۱) بصيغة: (ينسبان إلى ابنه محمد بن سعود، حينا كان ابن معمر يهاجم الدرعية من العيينة في أول دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه الله ـ في الدرعية:

تشوق عيني سرية ابن معمر تطل على الزلال كل عشيه يابُوي شِف للخيل خَيل مِثْلَه وإلا فخل إمارة الدرعية

⁽۱۰) ص : ۲۷.

⁽١١) معجم اليامة ١/٥٣٥.

⁽١٢) الزلال: من الأمكنة القريبة من الدرعية. ويقول الاستاذ عبدالله بن خيس وهو من أهل هذه البلدة _: إنه غير معروف الأن.

فالأستاذان يثبتان لمحمد بن سعود ابنة شاعرة ، وهي على صحة نسبة البيتين إليها ذات همة عالية، وشجاعة، وتطلع إلى معالى الأمور، وتحريض على مجاهدة أعداء الدعوة.

ولكنني وإن كنت لا أنكر وجود بنت لمحمد بن سعود تتصف بحميد الصفات ألاحِظُ ـ بعد اختلاف الراويين في نص البيتين، ووقوع الخلل في وزنها _ مخالفة اللهجة فيها للهجة سكان العارض ووسط نجد، فكلمة (مِثله) التي يرجع الضمير فيها إلى (الخيل) جاءت مطابقة للهجة أهل شهال نجد بلاد القصيم وما حولها، فهم الذين يحذفون الألف من ضمير المؤنث على قاعدة: (بالكرامة ذات أكرمكم الله به، والفضيل ذي اكرمكم الله بخلاف لهجة غيرهم من بلاد نجد، فهم لا يحذفون تلك الألف.

وأمر آخر اتّفق عليه الأستاذان الكريمان، وهو تقرير أن عثبان بن معمر كان يغزو الدرعية في أول دعوة الشيخ، وهذا الأمر - فضلا عن كون مؤرخى الدعوة ممن اطلعت على كلامهم لم يذكروه - يخالف ما هو معروف من أن المدة الواقعة بين انتقال الشيخ إلى الدرعية ، ووفود عثبان بن معمر عليه فيها، وتجديد بيعته كانت من حيث القصر بحيث لا تتحمل شن غارات الحرب، فقد انتقل الشيخ سنة ١١٥٧هـ ووفد عليه ابن معمر في تلك السنة. فإذا صح وقوع شي من الغارات فهو حين كان العداء مستحكما بين العيينة وبين الدرعية بعد سنة ١١٣٨هـ التي وقع فيها الوباء الذي أفني أكثر سكان العيينة فأضعفها، فغزاها أهل الدرعية وأميرهم زيد بن مرخان سنة ١١٣٩ ، فقتل واستولى على الإمارة محمد بن سعود، ولكن العيينة استعادت قوتها في عهد عثبان بن عبدالله بن حمد ابن معمر الذي تولى الإمارة بعد قتل أخيه محمد سنة ١١٤٢هـ، واستجاب لدعوة الشيخ في أول عهدها.

وأعود لذكر ابنة محمد بن سعود، فبعد التّصافي والاتفاق بين الأسرتين الكريمتين الأسرة المقرنية (١٣) والأسرة المعمرية، ببركة الدعوة الإصلاحية التي قام بها الامام المجدد الشيخ محمد، تقوّت الأواصر بالتزاوج بينها، فَزَوَّجَ عثمانُ بنُ ناصر بن عبدالله

⁽١٣) من كليات الاعتزاء التي كان الملك عبدالعزيز _ رحمه الله _ يرددها اذا حزبه أمر من الأمور: (انا ابن مقرن) و (أنا أخو الأنور) و (أنا أبن فيصل).

ابن معمر عبدالعزیز بن محمد بن سعود بن محمد بن مقرن ابنته التی أنجبت الامام سعودا، وزوج الامام محمد بن سعود ابنته مشاری بن ابراهیم بن عبدالله بن معمر، فأتت منه بمحمد بن مشاری، الذی کان من رسل الصلح بین الامام عبدالله بن سعود وبین ابراهیم باشا أثناء حصار الدرعیة سنة ۱۲۳۳هـ، ثم سعی للاستیلاء علی نجد بعد رحیل ابراهیم باشا سنة ۱۲۳٤، فتم له ذلك حتی قتل هو وابنه مشاری عند قیام الامام ترکی ابن عبدالله بن محمد بن سعود سنة ۱۲۳۱هـ ـ علی ما ذكر ابن بشر .

فيكون الامام عبدالعزيز خالا لمحمد هذا، وكذا أخود عبدالله بن محمد، كها أوضح ذلك ابن بشر أيضا (٤٠٠)، لا الامام سعود بن عبدالعزيز، كها ورد في الطبعة الأولى من كتاب ابن بشر «عنوان المجد» (٥٠٠) وفي الطبعات التي نقلت عنها. وقد أشار إلى هذا الخطأ الشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف أل الشيخ في تعليقه على طبعة وزارة المعارف لذلك الكتاب.

والدة الشيخ محمد بن عبدالوهاب: أول من رأيته يتحدث عن هذه السيدة الجليلة التي أنجبت لنا هذا الرجل العظيم، هو الأستاذ الجليل الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن البسام في كتاب «علماء نجد خلال ستة قرون» فقد أوضح أن جد الشيخ محمد لأمه (هو محمد بن عَزَاز المُشرَّفي الوُهَيْبي التميمي من عشيرته الأدنين) (١٦).

ولما ترجم الشيخ سيف بن محمد بن عَزَاز (۱۷) أشاد بذكر آل عزَّاز، وذكر أن سيفا هذا هو خال الشيخ، وذكر أن وفاته كانت سنة ١١٢٩هـ.

وقد ورد في إحدى رسائل الشيخ محمد ذكر ابن عزَّاز ـ من هذه الأسرة فيما يظهر ـ قال (١٨٠): في إحدى رسائله لعبدالله بن سحيم: (ولا يخفاك أني عثرت على أوراق عند ابن

⁽١٤) «عنوان المجد» : ج ١ ص ٢٧٥ و ٢٩٨ طبع وزارة المعارف سنة ١٣٩١هـ (١٩٧١م).

⁽۱۵) ج ۱ ص ۲۱۷.

⁽١٦) «علماء نجسد» ص ٢٦.

⁽۱۷) ص ۲۲۹.

⁽١٨) تاريخ ابن غنام تلخيص الدكتور ناصر الدين الأسد ص ٣٠٧.

عَزَاز، فيها إجازات له من عند مشائخه، وشيخ مشائخه يقال له عبدالغنى (١٩٠)، ويثنون عليه في أوراقهم، ويسمونه العارف بالله، وهذا اشتهر عنه أنه على دين ابن عربي الذى ذكر العلماء أنه أكفر من فرعون).

ولا أستبعد أن يكون ابن عزّاز هذا هو الشيخ سيف المتقدم ذكره، ويرد على هذا القول إشكال من كون الشيخ محمد لم يدعه خاله.

ومها يكن فإن ما ذكره الأستاذ ابن بسام عن والدة الشيخ هو حصيلة ما في المؤلفات التي وصلت إلينا.

زواج الشيخ: كان الشيخ الامام محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه الله ـ عندما قام بدعوته في بلده حريملاء قد بلغ الثامنة والثلاثين من عمره، ولم يذكر مؤرخو حياته أنه تزوج إلا بعد أن انتقل إلى بلدة العيينة، بعد وفاة والده الشيخ عبدالوهاب سنة ثلاث وخمسين ومئة وألف.

قال ابن بشر: (فانتقل الشيخ إلى العيينة ورئيسها يومئذ عثهان بن حمد بن معمر، فتلقاه بالقبول، وأكرمه ، وتزوج فيها الجوهرة بنت عبدالله بن معمر).

ويظهر أن هذا هو أول زواج للشيخ، لأنه قبل وفاة والده قد عاش متنقلا بين الحجاز والبصرة والأحساء، مشغولا بطلب العلم، ولم يذكر مؤرخوه الموثوق بهم أنه تأهل قبل انتقاله إلى العيينة.

أما ما جاء فى كتاب «لمع الشهاب» (٢٠٠) ونصه: (وكان تحت محمد بن عبدالوهاب حينئذ ثلاث نسوة وابنان وابنتان) ـ أى قبل سفره لطلب العلم ـ فهو حديثُ خُرافة، ككثير من الأخبار الواردة فى ذلك الكتاب.

لقد كانت بلدة العيينة مسقط رأس الشيخ ، ففيها ولد ونشأ، وهي مقر أسرته بعد

⁽١٩) هو عبدالغني بن اسهاعيل النابلسي (١٩٤/١٠٥٠).

⁽۲۰) ص ۱۹ ـ طبع (دار الملك عبدالعزيز).

انتقالها من بلدة أشيقر، وارتحال والد الشيخ منها كان بسبب وقوع خلاف بينه وبين أميرها الذى عزله عن القضاء وولى شيخا آخر من تلك الأسرة التي تربطها بأسرة آل معمر أواصر قوية غير آصرة النسب، فالأسرتان تميميتان.

وبلدة العيينة في ذلك العهد خير مكان لنشر الدعوة ، فهي قاعدة بلاد نجد، وإمارتها أقوى إمارة وأشهرها في تلك البلاد.

أما هذه السيدة الجليلة التي تزوجها الشيخ، الجوهرة بنت عبدالله بن معمر، فهي عمة الأمير عثمان، الذي استقبل الشيخ أحسن استقبال، وابنة الأمير عبدالله بن محمد بن حمد ابن معمر، الذي وصفه ابن بشر بما هذا نصه (٢١) (في سنة ثهان وثلاثين ومئة وألف أوقع الله سبحانه الوباء العظيم الذي حلّ بأهل بلدة العيينة أفنى غالبهم، مات فيه رئيسها عبدالله بن محمد بن عبدالله بن معمر، الذي لم يُذكر في زمانه ولا قبل زمنه في نجد في الرئاسة وقوة الملك والعدد، والعُدَّة والعقارات والأثاث، فسبحان من لا يزول ملكه) انتهى.

وللجوهرة _ في سبيل نشر الدعوة _ يدان كريمتان.

اليد الأولى: أنها قبل زواج الشيخ بها كانت سببا في إنقاذ حياة محمد بن سعود بن محمد بن مقرن الذي قام بنصرة الشيخ ومؤازرته في نشر الدعوة ، وسار أبناؤه وأحفاده من ملوك آل سعود على نهجه حتى حقق الله لتلك الدعوة الظهور والانتشار في جميع أنحاء العالم.

قال ابن بشر (۲۲) _ في ذكر حوادث سنة تسع وثلاثين ومئة _ : (وفي هذه السنة غدر محمد بن حمد بن عبدالله بن معمر الملقب خرفاش صاحب العيينة بزيد بن مرخان صاحب الدرعية، وبدغيم بن فايز الكادحى السبيعى وقتلها. وذلك أنه لما أصاب بلدة العيينة الوباء المشهور وأفني رجالها ومات رئيسها عبدالله بن معمر، طمع زيد بن مَرْخَان وأتباعه

⁽٢١) «عنوان المجد» ج ٢ ص ٢٣٦ طبع وزارة المعارف سنة ١٣٩١هـ (١٩٧١م).

⁽٢٢) المصدر السابق

في أموالها ، وأرادوا نهبها ، فساروا إليها بآل كثير وبوادي سبيع وغيرهم، فلما وصل الجميع عقرباء أرسل خرفاش إلى زيد، وقال له: إنه ما ينفعك نهب البوادى وغيرهم لنا، وأنا أعطيك وأرضيك وأقبل إلي.. فسار زيد إليه في أربعين رجلا، ومعهم محمد بن سعود وغيره، فأدخلهم قصره ، ثم أدخل رجالا من قومه في مكان وواعدهم إذا جلس زيد يرمونه بالبنادق، فرموه ببندق بن فلم يخطئانه فهات. فتنبه محمد بن سعود ومن معه ، ودخلوا في موضع، وتحصنوا فيه، فلم ينزلوا إلا بأمان الجوهرة بنت عبدالله بن معمر.

ورجع محمد بن سعود بمن معه من أهل الدرعية ، فاستقل محمد بعد هذه بولاية الدرعية كلها، ومعها غصيبة) (٢٣) انتهى كلام ابن بشر على مافيه من سذاجة ، ولكنه يقرر يَداً بيضاء لتلك الأميرة الكريمة وهذا أوردته بطوله.

واليد الأخرى للجوهرة تقوية الصلة بين زوجها الامام محمد، وبين ابن أخيها الأمير عثمان، وحقًا ما قال الدكتور عبدالله الصالح العثيمين (٢٠٠): وحين وصلى محمد بن عبدالوهاب _ إلى العيينة رحب به أميرها وأكرمه _ إلى أن قال _ : وازدادت علاقة الاثنين توطدًا بزواج الشيخ من الجوهرة بنت عبدالله بن معمر، ويبدو أن زواجه منها لم يكن لشهرة أسرتها فقط، وإنما لسمعتها الاجتاعية الخاصة أيضا) انتهى.

ولا داعى للاسترسال في ذكر الآثار الطيبة التي عادت على الدعوة الإصلاحية من جرّاء تلك المصاهرة، غير أن المناسبة تلجي الى الاشارة إلى خاتمة ذلك الصّهْرِ، وهي خاتمة محزنة حقّا، لم تقف عند حدّ قتله، بل تجاوزت ذلك إلى الطعن في عقيدته، وانجرت إلى ابنه من بعده.

حَقَا إِنَ الرَجِلُ نَدُمُ عَلَى مَاقَدَم، و (تِلْكُ أُمَّـ أُمَّـ أُمَّـ أَلَّ كُلَّتُ لَكَ مَا كُسَبَتُ). البقرة آية (١٣٤)

ولكن تاريخنا المدون _ فضلا عها فيه من جوانب النقص _ لا يخلو من مواقف

⁽٢٣) غصيبة: محلة في أعلى الدرعية، بلغها عمرانها الأن.

⁽٢٤) كتاب «الشيخ محمد بن عبدالوهاب» ص ٤٧ مطبعة نهضة مصر، بدون تاريخ.

يعتورها الغموض، وما هي مهمة الباحث إذا لم يحاول تحليل الوقائع، ليستخلص منها النتائج حتى يصل إلى الحقيقة فما يعالج من القضايا التاريخية ؟.

لقد قام الأمير عثمان بن معمر بمؤازرة الشيخ، فقطع الأشجار التي يعظمها الجهال، وهدم ما بُني على القبور، ونفّذ أحكام الشريعة ، ويظهر أن أهل بلاده لم يكونوا كلهم على وفاق معه، فابن بشر يذكر أنه اجتمع مع الشيخ نحو سبعين رجلا منهم من رؤساء المعامرة - أي استجابوا للدعوة - وأن الشيخ لما أراد هدم قبة زيد بن الخطاب - رضي الله عنه - أراد أهل الجبيلة - وهي من بلاد عثمان - أن يمنعوه من هدمها، فسار معه عثمان بنحو ست مئة رجل، فلما رأوه قد عزم على حربهم إن لم يتركوه يهدمها خلوا بينهم وبينها.

ولقد استمرّ عثمان في تقبيل آراء الشيخ وتنفيذها، تقبل المؤمن بها، إيمانا صادرا عن يقين بصدقها، لا عن رغبة في أمر، ولا عن رهبة من أحد، وكما قال الشيخ حسين بن غنام (٢٥): (تلقاه بالقبول والمناصرة ، وأكرمه غاية الاكرام، وألزم الخاصة والعامة أن يمتثلوا أمره، ويقبلوا قوله) عنها الذي جرى له حتى غير موقفه؟! قال ابن بشر (٢٦): بعد أن ذكر بلوغ أخبار الشيخ حاكم الأحساء سليان بن محمد: (فأرسل إلى عثمان كتابا يتهده فيه إن لم يقتل الشيخ أو يخرجه من بلده، وأنه إن لم يفعل قطع خراجه) ثم أشار إلى أن عثمان تردد في الأمر، فأثر عليه جلساء السوء وإذن فلدى عثمان من خاصته من لم تباشر دعوة الشيخ قلبَه وقال: (فأرسل إلى الشيخ ثانيا وقال له: إن سليان أمرنا بقتلك، ولا نقدر إغضابه ولا مخالفة أمره لأنه لا طاقة لنا بحربه، وليس من الشيم أن نؤذيك في بلدنا مع علمك وقرابتك)، وذكر أنه أرسل مع الشيخ حُرَّاسا إلى أن بلغ الدرعية.

كان صاحب الأحساء ذا نفوذ واسع في عهده، ولهذا استعان به أعداء الشيخ، ممن وصفهم ابن غنام بقوله (۲۷): (فلما أعياهم ردّ ما أفحمهم به الشيخ من حجج، عدلوا إلى ردها بالمكر والحيلة) وهو يقصد اعداءه من أهل نجد، الذين ألبّوا عليه أقوى حاكم ذي نفوذ وسلطة في هذه البلاد.

(17)

⁽۲۵) «تاریخ نجد» : ۷۸.

[«]عنوان المجد» : ۲۳/۱. (۲۷) «تاريخ نجد» : ۸۰.

قال صاحب كتاب: «لمع الشهاب» (٢٨): (شكوا ذلك إلى سليان آل محمد الحميدى الخالدى، حاكم بنى خالد والأحساء والقطيف وقطر كلها، فالتمسوا منه أن يمشي على والي العيينة و يجليه من بلده)، وذكر أنه توعد ابن معمر في كتابه بأمور:

١ _ قطع وظائفه التي في الأحساء.

٢ ـ منع عماله من جباية غلّة أملاكه في الأحساء من نخل وزراعة رُزِّ قَدْرَ محصولها
 يستين ألف ريال ذهب.

٣ _ منع تجار بلده من مسابلة الأحساء والقطيف وقطر وسواحل تلك البلاد.

لقد تكالبت الأعداء على عنهان، فقومه الأدنون من أهل العيينة ومن حولها ليسوا كلهم منقادين لدعوة الشيخ ، ولا مؤيدين لما يقوم به عنهان من مناصرته، وأكثر علماء نجد قد أظهروا التنكر لدعوة الشيخ وجاهروا بذلك ، ومنهم من كاتب الأمرا والعلماء في التحريض على قمع الدعوة التي لم يستجب لها سوى عدد قليل من أهل العيينة وأهل الدرعية.

وها هو حاكم الأحساء يتوعد عنهان بمُختلف أنواع الوعيد إن لم يقتل الشيخ أو يخرجه من بلاده، (٢١) وإن لم يفعل فسوف لا يقف عند حد ما توعد به، إنه سوف يغزو ابن معمر، وبلاد نَجْدٍ في ذلك العهد كانت ميدانا لغارات آل مُميد حكام الاحساء ، وليس لابن معمر ـ بعد أن حل بإمارة العيينة ما حل بها من الضعف أن يقاوم ، وليس لديه من القوة ما يستطيع به أن يقابل قوة حاكم يسيطر على شرق الجزيرة من عهان جنوبا إلى البصرة شهالا، بل تتناول سيطرته وقوة نفوذه بلاد نجد، بحيث كان ابن معمر يظهر الخضوع له، ويتقاضي وظيفة منه، وحين ثارت عليه عشيرته سنة ١٦٦٦هـ التجأ إلى الخرج فتوفى فيه.

⁽٨٢) (٣٨)

⁽۲۹) عنوان المجد : ۲/۲۱ طبعة وزارة المعارف سنة ۱۳۹۱هـ (۱۹۷۱م).

⁽٣٠) كان لمحمد بن غرير آل حميد أربعة أبناء توارثوا بعده وهم سعدون توفي سنة ١١٣٥ ثم على الى سنة ١١٤٣ ثم سليان. قال عنه ابن بشر عند ذكر حوادتسنة ١١٦٦هـ: وفيها غدر المهاشير المعروفون من بنى خالد في سليان آل محمد رئيس الأحساء، ورئيس بنى خالد ، فانهزم الى بلد الخرج ومات فيه . انتهى،أما مؤلف «لمع الشهاب» فقد أوضح السبب، فقال ـ ص ١٦٧ ـ بعد أن أشار إلى موقفه عند قيام الدولة السعودية: (كان

ليس أمام ابن معمر سوى ارتكاب أخف الضررين لدفع أعلاها، كما قال صاحب كتاب «لمع الشهاب" فلما وصل كتاب سليان بن محمد الخالدى إلى عثبان بن معمر اهتم وكره عداوة سليان، وغضب أيضا لخروج محمد بن عبدالوهاب عنه، لكنه ارتكب أخف المحظورين بإبداء المعذرة لدى محمد بن عبدالوهاب خُفية ، فقال له: إن محاربة هذا الرجل تصعب علينا، فالرأي أن تسير من العيينة على بركة الله إلى أي بلد شئت، وتقيم فيها سنة أو سنتين حتى نرى كيف يفعل الله بعد ذلك ثم مرجعك إلينا).

لا أريد تبرير فعل ابن معمّر في إخراج الشيخ، ولكنني أحاول الحفاظ على كرامة أول مؤازر للدعوة وصهر القائم بها، وجدّ بطل من أبطال الأسرة السعودية الكريمة التي كتب لتلك الدعوة الانتشار والبقاء بجهاد أبطالها منذ عهد الامام محمد إلى عهدنا ، هو الإمام سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود، سبط الأمير عثبان بن حمد بن معمّر.

أريد المحافظة على كرامة ذلك الرجل بإيضاح بعض ماظهر لى حيال ما نسب اليه - في بعد _ من تنكّر للدعوة، وقد أكون مخطئا في أبديه من رأى يخالف مايراه غيرى، ولكن مما لاشك فيه أن في كتب عن الدعوة وعن معاصريها مواقف اتخذ منها بعض الأعداء ثغرات ومنافذ للطعن في الدعوة، وللنيل من القائمين بها.

لم يتجاوز الزمن بين انتقال الشيخ إلى الدرعية، ووفود الأمير عثمان بن معمر عليه فيها لتجديد البيعة أكثر من عام، على ما يفهم من كلام ابن بشر الذى قال في سياق الكلام عما جرى للشيخ حين وصل إلى الدرعية في سنة ١٢٥٧ (٢٣٠): (فلما علم عثمان أن

متولعا يحب النساء، نكح ما يزيد على المئة ، لكنّه لم يجمع إلا بين أربع منهن، بل كان يأخذ ويطلق، وكان يتعرض بنات بنى خالد غدرا، فأنكرت عليه مشايخ الخوالد وبنو أعهامه، فأجلوه إلى أرض نجد، ولما وصل اليهامة مات فى الطريق فدفن هناك ومدة سلطنته قريب سبع عشرة سنة) ـ انتهى. وقد وقع في «عنوان المجد» ج ٢ ص ٢٤٠ ـ طبعة وزارة المعارف غلط نصة : فذكر سوابق سنة ١١٤٣: (قتل سليان بن محمد رئيس الاحساء ورئيس عربان بنى خالد ، قتله ابن أخيه دجين بن سعدون) . والمقتول هو على بن محمد وتولى بعده أخوه سليان بن محمد، الذى كان معاصرا لظهور الدعوة ومات في الخرج سنة ١١٦٦.

^{.44 (41)}

٣٢) «عنوان المجد»: ج ١ ص ٢٥ ـ طبع وزارة المعارف سنة ١٣٩١هـ (١٩٧١م).

محمداً بن سعود أوى الشيخ ونصره وبايعه ندم على ما فعل، فقدم على الشيخ وطلب منه الرجوع معه فقال: ليس هذا إليّ، وإنما هو إلى محمد بن سعود، فأتى عثمان محمدا فأبى عليه) ويقول ابن غنام (٣٣): (فرجع إلى بلده مضمرا العداوة والشرَّ والغدر، وإن كان يُبدى مشايعة الحق ونصرة الشيخ والأمير محمد، إلى أن تكرر منه المكر، وظهر نفاقه وانكشف أمره).

وهذا كلام مبهم غير واضح ، وما تخفيه القلوب علمه عند علام الغيوب، ومؤرخو تلك الفترة ذكروا ان الرجل لما وفد على الشيخ في سنة سبع وخمسين ومئة وألف _ أو التي بعدها (٣٤) _ بايع على الإسلام والجهاد في سبيل الله، وذكروا مشاركته في غزو الرياض سنة تسع وخمسين، وفي غيرها من الغزوات حتى قتل سنة ١١٦٣هـ

غير أنَّ ابن بشر لما ذكر وقعة دلقة سنة ستين _ إحدى غزوات الرياض _ قال (٣٥)؛ وكانت تلك الغزوة من غير مشورة عثبان، لأنهم يتهمونه في الباطن أنه يوالي عدوهم، وزادته هذه الوقعة تهمة، وندم على تخلّفه عن الغزو، لأنه خاف على نفسه، ثم ذكر أنَّ محمد بن مبارك لما عاد من غزوة دلقة بأهل حُريكِلاء مر بالعيينة فتعاهد مع عثبان واتفقا وتصافيا. ولكن المؤرخ لم يذكر الغاية من ذلك الاتفاق، وقال: ثم إن عثبان أرسل إلى الشيخ وإلى الأمير محمد يعتذر إليهم من التخلف عن الغزو، فقبلا منه، ثم إنه قدم عليهم ومعه وجوه أهل العيينة وأهل حُريكاء، وعاهد الشيخ ومحمد على الجهاد، فعند ذلك جعلوه رئيسا للغزوات والسرايا، وصار محمد بن سعود له منقادا ولا يخالفه بل يتابعه، ويوافقه في السفر والغزو والجهاد _ على ما في تاريخ ابن غنام أيضا (٣٦) بدون إشارة إلى خبر الاتفاق مع أمير حريكاء.

وقد يفهم من كلام ابن بشر عن اتفاق ابن معمّر مع أمير حريملاء محمد بن عبدالله بن

⁽٣٣) «تاريخ نجد» : ٨٢.

⁽٣٤) «عنوان المجد» ج ١ ص ٢٨.

⁽٣٥) المصدر السابق : ٣٣/١.

^{.98 : (}٣٦)

مبارك أنه ضد مصلحة القائمين بالدعوة، وهذا غير صحيح، فابن مبارك كان من أوائل الوافدين على الشيخ في الدرعية في سنة ١١٥٧ ـ بجهاعته أهل حُريملاء، وقد قتل في شوال سنة ١١٦٥، وهو ثابت على ما عاهد عليه الشيخ (٣٧).

ولكن كان بين أهل العيينة وأهل حريملاء حزازات قديمة وضغائن قبل قيام الدعوة _ أشار إلى بعضها ابن بشر وغيره (٣٦) _ ويظهر أنّ ذلك الاتفاق لإزالة أثار تلك الحزازات، التي كان من أخرها ما حدث من عثبان بن معمر سنة ١١٤٣ من أخذه زواملهم (٢٦).

ويورد المؤرخان ابن غنام (٤٠) وابن بشر (٤١) في حوادث سنة ستين ومئة وألف أن من أعظم ما نقم على عثبان ـ وعبارة ابن غنام: وكان من أعظم ما أظهر نفاق عثبان ـ أنه أرسل إلى ابراهيم بن سليان أمير ثرمداء، وأمره أن يركب إلى دهام ـ أمير الرياض ـ للإصلاح بينها والاتفاق جميعا مع الشيخ ، ومحمد بن سعود، فقدم دهام مع ابراهيم على عثبان، وكان ذلك من غير مشورة الشيخ محمد وابن سعود، فحين رأى أهل البلد ذلك ساروا إلى عثبان، فموة عليهم ـ وعبارة ابن بشر: فتحقق أهل البلد منهم الخيانة ـ وقال عثبان: ليس في مراد إلا الإرسال للشيخ حتى يحضر عقد الصلح، ويدخل دهام في دائرة الاسلام. ثم أرسل إلى الشيخ للقدوم، فألقى الله في روعه ما استبان به خيانة عثبان وغدره، فامتنع عن الذهاب، وعرف المسلمون من أهل البلد مَكرً عثبان، فحصروا ابن واس في القصر، ولكنه هرب تحت جنح الظلام، وعاد إبراهيم بن سليان إلى ثرمداء قال ابن بشر: فلها وصلها (تدرع لباس الحرب).

لاشك أنَّ ما فعله عثمان من محاولته الإصلاح بين القائمين بأمور الدعوة وبين عدويهم اللدودين صاحب الرياض وصاحب ثرمداء بدون مشورة واتفاق على ذلك بينه وبين الشيخ محمد والأمير محمد بن سعود من الأمور التي يؤاخذ عليها، مهما كان قصده،

⁽٣٧) : «عنوان المجد» ج ١ ص ٢٨ و ٤٢.

⁽۳۸) حوادث سنة ۱۱۳۰/۱۱۲۸/۱۱۲۸/۱۱۲۸.

⁽٣٩) المصدر السابق: ج ٢ ص ٢٤٠.

⁽٤٠) «تاريخ نجد» : ٩٤.

⁽٤١) «عنوان المجد» : ٣٤/١.

ولعل الشيخ في امتناعه عن الحضور، اتضح له من خفايا الأمر ما لم يتضح في العبارات المبهمة من كلام المؤرخين الذين وصفوه بالخيانة والغدر

ولا نريد أن نذهب بعيداً في محاولة الدفاع عن عثمان، أكثر من القول بأن فعله هذا وسمّع شقّه الخلاف وهيأ للناقمين عليه _ ومنهم بعض أهل بَلدِهِ من قومه _ أقوى الوسائل للنيل منه.

ثم إنه بعد ذلك ذهب إلى الأمير محمد، وجدد العهد ، وغزا الرياض بلدة دهام وذلك في سنة إحدى وستين ومئة وألف، وكان الأمير ، في تلك الغزوة التي قتل فيها ٤٥ من الجيش. ثم غزا الرياض مرة ثانية، فقتل من الفريقين نحو اثنى عشر رجلا.

وفي سنة ١١٦١ ـ على ما ذكر ابن غنام (٢٠): سار عنهان بأهل العيينة وحريمالا، وعبدالعزيز بأهل الدرعية وقراها وأهل ضرماء والأمير على الجميع عنهان وفنزلوا ليلا في موضع قريب من ثرمداء يقال له البُطِين، وجعلوا لهم كَمِينا، فلها أصبحوا خرج عليهم أهل البلد فاشتد القتال، فلها خرج الكمين انهزم أهل ثرمداء، بعد أن قتل منهم ٧٠ رجلا، ثم التجأوا إلى قصر يسمى قصر الحُريض فتحصنوا فيه، فخلا البلد من المقاتلين، فأراد عبدالعزيز (بن محمد بن سعود) أن يدخلوا البلدة فيأخذوها عنوة، فأبى عنهان ذلك وارتحل بمن معه، ولم يبق مع عبدالعزيز إلا عدد قليل فتردد في دخول البلد، ثم عزم على العودة، وأخبر أباه محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبدالوهاب بما حدث من عنهان، فزاد ما في نفسيهها عليه.

أما ابن بشر فقد قال في إحدى نسخ تاريخه (٢٠): فأبى عثبان مَشَحَةً بأهلها ومَضَنَّة بهم، وقال في الأخرى (٤٤): وحصل من عبدالعزيز كلام على عثبان، وأكثر عليه الملام مثم ذكر تخلفه وأتبعه بقوله من يلحقه إلا آخر النهار، فصارت الأحوال بينها متغايرة، والقلوب متنافرة.

[«]تاریخ نجد» : ۹٦.

⁽٤٣) «عنوان المجد «الطبعة الأولى ٢٢

⁽٤٤) «عنوان المجد» ٣٦/١ ـ طبعة وزارة المعارف سنة ١٣٩١

بعد غزوة ثرمداء هذه برزت في قضية عثمان بن معمر جوانب ليست في مصلحته. فالبلدة وأكثر سكانها من بني تميم قبيلة عثمان، وأمراؤها العناقر من أسرته إذ آل معمر منهم، ولهذا فاستنتاج المؤرخ ابن بشر بأنه ترك دخول البلدة (مشحة بأهلها ومضنة بهم) يفهم منه طغيان العاطفة على الواجب، وفات المؤرخ أنَّ البلدة قد خلت من الرجال المقاتلين، ولم يبق فيها إلا النساء والأطفال، ومن لا يقدر على القتال، فما الغاية من دخولها، مع ترك المحاربين من أهلها خارجها متحصنين؟

وزاد الأمر سوءا بالنسبة لعثمان ماوقع بينه وبين عبدالعزيز بن محمد بن سعود من خلاف أحدث تغاير الأحوال وتنافر القلوب _ كها قال ابن بشر _ وصدق الشاعر:
إن القـــلوب إذا تنافـــروُدهَا مثل الزجاجــة كسرُها لا يُشْعَبُ

ولم يشفع لعثهان أنه قاد غزوة أخرى بعد ذلك، ودمر جيشه مزارع بلدة ثرمداء، حيث تحصن أهلها، ولم يبرزوا للقتال كها فعلوا في المرة الأولى التي قتل منهم فيها نحو سبعين رجلا.

لقد ختمت حياة عثمان بهذه الصورة المحزنة التي قال عنها ابن غنام (٥٤)؛ لما تزايد شر عثمان على أهل التوحيد وظهر بغضه لهم وموالاته لأهل الباطل، وتبين الشيخ صدق ما كان يروى عنه، وجاء أهل البلاد كافة، وشكوا خشيتهم من غدره بالمسلمين، قال الشيخ لمن وفد إليه من أهل العيينة؛ أريد منكم البيعة على دين الله ورسوله، وموالاة من والاه ومعاداة من حاربه وعاداه، ولو أنه أميركم عثمان، فأعطوه على ذلك الأيمان، فملئ قلب عثمان من ذلك رعبا، وزين له الشيطان أن يفتك بالمسلمين، فأرسل إلى ابن سويط وإلى ابراهيم بن سليان يدعوها للمجي عنده لينفذ ما عزم عليه من الإيقاع بالمسلمين.

فلما تحقق أهل الاسلام ذلك ، تعاهد على قتله نفر منهم: حمد بن راشد وابراهيم بن زيد (الباهلي)، فلما انقضت صلاة الجمعة، قتلوه في مصلاً، بالمسجد سنة ١١٦٣.

⁽٤٥) «تاريخ نجد» : ٩٧.

فلما علم بذلك الشيخ عجل بالمسير إلى العيينة ، فقدم فى اليوم الثالث بعد مقتله، وأراد أهل التوحيد وخاصة من اشترك فى قتل عثمان ألا يولى عليهم أحد من آل معمر فأبى الشيخ، وأمر مشارى بن معمر، وكان ذلك في منتصف رجب. انتهى ونحو هذا ورد في «عنوان المجد» لابن بشر (٢٤).

لقد مضى الرجل لسبيله، وكما يقال: (الغائب حجته معه)، ولكنه فتح بكثير من تصرفاته للناقمين عليه أبوابا واسعة للنيل منه، ولا يعنينا الآن إلا أن تبدو الصفحات الأولى من تاريخ الدعوة المباركة ناصعة البياض وأن لا يُتّهَم دعاتها ومناصر وها بتنكرهم لمؤازريهم.

ويكاد متتبع تاريخ القضية أن يجزم بأنه لايد للشيخ محمد ولا للامام محمد بن سعود في قتل ذلك الرجل، وأن الأمر وقع في وقت لم تستقر فيه أوضاع الدولة الناشئة، ولم تثبت دعائم الدعوة.

ومن المعروف أن كل حركة من حركات التغيير الاجتاعية يصاحب قيامها فوضى وعَدَمُ انضباط في كثير من أمورها قبل استقرارها، وكثيرا ما استغل ذو و الأغراض ـ من المناصرين لتلك الحركة أو من أعدائها ـ ذلك لتحقيق أغراضهم.

ولهذا تكررت حوادث مشابهة لحادثة قتل عثبان بن معمر منها؛ قتل ابراهيم بن محمد ابن عبدالرحمن أمير ضرما سنة ١١٦٤ وقتل أمير حريملا محمد بن عبدالله بن مبارك سنة ١١٦٥، وقتل محمد بن فارس وابنه عبدالمحسن صاحبا منفوحة بيد ابني زامل بن فارس سنة ١١٧٨، وقتل أمير الفرعة عيبان الناصرى سنة ١١٧٩ هو وأولاده، ومها كانت أسباب كل هذه الحوادث فلم تكن بموافقة القائمين بأمور الدعوة.

ويضاف إلى ما تقدم أن أسرة آل معمر قد حدث بينها شقاق حول توكي الإمارة، منذ منتصف القرن الحادى عشر الهجرى.

⁽٤٦) ج ١ ص ٨٩.

واستمر نحو قرن من الزمان، ومثل هذا يحدث في كثير من الأسر التي تتشعب فروعها ويكثر أفرادها.

ولا يجد الباحث تفاصيل لهذا التنافس لدى مؤرخى نجد فى تلك الحقبة، ولكنه لن يعدم إشارات موجزة يستشف منها ذلك.

فابن بشر يذكر في سوابقه أن دواس بن محمد بن عبدالله بن معمر قُتل سنة ١٠٥٨ وتولى بعده محمد بن حمدبن عبدالله الإمارة، فأجلى آل محمد من العيينة، فلم تتم له الولاية سوى تسعة أشهر.

ويذكر ابن بشر ايضا أن الشيخ لما انتقل إلى الدرعية من العيينة سنة ١١٥٧ هاجر إلى الدرعية بعض رؤساء المعامرة، ويضيف: (معاكسين لعثهان بن معمر).

ونجد أحد هؤلاء المهاجرين يتولى إمارة العيينة بعد قتل عنهان، وهو سلطان بن محيسَن المُعَمَّرِي في سنة ١١٦٣.

وقد ذكر الأستاذ عبدالله بن خيس في «معجم اليامة» (١٤٠) بعد ذكر مقتل عثمان.. (ولكن الشيخ محمد لم يرض بهذا التصرف، فسارع إلى العيينة، وجمع أهلها وهدأ روعهم، وعين مشارى بن ابراهيم بن معمر أميرا وناصر الدعوة.. وأخذ يشارك بأهل العبينة في غزوات آل سعود، ولكن ظهر منه أخيرا ما جعل الدرعية تُبيئ الظن به وتعزله.

بعد ذلك أسندت إمارة العيينة إلى سلطان بن محيسن أحد موالى آل معمر، ولكن ذلك أوغر صدر ناصر بن عثمان بن معمر، وكان يطمع في تولي الإمارة ، فأعلن ترده ولكنه قتل سنة ١١٨٢.

واضطرب الأمن في العيينة فذهب إليها الشيخ محمد ، وأمر بهدم قصر آل معمر،

[.]Y.E/Y.W (EV)

وإنهاء سلطتهم فى العيينة،ومن ثم أخذ الناس يهجرونها ويرحلون عنها حتى أصبحت خرابا. انتهى.

وما ذكره الأستاذ عبدالله من أن الشيخ محمدا _ رحمه الله _ لم يرض بقتل عثمان حقُّ لا شكَّ فيه، ولو لم يكن في ذلك التصرّف سوى الافتئات على الجهة التي بيدها الحل والعقد.

والقول بأن سلطان بن محيسن من موالي آل معمر، لم أر له مصدرا لدى ابن غنام وابن بشر اللذين ذكرا أنه ممن هاجر إلى الدرعية إبان قيام الدعوة هو وأخواه عبدالله وزيد، وذكرا توليته إمارة العيينة، وإمارته كانت سنة ١١٧٣، والذى تولى الامارة بعد عثمان هو مشارى بن ابراهيم بن عبدالله بن معمر من رجب سنة ١١٦٣ حتى سنة ١١٧٣هـ، ومشارى هذا صهر للامام محمد بن سعود، وهو الذى تولى ابنه محمد إمارة نجد، بعد خراب الدرعية حتى قتل في عهد الامام تركي سنة ١٢٣٦هـ ـ كما تقدم _.

أما ناصر بن عثبان بن معمر، فالرجل _ على ما ذكر ابن بشر قُتِل شهيدا غازيا مع الإمام سعود بن عبدالعزيز سنة ١١٨٢، فالتقى جيش سعود بقبيلة ال مرة _ في ناحية الجنوب، فوقعت الهزيمة على سعود وقومه، وقتل منهم نحو عشرة رجال منهم ناصر بن عثمان بن معمر، ولم يحدث منه تمرد _ فها أعلم _

وهنا سؤال يتبادر إلى الذهن هو: هل ناصر هذا هو أبوالعالم الجليل الشيخ حمد بن ناصر بن عثمان بن معمر؟!

هذا مالم أر له ذكرا فيا بين يدى من الكتب، وكل من ترجم الشيخ حمدا لا يُفصّل القول في ذكر نسبه، ولعل المقصود من ذلك عدم الإشارة إلى مأساة عثمان _ إن كان جد الشيخ _ احتراما له.

والقول بأن بلدة العيينة أخذ الناس يهجرونها ويرحلون عنها منذ هدم الشيخ قصر أل معمر حتى أصبحت خرابا ـ قد يكون الأستاذ عبدالله بن خميس أراد أن ابتداء ذلك كان تلك السنة، ولكن هدم القصر كان سنة ١١٧٣ بعد عزل مشارى عن الإمارة وتولية

سلطان _ كها ذكر ابن بشر في حوادث تلك السنة، لأننا نرى لها ذكرا لدى المؤرخين إلى ما بعد ذلك التاريخ، ومن ذلك ما ذكره ابن بشر في حوادث السنوات:

١١٧٨ ـ في وقعة الحاير قتل من أهل العيينة ٢٨ رجلا.

١٢١١ _ هدم السيل في العيينة بيوتا كثيرة.

١٢٢١ _ كان أمير المرابطة للإمام سعود في المدينة المنورة من أهل العيينة حمد بن سالم، وكان أميرا على ناحية سدير عند وفاة الإمام سعود.

١٢٣٣ ـ استشهد في وقعة الدرعية وغيرها من أهل العيينة ١٥ رجلا.

۱۲۳۳ ـ انتقل في آخر هذه السنة محمد بن مشارى بن معمر من بلدة العيينة، ونزل الدرعية.. وطمع في ملك نجد، وكان خالاه؛ عبدالعزيز بن محمد، وعبدُالله بن محمد آل سعود.

بنات الشيخ: لم يتعرض مؤرخو نجد ممن وصلت إلينا مؤلفاتهم لذكر بنات الشيخ، مع التفصيل في ذكر أبنائه.

وأول من رأيته تعرض لهذا الجانب من حياة الشيخ هو السيد لطف الله بن أحمد جحاف (١٢٤٣/١١٧٩هـ) من تلامذة الإمام الشوكاني، وممن عاصر قيام الدعوة، فقد ذكر في كتابه «درر نحور الحور العين، في سيرة الامام المنصور، وأعلام دولته الميامين (١٤٠٠ ذكر ـ حين عد أبناء الشيخ أن له ابنتين ، هما شائعة وهيا (٤٩١).

وذكر في موضع آخر وهو يتحدث عن أبناء الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود مانصه: (وأخبرنى بعض المكيين ممن له اطلاع على خاصة عبدالعزيز أن له من الأولاد غير سعود بن عبدالعزيز ومحمد وها على أمّ واحدة. ثم عمر وعبدالعزيز ـ كذا ـ ابنا عبدالعزيز وامها إحدى بنات الشيخ محمد بن عبدالوهاب، تزوجها عبدالعزيز بن محمد. قال المكى: وأما بناته فهن خس ، منهن لطيفة ومنيرة. انتهى (٥٠).

⁽٤٨) مخطوط انظر عنه مجلة «العرب» س ٧ ص ٢٧ وما بعدها.

[«]العرب» س ٧ ص ٢٦.

⁽٥٠) المصدر ص ٤٧.

أما ابن بشر فهو يذكر لعبدالعزيز بن سعود من الأبناء: سعودا وعبدالله وعمر وعبدالرحمن (٥١). ولا يذكر محمدا ولا عبدالعزيز.

وابن بشر ذكر أبناء عبدالعزيز بعد وفاته بزمن ـ ذكرهم سنة ١٢٣٢ و١٢٣٣ أثناء حصار الدرعية ـ فقد يكون محمد بن عبدالعزيز توفى قبل ذلك الوقت.

وعبدالعزيز الذي عده المؤرخ اليمني سبطا للشيخ قد يكون اسمه محرفًا، وأنه عبدالرحمن، أو عبدالله الذي ذكر ابن بشر أنه توفى سنة ١٢٣٣ بعد انقضاء أمر الصلح، ويلاحظ أن بعض المؤرخين المتأخرين عدّ الامام سعود بن عبدالعزيز بن سعود من أسباط الشيخ محمد، وهذا خطأ، نشأ عن كون والده تزوج ابنة الشيخ، أما أمه فهي ابنة الأمير عثهان بن معمر الذي تقدم الكلام عنه.

وتقدمت الإشارة إلى ماورد في كتاب «تاريخ أشراف مكة» لابن عبدالشكور (٢٥٠)، ونصه _ بعد حذف ألفاظ الشتم: في صفر سنة ١٢٢١ _ وصل نحو عشرين رجلا من أهل الدرعية، وفيهم حمد بن ناصر إلى مكة بكتاب سعود للشريف غالب، وكان في جدة، فنزلوا لملاقاته فاتجهوا به، ثم عقد بينها الصلح، ونزل حمد بن ناصر إلى مسجد عكاش في الحين، وقرأ رسالة جَدّه، وأمر الناس وتجار البلد وأعيانها، وما زالوا يحضرونها حتى أتم قراءتها _ ثم ذكر هدم القباب وإزالة المنكرات.

وحمد هذا هو الشيخ حمد بن ناصر بن عثمان بن معمر ، سفير الدعوة إلى مكة المكرمة في عهد الإمامين عبدالعزيز بن محمد سنة ١٢١٢هـ وسعود سنة ١٢٢١هـ .

فهل هو سبط للشيخ محمد من ابنته التى ولدت للإمام عبدالعزيز ابنيه عمر وأخاه، وأن ناصراً أبا الشيخ حمد تزوجها قبل الإمام عبدالعزيز، فيكون الشيخ ربيبا له؟! لا استبعد دلك،، ولا استبعد أن يكون ذلك الزواج كان في زمن الأمير عثمان بن معمر صهر الشيخ، وأن الشيخ زوج ابنه ناصر بنته، فيكون الشيخ حمد حفيداً للأمير عثمان بن

⁽٥١) : «عنوان المجد» : ١/٢٢٨/ ٢٦٥/٢٦٦ طبع وزارة المعارف سنة ١٣٩١هـ (١٩٧١م).

⁽۵۲) لا يزال مخطوطاً ، وانظر مجلة «العرب» س ١٠ ص ١٦٦/٨٦٥.

حمد بن عبدالله بن معمر، وهذا أمر لم أر له ذكرا فيا اطلعت عليه من المؤلفات.

أما الثانية من بنات الإمام: فقد تزوجت عالمين أزرا الدّعوة الإصلاحية في إبان قيامها، وشاركا القائمين بها في نشرها والدفاع عنها، ولازما الشيخ وعاشا معه في الدرعية.

هما الشيخان: حمد بن ابراهيم بن حمد بن عبدالله، ومحمد بن غريب.

قال ابن بشر عند سرد حوادث سنة أربع وتسعين ومئة وألف (٥٣): (وفيها توفي الشيخ محمد بن حمد بن ابراهيم بن حمد بن عبدالله بن عبدالوهاب، قاضي مراة، قرأ على الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وتزوج ابنته، وسكن الدرعية عنده، وولدت منه القاضي عبدالعزيز بن حمد) انتهى.

والشيخ حمد هذا من أسرة الإمام الشيخ محمد، من المشارفة، الأسرة المعروفة، يلتقى الشيخان في النسب في راشد بن بريد بن محمد بن مشرّف الجد الخامس للشيخ محمد.

وهو من أسرة علم وفضل ، فقد كان جده عبدالوهاب قاضي مدينة العيينة توفى سنة خمس وعشرين ومئة وألف.

وتولى الشيخ حمد قضاء بلدة مراة، ثم قدم الدرعية وقرأ على الشيخ محمد، وتوفي في حياته سنة أربع وتسعين ومئة وألف.

وله ابنان من زوجته ابنة الشيخ هما ابراهيم نشأ في بيت جده بعد وفاة أبيه، وتلقى العلم على علماء الدرعية في العهد الذى كانت فيه حافلة بالعلماء، ثم تولى قضاء بلدة مراة حتى استشهد في وقعة الماوية في جمادى الآخرة سنة ١٣٣٧هـ.

والابن الثانى عبدالعزيز: وهو الذى اجتمع به المؤرخ اليمني السيد لطف الله جحاف، فقد قام بسفارة للإمام سعود بن عبدالعزيز إلى صاحب صنعاء الإمام المنصور (30).

⁽٥٣) «عنوان المجد» ج ١ ص ٩٠ ـ طبعة وزارة المعارف ـ سنة ١٣٩١هـ (١٩٧١م). (٥٤)انظر كتاب «مشاهير علماء الدعوة» للشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ ص ٢٠ و ص ٢١٢.

وصفه الشيخ عبدالله البسام فقال (٥٥٠): كان صاحب عقل راجح، وفكر ثاقب، ولسان بليغ، لذا اختاره الإمام سعود في سفارة إلى إمام صنعاء، فكفى في مهمته. قال أبن حميد: وسمعت بعض مشائخ صنعاء يثنون عليه بالفضل والعقل والفهم والذكاء التام وحسن المحاضرة. انتهى

وأشار جَحًاف في كتابه «درر نحور الحور» إلى أن بينه وبينه مكاتبات ـ فيما يتعلق بتاريخ عهدهما .

وبعثه الإمام عبدالله بن سعود سفيرا إلى محمد على باشا صاحب مصر سنة ١٢٣٠ حين وقع الصلح بين عبدالله وبين طوسون، وكان ممن اجتمع به في مصر المؤرخ عبدالرحمن الجبرتي، فقال عنه وعن رفيقه (٢٥) عبدالله بن محمد بن بَثيان بوقد اجتمعت بها مرتين فوجدت منها أنسا وطلاقة لسان، واطلاعا وتضلعا ومعرفة بالأخبار والنوادر، ولها من التواضع وتهذيب الأخلاق، وحسن الأدب في الخطاب والتفقه في الدين، واستحضار الفروع الفقهية، واختلاف المذاهب فيها ما يفوق الوصف، واسم أحدها عبدالله، والآخر عبدالعزيز، وهو الأكبر حسًا ومعنى به

وتحدث عنه رحالة غربي هو بركهارت (٥٥) بما ملخصه: كان أحد الرسولين من ضباط سعود، والثاني و يدعي عبدالعزيز من أقارب مؤسس الدعوة، وكان عالما كبيرا أثار غيرة محمد علي حين اجتمع بكبار العلماء فعرف سعة علمه، وعمق إدراكه، بحيث كان يستفسر عن كل شي من الأمور العامة، ولا يقتصر على الأمور الدينية ، فجعل الباشا مع الرسولين مرافقين لهما من الجند، أينا كانا حتى تضايقا فطلبا العودة إلى بلادهما ، واشبترى عبدالعزيز كثيرا من الكتب من مصر.

⁽٥٥) كتاب «علياء نجد»: ٤٤٣.

⁽٥٦) : «من أخبار الحجاز ونجد في تاريخ الجبرتي » ص ١٧٧ و ٢٢٤.

⁽٥٧) هو رحالة سويسرى يدعى جون لويس بركهارت (JOHN LEWIS BURKHARDT) له رحلة إلى بلاد العرب مشهورة، لخص قسم منها وعرب.

ووصفه ابن حميد صاحب «السحب الوابلة» بقوله: (باقعة الزمان ، ولسان ذلك الأوان، عجبا في الحفظ والاستحضار، داهية في مجادلات الملوك والأمراء).

ثم ذكر أنه تولى قضاء عنيزة فوصفه أهلها بكل جميل، وأنه كان فيصلا في أحكامه عيل إلى مايرجحه الدليل، مما خالف المذهب، ولا يبالى بأحد.

وأن شيخ المنتفق ولاه قضاء سوق الشيوخ _ في العراق _ فتوفي هناك بعد الأربعين والمئتين والألف.

ولكن ابن حميد _ ورحمة الله واسعة _ وصمه بما هو منه برى، فقد ذكر أنه بعد أن قتل الشيخ محمد بن على بن غريب سنة ١٢٠٨هـ، وكان الشيخ عبدالعزيز ربيبه _ ابن زوجته بنت الإمام _ ذكر أنه تأثر بذلك، ولكنه لم يستطع المجاهرة.

وهذا غير صحيح لأمور: منها أن الشيخ ابن حميد (٥٥) ـ والله يعفو عنه ـ كثيرا ما يلصق هذه التهمة بعلماء أبرياء، كالشيخ أحمد بن رشيد الحنبلى العفالقي وغيره، ولهذا لا يقبل قوله فيا يتعلق بالدعوة الأنه من مناوئيها.

ومنها أن مواقف الشيخ عبدالعزيز في مؤازرة الدعوة _ كها تدل على ذلك رسالته _ «المسائل الشرعية إلى علماء الدرعية» (١٥٠) بعكس ما ذكر ابن حميد.

ومنها أن القائمين بنشر الدعوة بلغت ثقتهم به من القوة إلى اختياره لسفارتين في عهدين:عهد الإمام سعود إلى صنعاء، وعهد الإمام عبدالله بن سعود إلى مصر، ولو حامت حوله أية شبهة، لما اختير لأداء المهمتين اللتين لا توكلان إلا لمن اتصف بسداد الرأى وأصالته، وإخلاصه لما يقوم به من عمل.

وتحملني المناسبة بدون رغبة مني أن أتحدث عن الصهر الثاني للإمام على ابنته أم

⁽٥٨) صاحب «السحب الوابلة» وانظر قوله في مجلة «العرب» س ١٢ ص ٧٠٠ وما بعدها.

⁽٥٩) مطبوعة ضمن «مجموعة الرسائل والمسائل النجدية» ج ٤ ص ٥٨٤/٥٦٤ ـ مطبعة المنسار بمصر سنة ١٣٤٩هـ

الشيخ عبدالعزيز، وهو محمد بن على بن غريب الذي قال عنه الشيخ عبدالله البسام (٦٠٠) بأنه من كبار علماء نجد وفقهائهم وعلى قدر مناصرته للدعوة السلفية وللذود عنها، فإنه من كبار تلاميذ الشيخ محمد وزميل لأبنائه.

والشيخ ابن بسام يعتمد في تقدم على ما جاء في كتاب «السحب الوابلة» (١٦٠) ومؤلفها _ عفا الله عنه _ من مناوئي الدعوة، ولهذا فقد وصم ابن غريب بالمصانعة، وأضاف: وردّ على مخالفيهم، وأجاب عن عدة أسئلة في عدة فنون أرسلت إليهم من بغداد بعد أن عجزوا عنها، فكان عندهم مقبولا معظها.

ويوضح الشيخ عبدالله البسام هذا بقوله (٦٢)؛ أن عبدالله الراوي ـ أحد علماء بغداد. بعث إلى علماء الدرعية بأسئلة في العقيدة، فأجابه المترجم إجابة طويلة ، جاءت في كتاب طبع باسم «التوضيح عن توحيد الخلاق، في جواب أهل العراق »نسب للشيخ سلمان بن الشيخ محمد، وليس له وإنما هو لشيخه محمد بن غريب. ويعلل الشيخ عبدالله البسام وقوع الخطأ تعليلا معقولا.

وبعد أن ذكر من بين تلاميذ ابن غريب الشيخ سليان بن الشيخ عبدالله - حفيد الإمام ، والشيخ عبدالعزيز بن حمد ربيبه وسبط الإمام أيضا، والشيخ عبدالعزيز بن حمد ابن معمر - أورد خبر قتله، بما هذا نصه: وشى به بعض الغرباء المقيمين في الدرعية إلى الإمام عبدالعزيز بن محمد - بعد وفاة الشيخ محمد بن عبدالوهاب - بأن معتقد المترجم له في الدعوة خلاف ما يظهره منها. وكانت الدعوة في أول انتقالها من الجهاد باللسان والحجة إلى اسم دولة تجاهد وتكافح لتثبت هذا الحق وتؤيده ، فقتل في الدرعية بسبب هذه الوشاية عام ١٢٠٩ - عفا الله عنهم أجمعين - انتهى كلام الشيخ عبدالله (٦٢) - وهو فيا يظهر - عول على ما جاء في كتاب «السحب الوابلة» الذي يتفق مؤلفه مع الشيخ في

⁽٦٠) : «علماء نجد خلال ستة قرون» ص ٩١٥.

⁽٦١) : «العرب» س ١٢ ص ٧٠١.

⁽٦٢) : «علماء نجد».

⁽٦٣) علماء نجد»: ٩١٧/٩١٦.

نهاية الشيخ أبن غريب، وإن اختلفا في تعليل تلك النهاية السيئة، ولاشك أن الحق بجانب الأستاذ الشيخ عبدالله البسام.

و يحار الباحث حين يجد مؤرخ تلك الحقبة من الزمن، وهو الشيخ عثمان بن عبدالله بن بشر (١٢٩٠/١٢١٠) يم على تلك الحادثة بسرعة غريبة، إذ يكتفي حين يذكر حوادث سنة ١٢٠٨ بقوله (١٤٠): (و في ربيع قتل محمد بن غريب في الدرعية صبرا، لأجل أمور قيلت عنه).

ويستشف من عبارة ابن بشر هذه (قِيلت) أنّ الرجل ذهب ضحية وشاية _ كها يرى الشيخ ابن بسام _ وابن بشر يحدد الحادثة سنة ١٢٠٨ بينها في مطبوعة كتاب الشيخ ابن بسام ١٢٠٩، ولعل هذا تطبيع، فابن بشر حدد الشهر أيضا.

ومها يكن الأمر ـ بالنسبة للشيخ ابن غريب، فقد قدم هو وخصومه على حكم عدل، وسعت رحمته كُلُّ شيء.

ولتكن الآية الكريمة (مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِن ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَهُ وَ حَيْوَةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِينَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَاكَانُواْ يَعْمَلُونَ) حُسْنَ الْخِتَام. النحل آية (٩٧)

⁽٦٤) : «عنوان المجد» ج ١ ص ١٣٣ طبعة وزارة المعارف سنة ١٣٩١هـ (١٩٧١م).

اعتماد دعوة الشيخ محربن عبرالوها ب على الكتاب والسنة



اعتماد دعوة الشيخ محديرع برالوهاب على الكتاب والسنة

لىعالى الشيخ عبدالعزيزبن محمدبن ابراهيم آل الشيخ

الرئيس العام لهيئات الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

بالمككة العربية السعودية



تبسيابته الرحمن الرحيم

ان الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له. ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إلله إلا الله وحده لا شريك له، لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولى في الذل. وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وسلم تسلما كثيرا:

وبعد: فقبل أن أبدأ الحديث عن الدعوة السلفية التي قامت في أواسط القرن الثاني عشر الهجرى بقيادة الإمام المصلح الشيخ محمد بن عبدالوهاب عليه رحمة الله فإنه لابد من لمحة عامة عن حال الجزيرة العربية قبل هذه الدعوة السلفية، فقد شهد القرن الحادي عشر الهجري والنصف الأول من القرن الثاني عشر تحولا في المفهوم الاسلامي لحقيقة التوحيد وحقيقة الشرك بالله سبحانه وتعالى، فعبدت الأشجار والأخجار، وأقيمت الطقوس الخرافية والبدع المصطنعة، وشيدت القبور وقدمت النذور لغير الله سبحانه وتعالى، ولغربة الإسلام وغلبة الطغام راجت في المجتمع أشكال من البدع المحدثة التي ليست من الإسلام في شي بحتى في منطلق الدعوة والرسالة مكة والمدينة اللتين شرفها الله تعالى بنزول القرآن، ومبعث خاتم الرسل والأنبياء، وراج في الناس الشعوذة والسحر وكان وراء ذلك كله علماء السوء الذين يحرفون الكلم عن مواضعه، ويروجون للعامة والدهماء الأحاديث الموضوعة المخالفة لصريح القرآن والثابت من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم. في هذه الأجواء و في هذا المجتمع الحالك بظلمة الضلالة والبدعة والفساد قام شيخ الإسلام المجدد محمد بن عبدالوهاب بدعوته، فحارب الشرك بالله مستعينا به، وأعلنها في الملأ بأن دعاء غير الله من ملك أو نبى أو ولى شرك بالله تعالى،وأن من اتخذ بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم فإنه يكفر بإجماع المسلمين، دليله في ذلك كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم،وما درج عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان، كما حارب كثيرا من المنكرات والمحرمات في الشريعة الإسلامية من تعاطى السحر والاعتقاد فى الطيرة والأنواء والاعتقاد بأن من الأيام أيام نحس وشؤم وغير ذلك مما علق بأذهان الناس واعتقدوه أمرا مباحا،ولازالت رواسبه فى أذهان العوام فى كثير من البلاد الإسلامية. ومن الأمور الأساسية التى ركزت عليها تلك الدعوة السلفية إقامة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر على ما توجبه الشريعة.

ونادت الدعوة السلفية بوجوب الجهاد في سبيل الله التكون كلمة الله هي العليا ودينه هو الظاهر. ونادت الدعوة السلفية أيضا بتطبيق الشريعة الإسلامية في كل شئون الحياة، وأنه لابد من أن تكون في الناس أمة تدعو إلى الخير وترشد اليه وتقلع المنكر من جذوره وتحذر منه وفق ما جاء به دين الله الذي ارتضاه لعباده.

«الدعوة تنشط من عقالها»

بينا الجزيرة العربية منغمسة في تلك الأوحال المخالفة لهدى الإسلام ولصفاء نور العقيدة الخالصة من شوائب الشرك والبدع-إذا بصوت الداعى المصلح ينادى بالدعوة الى التوحيد ويندب نفسه للذود عن الدين وتخليصه من ايدى المشركين والمبتدعين، ولكن علماء «العيينة» وما جاورها أنكروا ماهو فيه وقاوموه أشد المقاومة، بعد ذلك ترك الشيخ العيينة راحلا إلى مكة بلد الله الحرام قاصدا الحج ليقضى حجه وليتزود من العلماء مايكنه أن يتزود به، فاجتمع بعلمائها وفقهائها، وبحث معهم حال المجتمعات الإسلامية وما هي فيه من جهل وضلال ومخالفة لصريح القرآن، وناقشوه وناقشهم، ثم انتقل الشيخ بعد ذلك إلى المدينة للصلاة في المسجد الشريف والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحصل له زيارة علمائها والأخذ عنهم. ومنهم الشيخ عبدالله بن ابراهيم بن سيف، والشيخ محمد على نجد من المدينة مسر ورا بما لقيه معه وشجعاه وحبذا فكرته. بعد ذلك عاد الشيخ محمد إلى نجد من المدينة مسر ورا بما لقيه من العلماء. ثم إنه فكر في الذهاب الى البصرة ليلتقى بالعلماء ويدعو الناس الى تحقيق من العرك الشرك والبدع والمحرمات، فاستفاد من علمائها وأفادهم، ورأى الشيخ في التوحيد وترك الشرك والبدع والمحرمات، فاستفاد من علمائها وأفادهم، ورأى الشيخ في العراق الوثنية قائمة والبدع والحرافات والشرك الأكبر، ورأى القبور مزدمة بالمبتدعين العراق الوثنية قائمة والبدع والحرافات والشرك الأكبر، ورأى القبور مزدمة بالمبتدعين

وعليها المساجد والسرج، فجهر بالدعوة والنصيحة، وشدد عليهم حتى أن العامة آذوه وضر بوه، ونهبوا ما معه من مال ومتاع وكتب، وأخرجوه من البصرة حانى القدمين. وفى الطريق إلى الزبير كاد أن يهلك لولا رحمة الله وعنايته، فقد وفق الله رجلا من أهل الزبير فأقبل عليه وساعده، وذهب به الى الزبير، بعدها عاد إلى نجد من طريق الأحساء ونزل على الشيخ عبدالله بن محمد بن عبداللطيف الأحسائى الشافعى. ثم خرج من الأحساء الى حريملاء، وفي حريملاء نزل على والده وأخذ مرة أخرى يوضح للناس حقيقة التوحيد وينهى عن الشرك والبدع، وبعد أن توفى والده جهر بالدعوة في أسلوب موسع، وأنكروا عليه أشد الإنكار حتى أن الفساق منهم هموا بقتله إلا أن الله أنجاه.

«التخطيط للدعوة الإصلاحية»

كان خبر الشيخ رحمه الله قد ذاع وانتشر في البلاد النجدية، وبعد أن لاقى ما لاقى في حريملاء،قرر الرحيل الى العيينة لعل الله أن يجعلها موطن الدعوة الإصلاحية (دعوة التوحيد) ـ رحل الشيخ إلى العيينة واستقبله أميرها وسكانها، وبعد بحث ومناقشة اتفقوا معه على الدعوة الى تصحيح العقيدة الإسلامية، فيا كان من الشيخ إلا أن أمر بهدم الفبة المزعومة لزيد بن الخطاب رضى الله عنه، فهدمها بيده، وطبقت الحدود، ولم يمض على وجود الشيخ إلا زمن قصير حتى كان أهل العيينة أتباعا له على الحق من أميرهم إلى وليدهم. وكان للشيخ أتباع مؤيدون لدعوته فيا حول العيينة من البلاد . وما أن رأوا ما حصل في العيينة من أمر الدين حتى توجههوا اليها ونزلوا بهاءولكن ماذا جرى القد خشى أعداء الدين خطر هذه الدعوة التى تقضى أول ما تقضى على ظلمهم وبطشهم وعدوانهم، فأرسل أمير الأحساء الى أمير العيينة يأمره بقتل الشيخ وإخراجه من العيينة وإلا فإننا سنقطع عنك الخراج الذى يأتيك منا. فخرج الشيخ من العيينة قاصدا الدرعية.

«انتقال الشيخ إلى الدرعية»

توجه الشيخ إلى الدرعية ونزل عند وصوله إليها ضيفا لمحمد بن سويلم، وكان محمد

ممن اقتنع بدعوة الشيخ. وكان من أثر انتشار خبر الشيخ وذيوع دعوته أن سخط عليه الأمراء والحكام، وكان ابن سويلم يخاف على نفسه من أمير الدرعية ان علم بأن الشيخ عنده. وقد علم الأمير محمد بن سعود بوجود الشيخ بالدرعية بدار محمد بن سويلم، فهب الأمير للقاء الشيخ بعد أن نور الله بصيرته بالحق.

«لقاء الشيخ بالأمير»

قام الأمير محمد بن سعود رحمه الله بزيارة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، مرحبا به مؤيدا له، وكان من أول لقاء لهما أن قال الأمير «ياشيخ محمد أبشر بالعز والتمكين والمنعة. أبشر ببلاد خير من بلادك» فرد عليه الشيخ قائلا «وأنا أبشرك بالعز والتمكين وهذه كلمة «لا إلله إلا الله» من تمسك بها وعمل بها ونصرها ملك بها البلاد وهى كلمة التوحيد وأول مادعت اليه الرسل من أولهم إلى آخرهم ». فلما تحقق الأمير محمد معرفة التوحيد وتصفية العقيدة الإسلامية من شوائب الشرك والبدع وعلم ما لذلك من المصالح الدينية والدنيوية قال له: ياشيخ إن هذا دين الله ورسوله الذي لا شك فيه وأبشر بالنصرة لك ولما أمرت به والجهاد فيمن خالف دين الإسلام، ولكن أريد ان أشترط عليك اثنتين إذا قمنا في نصرتك والجهاد في سبيل الله وفتح الله لنا ولك البلدان نخاف أن ترتحل عنا وتستبدل بنا غيرنا.

والثانية. ان لى على أهل الدرعية «قانونا» أى ضريبة آخذه منهم فى وقت الثهار، وأخاف أن تقول لا تأخذ منهم شيئا _ فقال الشيخ:أما الأولى فابسط يدك الدم بالدم والهدم بالهدم. وأما الثانية فلعل الله أن يفتح لك الفتوحات فيعوضك الله من الغنائم ما هو خير منها، ثم أن الأمير محمد بسط يده وبايع الشيخ على دين الله ورسوله صلى الله عليه وسلم والجهاد في سبيل الله، وإقامة شرائع الإسلام، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر. فقام الشيخ ودخل معه البلد واستقر عنده _ جاء ذلك في عنوان المجد في تاريخ نجد، وسأذكر على سبيل المثال لا الحصر بعض مغازى الشيخ والأمير وحروبهم. أصر

أمير الرياض دهام بن دواس على محاربة التوحيد، وناصب الإمام محمد بن سعود وهذه الدعوة السلفية العداء بوحشية وفظاظة واستكبار واستعلاء. وقد قام بن دواس بغارات على أهل منفوحة لمناصرتهم لدعوة الشيخ رحمه الله، فها كان من الإمام محمد بن سعود رحمه الله إلا أن سار إليه واقتحم أراضيه، ثم كان بعد ذلك عدة لقاءات بين جيش الإمام محمد بن سعود ووقعت حروب كثيرة، وتفاصيلها موجودة في الكتب انتهت بهرب ابن دواس الخائن في عهد الإمام عبدالعزيز بن محمد بعد أن شغل الدعوة سبعا وعشرين سنة بعناده وباطله وخياناته المستمرة، وكان من أعداء الدعوة أمير الأحساء ابن عريعر الذي ناصب الدعوة العداء.

سار هذا العدو الشرس بجيش يفوق الجيوش في وقته عددا وعدة، وحاصر الدرعية شهرا كاملا، ولكن قوة الإيمان والصبر والثبات كانت تفوق هذه القوى المادية، ونصر الله المؤمنين الموحدين أتباع الشيخ والإمام محمد بن سعود على عريعر. وقد كتب الله لدعوة الشيخ أن تنتشر في الجزيرة العربية في عهد الامام سعود بن عبدالعزيز، وقد كانت مدينة الدرعية بزمن الإمام سعود رحمه الله في ذروة العز والقوة والمنعة وكثرة الرجال والسلاح، وكانت مدينة زاهرة بالعلوم والعمران، يؤمها الطلاب من كل صوب، تخرج منها علماء أجلاء لهم مشاركة في التدريس والتأليف والقضاء والفتاء، وصدق الله اذ يقول «الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور»، وقول الرسول صلى الله عليه وسلم لعبدالله بن العباس رضى الله عنهها؛ واعلم أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرا.

ولسائل أن يسأل _ ماهى أسباب النصر الذى تم لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأنصاره الغر الميامين _ ؟ إنه ولا شك عون الله لعبده، ثم بعد ذلك كونها دعوة حق اعتمدت على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم التى تفسر هذا الكتاب وتبينه وتدل عليه. كتب الله لها النصر لتكون كلمة الله هى العليا ودينه هو الظاهر، وصدق الله إذ يقول «إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد».

«الكتاب والسنة هما الأصلان اللذان ترتكز عليهما الدعوة السلفية»

لسائل أن يسأل _ ماهي حقيقة دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ؟

سؤال يجيب عليه الشيخ نفسه رحمه الله. رسالة أرسلها إلى أهل المغرب، أقتطف منها بعض ماورد قال الله تعالى :

« قُلْ هَانَهُ عَلَى اللَّهُ عَلَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى

(۱۰۸ یوسف)

وقال تعالى:

« وَمَا عَاتَنَكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنَهُ فَٱنتَهُواْ ...

(٧ الحسسر)

وقال تعالى :

« ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُرُّ دِينَكُرُّ وَأَنْمَمْتُ عَلَيْكُرٌّ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُرُّ الْمَكْمُ الْمُكُرُّ الْمُكَالِّ اللَّهُ الْ

فأخبر سبحانه أنه أكمل الدين وأتمه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، وأمرنا بلزوم ما أنزل إلينا من ربنا، وترك البدع والتفرق والاختلاف.

فقال تعالى

« اَتَّبِعُواْ مَا أَنزِلَ إِلَيْكُمْ مِن رَّبِكُمْ وَلَا نَتَبِعُواْ مِن دُونِهِ مَ أُولِيَا ۚ قَلِيلًا

هَا لَذَ كُونَ »

والرسول صلى الله عليه وسلم قد أخبر بأن أمته تأخذ مأخذ القرون قبلها شبرا بشبر وذراعا بذراع، وأخبر أن أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها فى النار إلا واحدة ، قالوا من هى يا رسول الله. قال: من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابى..

إذا عرف هذا فمعلوم ما عمت به البارى من حوادث الأمور التى أعظمها الإشراك بالله والتوجه الى الموتى وسؤاهم النصر على الأعداء وقضاء الحاجات وتفريج الكربات التى لايقدر عليها إلا رب الأرض والسموات، وكذلك التقرب اليهم بالنذور وذبح القربان،والاستغاثة بهم فى كشف الشدائد وجلب الفوائد، الى غير ذلك من أنواع العبادة التى لا تصلح إلا لله، وصرف شى من أنواع العبادة كصرفها جميعها.. وأخبر تعالى أن من جعل بينه وبين الله وسائط يسألهم الشفاعة فقد عبدهم وأشرك بهم، وذلك أن الشفاعة كلها لله كها قال تعالى..

« قُل لِلَّهِ ٱلشَّفَاعَةُ جَمِيعًا » فلا يشفع عنده أحد إلا بأذنه..

قال تعالى :

« مَن ذَا ٱلَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ عِندَ، الآية.

(٢٥٥ البقرة)

والرسول محمد صلى الله عليه وسلم لا يشفع إلا بإذن الله، لا يشفع ابتداء بل يأتى فيخر ساجدا فيحمده بمحامد يعلمه إياها ثم يقال ــ ارفع رأسك وقل يسمع. وسل تعطى. واشفع تشفع. ثم يحد لهم حدا فيدخلهم الجنة فكيف بغيره من الأنبياء والأولياء. وهذا الذى ذكرناه لا يخالف فيه أحد من علماء المسلمين، بل قد أجمع عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين والأثمة الأربعة وغيرهم ممن سلك سبيلهم ودرج على منهجهم. وقد حذر صلى الله عليه وسلم من حوادث الأمور. فقال صلى الله عليه وسلم: لا تقوم الساعة حتى يلحق حى من أمتى بالمشركين، وحتى تعبد فئام من أمتى الأوثان، وهو صلى الله عليه وسلم خمى جانب التوحيد أعظم حماية، وسد كل طريق يوصل إلى الشرك، فنهى أن يجصص القبر أو يبنى عليه. ولهذا قال غير واحد من العلماء يجب هدم القبب المبنية على القبور لأنها أسست على معصية الرسول صلى الله عليه وسلم.

فهذا الذى أوجب الاختلاف بيننا وبين الناس، وهو الذى ندعو الناس اليه ونقاتلهم عليه بعد ما نقيم عليهم الحجة من كتاب الله وسنة رسوله، وإجماع السلف الصالح من الأثمة، ممتثلين لقوله سبحانه وتعالى..

« وَقَائِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتَنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ .» (١٩٣ البقرة)

وندعو الناس إلى إقام الصلاة في الجهاعات على الوجه المشروع، وإيتاء الزكاة، وصيام شهر رمضان، وحج بيت الله الحرام، ونأمر بالمعروف وننهى عن المنكر:

« ٱلَّذِينَ إِن مَّكَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوْةَ وَءَا تَوُاْ ٱلرَّكُوٰةَ وَأَمَرُواْ فِي الْمُعَرُونِ وَالْمَعْرُونِ وَاللَّهِ عَلَيْهَ الْأُمُورِ ... بِالْمَعْرُونِ وَلَهَ عَنِ ٱلْمُنكِرِ وَلِلَّهِ عَلَيْهَ ٱلْأُمُورِ ... (١٤ الحج)

وله فى رسالة أخرى.. أنقل منها بعض ما كتبه. الذى ندين الله به عبادة الله وحده لا شريك له، والكفر بعبادة غيره ومتابعة الرسول النبى الأمى صلى الله عليه وسلم.. فأما العبادة فقال الله تعالى...

« وَمَا خَلَقْتُ أَجِلْنَ وَ ٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ » « وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ آعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَاجْتَنِبُواْ ٱلطَّاغُوتُ » (٢٦ النحل)

وأما متابعة الرسول فواجب على أمته متابعته في الاعتقادات والأقوال والأفعال، قال الله تعالى :

«قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهُ فَا تَبِعُونِي يُحْبِبْكُرُ ٱللَّهُ ١٠٠ (٢١ أل عمران)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد.» فتأمل رحمك الله ماكان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بعده والتابعون لهم بإحسان الى يوم الدين. وما عليه الأثمة المقتدى بهم من أهل الحديث والفقهاء.

وأما مذهبنا فهو مذهب الإمام أحمد بن حنبل، إمام أهل السنة، ولا ننكر على أهل المذاهب الأربعة إذا لم يخالف نص الكتاب والسنة وإجماع الأمة وقول جمهورها.

والمقصود بيان ما نحن عليه من الدين،وأنه عبادة الله وحده لا شريك فيها، وخلع جميع الشرك، ومتابعة الرسول صلى الله عليه وسلم فيها، نخلع جميع البدع إلا بدعة لها أصل فى الشرع، كجمع المصحف فى كتاب واحد، وجمع عمر رضى الله عنه الصحابة على التراويح جماعة، وجمع ابن مسعود أصحابه على القصص كل خميس ونحوذلك. فهذا حسن والله أعلم.

وإذا تأملنا تلك الرسالتين الجليلتين خرجنا بصورة واضحة عن بعض أصول دعوة الشيخ المجدد رحمه الله تعالى، وأدركنا أنها ترتكز على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وإجماع المسلمين، ولما كانت طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم والرضا بشر يعته ودينه منطلقا للإيمان والعبادة، عقد الشيخ رحمه الله بابين في كتابه (التوحيد)، ووضح في كثير من رسائله هذا الأمر وما جاء فيه عن الله وعن رسوله صلى الله عليه وسلم...

ويقول الشيخ رحمه الله تعالى. باب من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ماحرم الله. فقد اتخذهم أربابا من دون الله، والباب الآخر. قوله. باب قول الله تعالى و ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به بهالآيات.. ولنقتطف مما ذكر الشيخ آية من كل باب أو حديثا ونوضحه.

أما الباب الأول .. فقد أورد الشيخ حديث عدى بن حاتم. أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقرأ هذه الآية «اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله. "فقلت له إنا لسنا نعبدهم. قال. أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه. ويحلون ما حرم الله فتحلونه.. فقلت: بلى.. قال فتلك عبادتهم. رواه أحمد والترمذي وحسنه.

وشواهد الحديث من الآيات كثيرة.. فتأمل هذا الحديث العظيم، تأمل قول عدى: إنا لسنا نعبدهم. ظانا أن العبادة هى التقرب إليهم بسجود أو نذر أو ذبح. وتأمل قول الرسول صلى الله عليه وسلم: أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمون. ويحلون ما حرم الله فتحلونه، وقول الرسول صلى الله عليه وسلم فتلك عبادتهم..

ففى هذا صراحة ووضوح بأن العبادة هى الطاعة وهى الاتباع وهى التحكيم، فمن أطاع الله ورسوله لم يرض بما يخالفه من الأحكام من أى مصدر كانت، واتخاذهم أربابا يكون فى هذا النوع، فمن رضى حكما غير حكم الله وحكم رسوله وهو عالم بذلك معتقدا صحة هذا الحكم المخالف نصا وروحا لحكم الله،فذلك لاشك فى كفره.

قال شيخ الإسلام أبوالعباس ابن تيمية رحمه الله.. وهؤلاء الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله حيث أطاعوهم في تحليل ما حرم الله وعكسه يكونون على وجهين.. أحدها. أنهم يعلمون أنهم بدلوا دين الله فيتبعونهم على التبديل، فيعتقدون تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله اتباعا لرؤسائهم مع علمهم أنهم خالفوا دين الرسل، وقد جعله الله ورسوله شركا وإن لم يكونوا يصلون لهم ويسجدون. الثانى. ان يكون اعتقادهم وإيمانهم بتحريم الحلال وتحريم الحرام ثابتا لكنهم اطاعوهم في معصية الله، كما يفعل المسلم ما يفعله من المعاصى التي يعتقد أنها معاصى، فهؤلاء لهم حكم أمثالهم من أهل الذنوب. كما ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: انما الطاعة في المعروف. ثم نقول لهذا المحلل للحرام. المحرم للحلال. إن كان مجتهدا قصده اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم لكن خفى عليه الحق في نفس الأمر. وقد اتقى الله ما استطاع، فهذا لا يؤاخذه الله بخطئه بل يثيبه على اجتهاده الذي أطاع به ربه، ولكن من علم أن هذا الخطأ مخالف لما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم اتبعه وعدل عن قول الرسول صلى الله عليه وسلم، فله نصيب من الشرك الذي ذمه الله الله عليه اتبعه في ذلك لهواه ونصره باللسان واليد مع علمه أنه مخالف للرسول صلى الله عليه وساح، فهذا شرك يستحق صاحبه العقوبة عليه.

وأما الباب الثاني .. فإليك رأس الباب. باب قول الله تعالى ..

« أَلَدْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ عَامَنُواْ بِمَاۤ أَنزِلَ إِلَيْكَ وَمَاۤ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَنَحَاكُمُواْ إِلَى ٱلطَّاغُوتِ وَقَدْ أَمِرُواْ أَن يَكُفُرُواْ بِهِ عِ...» (١٠ النساء) يقول الشيخ سليان بن عبدالله بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب. في شرحه لهذه الآية في كتاب تيسير العزيز الحميد..

لما كان التوحيد الذي هو معنى شهادة أن لا إله إلا الله مشتملا على الإيمان بالرسل مستلزما له،وذلك هو الشهادتان . ولهذا جعلها النبى صلى الله عليه وسلم ركنا واحدا، نبه في هذا الباب على ما تضمنه التوحيد واستلزمه من تحكيم الرسول صلى الله عليه وسلم في موارد النزاع، إذ هو مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله ولازمها الذي لابد منه لكل مؤمن، فإن من عرف أن لا إله إلا الله فلابد له من الانقياد لحكم الله والتسليم لأمره الذي جاء من عنده على يد رسوله محمد صلى الله عليه وسلم. فمن شهد ان لا إله إلا الله ثم عدل الى تحكيم غير الرسول صلى الله عليه وسلم في موارد النزاع فقد كذب في شهادته...

وقد سبق تفصيل القول في كلام شيخ الإسلام ابن تيمية. ويقول رجمه الله في موضع آخر. ومن لوازم ذلك «أى الشهادتين» متابعته وتحكيمه في موارد النزاع وترك التحاكم الى غيره، كالمنافقين الذين يدعون الإيمان به ويتحاكمون الى غيره، وبهذا يتحقق للعبد كهال التوحيد.. ومن قوله «يزعمون» نفى لما زعموه من الإيمان وقد أمروا أن يكفروا به» أى بالطاغوت، وهو دليل على أن التحاكم الى الطاغوت مناف للإيمان مضاد له، فلا يصح الإيمان إلا بالكفر به وترك التحاكم اليه. وقال. و في الآية دليل على أن التحاكم اليه به يكون العبد غير مؤمن بل ولا مسلم «يعنى التحاكم الى الطاغوت». وأورد الشيخ في نفس الباب قوله تعالى «وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون» قال ابوالعالية في الآية.. يعنى لا تعصوا في الأرض، وكان فسادهم ذلك هو معصية الله، لأن من عصى الله في الأرض أو أمر بعصية الله فقد أفسد في الأرض لأن معصية الله بأن من عصى الله في الأرض أو أمر بعصية الله فقد أفسد في الأرض لأن الذين يزعمون... الآية فقال... وقيل نزلت في رجلين اختصها وقال أحدها نترافع إلى النبى صلى الله عليه وسلم. وقال الآخر.. الى كعب بن الأشرف. ثم ترافعا الى عمر رضى الله عنه ذكر له أحدها القصة. فقال للذي لم يرض برسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال الآخر.. الى كعب بن الأشرف. ثم ترافعا الى عمر رضى أكذلك. قال نعم. فضربه بالسيف فقتله. ويحسن بنا أن نذكر في هذا الباب الرد على

القانونيين الذين يحكمون الطاغوت المسمى «بالقانون» وأنقل ما كتبه والدى وشيخى سهاحة الشيخ محمد بن ابراهيم رحمه الله.. قال رحمه الله:إن من الكفر الأكبر المستبين تنزيل القانون اللعين منزلة ما نزل به الروح الأمين على قلب محمد صلى الله عليه وسلم ليكون من المنذرين بلسان عربي مبين في الحكم به بين العالمين، والرد اليه عند تنازع المتنازعين، مناقضة ومعاندة لقول الله عز وجل، «فإن تنازعتم في شي فردوه الى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر. ذلك خير وأحسن تأويلا..» وقد نفى الله سبحانه وتعالى الإيمان عن من لم يحكم النبي صلى الله عليه وسلم في شجر بينهم نفيا مؤكدا بتكرار أداة النفي وبالقسم.. قال تعالى «فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليا» وقال في موضع آخر. وقد نفى الله الإيمان عمن أراد التحاكم الى غير ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من المنافقين.. كما قال تعالى «ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا» فإن قوله يزعمون تكذيب لهم في الدعوه من الإيمان، فإنه لا يجتمع إيمان مع تحاكم إلى غير ما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم من الإيمان في قلب عبد أصلا بل أحدهما ينافي الآخر. والطاغوت مشتق من الطغيان؛ وهو مجاوزة الحد. فكل من حكم بغير ما جا به الرسول صلى الله عليه وسلم فقد حكم بالطاغوت وحاكم إليه، وذلك أنه من حق كل أحد أن يكون حاكها بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم ، فمن حكم بخلافه أو حاكم إلى خلافه فقد طغى وجاوز حده حكما أو تحكيا، فصار بذلك طاغوتا لتجاوزه حده.

وقال عليه رحمة الله ورضوانه «وتأمل قوله عز وجل «وقد أمروا أن يكفروا به تعرف منه معاندة القانونيين وإرادتهم خلاف مراد الله منهم حول هذا الصدد، فالمراد منهم شرعا هو الذي تعبدوا به وهو الكفر بالطاغوت لا تحكيمه. «فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم» ثم تأمل قوله تعالى «ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا ، كيف دل على أن ذلك ضلال. وهؤلاء القانونيون يرونه من الهدى، وقد دلت الآية على أنه من إرادة الشيطان عكس ما يتصوره القانونيون، فتكون على زعمهم مرادات الشيطان هي

صلاح الإنسان ومراد الرحمان وما بعث به سيد ولد عدنان معزولا من هذا الوصف ومنحى عن هذا الشأن..

وقد قال الله تعالى منكرا على هذا الصنف من الناس ومقررا ابتغاءهم أحكام الجاهلية ،وموضحا أنه لاحكم أحسن من حكمه «أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون» فتأمل هذه الآية الكريمة وكيف دلت على أن قسمة الحكم ثنائية وأنه ليس بعد حكم الله تعالى إلا حكم الجاهلية الموضح أن القانونيين في زمرة أهل الجاهلية، لا تناقض لديهم حول هذا الصدد.. وأما القانونيون. فمتناقضون حيث يزعمون الإيمان بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم وينافقون ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا. وقد قال الله في أمثال هؤلاء . «أولئك هم الكافرون حقا وأعددنا للكافرين عذابا مهينا» ثم انظر كيف ردت هذه الآية الكريمة على القانونيين ما زعموه من حسن زبالة أذهانهم ونحاتة أفكارهم بقوله عز وجل «ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون»، قال الحافظ ابن كثير في تفسير هذه الآية: ينكر الله تعالى على من خرج, من حكم الله المحكم المشتمل على كل خير، الناهبي عن كل شر، وعدل الى ما سواه في الآراء والأهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله ركها كان أهل الجاهلية يحكمون به من أهل الضلالات والجهالات، مما يصنعونه بآرائهم وأهوائهم، وكما يحكم به التتار في السياسات الملكية التي يقدمونها على الحكم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فمن فعل ذلك فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله، فلا يحكم سواه في قليل ولا كثير. قال تعالى «أفحكم الجاهلية يبغون»، وعن حكم الجاهلية يعدلون: «ومن أحسن من الله حكم لقوم يوقنون» أي: ومن أعدل من الله في حكمه لمن عقل عن الله شرعه وآمن به وأيقن وعلم أن الله أحكم الحاكمين وأرحم من الوالدة بولدها، فإنه تعالى العالم بكل شيء القادر على كل شيء العادل في كل شيء قال تعالى «ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون»،وقال «ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون»، «ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون». فانظر كيف سجل الله تعالى على الحاكمين بغير ما أنزل الله بالكفر والظلم والفسق،ومن الممتنع أن يسمى الله سبحانه الحاكم بغير ما أنزل الله كافرا ولا يكون كافرا بل هو كافر مطلقا، إما كفر عمل وإما كفر اعتقاد ـ وما جاء عن ابن عباس في تفسير هذه الآية، يدل على أن الحاكم بغير

ما أنزل الله كافر إما كفر اعتقاد ناقل عن الملة ، وإما كفر عمل لا ينقل عن الملة. وقال: وهذه المحاكم الآن في كثير من أمصار الإسلام مهيأة مفتوحة الأبواب، والناس اليها أسراب اثر أسراب، يحكم حكامها بينهم بما يخالف حكم الكتاب والسنة من أحكام ذلك القانون، وتلزمهم به وتحثهم عليه _ فأى كفر فوق هذا الكفر وأى مناقضة للشهادة بأن محمدا رسول الله بعد هذه المناقضة. نسأل الله العصمة من جميع المعاصى وأن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة..ا هـ.

وقد وقف الشيخ محمد بن عبدالوهاب وتلامذته من بعده في صدق إيمان ونور بصيرة وثبات على الحق، وموقف إمامهم شيخ الاسلام ابن تيمية، وعلماء المسلمين أهل السنة والجياعة من النصاري واليهود والملحدين والمبتدعة والزنادقة والجهمية والمعطلة والمقلدين المتعصبين وعباد الموتى وقفة المجاهدين الناصحين لله ولرسوله ولدينه، وأتاهم الله من قوة اليقين وشجاعة الجنان ووضوح الحجة ما أخرس خصومهم وقطع ألسنتهم، وفي ذلك الجو وما فسر من لهم مصالح في إنحراف الناس عن حقيقة التوحيد كها هي العادة،مضوا في محاربة الشيخ وإيذائه، ولكنهم لم يصلوا الى حجته ولا الى قلبه ولسانه ولا الى هديه وبيانه هدى القرآن وبيان القرآن وسنة رسول الهدى محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم، فدعى الى الله والى متابعة رسوله صلى الله عليه وسلم. فأشعل منار العرفان وأضاء مصابيح السنة، ففتح الله بدعوته قلوبا غلفا، وأعينا عميا، وآذانا صها، ونفع الله بكتبه ورسائله على بصيرة من نور الله وشرعه، شأنه في ذلك شأن المصلحين الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، كما حصل قبله للإمام ابن تيمية في سبيل تحقيق التوحيد وتصحيح العقيدة والذود عن حوزة الإسلام، حين نادى بها حربا شعواء، فقد جهر برأيه في صراحة تامة لا غموض فيها، سنده وحجته كتاب الله والسنة المطهرة. ثم خلفه تلميذه ابن القيم، فحمل الراية وأعلنها حروبا على الفرق الضالة من المعتزلة والجهمية والمعطلة داعيا الى عقيدة السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن سلك سبيلهم من فقهاء الأمة ومحدثيها .. ولقد كان مسلك ابن القيم رحمه الله في التصوف مسلك المصلح العارف بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ومن قرأ كتابه القيم «مدارج السالكين» شرح كتاب «منازل السائرين» للإمام الهروى، وعرف التصوف البرى من كل دجل

وضلالة، وأن ما يدعيه أصحاب الفرق الضالة والطرق الصوفية ماهو الا جاهلية وضلالة ينبغى محاربتها وكشف زيفها وضلالها. وقد كان موقف الشيخ محمد بن عبدالوهاب ومسلكه في التصوف هو موقف ومسلك ابن القيم رحمه الله. كها ان موقف الشيخ محمد رحمه الله من التقليد الأعمى هو موقف الإبطال والرفض، لأن العلم هو المعرفة الحاصلة عن دليل والتقليد ليس بدليل وبالتالى ليس علها..



«خاتمــة»

لقد ظلت دعوة الشيخ المجدد رحمه الله صورة حية في حياة سكان الجزيرة العربية وغيرهم من كثير من سكان آسيا وأفريقيا،كما كان كفاحه ونضاله في سبيل تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله والعمل على توحيد الجزيرة العربية في كيان واحد يلم شعثها. فقد كانت الجزيرة العربية قبل دعوة هذا الإمام المصلح مجزأة في إمارات صغيرة مختلفة متناحرة، يأكل قويهم ضعيفهم، ويستبيح ماله وعرضه، مجتمعا تسوده الجاهلية الجهلاء والضلالة العمياء، فعبدت الأشجار، والأحجار،والغيران، والأموات من دون الله. كانت المرأة في ذلك الزمن تأتى الى فحل النخل وتحتضنه قائلة: «يافحل الفحول أريد زوجا قبل الحلول». وقد ذكرت كتب التاريخ اشجارا وأحجارا وغيرانا يرتادها الجهلة من الناس من غير نكير. فبلغت درجة من التخلف عظيمة. كانت تلك الإمارات وكانت القبائل فئات متناحرة تتصرف بعقلية متعفنة وبعادات جاهلية، فجاهد الشيخ والإمام محمد بن سعود ومن بعده من أمراء الدولة السعودية الأولى في سبيل تصحيح العقيدة ومحاربة ما ورثه الأبناء عن الآباء من مخالفة كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، حتى عاد للجزيرة العربية وجهها المشرق، وكان لها وضع مذهل، وذلك بفضل قوة الإسلام وحايته من قبل الحكم العادل..

«هما السيف والقرآن قد حكما معا . . فلم يتركا زيف اولهم يتركا خرفا».

كان الشيخ بجانبه الإمام المسلم الذى أشرب قلبه بلبان التوحيد رائدى منهج وخطة عمل، فهها أخذا على عاتقها إصلاح المجتمع الجاهلى عقيدة وسلوكا وأمرا بالمعروف ونهيا عن المنكر. والله المسئول أن يجمع كلمة المسلمين على الحق وأن يهدينا سواء السبيل. وأن يغرس لهذا الدين من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين وانتهاك المبطلين - وآخر دعوانا أن - الحمد لله رب العالمين.



اعماد دعوة الشيخ محدّبن عبدُ الوهابُ على الكتاب والسنة

لفضيلة الشيخ مشاع القطان

مديرإدارة الدراسات العلب

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية



بسيالتدالرهم الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله..

يجدر بنا في مستهل هذا البحث أن نقدم له بكلمة نتعرف منها على ملامح هذه الشخصية الفذة والعوامل التي أثرت فيها.

بيئته وعصره:

للبيئة ـ طبيعية كانت أو اجتاعية ـ أثرها في تكوين شخصية الإنسان، فإن مقومات الشخصية تعتمد على الصفات الجسمية والعقلية والخلقية ، وهذه الصفات منها ما يكون وراثيا، ومنها ما يكون مكتسبا ، وهذه وتلك تتأثر تأثرا مباشرا ببيئة الإنسان، والبيئة الاجتاعية بما يسودها من أعراف وعادات وتقاليد هي التي توجه الشخصية الى السلوك الاجتاعي الذي يلائمها إيجابا أو سلبا.

والداعية المصلح هو الذي يتفاعل مع بيئته تفاعلا واعيا يتحسس به نفسيات الناس وسجاياهم وعقائدهم وأخلاقهم، وتصوراتهم للحياة ومفاهيمهم عنها، ويدرك عوامل الخير فينميها وعوامل الشر فيعالجها بالحكمة.

إنه يعيش بمشاعرهم وأحاسيسهم ، ويقف منهم موقف الغطاس الماهر يفحص موطن الداء، ويصف الدواء، ويرى حياته مرهونة بإنقاذهم من براثس الشرك والضلال،

وهدايتهم الى صراط الله المستقيم، وقد وصف الله نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله:

ولا يستطيع الداعية أن يصل إلى نفوس قومه و يتملك مشاعرهم الا اذا كان تفاعله معهم صادقا، يقرب منهم ليقربوا منه، ويحبهم ليحبوه، ويخالطهم ليألفوه.. ويخاطبهم بلغتهم فيا يمس حياتهم و يتصل بصميم بيئتهم ليستمعوا له، وهذا هو ما جاء في قوله تعالى:

(وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولِ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ عَلِيبَيِّنَ لَهُ مُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّ اللَّالَّا اللَّالَّالِيلَّا الللَّالِيلَا اللَّا اللَّهُ اللَّاللَّ اللَّهُ اللَّهُ اللل

فالتعبير باللسان ليس قاصرا على اللغة، ولكنه رمز للتجانس بين الداعية وقومه لغة وبيئة، بما تتضمنه البيئة من عادات وتقاليد.

والشيخ محمد بن عبدالوهاب تمثلت فيه هذه المعانى جميعا، ومن خلال بيئته نتعرّف على معالم شخصيته والجوانِب التي كان لها أثرها في دعوته.

بيئة الشيخ محمد بن عبدالوهاب:

الجزيرة العربية على سطح الكرة الأرضية غثل شبه قارة وان كانت جزء من قارة لترامى أطرافها، وسعة أبعادها ، واختلاف أجزائها، وكثرة مرتفعاتها ووديانها، وتمشل المنطقة الوسطى منها الجزء الأكبر الذى يرتفع كثيرا عن سطح البحر، وهو الذى يطلق عليه اسم «نجد» أى الأرض المرتفعة، ويحد هذا القسم شهالا بجبل شمر، وجنوبا بالربع الخالى، وشرقا بالدهناء، وغربا بالحجاز ، وتخترقه من الشهال الى الجنوب سلسلة جبال العارض بشعبها التى تتخللها، وتحيط بها أودية زراعية خصبة، والقسم الجنوبى منها هو الذى يسمى بالعارض، ويتوسطه وادى حنيفة المعروف بخصوبته وكثرة مائه، وأشهر بلدانه التى شهدت جوانب حياة الشيخ محمد بن عبدالوهاب هى: «حريملاء» و «العيينة»

اسورة الكهف أية ٦

⁽٢) سورة ابراهيم أية ٤

و (الدرعية)، وكانت تلك الجهات تعرف قديما باليامة وإن كان اسم اليامة اليوم يطلق على جزء صغير منها.

وطبيعة الجزيرة العربية تملى على سكانها صفاتهم النفسية والسلوكية، فهى بلاد وعرة المسالك كثيرة الوهاد والنجاد، يعتمد معظم أهلها في حياتهم على ما يعتمد عليه أهل البادية ، من رعى الماشية ، والانتجاع طلبا للكلأ والعشب، وقد أورثهم ذلك خشونة النفس، وقسوة القلب، وغلظة الطبع، وتحررا من القيود والضوابط، وعصبية للقوم، واعتزازا بالعشير، وإزاء هذا كله فقد ورثوا كثيرا من المحامد التي تستدعيها حياة البادية من شجاعة وإقدام ووفاء ونجدة وجود وكرم.

والأنفة التى جبل عليها الأعرابى تأنف من الخضوع والانقياد. فهو يعتز بنفسه اعتزازا بالغا، ولا يسلس قيادة الإنسان بسهولة، وما عرف عن النظام القبلى فى رئاسة شيخ القبيلة كان فى نطاق محدود يرتبط بالحمية وحماية الذمار ودفع العار مع ماكان بين القبائل بعضها مع بعض من حروب طاحنة، تأكل الأخضر واليابس، يثير العصبية العمياء لأتفه الأسباب.

وإنما تلين عريكة العرب اذا كانت السلطة للدين حيث لا يشعر أحدهم حينئذ أنه يخضع لإنسان، إنما يخضع لله، وقد عبر ابن خلدون عن هذا المعنى بقوله «الفصل السابع والعشرون» في أن العرب لا يحصل لهم الملك الا بصبغة دينية من نبوة أو ولاية أو أثر عظيم من الدين على الجملة، والسبب في ذلك أنهم لخلق التوحش الذي فيهم أصعب الأمم انقيادا بعضهم لبعض ، للغلظ والأنفة وبعد الهمة والمنافسة في الرئاسة، فقلها تجتمع أهواؤهم، فإذا كان الدين بالنبوة أو الولاية كان الوازع لهم من أنفسهم، وذهب خلق الكبر والمنافسة منهم ، فسهل انقيادهم واجتاعهم وذلك بما يشملهم من الدين المذهب للغلظة والأنفة، الوازع عن التحاسد والتنافس، فإذا كان فيهم النبي أو الولى، الذي يبعثهم على والأنفة، الوازع عن التحاسد والتنافس، فإذا كان فيهم النبي أو الولى، الذي يبعثهم على القيام بأمر الله، يذهب عنهم مذمومات الأخلاق، ويأخذهم ، ويؤلف كلمتهم لإظهار الحق ثم اجتاعهم ، وحصل لهم التغلب والملك، وهم مع ذلك أسرع الناس قبولا للحق والهدى لسلامة طباعهم من عوج الملكات، وبراءتها من ذميم الأخلاق الا ما كان من

خلق التوحش القريب المعاناة المنتهى لقبول الخير ببقائه على الفطرة الاولى وبعده على ينطبع في النفوس من قبيح العوائد وسوء الملكات، فإن كل مولود يولد على الفطرة كما ورد في الحديث»(٣).

ولنجد بعامة، واليامة بخاصة، تاريخها في الإسلام الذي امتد عبر القرون في فترات متلاحقة تأثرت بالأحداث التي أحاطت بأمة الإسلام.

لقد استقر المقام لعشيرة من قبيلة «غزة» في اليامة، حيث النخيل والأشجار، ووفد عليهم من أبناء عمومتهم من بنى حنيفة من بكر ابن وائل جماعة، فسكنوا معهم، واختلطوا بهم، وتغلبوا على البلاد، وآلت زعامة اليامة وما حولها عندما بزغ فجر الاسلام الى هوذة بن على الحنفى، وثهامة بن أثال الحنفى، وحين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصحابه وكتب معهم كتبا الى الملوك يدعوهم فيها الى الإسلام، بعث شليط بن عمر وأحد بنى عامر بن نوى الى ثهامة بن أثال وهوذة بن على الحنفيين ملكى اليامة (٤).

ثم توفى هوذة دون أن يسلم، أما ثهامة فقد وقع فى أسر سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أسلم فى قصة مشهورة (٥٠).

وفى عام الوفود قدم وفد بنى حنيفة وأسلم ، ولكن سرعان ما ارتد عدو الله مسيلمة ابن حبيب الحنفى وتنبأ، وجعل يسجع لهم الأساجيع، ويقول لهم كلاما مضاهاة للقرآن.

فلها كان عهد أبى بكر الصديق رضى الله عنه أعد الجيوش وعقد الألوية لقتال المرتدين، وكانت المعركة الفاصلة بقيادة خالد بن الوليد فى حديقة لمسيلمة لقى فيها حتفه، وسميت حديقة الموت لكثرة قتلاها.

استتب الأمر للإسلام، وأخذ الفتح الإسلامي يبسط نفوذه في عهد الخلفاء الراشدين، وأسهمت قبائل نجد _ بما عرف عنها من صرامة وقوة _ في هذا الفتح، ولم يكن هناك ما

⁽٣) مقدمة ابن خلدون ص ١٥١ ط مصطفى محمد.

⁽٤) انظر السيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ٢٢٣، ٢٤٧ _ ٢٥٤ ط مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

⁽٥) المصدر السابق ص ٢٨٧ ج ٤.

يدعو الى تولية ولاة على أقاليم الجزيرة العربية حتى كان عهد بنى أمية الذين اتخذوا الشام عاصمة لهم، فأوفدوا ولاتهم الى المدينة ، والطائف أواليامة والبحرين ، وظل الأمر هكذا فى عهد الخلافة العباسية سوى أن بنى العباس أولوا اهتامهم بالحجاز واليامة والبحرين، فلها ضعف شأن الدولة وفقدت سيطرتها على أطرافها نشبت الشورات الانفصالية فى أنحاء شتى ، ونال الجزيرة العربية من ذلك ما نالها، فاستقل باليامة محمد ابن يوسف بن ابراهيم من سلالة الحسن بن على بن أبى طالب، واستمرت إمارتها فى عقبه زهاء سبعين عاما ، حتى هاجم القرامطة الهامة سنة ٣١٧هـ وتغلبوا عليها .

ولم يقم فى اليامة بعد ذلك دولة ذات شأن، ، بل استقل كل أمير فى نجد بإمارته، وبلغ الأمر ذروته فى القرن الثانى عشر الهجرى، حيث تعددت الإمارات، فكانت الامارة فى العيينة لآل معمر ، وفى الدرعية لآل سعود، وفى الرياض لآل دواس، وفى الأحساء لبنى خالد، وفى نجران لآل هزال، وفى حائل لآل على، وفى القصيم لآل حجيلان، الى غير ذلك من الإمارات.

وبين هذه الإمارات المتعددة من الشحناء والبغضاء والتناحر والتنافر ما يحول دون استقرار البلاد والشعور بالأمن والانصراف للكسب والمعيشة.

ولم تكن الحالة الدينية في نجد أحسن من تلك الحالة السياسية، فإن انقطاع الصلة بينها وبين الخلافة والدولة وما نجم عن ذلك من استقلال إماراتها وانقسام قبائلها، جعل حياتها الدينية مضطربة منحرفة، وعرض العقيدة الاسلامية في نفوس أبنائها الى شوائب البدع والخرافات ، حتى كثر الشرك بالله، وشاعت الاعتقادات الجاهلية واشتدت الحالة في القرن الثاني عشر الهجري، واعتقد الناس في الجن والأحجار والأشجار والقبور، ولم يكن هناك من العلماء من يقوم بواجب الدعوة الى الله وتبصير الناس بما هم عليه من الشرك والخرافات والأباطيل حيث غلب الهوى واستحوذ على العقول الضلال، واستسلم أمام موجة الجهل عامة الناس وخاصتهم، ما بين مخدوع مضلل ومستضعف مستكين.

وحين تعظم الطامة وتدلهم الخطوب، تسأم النفوس الحياة وقل الفساد والجور، وتتطلع الى ساعة الخلاص التي تنقذها من براثن الشرك, وتنشلها من حمأة الرذيلة, وتأخذ بيدها الى

الصراط المستقيم، وترفع عن كاهلها أوزار الجهالة، وتحطم قيود العبودية وأغلال الاستنداد.

وبين تلك الحياة القائمة التى كانت تعيشها نجد سياسيا ودينيا ، ومض فى الأفق بريق الأمل، وأراد الله تعالى أن يزيح الغمة، ويعيد للأمة صفاء عقيدتها ، ويخلصها من أوضار الشرك والجهالة ، ويبدد غيوم اليأس والقنوط، فارتفع صوت يردد كلمة التوحيد التى بعث بها الرسل (لا الله الا الله) بروح الإيمان الصادق ويحيى فى النفوس العقيدة الخالصة ، ويمسح عنها أدران الوثنية والجاهلية ويدعوها إلى نبذ البدع والخرافات، ويستقى لها من نبع الإسلام الصافى ومورده العذب فى القرآن والسنة، وما كان عليه سلف هذه الأمة.

كان هذا الصوت صوت الشيخ محمد بن عبدالوهاب التميمى النجدى الذى تجاوبت أصداؤه فى ربوع نجد، وفى جزيرة العرب وفى ديار الإسلام كافة، ووجد ما يدعمه من قوة السلطان فى الأمير محمد بن سعود، فكان ذلك إيذانا بفجر جديد ينشر ضوءه فى جوانب العالم الإسلامى، إعلاء لكلمة الله وتمكينا لشريعة الإسلام.

اعتاد دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب على القرآن والسنة:

لقد كثرت الأقاويل في دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، وافترى عليه نفر من الناس، وخاضوا في الحديث عنه على غير علم، وكأنه كان بدعا في تاريخ المصلحين أتى لهم بمذهب جديد، والحق أن دعوته كسائر دعوات الإصلاح الإسلامي الرشيدة المهتدية ، نهجها الاتباع لا الابتداع، ترد الناس الى الشريعة الإسلامية في مصدريها الأساسيين : القرآن والسنة

والقرآن: هو كلام الله الذى أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم، ونقل إلينا تواترا لنتعبد بتلاوته وأحكامه، وكان آية دالة على صدقه فيا ادعاه من الرسالة، وهو أساس الدين، ومصدر التشريع، وحجة الله البالغة في كل عصر ومصر، بلغه رسول الله لأمته امتثالا لأمر ربه

(يَنَأَيُّهَا إِلَّسُولُ بَلِّغُ مَا أَنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِكُ وَإِن لَّرْ تَفْعَلْ لَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَ وَان لَّرْ تَفْعَلْ لَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ) (١)

واحتوى على الأمر الإلهى الصريح بوجوب اتباعه والعمل بما تضمنه من الأحكام في غير موضع بأساليب شتى، قال تعالى:

(ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِن رَّبِكُمْ وَلاَ نَتَبِعُواْ مِن دُونِهِ مَّ أُولِياً مَ) (١٠). وقال عز وجل:

(وَأَرْلَنَا ٓ إِلَيْكَ الْكِتَلَبَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَلِبِ
وَمُهَيْمَنَّا عَلَيْهِ فَا حُمُ بَيْنَهُم بِمَ أَرْزَلَ اللَّهُ وَلَا نَتَبِعْ أَهُوآ عَهُمْ
عَمَّا جَآءَكَ مِنَ الْحَقِّى (١٠)

وتلقاه الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلاوة له وحفظا ودراسة لمعانيه، وعملا بما فيه، واستمر حفظ المسلمين للقرآن في كل عصر، وتوارثت الأمة نقله بالكتابة على مر الدهور جيلا بعد جيل، من غير تحريف أو تبديل وذلك مصداق قوله تعالى:

(إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلدِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ كَلَفِظُونَ) (١)

وقد اشتمل القرآن الكريم على أصول الشريعة وقواعدها فى الحلال والحرام، وجاءت أكثر أحكامه مجملة ، تشير الى مقاصد الشريعة، وتضع بيد الأثمة والمجتهدين المصباح الذى يستنبطون فى ضوئه أحكام جزئيات الحوادث فى كل زمان ومكان، وهذا سر خلود الشريعة وشمول قواعدها الكلية ومقاصدها العامة لما يحدث فى الناس من أقضيات.

⁽٦) الأية ٦٧ من سورة المائدة

⁽Y) الأية ٣ من سورة الاعراف

⁽٨) الأية ٤٨ من سورة المائدة

⁽٩) الآية ٩ من سورة الحجر

وإنما فصل القرآن ما لابد فيه من التفصيل الذي يجب أن يسمو عن مواطن الخلاف والجدل ، كها في العقائد وأصول العبادات، أو لأنه يبنى على أسباب لا تختلف ولا تتغير بتغير الأزمنة والأمكنة، وذلك كها في تشريع المواريث، ومحرمات النكاح، وعقوبة بعض الجرائم.

والسنة: في اصطلاح المحدثين: ما أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل .. أو تقرير.. أو صفة خلقية أو خلقية أو سيرة، فهي مرادفة للحديث.

وفى اصطلاح الأصوليين: ما نقل عن النبى صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير.

وفى اصطلاح الفقهاء: ما ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم من غير افتراض ولا وجوب، فهى حكم من الأحكام التكليفية الخمسة.

وقد تطلق السنة على ما دل عليه دليل شرعى ، ويقابل ذلك البدعة. والسنة هى المصدر الثانى الأصيل في التشريع الإسلامى، وقد بين الإمام الشافعى في الرسالة أنه لن تنزل بأحد من أهل دين الله نازلة الا وفي كتاب الله الدليل على سبيل الهدى فيها، قال تعالى :

(كِتَنَبُّ أَزَلْنَهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظَّلُكَتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صَرَطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ) (١٠٠٠ إِلَى صِرَطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ) (١٠٠٠ وقسم الأحكام الى أقسام.

- ١ ما أبانه الله لخلقه نصا كجمل فرائضه من الصلاة والزكاة والصيام والحج، وتحريم الفواحش ماظهر منها وما بطن، وتحريم الزنا والخمر وأكل الميتة ولحم الخنزير.
- ٢ ـ وما جاء حكمه في القرآن مجملا، وبينه الرسول صلى الله عليه وسلم بسنته القولية والعملية، كتفصيل مواقيت الصلاة وعدد ركعاتها وسائر أحكامها، وبيان مقادير الزكاة وأوقاتها والأموال التي تزكى ، وبيان أحكام الصوم، ومناسك الحج، والذبائح

⁽١٠) الأية ١ من سورة ابراهيم

والصيد وما يؤكل وما لا يؤكل، وتفاصيل الأنكحة والبيوع والجنايات وغير ذلك مما دفع مجملا في القرآن، وهو الذي يدخل في الآية الكريمة:

(وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ ٱلذِّحْ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ) (١١٠).

٣ - وما سنه رسول الله صلى الله عليه وسلم مما ليس فيه نص حكم بالقرآن حيث فرض الله في كتابه طاعة رسوله والانتهاء الى حكمه:

(وَ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ) فمن قبل هذه السنة امتثل أمر الله. (١٢)

وقد أمرنا الله تعالى بطاعته وطاعة رسوله في قوله عز وجل:

(يَنَأَيُّكَ الَّذِينَ ءَامَنُواْ أَطِيعُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُرُ ﴿
فَإِن تَغِنْزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا) (١٣)

وتكرار الأمر بالطاعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم يدل على أن طاعة الرسول تجب استقلالا من غير عرض ما أمر به على الكتاب، بل إذا أمر وجبت طاعته مطلقا ، سواء كان ما أمر به في الكتاب أو لم يكن فيه فإنه أوتى الكتاب ومثله معه، ولم يأمر الله بطاعة أولى الأمر استقلالا حيث لم يتكرر معهم الأمر بالطاعة ، فجعل طاعتهم ضمن طاعة الرسول إيذانا بأنهم يطاعون تبعا لطاعة الرسول، فمن أمر منهم بما جاء عن الرسول وجبت طاعته، ومن أمر بخلاف ذلك فلا سمع له ولا طاعة ، وقد قال صلى الله عليه وسلم: (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق) (١٤) وقال: إنما الطاعة في المعروف) (١٥).

⁽١١) الآية ٤٤ من سورة النحل

⁽١٢) انظر الرسالة ص ٨٥ ـ ٩٢ بتحقيق أحمد شاكر ط الحلبي

⁽١٣) الأية ٥٩ من سورة النساء

⁽١٤) رواه أحمد والحاكم.

⁽١٥) رواه أحمد والبيهقى

وقد تضمنت الآية احتال التنازع بين المؤمنين في بعض الأحكام ـ وأوجبت الرد عند التنازع إلى الله والرسول، والرد إلى الله هو الرد إلى كتابه، والرد إلى الرسول صلى الله عليه وسلم هو الرد إليه نفسه في حياته، وإلى سنته بعد وفاته، والأمر بالرد عند التنازع إلى الكتاب والسنة يدل على أنها يشتملان على حكم كل شيء، لأن قوله؛ (فإن تنازعتم في شيء) نكرة في سياق الشرط وسياق الشرط كسياق النفى، فهى تعم كل ما تنازع فيه المؤمنون من مسائل الدين ولو لم يكن ما في كتاب الله وسنة رسوله كافيا لبيان حكم ما تنازعوا فيه لما أمروا بالرد إليه، وهذا يجعل مرد الحلال والحرام إلى الله والرسول) (١٦)

هذا وان الشيخ محمد بن عبدالوهاب قد نحا هذا المنحى الأصيل في دعوته بكل جانب من الجوانب التي تناولها.

أولا: تأكيده على الرجوع الى الكتاب والسنة:

أكد الشيخ رحمه الله في غير موضع من رسائله وفتاواه وكتبه ضرورة الرجوع الى الكتاب والسنة.

فقد أجاب الشيخ محمد بن مانع عن مسائل سأل عنها بقوله: «.... وأما المسائل التى ذكرت فاعلم أولا أن الحق اذا لاح واتضح لم يضره كثرة المخالف ولا قلة الموافق، وقد عرفت بعض غربة التوحيد الذى هو أوضح من الصلاة والصوم ولم يضره ذلك فإذا فهمت قوله تعالى:

(يَنَأَيُّهَ اللَّهِ عَامَنُواْ أَطِيعُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُولِي ٱلْأَمْرِ مِنكُدُ ۚ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءِ فَرُدُوهُ إِلَى اللّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ ٱلْآنِمِ) (١٧)

⁽١٦) انظر كتابنا: التشريع والفقه في الاسلام تاريخا ومنهجا ص ١١٩ ـ ١٢٠ وانظر أعلام الموقعين لابن القيم ص ٤٨ ـ ٥٠ بتحقيق محمد محى الدين عبدالحميد ط مصطفى محمد.

⁽١٧) الأية ٥٩ من سورة النساء.

وتحققت أن هذا حتم على المؤمنين كلهم فاعلم أن مسألة الأوقاف فيها النزاع معروف في كتب المختصرات، وذكر في شرح «الإقناع» في أول الوقف أنهم اتفقوا على صحة وقف المساجد، والقناطر، يعنى بقعها لا الوقف عليها، واختلفوا فيا سوى ذلك، إذا تبين هذا فأنت تعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» وفي لفظ الصحيح «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد» ونقطع أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يأمرنا بهذا ، ولو أمر به لكان الصحابة أسبق الناس اليه، وأحرصهم عليه (١٨).

وكان الشيخ حنبلى المذهب في دراسته بولكنه لا يلتزم مذهب الإمام أحمد في فتاواه إذا ترجح لديه ما يخالفه فيا صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

كتب اليه الشيخ عبدالعزيز الحصين يسأله عن مسائل «المسألة الأولى»... العروض، ِ هل تجزى ً في الزكاة اذا أخرجت بقيمتها؟ فأجاب الشيخ محمد بن عبدالوهاب بقوله:

أما المسألة الأولى ففيها روايتان عن أحمد، إحداهها المنع لقوله:

«فى كل أربعين شاة شاة، وفى مائتى درهم خمسة دراهم» وأشباهه، والثانية يجوز، قال أبو داود: سئل أحمد عن رجل باع تمر نخلة فقال عشرة على الذى باعه، قيل يخرج تمرا أو ثمنه، قال: إن شاء أخرج تمرا وإن شاء أخرج من الثمن.

اذا ثبت هذا فقد قال بكل من الروايتين جماعة وصار نزاع فيها فوجب ردها الى الله والرسول، قال البخارى فى صحيحه فى أبواب الزكاة: «باب العرض فى الزكاة» وقال طاوس: قال معاذ لأهل اليمن: إنتونى بعرض ثياب خميص أو لبيس فى الصدقة مكان الشعير والذرة أهون عليكم وخير لأصحاب النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، وقال صلى الله عليه وسلم: «وأما خالد فقد احتبس أدراعه وأعتاده فى سبيل الله» ثم ذكر فى الباب أدلة غير هذا فصار الصحيح أنه يجوز» (١١).

 ⁽۱۸) فتاوی ومسائل _ المسألة الثانية والعشرون ص ۸۸، ۸۹ _ القسم الثالث مختصر سيرة الرسول صلى الله
 عليه وسلم والفتاوي.

⁽١٩) المصدر السابق ص ٩٥، والعرض بفتح المهملة وسكون الراء: ما عدا النقدين والخميص: عنى به الصفيق من الثياب، أو لبيس: أي ملبوس: فعيل بمعنى مفعول.

فأنت تراه في هذه الفتوى يذكر الخلاف ثم يرده الى الله والرسول، ويدعم ما اختاره بالدليل، حيث أخذ معاذ العرض بدل الشعير والذرة في الزكاة وفي نهاية أجوبته أتى بتتمة في اتباع النصوص مع احترام العلماء فقال: «اذا فهمتم ذلك فقد تبين لكم في غير موضع أن دين الإسلام حق بين باطلين وهدى بين ضلالتين، وهذه المسائل وأشباهها مما يقع الخلاف فيه بين السلف والخلف من غير نكير من بعضهم على بعض، فإذا رأيتم من يعمل ببعض هذه الأقوال المذكورة بالمنع مع كونه قد اتقى الله ما استطاع، لم يحل لأحد الإنكار عليه اللهم إلا أن يتبين الحق فلا يحل لأحد أن يتركه لقول أحد من الناس، وقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يختلفون في بعض المسائل من غير نكير ما لم يتبين النص.

فينبغى للمؤمن أن يجعل همه ومقصده، معرفة أمر الله ورسوله فى مسائل الخلاف، والعمل بذلك، ويحترم أهل العلم ويوقرهم ، ولو أخطأوا، لكن لا يتخذهم أربابا من دون الله، هذا طريق المنعم عليهم.

أما اطراح كلامهم وعدم توقيرهم فهو طريق المغضوب عليهم،

وأما اتخاذهم أربابا من دون الله _ إذا قيل: قال الله قال رسوله قيل: هم أعلم منا _ فهذا هو طريق الضالين» (٢٠).

والشيخ محمد بن عبدالوهاب يقرر أن دين الحق هو الذي بعث به محمد صلى الله عليه وسلم، ويعلل ذلك بأمرين: أحدها: أن الله أعطى رسوله جوا مع الكلم، وثانيها أنه عليه الصلاة والسلام يتكلم بالكلمة الجامعة، وبهذا أكمل الله لنا الدين ، وأغنانا بهذا عن إحداث شي في الدين ليس منه، فإنه يكون بدعة وضلالة، يقول الشيخ «اعلم _ أرشدك الله _ أن الله سبحانه وتعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى الذي هو العلم النافع، ودين الحق الذي هو العمل الصالح _ اذا كان من ينتسب الى الدين: منهم من يتعانى بالعلم والفقه ويقول به كالفقهاء، ومنهم من يتعانى العبادة وطلب الآخرة كالصوفية، فبعث الله نبيه بهذا الدين الجامع للنوعين، ومن أعظم ما امتن

⁽٢٠) المصدر السابق ص ٩٧

الله به عليه وعلى أمته أن أعطاه جوامع الكلم، فيذكر الله تعالى فى كتابه كلمة واحدة تكون قاعدة جامعة يدخل تحتها من المسائل ما لا يحصى، وكذلك يتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكلمة الجامعة، ومن فهم هذه المسألة فهها جيدا فهم قوله تعالى:

(الْيَوْمُ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ) (")

وهذه الكلمة أيضا من جوامع الكلم، اذ الكامل لا يحتاج الى زيادة ، فعلم منه بطلان كل محدث بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، كها أوصانا بقوله: (عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى ، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة) ، وفهم أيضا معنى قوله: (فإن تنازعتم في شي فردوه الى الله والرسول)، فإذا كان الله سبحانه قد أوجب علينا أن نرد ما تنازعنا فيه الى الله، أى الى كتابه، والى الرسول، أى الى سنته، علمنا قطعا أن من رد الى الكتاب والسنة ما تنازع فيه الناس وجد فيه ما يفصل النزاع) (۲۲).

ويتابع كلامه فيوجب في محل النزاع التراد الى الله والرسول اذا اختلف كلام أحمد وكلام أصحابه، اذ لا وجه للترجيح الا بالدليل، فإذا لم يتبين للمء الدليل المرجع كانت له مندوحة في أن يقلد من يثق بعلمه ودينه، يقول، الشيخ ـ رحمه الله ـ : «اذا اختلف كلام أحمد وكلام أصحابه، فنقول: في محل النزاع التراد الى الله والرسول، لا الى كلام أصحابه ولا الى الراجع من الروايتين والقولين، خطأ قطعا، وقد يكون صوابا، وقولك : اذا استدل كل منها بدليل فالأدلة الصحيحة لا تتناقض ، بل يصدق بعضها بعضا، لكن قد يكون أحدها أخطأ في الدليل، لأنه إما استدل بحديث لم يصح، وإما لأنه فهم من كلمة صحيحة مفهوما مخطأ.

وبالجملة ، فمتى رأيت الاختلاف فرده الى الله والرسول، فإذا تبين لك الحق فاتبعه،

⁽٢١) الآية ٣ من سورة المائدة

⁽٢٢) المصدر السابق ص ٣٢

فإن لم يتبين واحتجت إلى العمل فقلد من تثق بعلمه ودينه، وهل يتخير الرجل عند ذلك، أو يتحرى أو يقلد الأعلم أو الأردع؟ فيه كلام ليس هذا موضعه. (٢٢).

وبين القاعدة التى يتبعها المفتى فيقول: «الذى يسوغ بل يجب ما وصف لك، وهو طلب علم ما أنزل الله على رسوله، ورد ما تنازع فيه المسلمون اليه فإن علّمه الله شيئا فليقل به، والا فليمسك ويقول: الله أعلم، ويجعله من العلم الذى لا يعرفه، فلو بلغ الإنسان في العلم ما بلغ لكان ما علمه قليلا بالنسبة الى مالم يعلمه، وقد قال تعالى:

(وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا)(٢٠).

والذى يتتبع أقوال الشيخ وفتاواه يجد تأكيد وجوب اتباع الله واتباع رسوله والرد فى محل النزاع الى الكتاب والسنة، تارة بالإجمال، وتارة بالتفصيل، وأوضح بيان له فى ذلك ما ذكره فى رسالة له: «أربع قواعد تدور الأحكام عليها ونحن نقتطف من ذلك أهم ما ورد: «هذه أربع قواعد من قواعد الدين التى تدور الأحكام عليها.... »

القاعدة الأولى: تحريم القول على الله بلا علم، لقوله تعالى:

(قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَاحِشَ إلى قوله: (وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) (٢٠)

القاعدة الثانية: أن كل شي سكت عنه الشارع فهو عفو لا يحل لأحد أن يحرمه أو يوجبه أو يستحبه، أو يكرهه، لقوله تعالى:

(يَكَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْتَكُواْ عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبَدَ لَكُرْ تَسُوَّكُمْ)(٢١). وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تسألوا عنها»

⁽٢٣) المصدر السابق ص ٣٢، ٣٣

⁽٢٤) الآية ١٧ من سورة الأسراء

⁽٢٥) الأية ٣٣ من سورة الاعراف.

٢٦) الأية ١٠١ من سورة المائدة.

القاعدة الثالثة: أن ترك الدليل الواضح والاستدلال بلفظ متشابه هو طريق أهل الزيغ كالرافضة والخوارج، قال تعالى:

(فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْنٌ فَيَتَّبِعُونَ مَاتَّشَبَهُ مِنْهُ)(٧٧).

والواجب على المسلم اتباع المحكم وإن عرف معنى المتشابه وحده لا يخالف المحكم بل يوافقه وإلا فالواجب عليه اتباع الراسخين في قولهم: (آمنا به كل من عند ربنا)

القاعدة الرابعة: أن النبى صلى الله عليه وسلم ذكر «أن الحلال بين والحرام بين وبينها أمور مشتبهات» فمن لم يفطن لهذه القاعدة وأراد أن يتكلم على مسألة بكلام فاصل فقد ضل وأضل، فهذه ثلاث ذكرها الله في كتابه.. والرابعة ذكرها النبى صلى الله عليه وسلم، واعلم رحمك الله أن أربع هذه الكلمات مع اختصارهن يدور عليها الدين، سواء كان المتكلم يتكلم في علم التفسير، أو في علم الأصول،أو في علم أعبال القلوب الذي يسمى علم السلوك، أو في علم الحديث،أو في علم الحلال والحرام، والأحكام الذي يسمى علم الفقه، أو في علم الوعد والوعيد، أو في غير والحرام، والأحكام الذي يسمى علم الفقه، أو في علم الوعد والوعيد، أو في غير ذلك من أنواع علوم الدين.

ثم ذكر الشيخ أن الواجب اتباع النصوص مع احترام العلماء، فقال بعد كلاء طويل

وبالجملة فمتى رأيت الاختلاف فرده الى الله والرسول فإذا تبين لك الحق فاتبعه، فإن لم يتبين لك واحتجت الى العمل فخذ بقول من تثق بعلمه ودينه

وأما قول من قال: لا إنكار في مسائل الاجتهاد فجوابه يعلم من القاعدة المتقدمة، فإن أراد القائل مسائل الخلاف فهذا باطل يخالف إجماع الأمة، فها زال الصحابة ومن بعدهم ينكرون على من خالف وأخطأ كائنا من كان، ولو كان أعلم الناس وأتقاهم، واذا

⁽٢٧) الأية ٧ من سورة أل عمران.

كان الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق، وأمرنا باتباعه وترك ما خالفه فمن قام ذلك أن من خالفه من العلماء مخطى ينبه على خطئه، وينكر عليه، وإن أريد بسائل الاجتهاد مسائل الخلاف التي لم يتبين فيها الصواب، فهذا كلام صحيح الا يجوز للإنسان أن ينكر الشي لكونه مخالفا لمذهب أو لعادة الناس، فكما لا يجوز للإنسان أن يأمر إلا بعلم، وهذا كله داخل في قوله تعالى:

(وَلَا تَقْفُ مَالَيْسَ لَكَ بِهِ عَقِمٌ) (١٨٠

وأما قول من قال: اتفاق العلماء حجة، فليس المراد الأثمة الأربعة، بل إجماع الأمة كلهم، وهم علماء الأمة، وأما قولهم اختلافهم رحمة، فهذا باطل، بل الرحمة في الجماعة، والفرقة عذاب، كما قال تعالى:

(وَلَا يَزَالُونَ مُحْتَلِفِينَ ﴿ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكُ ۗ) (١١)

ولما سمع عمر بن مسعود وأبيا اختلفا في صلاة الرجل في الثوب الواحد صعد المنبر وقال: اثنان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعن أي فتياكم يصدر المسلمون؟

لا أجد اثنين اختلفا بعد مقامي هذا إلا فعلت وفعلت»

ثم يسترسل الشيخ في ذكر ما يمكن أن يكون موضع خلاف يحتمل ويحرر الموقف في مثل ذلك، وهو تحرير يوقر فيه العلماء ويحفظ مكانتهم، وهذا ينفى عنه ما قيل: من تهجمه عليهم.. يقول: قد تبين لكم في غير موضع أن دين الإسلام حق بين باطلين وهدى بين ضلالين، وهذه المسائل (٣٠) وأشباهها مما يقع الخلاف فيه بين السلف والخلف من غير نكير من بعضهم على بعض، فإذا رأيتم من يعمل ببعض هذه الأقوال المذكورة بالمنع، مع كونه قد اتقى الله ما استطاع لم يحل لأحد الإنكار عليه اللهم إلا أن يتبين الحق فلا يحل لأحد أن يتركه لقول أحد من الناس، وقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه

⁽٢٨) الآية ٣٦ من سورة الاسراء

⁽٢٩) الأية ١١٨ من سورة هود

⁽٣٠) المراد مسائل في الزكاة سئل عنها

وسلم يختلفون فى بعض المسائل من غير نكر مالم يتبين النص، فينبغى للمؤمن أن يجسل همه وقصده معرفة أمر الله ورسوله فى مسائل الخلاف، والعمل بذلك، ويحترم أهل العلم ويوقرهم ولو أخطأوا، لكن لا يتخذهم أربابا من دون الله، هذا طريق المنعم عليهم، وأما اطراح كلامهم وعدم توقيرهم فهو طريق المغضوب عليهم..) (٢١١).

هذه هى الصورة المشرفة فى منهج الشيخ ودعوته لا مجال فيها لتقول يدّعى أنه خرج على الأثمة ، وأنه ينال منهم، أو أنه أتى بمذهب جديد ينسبه الى نفسه ، حتى لقبوا دعوته بالوهابية افتراء وزورا.

والشيخ رحمه الله يرد على هذه المفتريات في أجوبته عن الرسائل التي وصلته ويبين أنه لايحيد عن كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وما عليه سلف هذه الأمة، وما استقر عليه أمر علمائها، ولا يكفر الناس، قفى رسالته الى أهل القصيم يقول: (... ثم لا يخفى عليكم أنه بلغنى أن رسالة سليان بن سحيم قد وصلت اليكم ، وأنه قبلها وصدقها بعض المنتمين للعلم في جهتكم، والله يعلم أن الرجل افترى على أمورا لم أقلها ولم يأت أكثرها على بالى، (فمنها) قوله: إنى مبطل كتب المذاهب الأربعة، وأنى أقول: إن الناس من ستاثة سنة ليسوا على شي ، وإنى أدعى الاجتهاد، وأنى خارج عن التقليد، وأنى أقول: إن اختلاف العلماء نقمة وإنى أكفر من توسل بالصالحين، وإنى أكفر وأنى ألله البوصيرى لقوله: يا أكرم الخلق، وأنى أقول: لو أقدر على هدم قبة رسول الله صلى الله عليه وسلم طدمتها، ولو أقدر على الكعبة لأخذت ميزابها وجعلت لها ميزابا من خشب، عليه وسلم طدمتها، ولو أقدر على الكعبة لأخذت ميزابها وجعلت لها ميزابا من خشب، وإنى أحرم زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم، وإنى أنكر زيارة قبر الوالدين وغيرهما وأنى أكفر من حلف بغير الله، وأنى أكفر ابن الفارض وابن عربى، وأنى أحرق دلائل وأنى أكفر من حلف بغير الله، وأنى أكفر ابن الفارض وابن عربى، وأنى أحرق دلائل الخيرات وروض الرياحين وأسميه روض الشياطين:

جوابى عن هذه المسائل أن أقول: سبحانك هذا بهتان عظيم، وقبله من بهت محمدا صلى الله عليه وسلم أنه يسب عيسى بن مريم ويسب الصالحين فتشابهت قلوبهم بافتراء الكذب وقول الزور، وقال تعالى:

⁽٣١) المصدر السابق ص ١٠ ـ ١٢

(إِنَّكَ يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِعَايَنْتِ ٱللَّهِ)(١٣)

بهتوه صلى الله عليه وسلم بأنه يقول: إن الملائكة وعيسى وعزيرا في النار ، فأنزل الله في ذلك

(إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَى أُولْلَمِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ) (٣٣) ... (٢٤).

ولا يحمل الشيخ الناس على اتباع كلامه، إنما يدعوهم إلى اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ففي رسالته الى الشيخ فاضل آل مزيد يقول:

«إنى أذكر لمن خالفنى أن الواجب على الناس اتباع ما وصى به النبى صلى الله عليه وسلم أمته، وأقول لهم: الكتب عندكم ، انظروا فيها، ولا تأخذوا من كلامى شيئا، لكن إذا عرفتم كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى فى كتبكم فاتبعوه ولو خالفه أكثر الناس» (٣٥).

ويستشهد فيا يدعو اليه بأقوال الأثمة ليقيم الحجة على أتباعهم من مذاهبهم، ولكنهم يففلون عن هذا، جاء في رسالته التي أرسلها الى عبدالله بن سحيم مطوع أهل المجمعة جوابا عن مسائل بدعية وشركية: قال في «الإقناع» في باب حكم المرتد« واعلم أن المشركين في زماننا قد زادوا على الكفار في زمن النبي صلى الله عليه وسلم بأنهم يدعون الأولياء والصالحين في الرخاء والشدة، ويطلبون منهم تفريج الكربات وقضاء الحاجات، مع كونهم يدعون الملائكة والصالحين ويريدون شفاعتهم والتقرب بهم، وإلا فهم مقرون بأن الأمر لله، فهم لا يدعونهم إلا في الرخاء، فإذا جاءتهم الشدائد أخلصوا لله، قال الله تعالى:

⁽٣٢) الآية ١٠٥ ـ من سورة النحل

⁽٣٣) الأية ١٠١ من سورة الأنبياء

⁽٣٤) مطبوعات أسبوع الشيخ محمد بن عبدالوهاب القسم الخامس ـ الرسائل الشخصية، الرسالة الاولى. ص ١١، ١٢ ـ ٤ ـ المصدر السابق ـ الرسالة الثانية ص ١٨.

⁽٣٥) المصدر السابق ـ الرسالة الرابعة ص ٣٢

(وَ إِذَا مَسَّكُرُ ٱلضَّرْ فِي ٱلْبَحْرِضَلَ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّنُكُمْ إِلَى الْبَرِ أَعْرَضْتُمْ) (٣).

وأما الحنفية فقال الشيخ قاسم في شرح «درر البحار»;النذر الذي يقع من أكثر العوام وهو أن يأتي إلى قبر بعض الصلحاء قائلا: ياسيدي فلان، إن رد غائبي، أو عوفي مريضي، أو قضيت حاجتي فلك كذا وكذا باطل إجماعا لوجوه منها: أن النذر للمخلوق لا يجوز، ومنها: ظن أن الميت يتصرف في الأمر واعتقاد هذا كفر، إلى أن قال: إذا عرف هذا فيا يؤخذ من الدراهم والشمع والزيت.. ونحوها، وينقل الى ضرائح الأولياء فحرام بإجماع المسلمين،وقد ابتلى الناس بهذا لا سيا في مولد أحمد البدوي، فتأمل قول صاحب النهر مع أنه بمصر ومقر العلماء كيف شاع بين أهل مصر مالا قدرة للعلماء على دفعه، فتأمل قوله: من أكثر العوام أتظن أن الزمان صلح بعده ؟

وأما المالكية فقال الطرطوشى فى كتاب «الحوادث والبدع»؛ روى البخارى عن أبى واقد الليشى قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حنين ونحن حديثو عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون حولها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط فمررنا بسدرة فقلنا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كها لهم ذات أنواط، فقال: الله أكبر، هذا كها قال بنو إسرائيل لموسى : اجعل لنا إلها كها لهم آلهة لتركبن سنن من كان قبلكم «فانظروا رحمكم الله - أينا وجدتم سدرة يقصدها الناس وينوطون بها الخرق فهى ذات أنواط فاقطعوها.....

وأما كلام الشافعية فقال الإمام محدث الشام أبوشامة في كتاب «الباعث على إنكار البدع والحوادث» وهو في زمن الشارح وابن حمدان ـ وقد وقع من جماعة من النابذين لشريعة الإسلام المنتمين الى الفقر الذي حقيقته الافتقار من الإيمان من اعتقادهم في مشايخ لهم ضالين، فهم داخلون تحت قوله: (أمْ لَهُمْ شُرَكَاوًا شَرَعُواْ لَهُمْ مَنَ

ألدينِ مَالَمُ يَأْذُن بِهِ ٱللَّهُ)

⁽٣٦) الأية ٦٧ من سورة الاسراء

⁽٣٧) الآية ٢١ من سورة الشورى

وبهذه الطرق.. وأمثألها كان مبادئ ظهور الكفر من عبادة الأصنام وغيرها.....) (٣٨).

ويلح الشيخ محمد بن عبدالوهاب في رسالة على إنكار ما اتهم به من التكفير بالعموم، أو سب الصالحين، وبين أنه يعتمد في أقواله على ما وافق النصوص من الكتاب والسنة، وأما القول: إنا نكفر بالعموم فذلك من بهتان الأعداء الذين يصدون به عن هذا الدين، ونقول: سبحانك هذا بهتان عظيم.

وأما الصالحون فهم على صلاحهم _ رضى الله عنهم _ ولكن نقول: ليس لهم شي من الدعوة، قال الله:

(وَأَنَّ ٱلْمَسْنِجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا)(٢١)

وأما المتأخرون ـ رحمهم الله ـ فكتبهم عندنا، فنعمل بما وافق النص منها، وما يوافق النص لا نعمل به ... (وأما متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم فواجب على أمته متابعته في الاعتقادات والأقوال والأفعال، قال الله تعالى:

وقال صلى الله عليه وسلم: «من أحدت فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» رواه البخارى ومسلم، وفى رواية لمسلم: «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد» فتوزن الأقوال والأفعال بأقواله وأفعاله، فها وافق منها قبل، وما خالف رد على فاعله كائنا من كان، فإن شهادة أن محمدا رسول الله تتضمن تصديقه فيا أخبر به، وطاعته ومتابعته فى كل ما أمر به، وقد روى البخارى من حديث أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «كل أمتى يدخلون الجنة إلا من أبى قيل: ومن يأبى يارسول الله؟ قال من أطاعنى دخل الجنة ، ومن عصانى فقد أبى».

⁽٣٨) المصدر السابق الرسالة الحادية عشر ص ٧٢/٦٨

⁽٣٩) الآية ١٨ من سورة الجن

⁽٤٠) المصدر السابق الرسالة الخامسة عشرة ص ١٠١

⁽٤١) الآية ٣١ من سورة أل عمران

فتأمل رحمك الله ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بعده والتابعون لهم بإحسان الى يوم الدين، وما عليه الأثمة المقتدى بهم من أهل الحديث والفقهاء، كأبى حنيفة، ومالك، والشافعى، وأحمد بن حنبل، رضى الله عنهم أجمعين لكى نتبع آثارهم...) (٤٢).

ويصرح في غير موضع بأنه لايدعو الى مذهب ، إنما يدعو الى الكتاب والسنة «ولست ولله الحمد أدعو إلى مذهب صوفي أو فقيه أو متكلم، أو إمام من الأثمة الذين أعظمهم مثل ابن القيم والذهبي وابن كثير وغيرهم، بل أدعو إلى الله وحده لا شريك له، وأدعو إلى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي أوصى بها أول أمته وآخرهم، وأرجو أنى لا أرد الحق إذا أتاني، بل أشهد الله وملائكته وجميع خلقه إن أتانا منكم كلمة من الحق لأقبلنها على الرأس والعين، ولأضربن الجدار بكل ما خالفها. من أقوال أثمتي حاشا رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه لا يقول إلا الحق» (٢٤)

ثانيا : منهجه في الدعوة الى العقيدة يرتكز على الأدلة من الكتاب والسنة :

تحتل الدعوة الى توحيد الله تعالى والبراءة من ضروب الشك المكانة الأولى لدى الشيخ محمد بن عبدالوهاب أسوة برسول الله، فالعقيدة لب الأديان السهاوية وعليها تقوم الشريعة، وكتاب «التوحيد الذى هو حق الله على العبيد» يحتل الصدارة فى كتب الشيخ، واذا تناول المرء هذا الكتاب وجد من أخص مميزاته أنه يذكر الباب، ثم يسوق الأدلة من الكتاب فالسنة فها أثر عن سلف هذه الأمة ثم يتبع هذا بالمسائل التى تستنبط من الأدلة، ويكفى أن نذكر هنا بعض الناذج للتعرف على نسق الكتاب.

⁽٤٢) المصدر السابق _ الرسالة السادسة عشر _ ص ١٠٦، ١٠٧

⁽٤٣) المصدر السابق _ الرسالة الخامسة والثلاثون _ ص ٢٥٢.

باب (١) فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب

وقول الله تعالى :

عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له،وأن محمدا عبده ورسوله، وأن عيسى عبدالله ورسوله،وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق، والنارحق،أدخله الله الجنة على ما كان من العمل أخرجاه ، ولهما في حديث عتبان : «فإن الله حرم على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغى بذلك وجه الله».

وعن أبى سعيد الخدرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «قال موسى: يارب، علمنى شيئا أذكرك وأدعوك به، قال: قل يا موسى لا إلله إلا الله، قال: يارب، كل عبادك يقولون هذا، قال: ياموسى لو أن السموات السبع وعامرهن غيرى، والأرضين السبع في كفة، ولا إله إلا الله في كفه، مالت بهن لا إله إلا الله» رواه ابن حبان والحاكم وصححه.

وللترمذى وحسنه عن أنس: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «قال الله تعالى: يا ابن آدم ، لو أتيتنى بقراب الأرض خطايا ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة».

فيه مسائل:

الأولى : سعة فضل الله ٠

الثانية : كثرة ثواب التوحيد عند الله .

الثالثة : تكفيره مع ذلك للذنوب(٤٤)

باب (۱۸) ...، کفی نیآده متاکه مددنه

ما جاء أن سبب كفر بنى أدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين

وقول الله عز وجل: (يَتَأَهْلَ ٱلْكِتَابِ لَا تَغْلُواْ فِي دِينِكُرْ وَلَا تَقُـ ولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَــَقَ) سورة النساء آية ١٧١

في الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنها في قول الله تعالى :

(وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ عَالِهَ مَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدَّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا)

قال: «هذه أسهاء رجال صالحين من قوم نوح، فلها هلكوا، أوحى الشيطان الى قومهم: أن انصبوا إلى مجالسهم التى كانوا يجلسون فيها أنصابا وسموها بأسهائهم ففعلوا، ولم تعبد حتى اذا هلك أولئك ونسى العلم عبدت»

وقال ابن القيم: قال غير واحد من السلف: «لما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم».

⁽٤٤) القسم الأول ـ العقيدة والآداب الاسلامية ـ مطبوعات أسبوع الشيخ ص ١٢، ١٣

وعن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا تطروني كما أطرت النصاري ابن مريم، إنما أنا عبد، فقولوا: عبدالله ورسوله» أخرجاه.

وقال: (٤٥): قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إياكم والغلو فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو»

ولمسلم عن ابن مسعود: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «هلك المتنطعون ـ قالها ثلاثا».

فيه مسائل:

الأولى : أن من فهم هذا الباب وبابين بعده تبين له غربة الإسلام، ورأى من قدرة الله وتقليبه للقلوب العجب .

الثانية : معرفة أول شرك حدث في الأرض، أنه بشبهة الصالحين ٢٦٠)

باب (٣٥) ما جاء في الرياء

وقول الله تعالى :

(قُلْ إِنِّمَا أَنَا بَشَرِّمِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَى أَنَّمَ إِلَى أَنَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَاءَ رَبِّهِ عَلَيْعَمَلُ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكُ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ عَأَحَدًا) كَانَ يَرْجُواْ لِقَاءَ رَبِّهِ عَلَيْعَمَلُ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكُ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ عَأَحَدًا)

وعن أبى هريرة مرفوعا: قال: قال تعالى: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملا أشرك معى فيه غيرى تركته وشركه» رواه مسلم.

⁽٤٥) هذا الحديث ذكره المصنف بدون ذكر راويه، وقد رواه الامام احمد والترمذي، وأبن ماجه من حديث أبن عباس.

⁽٤٦) المصدر السابق ص ٥٦، ٥٧

وعن أبى سعيد مرفوعا: «ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندى من المسيح الدجال؟ قالوا: بلى يا رسول الله ، قال: الشرك الخفى يقوم الرجل فيصلى، فيزين صلاته، لما يرى من نظر رجل ..رواه أحمد.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية الكهف.

الثانية: الأمر العظيم في رد العمل الصالح إذا دخله شي لغير الله (٤١٠)

باب (۳۸)

قول الله تعالى:

(أَلَّهُ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ عَامَنُواْ بِمَا أَنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزِلَ مِن قَبْكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَكُفُرُواْ بِهِ عَوَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ يُرِيدُونَ أَنْ يَكُفُرُواْ بِهِ عَوَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالاً بَعِيدًا لَى وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالُواْ إِلَى مَا أَنزَلَ اللهُ وَإِلَى الرَّسُولِ أَنْ يُضِلَّهُمْ مَصِيبَةً اللهُ وَإِلَى السَّرَقُ مَصِيبَةً اللهُ عَنْ مَصَدِيدًا اللهُ عَنْ مَصَدِيدًا اللهُ عَنْ مَصَدِيدًا اللهُ إِنْ أَرَدْنَا إِلَا إِلَى اللهُ إِنْ أَرَدْنَا إِلَا إِلَى اللهُ عَنْ اللهُ عَنْ اللهُ إِنْ أَرَدْنَا إِلَا إِلَى اللهُ عَنْ اللهُ عَلَى اللهُ عَنْ اللهُ إِنْ أَرَدْنَا إِلَا إِلَى اللهُ عَنْ اللهُ عَنْ اللهُ عَنْ اللهُ إِنْ أَرَدْنَا إِلَا إِلَى اللهُ عَنْ اللهُ عَنْ اللهُ اللهُ إِنْ أَرَدْنَا إِلَا إِلَى اللهُ اللهُ عَنْ اللهُ اللهُ إِلَى اللهُ اللهُ إِلَى اللهُ ا

النساء من ٦٠ إلى ٦٢.

وقوله :

(وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحُنُ مُصْلِحُونَ)

سورة البقرة: ١١

وقوله:

(وَلَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَحِهَا وَآدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْتَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ) سورة الأعراف: ٥٦ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ)

⁽٤٧) المصدر السابق ص ٩٨

وقوله :

(أَفَكُمْ آلِكُ لِهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكًّا لِقُومِ يُوقِنُونَ)

سورة المائدة: ٥٠

عن عبدالله بن عمرو رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به» قال التودى: حديث صحيح، رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح.

وقال الشعبى: «كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود خصومة فقال اليهودى: نتحاكم إلى محمد _ ، لأنه عرف أنه لا يأخذ الرشوة: وقال المنافق نتحاكم إلى اليهود، لعلمة _ أنهم يأخذون الرشوة _ فاتفقا أن يأتيا كاهنا في جهينة فيتحاكما إليه: فنزلت (ألم تر إلى الذين يزعمون) الآية

وقيل: نزلت في رجلين اختصها فقال أحدهها: نترافع الى النبّى صلى الله عليه وسلم، وقال الآخر: الى كعب بن الأشرف، ثم ترافعا الى عمر فذكر له أحدها القصة، فقال للذى لم يرض برسول الله صلى الله عليه وسلم: أكذلك قال: نعم، فضر به بالسيف فقتله.

فيه مسائل:

الأولى : تفسير آية النساء وما فيها من الإعانة على معرفة الطاغوت.

الثانية: تفسير آية البقرة (وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض) الآية.

الثالثة : تفسير آية الأعراف (ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها) الآية.

الرابعة : تفسير (أفحكم الجاهلية يبغون) (١٤٨).

ونقرأ للشيخ كتبه الأخرى في العقيدة، في كشف الشبهات وفي ثلاثة الأصول، فتجد كل مسألة من المسائل مقرونة بأدلتها من الكتاب والسنة.

ولا يتخلى الشيخ عن هذا المنهج الاستدلالي في كل باب من الأبواب التي تناول فيها العقيدة وتفسير مدلولها أو تناول فيها الشرك بضروبه.

⁽٤٨) المصدر السابق ص ١٠٥،١٠٤

ثالثا: منهجه في الفقه يعتمد على اختيار ما يدعمه الدليل وإن خالف مذهبه:

كان الشيخ محمد بن عبدالوهاب _ رحمه الله _ حنبليا ، ولكنه لا يتعصب لمذهبه، ولا ينتصر له، شأن كثير من أتباع المذاهب الفقهية، إنما يأخذ من مذهب أحمد ما وافق الدليل، ويختار من أراء الفقهاء ما ترجح عنده بدليله ولهذا شواهد كثيرة.

ففي كتاب الطهارة:

باب السواك وسنن الوضوء

السواك بعود لين ينقى الفم لا يتفتت مسنون كل وقت لحديث: «السواك مطهرة للفم مرضاة للرب» رواه الشافعي وأحمد وغيرهما.

ويسن السواك في جميع الأوقات لحديث عائشة ، رواه مسلم.

ويتأكد استحبابه في ثلاثة مواضع : عند تغير رائحة الفم، وعند النوم، لحديث حذيفة، متفق عليه، وعند إرادة الصلاة لقوله صلى الله عليه وسلم:

«لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة» متفق عليه.

ويستحب في سائر الأوقات ولو لصائم بعد الزوال، قال في الاختيارات وهو رواية عن أحمد، وقاله مالك وغيره.....(٤١).

باب التيمم

وهو من خصائص هذه الأمة، لم يجعله الله طهورا لغيرها، وهو أيضا بدل طهارة الماء لكل ما يفعل بها عند العجز عنه.

وله شروط أربعة:

أحدها : العجز عن استعبال الماء ، إما لعدمه ، لقوله تعالى:

⁽٤٩) القسم الثاني ـ الفقه ـ المجلد الثاني ـ مطبوعات أسبوع الشيخ كتاب الطهارة ص ١٥

(فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمُّواْ صَعِيدًا طَيِّبًا) (٥٠٠).

أو لخوف الضرر من استعماله لمرض أو برد شديد، وجرح القوله سبحانه:

(وَ إِن كُنتُم مَّرْضَيْ)(١٥)

ولحديث عمرو بن العاص ، رواه أبو داود ، أو خوف العطش على نفسه حكاه ابن المنذر إجماعا، أو تعذر إلا بثمن كثير يزيد على ثمن المثل، وإن أمكنه استعاله في بعض بدنه لزمه استعاله ويتيمم للباقى، لحديث أبى هريرة وفيه: فإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم».

الثانى : دخول الوقت، وقال الشيخ تقى الدين: التيمم يرفع الحدث ، وهو مذهب أبى حنيفة ، وهو رواية عن أحمد، وقال في الفتاوى المصرية: التيمم لوقت كل صلاة حتى يدخل وقت الأخرى أعدل الأقوال. (٥٢)

و في كتاب «أداب المشى الى الصلاة» يذكر الصفة، ويتبعها بالدليل .

باب صلاة الجماعة

أقلها اثنان في غير جمعة وعيد، وهي واجبة على الأعيان حضرا وسفرا حتى في خوف، لقوله تعالى:

(وَ إِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ) (٥٠٠

وتفضل على صلاة المنفرد بسبع وعشرين درجة، وتفضل في المسجد والعتيق أفضل،

⁽٥٠)(٥٠) الاية ٦ من سورة المائدة والاية ٣٤ من سورة النساء.

⁽٥٢) المصدر السابق ص ٣٣،٣٢ ــ

⁽٥٣) الاية ١٠٢ من سورة النساء

وكذلك الأكثر جماعة، وكذلك الأبعد، ولا يؤم في مسجد قبل إمامه الراتب إلا بإذنه، إلا أن يتأخر فلا يكره ذلك لفعل أبى بكر وعبدالرحمن بن عوف (٥٠).....

وللشيخ رسالة في أحكام تمنى الموت، استقصى فيها الأحاديث والآثار والأخبار الواردة في ذلك.

وأعطى الشيخ رحمه الله عناية خاصة لأحاديث الأحكام فى كتاب اشتمل ستائة وأربعة آلاف من الأحاديث المرفوعة والموقوفة، وعلى كثير من فتاوى التابعين وأقوال الأثمة المجتهدين، رتبها حسب أبواب الفقه، وهذا له دلالته على المنهج الذى ارتضاه لنفسه فى دعم الأحكام الفقهية بأدلتها.

وتلك هى الشواهد التى تحدد منهج المجدد المصلح الشيخ محمد بن عبدالوهاب فى اعتاده على الكتاب والسنة، حتى آتت ثهارها الطيبة لخير الإسلام والمسلمين، والله من وراء القصد.

⁽٥٤) ص ٢٥ المصدر السابق.

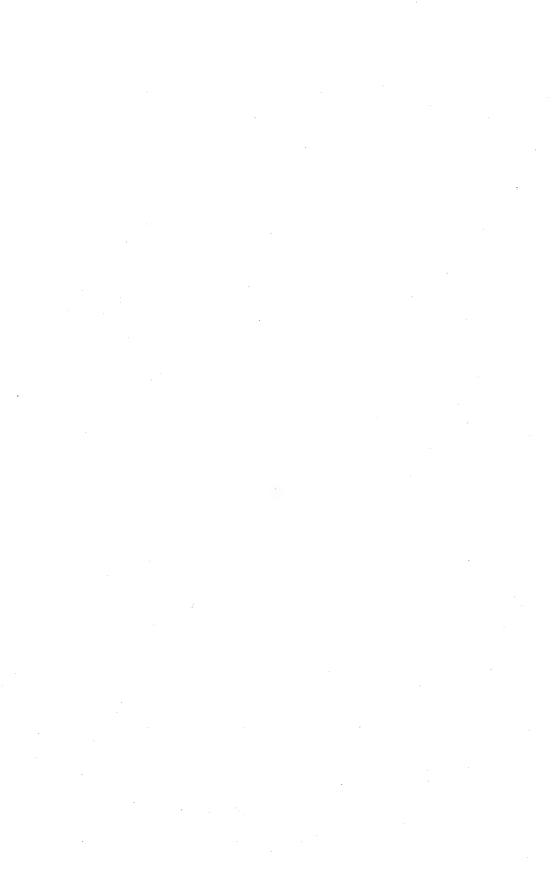


اعمًا دفقه دعوة الشيخ محدبنَ عبرُ الوهابُ على الكتاب والسنة

لنخيلة الشيخ صالح بن عبدالرحمن الأطرم

أستاذ مشارك في كلية الشريعة بالربيا ص

جامعة الإمام محمدبن سعود الإسلامية



بسماسدالرهن الرحسيم

« مقدمة البحث »

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه.. وبعد:

أيها الإخوة الحضور ـ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

معلوم ما اجتمعنا من أجله.. وهو البحث في جوانب دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب من اعتادها على الكتاب والسنة، وصلتها بالسلف الصالح وتأثيرها في الفرد والمجتمع، ومها طال بحثنا فها نرانا نقول إلا معاراً ومعاداً من لفظنا مكروراً، لأن دعوة الشيخ رحمه الله على حد قول القائل: الجواب ما ترى لا ما تسمع.. فتأثيرها في محيطها وخارجه أكثر مما نقوله، وإنما ما كتبته في اعتاد فقه دعوة الشيخ على الكتاب والسنة ما هو إلا إسهام منى في هذه المناسبة التي أقامتها جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية من جمع مؤلفاته وطبعها ونشرها وتوزيعها.. نفعنا الله بها.

أيها الإخوة الحضور - إن أهداف دعوة الشيخ سامية، نابعة من أهداف النبوة، وحاجة الإنسان إليها ماسة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها القيامها بالغرض الذى خلق من أجله الإنسان، وهو عبادة الله وحده.

«وَمَا خَلَقْتُ أَبِلْحَنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ».

(الذاريات ٥٦) وهذه دعوة الرسل من أولهم نوح ـ عليه السلام ـ إلى خاتمهم محمد ـ عليه وعلى سائر

وهده دعوه الرسل من اوهم نوح ـ عليه السلام ـ إلى خاتمهم محمد ـ عليه وعلى سائر الأنبياء الصلاة والسلام.

« وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ عَقَالَ يَلْقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهُ مَالَكُمْ مِنْ إِلَىٰ غَوْمِهِ عَقَالَ يَلْقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهُ مَالَكُمْ مِنْ إِلَىٰ غَوْمِهِ عَلَيْهُ وَ ﴾.

« وَ إِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَقَوْمِ أَعُبُدُواْ ٱللّهَ مَالَكُمْ مِنْ إِلَه غَيْرُهُ و " . « وَ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالَحًا قَالَ يَقَوْمِ آعُبُدُواْ ٱللّهَ مَالَكُمْ مِنْ إِلَه غَيْرُهُ و " « وَ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالَحًا قَالَ يَنقُوْمِ آعُبُدُواْ ٱللّهَ وَٱرْجُواْ ٱلْبَوْمَ ٱلْآخِرَ « وَ إِلَىٰ مَذَينَ أَخَاهُمْ شُعِيبًا فَقَالَ يَنقَوْمِ آعُبُدُواْ ٱللّهَ وَٱرْجُواْ ٱلْبَوْمَ ٱلْآخِرَ « وَ إِلَىٰ مَذَينَ أَخَاهُمْ شُعِيبًا فَقَالَ يَنقَوْمِ آعُبُدُواْ ٱللّهَ وَٱرْجُواْ ٱلْبَوْمَ ٱلْآخِرَ وَلَا تَعْمَوْا فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ " . (هود ٥٠، ١٦، العنكبوت ٣٦)

وعلى خاتم الأنبياء ينزل تكليف الله له.

«يَنَأَيُّهَا ٱلْمُدَّقِرُ ﴾ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴿ وَرَبَّكَ فَكَبِرْ ۞ وَثِيَابَكَ فَطَهِرْ ۞ وَرَبَّكَ فَكَبِرْ ۞ وَلِيَابِكَ فَطَهِرْ ۞ وَالرَّبِكَ فَأَصْبِرْ ۞ " الدور

وهذه الآية نزلت تأمره بالعمل بعد الآية الأولى التي نزلت تعلمه، وهو قوله تعالى:

«ٱقْرَأْ بِالْهِ رَبِكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَانَ مِنْ عَلَقِ ﴿ الْقَرَأُ فَرَأُ مِنْ عَلَقِ ﴿ الْقَدَمُ وَرَبُكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿ مَا لَمْ يَعْلَمُ اللَّهِ عَلَمَ ٱلْأَيْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّلَّالَّةُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللّ

فوضحت الآيتان أن العلم قبل القول والعمل، وأن العلم متبوع بالعمل.

فدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب فقه فى الدين عقيدة وفروعاً، لذا نجدها جماعية وليست جمعية، وعمومية وليست حزبية، أمر بمعروف ونهى عن منكر قولاً وعملاً وجهاداً، وليست إصلاحية فردية، وليست سرية بل علنية، يبين الحلال والحرام من المعاملات، والصحيح والفاسد من العبادات. ينكر ما يخل بالعقيدة والأخلاق والمعاملات، يعرض قوله فى الأصول والفروع مقروناً بالدليل، يلتمس من يشد عضده لنشر هذه الدعوة وتنفيذها وقمع من يقف ضدها _ حتى قيض الله له من نور الله بصيرته.. أمير الدرعية/ محمد بن سعود... فتعاهدا وشرعا فى التنفيذ عام ١١٥٧ ه ... هذا يحمل مشعل النور، وهذا يحمل السيف والسنان لمن وقف وعاند فى سبيل نشر هذا الفقه.

أيها الاخوة الحضور _ إن هذا العمل من الشيخ رحمه الله كان قدوته في ذلك محمد صلى الله عليه وسلم، حيث يقف على صناديد كفار قريش ويقول لهم: «قولوا لا إله إلا

الله فإن أطعتمونى فهذا ما أمرت به، وإلا فبينى وبينكم الله». أو كها قال صلى الله عليه وسلم. وقوله لهم هذه المقالة جواباً لهم لما ساوموه على ترك دعوته.

كها كان رسول الله _ صلى الله عليه وسلم _ قدوة الشيخ فى التاس من ينصره حيث قال: «اللهم انصر الإسلام بأحد العمرين».

وهو يعنى عمر بن الخطاب وعمرو بن هشام (أبو جهل).. فاستجاب الله دعوته بإسلام عمر بن الخطاب، فكان منه النصر والعزة قولاً وفعلاً، وأصبح غصة في حلوق أعداء الله وأعداء الرسول عليه الصلاة والسلام.

فمن هذا المنطلق تثبت دعوة الداعى وينتشر فقهه، ويجد له مكانه فى القلوب حيث هدفه وغايته هداية الناس إلى معرفة خالقهم ورازقهم وحقه عليهم. ومعلوم أن مثل هذه الدعوة لابد وأن تجد فى طريقها الكثير من العقبات ابتلاء وامتحاناً لأصحابها ودعاتها. أيصبرون ويمضون، أم يجزعون فيقفون.

«الْهَ إِنَّ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتَرَكُواْ أَن يَقُولُواْ ءَامَنَا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّ

أيها الاخوة ... بعد هذه المقدمة السريعة أستعرض معكم نقاط بحثى في اعتاد فقه الشيخ محمد بن عبدالوهاب على الكتاب والسنة، ثم قراءة مقاطع منه كالمقدمة... ومقدمة بعض الأبواب.... وإن سنحت الفرصة لأستعرض معكم الكثير، فهذه رغبتى على أن أحظى بملاحظة أستنير بها من حضراتكم.

الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا، قيا لينذر بأسا شديدا من لدنه، ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا، ماكثين فيه أبدا، وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا.

وصلى الله وسلم على من أنزل عليه هذا الكتاب ليخرج الناس من الظلمات إلى

النور على يده، وعلى آله وأصحابه والمهتدين بهديه المستضيئين بنور كتاب ربهم، وسنة نبيهم، وعلى كل من حذا حذوهم إلى أن تقوم الساعة.

وبعـــد ...

فإن الله منذ خلق البشرية وحكمته قاضية بالصراع بين الحق والباطل...، فالباطل له إبليس وجنوده من الجن والإنس، حيث أمر بالسجود لآدم فأبى استكباراً وعناداً، فحكم عليه بالطرد والإبعاد من رحمة الله...

قال تعالى:

«وَ إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَنَبِكَةِ ٱسْجُدُواْ لَادَمَ فَسَجَدُواْ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبِي وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَنْفِرِينَ ﴿ اللَّهِ ﴾ (١).

وطلب إبليس الإنظار من ربه إلى يوم القيامة فأعطى مطلبه، وهو يريد بذلك تحقيق مأربه بأن يضل بنى آدم و يجعلهم من أتباعه حيث عرف أن النار مثواه في الدار الآخرة.

والنصوص الواردة فى القرآن الكريم والحديث الشريف فى هذا المعنى كثيرة ومتعددة، ولكن من لطف الله ورحمته بعباده أن هذا العدو المصارع للحق لم يستطع الحكم الكامل بعدم الشكر على بنى آدم، بل على أكثرهم.

قال تعالى حكاية عن إبليس:

« قَالَ فَبِمَا أَغُو يَنْنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿ ثُمَّ لَا يَبَنَّهُم مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَنِهِمْ وَعَن شَمَا يِلِهِمْ وَلَا تَجِدُأُ كُثَرَهُمْ شَكِرِين

ولم يذكر الجهة الفوقية لأن الذي يأتي من الفوق هو النور، والقابلون له هم الشاكرون الذين لا سبيل للشيطان عليهم، وذكره سائر الجهات دليل على أن الشرسفلى.

⁽١) البقرة أية ٣٤.

⁽٢) الأعراف ١٦ ـ ١٧.

وإذا نزل النور من الفوق بدد ظلام الشر وفرقه، وأزهق الباطل، فلم يكن للشيطان على ذلكم الشاكر الذي تلقى النور من ربه عن طريق نبيه سلطان.

«إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَنُّ إِلَّا مَنِ آتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ» (٣).

«إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ مُ سُلْطَانٌ عَلَى ٱلَّذِينَ عَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿ إِنَّ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ وَعَلَىٰ اللَّهِ مَا يَعُهُ عَلَى اللَّهِ مِنْ يَتُولَّوْنَ وَالَّذِينَ هُم بِهِ عَ مُشْرِكُونَ ﴿ وَاللَّهِ مِنْ اللَّهُ مُ اللَّهُ مُ اللَّهُ مُ اللَّهُ مَا اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مَا اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مُنْ اللّلِهُ مُنَا اللَّهُ مُنْ اللَّ

ومن هنا يتضح وجود الحق وثبوته ومصارعة الباطل له، ولكن متى ثبت أهل الحق وعرفوه حق المعرفة دفع الباطل مهما كثر أعوانه وأنصاره.

«إِنَّ ٱلْبَيْطِلَ كَانَ زَهُوقًا»(٥).

«وَمَن يَتُولَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَالِبُونَ » (٦).

فالحق ثابت مادامت البشرية على وجه المعمورة، وإن. ضعف حينا قوى أحيانا، وإن خفى في مكان ظهر في مكان آخر ـ تلك هي :

« سُنَّتَ اللَّهِ آلَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَّادِهِ ، وَخَسِرَ هُنَا لِكَ ٱلْكَنْفِرُونَ »(٧).

ومتى فقد الحق وأهله قامت الساعة وانتهت الدنيا لإخبار الصادق المصدوق:

⁽٣) الحجر أية ٤٢

⁽٤) النحل أية (٩٩ ـ ١٠٠)

⁽٥) الإسراء آية ٨١

⁽٦) المائدة آية ٥٦

^{. (}y) سورة غافر أية ٨٥ .

«بأنها لا تقوم وعلى وجه الأرض مؤمن، بل على شرار الناس» (٨).

ولحديث: لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذهم حتى يأتى أمر الله، وفي رواية (حتى تقوم الساعة)(١).

ثم إن الله جل وعلا أثبت هذا الحق بتتابع رسله ووحيه عليهم:

«ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَنْراً كُلَّ مَاجَاءَ أُمَّةً رَسُولُكَ كَذَّبُوهُ فَأَتَبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمِ لَآيُؤُمِنُونَ »(١٠)

ثم ختم هؤلاء الرسل بأشرفهم وإمامهم وسيد البشرية أجمع محمد صلى الله عليه وسلم، فشملت رسالته الثقلين من عرب وعجم، وعمت أرجاء المعمورة، ولم يعد في الدنيا كلها مكان إلا ووصلته هذه الدعوة الربانية المحمدية، وخاصة في زمننا الحديث بعد أن عمت أجهزة الإعلام جميع المناطق في العالم، وأنزل على هذا النبى الكريم كتابا صار إعجاز الفصحاء العرب والعجم، والجن والإنس على أن يأتوا بمثله أو سورة منه، بل ولا آية. وجعله منهجاً خالداً للناس أجعين.

والأدلة على إعجاز القرآن وتخليده وشموله لقضايا الحياة في شتى مجالاتها، وأنواع العقائد والعبادات الصحيح منها والفاسد، واضحة جداً وكثيرة لا تحصى

ثم إن الله جعل رسالة كل نبى إلى قومه خاصة لعلم الله ببعثه خاتم الرسالات، وإنزاله الكتاب المهيمن على جميع الكتب والرسالات السابقة.

« وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ ٱلْكِتَابَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَابِ
وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ،» (١١٠).

⁽A) أخرجه مسلم راجع جامع الأصول ج ١٠ ص ٤٠١

⁽٩) أخرجه مسلم بهذا اللفظ ١٥٢٣/٣ في كتاب الامارة، وأخرجه البخاري بمعناه ١٦٤/١

⁽١٠) المؤمنون أية ٤٤.

١١) المائدة أية ٤٨.

ولعلم الله بنهاية الرسل وآخرهم محمد عليه الصلاة والسلام، أيقظ الله من أمته من حفظ القرآن منه، وتلقى سنته، وعلى رأس هؤلاء صحابته العدول _ رضى الله عنهم وأرضاهم-.

وهكذا كل من أراد الله هدايته شرح الله صدره للإسلام، فتعلم علومه وعلمها وفهمها، لذا جاء في الحديث: (أن العلماء ورثة الأنبياء)(١٢).

والحديث الآخر (من يرد الله به خيراً يفقه في الدين) $^{(\gamma)}$ والحديث الآخر (رب مبلغ أوعى من سامع) $^{(1)}$ ومصداق هذه الأحاديث ما دلت على معانى هذه الآيات.

«أولا»

«شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَآ إِلَهُ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَيْكَةُ وَأُولُواْ الْعِلْمِ قَآيَكَ بِالْقِسْطِ
لَآ إِلَهُ إِلَّا هُوَ الْعَنِ يُزُ الْحَكِيمُ »(١٠).

فدلت هذه الآية على فضل العلماء من أمه محمد وأنهم الوارثون لسنته، والمتفقهون في دينه اذ جعلهم الله في صف ملائكته وجعلهم أهلا لشهادة ما شهدت به ولولا ما في صدورهم من العلم بالله وخشيته لما نزلوا هذه المنزلة.

«إِنَّمَا يَغْشَى ٱللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَ وَأُنَّ »(١٦).

ولما أوتوه من النور الذي ورثوه عن نبيهم محمد وعدهم الله برفع الدرجات.

« يَرْفَعَ اللَّهُ ٱلَّذِينَ عَامَنُواْ مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَنتِ » (١٧).

⁽۱۲) مختصر سنن أبى داود جـ ٥ ص ٢٤٣. وفى السنن ٣١٧/٣ كتاب العلم،والترمذي جـ ٥ ص ٤٨ ــ ٤٩ فى كتاب العلم.

⁽١٣) فتح الباري ج ١ ص ١٤١ . ومسلم ١٥٢٤/٣ في كتاب الإمارة .

⁽١٤) أخرجه البخارى جـ٧٤/٣ كتاب الحج.

⁽١٥) أل عمران أية ١٨.

⁽١٦) فاطرأية ٢٨.

⁽١٧) المجادلة أية ١١.

وفي الأنفال يذكر الله صفات المؤمنين بقوله تعالى:

"إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكَرَ ٱللَّهُ وَجِلَتُ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتُ عَلَيْهِمْ عَلَيْهِمْ عَالَيْهِمْ عَلَيْهِمْ عَلَيْهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿ إِلَّذَ يُنْ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوَةَ وَمِمَا وَلَيْنَهُمْ يُنفقُونَ ﴿ يَكُن الصَّلَوَةَ وَمِمَا وَرَقْنَ لَهُمْ أَلْمُؤْمِنُونَ حَقَّالَهُمْ دَرَجَئتُ عِندَ رَبِيمُ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كُرِيمٌ ﴾ (١٨).

وَ فَي سُورة الزمر ينوه الله جل شأنه عن فضل المتعلمين على الجاهلين ويبين صفة

« قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّكَ يَتَذَكَّرُ أَوْلُواْ آلْأَلْبَنب» (١٩).

وفى سورة الأنعام يبين الله تعالى أن العلم بالقرآن والسنة هو النور وهـو الحياة الحقيقية والأبدية، وأن الجهل بهما هو الموت والظلمة.

«أُوَ مَن كَانَ مَيْتُ فَأَحْيَيْنَهُ وَجَعَلْنَا لَهُ, نُورًا يَمْشِي بِهِ عِنِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّنْلُهُ, فِي ٱلظَّلُنَتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَالِكَ زُيِّنَ لِلْكَنفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ» (٢٠).

ويصور الشاعر الجهل ومعناه وأنه الموت العاجل.

وفى الجهل قبل الموت موت لأهله وأجسامهم قبل القبور قبور وهذا الموضوع واسع وأدلته أكثر من أن تحصر، وإنما المقصود الإشارة بأن شرع محمد صلى الله عليه وسلم خالد لوجود ورثته وبيان مكانتهم ومنزلتهم عند الله، وأنهم إذا قاموا على طريقة نبيهم أثروا في الناس وغيروا المجتمعات من السي الى الحسن، وأظهروا المحقو وأزهقوا الباطل.

⁽١٨) الأنفال أية ٢-٤ .

⁽١٩) الزمر أية ٩.

⁽٢٠) الأنعام أية ١٢٢ .

ومن ورثة محمد صلى الله عليه وسلم في القرن الثانى عشر الهجرى محمد بن عبدالوهاب. الذى دعا إلى شرع الله عقيدة وقولا وعملاً، وجهاداً لمن وقف ضد هذه الدعوة قامعاً لبدعته، مبطلاً لخرافته بالحجة والبرهان، وهي له العضد والساعد ليحمل السيف والسنان محمد بن سعود أمير الدرعية الذى شد أزر محمد بن عبدالوهاب على الحق والبر والتقوى، فهذا ينشر النور والضياء، وهذا يزيل الحجب والغطاء والعراقيل التى توضع دون هذه الخطى بدليل من القرآن وحديث من سنة المصطفى، ومن أجاب داعى الله وهذا النداء فله الجنات نزلاً ومأوى والسعادة في هذه الدنيا والنصر والتأييد من رب الورى.

وحان الشروع فيا قصدناه من اعتاد الشيخ محمد بن عبدالوهاب على الأدلة والهدى من كتاب ربنا وسنة سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وأقوال صحابته أئمة الهدى، وما فهمه أولى النهى ممن فتح الله عليهم المحبة والرغبة لفهم شرعه، فصاروا سبباً لحفظه الذى تكفل الله به:

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلدِّكُ وَإِنَّا لَهُ كَلَفِظُونَ » (٢١).

فحِفْظُ الله لكتابه وسنة نبيه هو على أيدى ورثة رسوله.. لذا يكون نزع العلم بموت أهله لا بانتزاعه من صدور الرجال، وإذا انتزع العلم تصدى للمسئولية الجهلة، فأفتوا بغير علم، ونفذوا بغير نور، وحينئذ تنقلب السنة بدعة والبدعة سنة.

وفى الحديث: «فإذا أضيعت الأمانة فانتظر الساعة، قال: كيف إضاعتها؟ قال: إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة)(٢٢).

وهذا البحث يشتمل على مقدمة وأربعة أبواب:

الباب الأول: نبذة عن حياة الشيخ وفيه أربعة فصول:

الفصل الأول : ترجمة موجزة للشيخ وتتلخص فى النقاط التالية: نسبه/ ولادته/ بيئته/ نشأته/ طلبه للعلم/ بداية دعوته/ رحلاته فى طلب العلم/ مكان بدء نشر دعوته/ وفاته.

⁽٢١) سورة الحجر أية ٩ .

⁽۲۲) عن أبي هريرة في صحيح البخاري ج ١ ص ١٤٢/١٤١ في كتاب العلم، واحمد في مسنده ٢٦١/٢.

الفصل الثاني : زمن الشيخ محمد بن عبدالوهاب.

الفصل الثالث: الحالة الاجتاعية في زمن الشيخ.

الفصل الرابع: سبب قيام دعوة الشيخ.

الفصل الأول : القواعد الأربع التي قررها الشيخ لدوران الدين عليها.

الفصل الثانى : في كلام الشيخ عن طريقة الأخذ فيا اختلف فيه العلماء

وأقوالهم.

الفصل الثالث : في كلام الشيخ على قولهم (اتفاق العلماء حجمة واختلافهم

رحمة).

الفصل الرابع : في كلام الشيخ على من قال: (لا يقرأ الكتاب لعدم إمكان

فهمه) ودليله على بطلان هذا القول.

الفصل الخامس : في كلام الشيخ على الذين يحاولون طرح أقوال العلماء وبيان

مبدءه وموقفه منها.

الفصل السادس : في كلام الشيخ لابن معمر لما هدره.

الفصل السابع : في كلام الشيخ في المدينة لما سئل عن الأصوات عند قبر

الرسول _ صلى الله عليه وسلم _

الفصل الثامن : ما قاله أحفاده عن اعتاده على الكتاب والسنة.

الفصل التاسع : ما قاله غير أحفاده وأبنائه مما يدل على اعتاده في دعوته على

الكتاب والسنة.

الفصل العاشر : في ثناء العلماء على الشيخ ووجهة نظري في إيراد هذا الثناء.

الفصل الحادي : في الأصول التي دعا إليها الشيخ، وهي أهم دعواتـــــه

عشر وأجلها مدعومة بالأدلة.

الباب الثالث: الاستدلال على اعتاده في مؤلفات العقائد على الكتاب والسنة.

وفي هذا الباب خمسة عشر فصلاً هي:

الفصل الأول: في ثلاث مسائل يجب تعلمها.

الفصل الثاني : في المسألة التي بها نجاة المسلم من الخسارة والهلاك.

الفصل الثالث : في مراتب الدين.

الفصل الرابع : في اعتناء الشيخ بتوحيد العبادة.

الفصل الخامس: القواعد الأربع التي قرر بها توحيد العبادة.

الفصل السادس : ما ورد في مؤلفه كتاب (فضل الإسلام) على اعتاده على الفصل الكتاب والسنة.

الفصل السابع : فما ألفه في أصول الإيمان .

الفصل الثامن : في وجوب اعتقاد حق الرسول ـ صلى الله عليه وسلم واستدلاله على ذلك.

الفصل التاسع : في لزوم السنة والتحذير من البدع واستدلاله على ذلك.

الفصل العاشر : في وجوب عداوة أعداء الله واستدلاله على ذلك.

الفصل الحادى : من كتابه «مسائل الجاهلية».

عشر

الفصل الثانى : ست موضوعات من السيرة لها صلة قوية بأسس الدعوة.

عشر

الفصل الثالث: من مؤلفاته تلقين أصول العقيدة للعامة على طريقة السوال

عشر والجواب.

الفصل الرابع : في معنى الطاغوت.

عشر

الفصل الخامس: في كتابه (الكبائر).

عشر

الباب الرابع : في مؤلفات الشيخ فيا عدا العقائد، وفيه تمهيد وعشرون فصلاً:

الفصل الأول : في مؤلفات الشيخ في الحديث.

الفصل الثاني : في فضائل الأعمال.

الفصل الثالث : في صلاة التطوع.

الفصل الرابع : في فقه الشيخ في قراءة القرآن.

الفصل الخامس : في الزكاة.

الفصل السادس : في بر الوالدين وصلة الأرحام.

الفصل السابع : في الصيام.

الفصل الثامن : في المناسك (أي في الحج والعمرة).

الفصل التاسع : في الحج والعمرة.

الفصل العاشر : في الهدى والأضاحي والعقيقة.

الفصل الحادي عشر : في الجهاد.

الفصل الثاني عشر : في البيوع.

الفصل الثالث عشر : في مؤلفات الشيخ مما عدا الحديث.

الفصل الرابع عشر : في رسائل الشيخ الشخصية.

الفصل الخامس عشر : في كتابة الشيخ بالسيرة النبوية.

الفصل السادس عشر : في التفسير.

الفصل السابع عشر : في كتابه زاد المعاد.

الفصل الثامن عشر : في مختصر الشرح الكبير والإنصاف.

الفصل التاسع عشر : في مؤلفاته المبتدأة.

الفصل العشرون : في استنباطات الشيخ وتلخيصاته.

البائ الأول نبذة عن حياة الشيخ الفصل الأول الفصل الأول المرجمة موجزة وتتلخص في النقاط التالية:

نسبه، ولادته، بيئته، نشأته، طلبه للعلم، بداية دعوته، رحلاته في طلب العلم، مكان بدء نشر دعوته، وفاته.

ولاً : هو شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب بن سليان بن على بن محمد بن أحمد بن راشد بن محمد بن مشرف، ثم إن آل مشرف بيت مشتهر، فمنهم من ينسب السيخ له، ومنهم من نسبه إلى جد بعده هم الوهبة، ومنهم من ينسبه إلى التميمي، وقد ذكر الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن بن صالح البسام نسباً متسلسلاً إلى عدنان في كتابه «علماء نجد»، وقد أكد ذلك حسب ما اطلع عليه من كتب التراجم والأنساب.

ويقرب من الحقيقة لوجود الصهر بين البسام وجد الشيخ محمد بن عبدالوهاب، إذ أن الشيخ عبدالوهاب أخواله البسام، وهذا المبحث في المجلد الأول من علماء نجد (٢٥).

ثانياً : ولد الشيخ محمد بن عبدالوهاب سنة ١١١٥هـ.

ثالثاً : إنه من بيت علم كبير، والده وأجداده وأعهامه، ونهج نهجه أحفاده.

رابعاً : نشأ الشيخ محمد بن عبدالوهاب مولعاً بحب العلم والمعرفة والاطلاع على العلوم الشرعية.

خامساً : درس على والده عبدالوهاب الفقيه المتنقل من روضة سدير إلى العيينة ثم إلى حريملاء، وتوفى عبدالوهاب فيها. سادساً: بدأ محمد بن عبدالوهاب في حدود عام ١١٤٠ هـ ينشر آثار علمه وثمرات غرس والده من بيان الصحيح والفاسد من عبادات ومعاملات مجتمعه.

سابعا : أن الشيخ محمد بن عبدالوهاب امتد باعه إلى بعض العلماء المعاصرين فى المدينة المنورة والبصرة، فرحل إليهم واستفاد من علومهم، ونهل من معينهم.

ثامناً : بدأ بنشر دعوته في حريملاء _ البلدة التي توفى فيها والده _ ولكن لكثرة صدأ القلوب فيها لم تكن عندها قابلية لدعوته، فأذوه أميراً ومأمورين.

فانتقل إلى العيينة أملا منه وغلبة ظن بأن أميرها عثمان بن معمر سيساعده . لعلمه أن الحق لابد له من سلطان وسيف وسنان يقمع به كل مارد وشيطان، لأن الله يزع بالسلطان مالا يزع بالقرآن كها قال الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضى الله عنه.

وفهم ذلك محمد بن عبدالوهاب من سيرة سيد ولد عدنان،إذ أقام بمكة يدعو ثلاث عشرة سنة فلم يستجب لدعوته إلا أفراد من الضعفاء والمساكين، وامتنع أهل الأموال والمتغطرسون.

ثم أذن الله له بالهجرة إلى المدينة فقوى الإسلام لكثرة المسلمين، فشرع فى صد المعاندين وجهاد الكافرين لما أبوا عن إجابة الداعين إلى رب العالمين، فأذل الله الكفر وأهله وأزهق الباطل وخذله، وبهذا يقول الشاعر:

دعا المصطفى دهرا بمكة لم يجبب وقد لان منه جانب وخطباب فلما دعا والسيف صلت بكفه له اسلموا واستسلموا وأنابول فلما دعا والقرآن مملوء بالنصوص الآمرة بقتال الكفرة والمشركين، كقوله تعالى:

« قَانِلُواْ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَاحَرَمَ اللهُ وَرَسُولُهُ, وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَتِّ مِنَ اللَّهِ بِنَ أُوتُواْ الْكِئْكَ حَتَىٰ يُعْطُواْ الْجِلْزَيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَلغِرُونَ » (٢٣).

⁽٢٣) التوبة أية (٢٩).

وقولمه:

« فَا قَتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدَّتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْتُكُواْ الْصَّلَوٰةَ وَءَا تَوُا الزَّكَوٰةَ وَا قَعُدُواْ الصَّلَوٰةَ وَءَا تَوُا الزَّكَوٰةَ فَخُدُواْ سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ » (٢٤).

والمقصود أن الشيخ محمد بن عبدالوهاب فى ذهابه إلى العيينة يلتمس نصرة لدعوته وعضداً يشد أزره ذا سلطان، فوعده عثمان بن معمر،ولكنه خذله بتهديد من ابن عريعر أمير الأحساء الذى هو أعلى منه قوة، ثم خرج محمد بن عبدالوهاب مختفياً إلى الدرعية،فشرع يلقى فيها الدروس، فآوى إلى مجلسه أميرها محمد بن سعود،فأنس به وشرح الله صدره لقبول نشر دعوته وحمايتها، وبدأ فى ذلك عام ١١٥٨هـ.

واستمر على ذلك حتى محا الله على يديهها كل بدعة وخرافة، وكل شرك وضلال فى الجزيرة العربية، واستمر أحفادهها على هذا الوعد والعهد حتى وقتنا الحاضر.

نسأل الله لنا ولهم الثبات في الحياة والمهات.

تاسعاً: توفى الشيخ محمد بن عبدالوهاب سنة ١٢٠٦هـ في بلدة الدرعية بعد أن استقرت وانتشرت دعوته.

وما أحسن ما أوجزه ابن بدران في كتابه «المدخل إلى مذهب الإمام أحمد» صفحتى ٢٢٩، ٢٣٠، فلقد وصف الإمام محمد بن عبدالوهاب وصفاً موجزاً مفيداً متضمناً لبدء دعوته وفقهه ومصدر علمه.. وهذا مما جعلنى أستحسن نقله، وقد كتبه ابن بدران بمناسبة الكلام على مختصر الإنصاف والشرح الكبير حينا تكلم عن كتب الحنابلة.. قال ابن بدران:

« مختصر الشرح الكبير والإنصاف »

«تأليف العالم الأثرى والإمام الكبير محمد بن عبدالوهاب بن سليان بن على، يتصل نسبه بعبد مناة بن تميم التميمي، ولد سنة خس عشرة ومائة وألف، وقد رحل إلى البصرة

⁽٢٤) التوبة أية (٥).

والحجاز لطلب العلم، وأخذ عن الشيخ على أفندى الداغستانى وعن المحدث الشيخ إسهاعيل العجلونى وغيرها من العلماء، وأجازه محدثو العصر بكتب الحديث وغيرها على إصطلاح أهل الحديث من المتأخرين، ولما امتلأ وطابه من الآثار وعلم السنة وبرع فى مذهب أحمد أخذ ينصر الحق ويحارب البدع ويقاوم ما أدخله الجاهلون فى هذا الدين الحنيفى والشريعة السمحاء، وأعانه قوم أخلصوا العبادة لله وحده على طريقته التى هى إقامة التوحيد الخالص، والدعاية إليه، وإخلاص الوحدانية والعبادة كلها بسائر أنواعها لخالق الحلق وحده، فحبا إلى معارضته أقوام ألفوا الجمود على ما كان عليه الآباء وتدرعوا الكسل على طلب الحق، وهم لا يزالون إلى اليوم يضربون على ذلك الوتر، وجنود الحق تكافحهم فلا تبقى منهم ولا تزر وما أحقهم بقول القائل:

كناطح صخرة يوماً ليوهنها :: فلم يضرها وأوهى قرنه الوعلل

ولم يزل مثابراً على الدعوة إلى دين الله تعالى حتى توفاه الله تعالى سنة ست ومائتين وألف هجرية.

ولقد شهدت الأقطار بعلمية محمد بن عبدالوهاب، وتناقلها المسلمون على مر السنين، وحتى كتاب عصرنا تحدثوا عنه وعن فقهه وعزمه فى كتاباتهم سواء أرادوا الكلام عن مواطن حركات الإصلاح أو المصلحين.. ومنها ما قاله الدكتور محمد عبارة فى بحثه الذى نشر بجريدة «الخليج» عدد ١١١٠ يوم ١٤٠٢/٦/٢٨هـ الموافق ١٩٨٢/٤/٢٢م.. حيث قال:

«فى بيئة بدوية بسيطة ، هى «نجد» بشبه الجزيرة العربية، ولد ونشأ محمد بن عبدالوهاب (١١١٥ ـ ١٢٠٦ هـ).. وكانت السيادة الاسمية والرسمية على موطنه لخلفاء ال عثمان.

وكان ابن عبدالوهاب سليل أسرة من الفقهاء ، أخذ عنهم علوم الدين، كها درس على علماء الحرمين، مكة، والمدينة، وظهر نزوعه منذ فجر حياته إلى النهج السلفى الرافض لما طرأ على عقائد الإسلام وعباداته من بدع وخرافات وإضافات.

لقد نظر ابن عبدالوهاب، فوجد عامة الناس يتخذون الوسائل والوسائط شفعاء إلى الله، بل و يتوجهون إليهم بالطلب والدعاء والاستغاثة في الملهات.. كما وجد العبادات قد أصابتها البدع بالنقص والزيادة.. فشابت الشوائب كلا من العقائد والعبادات.

بدأ ابن عبدالوهاب يدعو إلى إسلام السلف، ويبشر بفكر ابن حنبل، وابن تيمية، وابن القيم، ويركز على إصلاح العقائد، وتصحيح العبادات.. فحكم بالشرك الظاهر والجلى على المتوسلين إلى الله بالأولياء والمشاهد والرموز، بل رأى شركهم أعظم من شرك الجاهلية الأولى «فلقد كان ابن عبدالوهاب أكثر من «شيخ» وأعظم من «فقيه» ومن ثم فإنه لم يشأ أن يقف بدعوته عند رسائل يؤلفها أو مواعظ يلقيها، أو حتى حلقة من الأتباع والمريدين.. لقد أراد أن تكون لدعوته «دولة» تضمن لها الانتشار والاستمرار.. فالله يزع بالسلطان مالا يزع بالقرآن».

وهكذا عاشت دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في عقول الناس وأفئدتهم وعبرت به كلماتهم وكتاباتهم جيلاً بعد جيل، لاعتاده على شريعة الدين والدنيا فقها في العقيدة وفي شتى مجالات الحياة.

الفصل الثاني زمن الشيخ من ١١١٥ هـ ـ ١٢٠٦ هـ

ويشمل النقاط التالية:

أمضى الشيخ رحمه الله تعالى عمره كله فما يلى:

أولا: في التعليم، ثم نشر العلم.

ثانياً : حفظ القرآن لعشر سنين، ثم بدأ بعلومه من تفسير وفقه على والده، ومن هنا يتبين لنا أنه شعلة ضياء من صغره، وبعد أن تكامل بلوغه رغب في الاطلاع على العلوم الشرعية متنقلاً بين المدينة والبصرة.

ثالثاً : بعد أن نهل من العلم واستبانت له الحقيقة الموصلة إلى الله، لم يهدأ له بال إلا أن يُعلّم ما تعلمه من شرع الله، فبدأ شعاع نوره بالبصرة يبين ما عليه الناس من خطأ فى العقيدة والفروع، ولكن لاستحكام الجهل فيهم ورسوخ البدع حدث منهم رد فعل لدعوته بالبصرة، فضيقوا عليه حتى خرج منها عائداً إلى بلده.

رابعاً : استمر يدرس على والده وعلى المشايخ الموجودين بالعيينة وحريملاء، ثم انتقل مع والده إلى حريملاء بعد أن ضاقت بهم العيينة ذرعاً، واستمر معلنا للحق، آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر حتى توفى والده فى حريملاء سنة ١١٥٣ هـ.

خامساً: أعلن دعوته في حريملاء وتعليمه التوحيد، ولكنهم لم يتقبلوا منه وضايقوه، فرجع إلى العيينة، واستقبله أميرها عثهان بن معمر وساعده على هدم القبة التي بنيت على قبر زيد بن الخطاب، ورجم المرأة الزانية، ولفشُو الجهل استنكروا ذلك حتى وشي بعثهان بن معمر عند ابن عريعر فاضطر إلى إبعاد الشيخ ابن عبدالوهاب عن بلده.

سادسا: بعد خروج الشيخ من العيينة اختار الله له الدرعية لتكون مقراً لدعوته. فنزل على أفراد منها كانوا قد اتصلوا به فى العيينة، ثم بلغ خبره محمد بن أمير الدرعية فبايعه على الجهاد والنصرة، فاستمر زمن الشيخ محمد بن عبدالوهاب فى نشر دين الغفور التواب.

الفصل الثالث

الحالة الاجتاعية في زمن الشيخ

وتتلخص فيما يأتى:

أُولاً : تردى السلطة الإسلامية بعد القرن الثامن الهجرى علماً وعملاً وتنفيذاً وخاصة في قلب الجزيرة.

ثانیاً: بسبب هذا التردی لا یلوی أحد علی أحد، ولا یقبل أحد من أحد، بل كهل ركب رأسه فتحكم فیهم الجهل، وتشتتت بهم السبل، فكانوا فی أصر مریج - أی مضطرب مختلف _ لذا تفشت فیهم كل رذیلة وكل مرض و و باء، غمثل بشی منها: _

- ١ _ خلو المساجد من المصلين إلا ما شاء الله.
 - ٢ _ انتشار الخرافات والصوفية الزائفة.
- ٣ _ ادعاء الجهلاء ما ليس لهم، وما ليس لهم به علم.
- ٤ _ حمل التائم في رقابهم والتي لا تغني من الله شيئاً.
- ٥ ـ ترغيب في الحج إلى قبور الأولياء ورجاء الشفاعة منهم.
 وهذه الأمور تنافى ما أمر به محمد صلى الله عليه وسلم.
- ٦ _ تغييب فضائل القرآن عن الناس مما جعلهم لا يعرفون عنها شيئاً.
 - ٧ _ لهذا انتهكوا حرماته _ أي القرآن _ فصاروا إلى ما يلي:
- أ _ يشربون المسكرات ويتناولون الأفيون، فانتشرت الرذائل. ب _ هتك ستر الحرمات.
- جـ _ أن ذلك كله بلا خشية ولا استحياء، ومن لم يستح فليصنع ما
- ٨ ـ أن مكة والمدينة في زمن الشيخ دب إليهها ما في المجتمعات الأخرى من
 الوباء والأمراض الشهوانية والشبهية.

٩ ـ أن هذه الحالة السيئة في مجتمع نجد وغيره من العالم الإسلامي ليس راجعاً إلى عدم وجود علماء؛ بل هناك الفقهاء ولكنهم سائرون في الفروع أكثر من البحث في العقائد، وذلك والله أعلم أن الخطأ في العقائد بدع ثابتة وراسخة وخرافة طاغية على الفكر والأوهام.

ومتى كانت البدعة هكذا فإن اقتلاعها يصعب ويعسر لتأصلها فى القلوب بمجرد كلام العلهاء، فتحتاج إلى معاول تهدمها وأيدى سلطة تقلعها. إن الله يزع بالسلطان مالا يزع بالقرآن، والعلهاء حينئذ لم يوفقوا إلى حاكم إدارى ينفذ ما يقولون ويحكم ما يبرمون.

الفصل الرابع سبب قيام دعوة الشيخ

ولما تقدم على قلته تصورنا ظلمة «نجد» الاعتقادية والعملية، وإن وجد أفراد متمسكون كالأفراد الذين وجدهم الرسول متشبثين بملة إبراهيم، ولكن الحكم للسلطة والأغلبية، وأيضا بتصور هذه الحالة السيئة للعالم الإسلامي ولعالم الجزيرة ونجد خاصة التي يسكنها الشيخ محمد بن عبدالوهاب، يتضح لنا السبب الباعث لقيام الشيخ بهذه الدعوة إلى التوحيد وصرف الناس إلى محبة الله وحده، وتعريفهم بعظم ما أمر الله به ليمتثلوه، وتحذيرهم عن الوقوع في أعظم ما نهى الله عنه وهو الشرك.

وهذه سجية كل عالم بالله وبكتابه وبشرع نبيه.

فأنار الله بصيرة الشيخ محمد بن عبدالوهاب فلم ير السكوت على هذه المنكرات التى هى معصية لله، فدفعته عقيدته وعلمه لإنقاذ هؤلاء الفقراء من اتباع الشيطان والهوى وردهم إلى الصواب وسلوكهم سلوك المصطفى.

والخلاصة أن الباعث إلى قيام الشيخ بهذه الدعوة ما يأتى :-

أولاً : امتثالاً لأمر ربه ولرسوله ولأتباعه:

«قُلْ هَانَهُ عَسِيلِي أَدْعُواْ إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ التَّبَعْنِي وَسُبَعَنِي وَسُبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهَ وَمُآ أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ » (٢٥).

ثانياً : تنزيه الله عما لا يليق بجلاله وعظمته على حد قوله تعالى:

« وَسُبْحَانَ ٱللَّهِ وَمَا أَنَّا مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ »(٢٦).

⁽۲۵) سورة يوسف أية ۱۰۸.

⁽٢٦) سورة يوسف أية ١٠٨.

ثالثاً : لينجو من الخسران المحكوم به على الإنسان بقوله تعالى:

« وَٱلْعَصْرِ ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَانَ لَنِي خُسْرِ ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّلِحَاتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَتِ وَتُوَاصَوْاْ بِٱلصَّبِرِ» (٢٧)

رابعاً : ليحصل على فضل الدعوة كها قال تعالى:

« وَمَنْ أَحْسَنُ قَـوَلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِـلَ صَـٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ » (٢٨)

خامساً: امتثالاً لقول رسوله: «إلا يؤمن أحدكم حتى يحب الأخيه ما يحب لنفسه». (٢١).

سادسا : رحمة بهؤلاء القوم من أن يقذف بهم الشيطان معه فى النيران، لقول الرسول صلى الله عليه وسلم : «ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السهاء» (٣٠٠).

سابعاً : رغبة فى قول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : «لئن يهدى الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم» (٣١).

ثامناً : طلباً للخير لقول الرسول: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» (٣٦).

تاسعاً : امتثالاً لقول الرسول- صلى الله عليه وسلم-: «بلغوا عنى ولو آية» (٣٣).

عاشراً: ليحظى بدعوة عباد الرحمن.

« وَآجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا »(٣٤).

⁽٢٧) سورة العصر.

⁽٢٨) فصلت آية ٣٣.

٢٩) رواه البخارى ٥٦/١ ـ ٥٧ فى كتاب الإيمان ومسلم ٦٧/١ .

⁽٣٠) رواه الترمذي ٣٢٤/٤ في كتاب البر والصلة، وابو داود ٢٨٥/٤ .

⁽۳۱) البخاري ۱۱۱/٦

⁽۳۲) البخاري ۷٤/۹

⁽٣٣) البخارى ٤٩٤/٦ في كتاب الأنبياء .

⁽٣٤) الفرقان ٧٤.

الحادى عشر: تنفيذاً لأمر الله:

﴿ اللهُ عُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمُ بِاللَّهِ عَنَ سَبِيلِهِ عَ وَهُوَ بِاللَّهِ عَنَ سَبِيلِهِ عَنَ سَبِيلِهِ عَنَ سَبِيلِهِ عَنَ سَبِيلِهِ عَنَ سَبِيلِهِ عَنْ سَبْعِيلِهِ عَنْ سَبِيلِهِ عَنْ سَبِيلِ عَنْ سَبِيلِهِ عَنْ عَنْ سَبِيلِهِ عَنْ سَبِيلِهِ ع

⁽٣٥) النحل ١٢٥

الباب الثاني

ما قيل عن اعتاد فقه الشيخ محمد بن عبدالوهاب على الكتاب والسنة

«المقدمية»

من المعلوم أن كل داعية سيدلى بأدلة إما أن تكون صحيحة فهآلها إلى الثبوت والاستمرار، وإما أن تكون باطلة فيكون مآلها للرد.

إن قبول الناس المنصفين وردهم للدعوة يرجع إلى صدق الداعية وكذبه، وليس كل من يدعى وصلاً يقر له بالوصول، ولا كل من زعم أمراً ثبت له المزعوم.

وكل يدعى وصلاً بليلى وليلى لا تقر هم بذاك

قال الله تعالى:

« قُلْ يَثَأَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوٓ أَ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيكَ * لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَلِيقِينَ » (٣٦).

فاليهود زعموا ولاية الله ولكن ليس لهذا الزعم ما يثبته.

«زَعَهَ ٱلَّذِينَ كَفُرُواْ أَن لَّن يُبْعَثُواْ قُلْ بَكَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّوُنَّ بِمَا عَمِلْتُمُّ وَذَلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ» (٣٧).

⁽٣٦) سورة الجمعة أية (٦) .

⁽٣٧) التفابن آية (٣)

فالكفار زعموا عدم البعث، وحيث أنهم لم يبنوا زعمهم على أسس من الحقيقة أبطله الله وأثبت ضده وما بنافيه.

وبهذه المقدمة البسيطة يتضح لنا صدق القول بأن فقه الشيخ محمد بن عبدالوهاب معتمد على الكتاب والسنة.

فليس ما قيل فى ذلك مجرد زعم أو توهم، بل ما قاله عن نفسه من اعتاد على الأدلة وما قاله غيره، واضح جلى وثابت فى مراسلاته وكتاباته ومؤلفاته المنتشرة بين العالم، لا يستطيع أحد إنكارها إلا من أغمض عينيه عن الحقيقة، وتغلب عليه الهوى والتقليد الأعمى والعصبية الممقوتة.

وما انطلت عليه شبه المسبهين من الخرافيين بأن الشيخ محمد بن عبدالوهاب لا يحب الأنبياء والصالحين، غرس هذه الشبهه الشيطان بأدمغة أوليائه، وأغفلهم عن مراد الداعية ، وهو أنه ينهى عن زيارة القبور البدعية، وإعطاء الأولياء الصالحين فوق حقهم وتشريكهم بحق الله.

وما ثبت من زيارة القبور الشرعية، فمحمد بن عبدالوهاب يأمر بها ولم ينه عنها.

و يعطى الأنبياء والأولياء حقهم من محبتهم التى تجعل من يحبهم يتأسى بأقوالهم وأفعالهم حتى يكون ولياً بما كانوا به أولياء، وصالحاً بما كانوا به صلحاء.

قال تعالى:

«أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفُ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٠) ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَقُونَ »(٣٨).

فلم يثبت الولاية إلا للمؤمنين المتقين، ولم يقل إن الولاية لمن عظم قبور الصالحين وتبرك بهم وجعل لهم النذور والذبائح. وهذه الحقيقة ثابتة في مؤلفات الشيخ المجدد للقرن الثاني عشر الهجري، والذي مازال إصلاحه مستمراً وتأليفه فيه مستقراً.

فهو بين أيدينا منظوراً ومقروء، فنسأل الله أن يرينا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه، ويرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه.

فكانت عناية الشيخ بالعقيدة وتصحيحها وتعديل مفاهيم الناس، ولكنه مع ذلك لم

⁽۳۸) سورة يونس أية ٦٢ ، ٦٣ .

يغفل الفروع بل أدى لها جملة من الاهتهام، يتضح ذلك فيا قرره وأنه من أبعد الناس عن التعصب والتقليد.

يدعو إلى التحاكم إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، يتوخى الدليل ويرى الاقتداء بالأئمة بما لم يقم الدليل على خلاف من اجتهاداتهم.

ومؤلفاته حافلة بذلك سواء ما ألفه ابتداء في التوحيد والفروع، أو ما اختصره من كتب الأثمة والمحققين تقريباً منه إلى الأذهان القاصرة، ونظراً منه بوصل طلابه بالأثمة السابقين ونفعهم العاجل، لأنه ليس كل طالب علم يقوى على قراءة الكتب المطولة، فإذا قرأ المنصف والمحب للفائدة والراغب في الإطلاع والذب عن أثمة الدعوة مؤلفاته التي قامت بجمعها وطبعها جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، تجلى للقارى اعتاد الشيخ على الكتاب والسنة.

وقد ألزم نفسه رحمه الله أن يسير في دعوته على الكتاب والسنة بالقول والفعل، وأن يأخذ بما قرره علماء المسلمين الثقاة في مسائل الاجتهاد مما لا نص فيه من كتاب أو سنة أو إجماع، وحينا يختلفون حسب مفاهيمهم من النصوص فإنه يأخذ بما ترجح عنده.

وأما التزامه بالفعل فسيظهر جلياً للقارئ من مؤلفاته.

وأما التزامه بالقول فمنه ما يأتى .. وهو الفصل الأول من هذا الباب بما قرره عن نفسه وقرره أحفاده وطلابه من اعتادهم على الكتاب والسنة.

الفصل الأول القواعد الأربع التي قررها الشيخ لدوران الدين عليها

قال شيخ الأسلام محمد بن عبدالوهاب قدس الله روحه ونور ضريحه: «هذه أربع قواعد من قواعد الدين التي تدور الأحكام عليها،وهي من أعظم ما أنعم الله به على محمد صلى الله عليه وسلم وأمته، حيث جعل دينهم ديناً كاملاً وافياً، وأكمل وأكثر علماً من جميع الأديان، ومن ذلك جمعه لهم في لفظ قليل، وهذا ما ينبغي التفطن له قبل معرفة القواعد الأربع،وهو أن تعلم قول النبي صلى الله عليه وسلم لما ذكر ما خصه الله به على الرسل يريد منا أن نعرف منة الله علينا ونشكرها. قال: لما ذكر الخصائص «وأعطيت جوامع الكلم» (٢٩).. قال إمام الحجاز محمد بن شهاب الزهدي معناه: أن يجمع الله له المسائل الكثيرة في الألفاظ القليلة.

القاعدة الأولى: تحريم القول على الله بلا علم، لقوله تعالى:

«قُلْ إِنِّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَاحِشَ مَاظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِنْمُ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلُ بِهِ عَسُلُطَانَا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهُ مَا لَا تَعْلَمُونَ» (٤٠)

القاعدة الثانية: أن كل شي سكت عنه الشارع فهو عفو لا يحل لأحد أن يحرمه أو يوجبه أو يستحبه أو يكرهه، لقوله تعالى:

« يَنَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْعَلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبَدُّ لَكُرْ تَسُوُّكُرْ وَ إِن تَسْعَلُواْ

⁽۳۹) رواه البخاري ۳۹۰/۱۲ في كتاب التعبير رقم الحديث ۲۹۹۸,ورواه مسلم ۳۷۱/۱ كتاب المساجد.

⁽٤٠) الأعراف أية ٣٣.

عَنْهَا حِينَ يُنزَلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبَدَّ لَكُرْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا وَٱللَّهُ عَفُورٌ حَلِيمٌ » (٤١).

قال النبى صلى الله عليه وسلم: «وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تسألوا عنها» (٤٦).

القاعدة الثالثة: أن ترك الدليل الواضح والاستدلال بلفظ متشابه هو طريق أهل الزيغ كالرافضة والخوارج، قال الله تعالى:

" فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِمْ زَيْعٌ فَيَتَبِعُونَ مَا تَشَنَبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَاۤ اَلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَاۤ اللهِ عِنْهُ اللهِ عَنْهُ اللّهِ عَنْهُ اللّهِ عَنْهُ اللّهِ عَنْهُ اللّهِ عَنْهُ اللّهِ عَنْهُ اللّهِ عَنْهُ اللّهُ اللّهِ عَنْهُ اللّهُ عَنْهُ اللّهُ عَنْهُ اللّهُ عَنْهُ اللّهِ عَنْهُ اللّهُ عَنْهُ اللّهِ عَنْهُ اللّهُ عَلْمُ اللّهُ عَنْهُ اللّهُ عَلْهُ اللّهُ عَلْهُ عَلَالْهُ عَلَالْهُ عَلَالْهُ عَلْهُ عَلَالِهُ عَلَالْهُ عَلَالْهُ عَلَالْهُ عَلَالْهُ عَلَامُ اللّهُ عَلَالْهُ عَلَالْهُ عَلَالْهُ عَلَالْهُ عَلَالْهُ عَلَالْهُ عَلَالْهُ عَلَالِهُ عَلَالْهُ عَلَالْهُ عَلَالَالِهُ عَلَالَالْهُ عَلَالْهُ عَلَالَةُ عَلَالْهُ عَلَالْهُ عَلَالْهُ عَلَالَالْمُ عَلَّهُ عَلَالْهُ عَلَالِهُ عَلَالْهُ عَلَالْهُ عَلَالْهُ عَلَالَالِهُ عَلَالْهُ عَلَالْهُ عَلَالْهُ عَلَالْهُ عَلَالْهُ عَلَالَالْهُ عَلَالَاللّهُ عَلَالَاللّهُ عَلَالْمُعَلَّةُ عَلَّهُ عَلَالْعُلِمُ عَلَالْهُ عَلَّهُ عَلَّهُ عَلَالْمُ عَلَالْمُ عَلَالْمُعَلِّ عَلَّهُ عَلَالْمُ عَلَّهُ عَلَّا عَلَّا عَلَالْعُلْمِ عَلَالْمُ عَلَّا عَلَّا عَلَالْمُ عَلَّا عَلّمُ عَلَّهُ عَلَّهُ

والواجب على المسلم اتباع المحكم، فإن عرف معنى المتشابه وجده لا يخالف المحكم بل يوافقه، وإلا فالواجب عليه اتباع الراسخين في العلم في قولهم:

﴿ عَامَنًا بِهِ عَكُلٌ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنًا ﴿ (4) .

القاعدة الرابعة: أن النبى صلى الله عليه وسلم ذكر أن الحلال بين وأن الحرام بين وبينها أمور متشابهات (م، أ)، فمن لم يفطن لهذه القاعدة وأراد أن يتكلم على كل مسألة بكلام فاصل فقد ضل وأضل.

فهذه أربع قواعد ثلاث ذكرها الله في كتابه والرابعة ذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤٦) وهي واضحة في بيان مسلك الشيخ نحو الكتاب والسنة، فهل يقوى أحد

⁽٤١) سورة المائدة أية ١٠١.

⁽٤٢) أخرجه الدارقطني ٢٩٧/٤-٢٩٨. قال النووي في الأربعين : حديث حسن.

⁽٤٣) أل عمران أية ٧.

⁽٤٤) أل عمران أية (V).

⁽٤٥) رواه البخاري في كتاب الإيمان ١٢٦/١ حديث رقم ٥٢ .

⁽٤٦) الدرر السنية ج ٤ صفحة ١

بعد هذا أن يرميه بالتعصب والهوى. ثم إن هذه القواعد شاملة لجميع العلوم الشرعية كها لفت رحمه الله نظر القارى لها بقوله: «اعلم رحمك الله أن هذه الكلهات الأربع مع اختصارها يدور عليها الدين، سواء كان المتكلم يتكلم في علم التفسير، أو في علم الأصول، أو في علم أعهال القلوب _ الذي يسمى علم السلوك _ ، أو في علم الحديث، أو في علم الحلال والحرام، أو الأحكام الذي يسمى الفقه.. أو على علم الوعد والوعيد، أو في غير ذلك من أنواع علوم الدين» (١٤٠).

وأنا أمثل لك مثلاً تعرف به صحة ما قلته، وتحتذى به إن فهمته، وأمثله لك فى فن من فنون الدين وهو علم الفقه _ وكها قرر إمام الدعوة فى هذه القواعد ما يلزم المتكلم من الاستدلال الصريح،قرر أيضاً أن للشريعة قواعد كلية تستدل بها على الجزئيات، ولا يستغنى طالب العلم عن معرفتها، فالمستدل بقاعدة من الشرع على جزئية فهو كالمستدل بنص صريح فى جزئية ما، لأن الشريعة لم تأت بجزئيات المسائل وتفاصيلها _ لذا صارت شاملة وكاملة إلى يوم القيامة، وكلها حدثت واقعة جديدة أدخلها من نَـور الله بصيرته تحت قواعد الشريعة.

قال الشيخ رحمه الله تعالى: (ومن أعظم ما من الله به عليه صلى الله عليه وسلم وعلى أمته أعطاه جوامع الكلم)، فيذكر الله تعالى فى كتابه كلمة واحدة تكون قاعدة جامعة يدخل تحتها من المسائل مالا يحصى، وكذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد خصه الله بالحكمة الجامعة.

ومن فهم هذه المسائل فهها جيداً فهم قول الله تعالى:

وهذه الكلمة أيضاً من جوامع الكلم، إذ الكاملِ لا يحتاج إلى زيادة ، فَعُلِم منه بطلان كل مُخدَث بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، كما أوصانا به فى قوله صلى الله عليه وسلم (عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى، وإياكم

⁽٤٧) الدرر السنية ج ٤ صفحة ١ ـ ٢ .

 ⁽٤٨) سورة المائدة آية (٣).

ومحدثات الأُمور فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار) (٤١٠). ونفهم أيضاً معنى قوله تعالى:

فإذا كان الله سبحانه قد أوجب علينا أن نرد ما تنازعنا فيه إلى الله _ أى إلى كتاب الله _ وإلى الله _ والى الله عليه وسلم _ أى إلى سنته. علمنا قطعاً أن من رد إلى الكتاب والسنة ما تنازع الناس فيه وجد فيه ما يفصل النزاع)(٥١).

وبعد سياق هذه القواعد التى تبين كهال الدين وشموله لكل جزئية، ووجوب الرد إليه، لم تره خالف ما قرره حتى وافته المنية رحمه الله، لاسيا أنه أتبع ما قرره بقوله هنا وفعله فى مؤلفاته.

رواه ابو داود فی کتاب السنة ج ۲۰۰/ ۱۰۰ حدیث رقم ۲۰۷، والترمذی فی کتاب العلم حدیث رقم ۲۲۷، والترمذی فی کتاب العلم حدیث رقم ۲۲۷۶ جزء ۵ صفحة 22.

⁽٥٠) النساء أية ٥٩.

⁽١٥) الدرر السنية ج ٤ صفحة ٤ .

الفصل الثاني في كلام الشيخ عن طريقة الأخذ فها اختلف فيه العلماء وأقوالهم

قال رحمه الله: «إذا اختلف كلام أحمد وكلام الأصحاب، فنقول في محل النزاع التراد إلى الله وإلى رسوله لا إلى كلام أحمد ولا إلى كلام الأصحاب ولا إلى الراجح من ذلك، بل قد يكون الراجح والمرجح من الروايتين والقولين خطأ قطعاً، وقد يكون صواباً» (٢٥٠)

ثم أجاب عن قول القائل، ما الموقف إذا استدل كل من المختلفين بأدلة صحيحة؟

قال رحمه الله: «وقولك إذا استدل كل منها بدليل فالأدلة الصحيحة لا تتناقض، بل الصواب يصدق بعضه بعضا، لكن قد يكون أحدها أخطأ في الدليل، إما أنه يستدل بحديث لم يصح، وإما فهم من كلمة صحيحة مفهوماً خاطئاً.

وبالجملة فمتى رأيت الاختلاف فرده إلى الله والرسول، فإذا تبين لك الحق فاتبعه، فإذا لم يتبين لك واحتجت إلى العمل فخذ بقول من تثق بعلمه ودينه» (٥٣).

وقال رحمه الله في جواب من قال: «لا إنكار في مسائل الاجتهاد» مما يدلنا على محبته للدليل و رغبته فيه، وأنه لا يعد متعصباً بل هو مجتهد في التاس الدليل وترجيحه حسب ما وضحه ابنه عبدالله فقال:

«ولا نستحق مرتبة الاجتهاد المطلق ، ولا أحد منا يدعيها إلا أنه في بعض المسائل إذا صح لنا نص جلى من كتاب أو سنة غير منسوخ ولا مخصص ولا معارض بأقوى منه وقال به أحد الأئمة الأربعة أخذنا به وتركنا المذهب، وعندنا أن الإمام ابن القيم وشيخه إماما حق من أهل السنة وكتبها من أعز الكتب إلا أنا غير مقلدين لهم في كل مسألة، فإن كل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم» أ.هـ. (10).

⁽٥٢) الدرر السنية ج ٤ ص ٤.

⁽٥٣) الدرر السنية ج ٤ ص ١٤

⁽٥٤) الدرر السنية ج ٤ ص ٨.

قال: من قال (لا إنكار في مسائل الاجتهاد، فجوابه يعلم من القاعدة المتقدمة (٥٠٠)، فإن أراد القائل مسائل الخلاف فهذا باطل يخالف إجماع الأمة، فهازال الصحابة ومن بعدهم ينكرون على من خالف وأخطأ كائنا من كان ولو كان أعلم الناس وأتقاهم.

وإذا كان الله بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق، وأمرنا باتباعه وترك ما خالفه، فمن تمام ذلك أن من خالفه من العلماء مخطى نبه على خطأه وينكر عليه، وإن أريد بمسائل الاجتهاد مسائل الخلاف التى لم يتبين فيها الصواب فهذا كلام صحيح لا مجوز للإنسان أن ينكر الشي لكونه مخالفا لمذهبه أو لعادة الناس.

فكها لا يجوز للإنسان أن يأمر إلا بعلم، لا يجوز أن ينكر إلا بعلم. وهذا كله داخل في قوله تعالى:

« وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُولَيَإِكَ كَانِ عَنْهُ مَسْءُولًا »(٥٦).

فها أصلحها من قواعد واضحة في كلام يدل على اعتاد الشيخ واستناده إلى الكتاب والسنة بأمره ونهيه.

⁽٥٥) القاعدة السابقة في الصفحة (٢٤٩)

⁽٥٦) سورة الإسراء أية ٣٦.

الفصل الثالث فى كلام الشيخ على قولهم اتفاق العلماء حجه واختلافهم رحمة

ثم تكلم الشيخ عن قول من قال (اتفاق الأئمة حجة، واختلافهم رحمة) (٥٠) ففصل في الجملة الأولى وبين متى يكون الاتفاق حجة _ وهو ما إذا صدر عن العلماء كلهم.. وأبطل الجملة الثانية في قوله (اختلافهم رحمة) وذكر أن الرحمة في الجماعة، وأن في الاختلاف العذاب، إلى أن قال الشيخ: فينبغى للمؤمن أن يجعل همه ومقصده معرفة أمر الله ورسوله في مسائل الخلاف والعمل بذلك فيحترم أهل العلم ويوقرهم ولو أخطأوا. لكن لا يتخذهم أربابا من دون الله.

هذا طريق المنعم عليهم، وأما اطراح كلامهم وعدم توقيرهم، فهو طريق المغضوب عليهم، واتخاذهم أربابا من دون الله.

وشن الشيخ الغارة على من قال: العلماء أعلم منا بذلك، حينا يقال له قال الله وقال الرسول ونسب ذلك للضلال) (٨٥٠).

فهل ترى الشيخ يقرر هذا ثم لا يعتمد على دليل من كتاب وسنة.

⁽٥٧) الدرر السنية ج ٤ ص ٤ ـ ٥ .

⁽۵۸) الدرر السنية ج٤ ص ٦.

«الفصل الرابع»

ثم تكلم الشيخ على الذين يقولون لا يقرأ الكتاب لعدم إمكان فهمه، واستدل على بطلان قولهم بنصوص من القرآن - تدل على عموم قراءته فى كل زمان ومكان وأن فهمه مكن لكل إنسان ، كقوله تعالى:

«وَقَدْ عَاتَيْنَكَ مِن لَدُنَا ذِكُرًا رَقِي مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ بِعَلَ يَوْمَ اللهِ الْفَيْكَ مَ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللّهُ اللهُ ا

وقوله تعالى:

«وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِ كُرِى فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَتَحَشُّرُهُ يَوْمَ الْقَيْمَةَ أَعْمَى وَقَدْ ضَنكاً وَتَحَشُّرُهُ يَوْمَ الْقَيْمَةِ أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا وَ ﴿ قَالَ كُذَٰ لِكَ أَنْعَى » (٦٠). أَنْتُكَ عَايَنْتُمَا وَكَذَٰ لِكَ ٱلْبَوْمَ تُنسَى » (٦٠). وقوله تعالى:

، وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَانِ نُقَيِّضْ لَهُ و شَيْطَانًا فَهُو لَهُ و قَرِينٌ » (٦١).

فدل هذا الاستدلال من الشيخ على أن الفهم والاستنباط من الكتاب باق إلى يوم القيامة، وأن كل قول مخالف للكتاب والسنة فهو مطروح مضروباً به الحائط قديماً كان أو حديثاً.

وإذا عرف هذا من الشيخ بقوله فقد أتبعه الفعل حيث استدل على دعوته في تأليفاته من الكتاب والسنة.

⁽٥٩) سورة طه أية ٩٩ ـ ١٠٠ .

⁽٦٠) سورة طه أية ١٢٤ ـ ١٢٦ .

⁽٦١) الزخرف أية ٣٦.

الفصل الخامس في كلام الشيخ على الذين يحاولون طرح أقوال العلماء وبيان مبدءه وموقفه منها

واسمع جواب إمام الدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ورده على الذين يحاولون طرح أقوال العلماء، لأن مبدأه الأخذ بالكتاب والسنة شأنه شأن السابقين من الأثمة، والاستعانة بقولهم على فهم الاستدلال والأخذ بقولهم إذا لم يوجد دليل ولم يخالف قاعدة شرعية.

فهاك تفسير عن شيخ الإسلام ابن تيمية (ولتكن همته فهم مقاصد الرسول صلى الله عليه وسلم فى أمره ونهيه ما صُورته، فأجاب مراده: ما شاع وذاع أن الفقه عندهم هو الاشتغال بكتاب فلان وفلان ـ فمراده التحذير من ذلك.

وقال أيضاً: (كذلك غيركم: إنما اتباعهم لبعض المتأخرين لا للأئمة).

فهؤلاء الحنابلة من أقل الناس بدعة.

وأكثر الاقناع والمنتهى مخالف لمذهب أحمد ونصه، فضلاً عن نص رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف ذلك من عرفه)(٢٢).

فدل جواب الشيخ على ما يأتى:

١ _ عدم التعصب لمذهب معين.

٢ _ ذمه للمشتغلين بأقوال العلماء دون استناد إلى الدليل.

 ٣ _ أنه ليس متعصباً مقلداً جامداً لمذهب أحمد وحده، وإن درس الفقـ على ضوء قواعده.

⁽٦٢) الدرر السنية ج ٤ ص ٦ .

٤ _ وضح ذلك بالمثل الذى ضربه بما فى الإقناع والمنتهى من مخالفته لمذهب أحمد فضلاً عن نص رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدل منه هذا أن الفقهاء لهم اجتهادات فى المفاهيم، ثم أيضا رحمه الله ذكر قاعدة للعمل بما فيه خلاف، مما يدل على محبته للإتفاق وعدم الاختلاف ومحبته للدليل والأخذ به بأى طريق كان ولو انقلب الفاضل مفضولا.

ونقل القواعد الآتية عن الشيخ تقى الدين مما يدل على أنه يراها: «ذكر الشيخ تقى الدين رحمه الله قواعد»:

الأولى: أن النبى صلى الله عليه وسلم إذا سن أمرين وأراد أحد أن يأخذ بأحدها ويترك الآخر أنه لا ينكر عليه كالقراءات الثابتة، ومثل الذين اختلفوا في آية فقال أحدها: ألم يقل الله كذا؟ وأنكر النبى صلى الله عليه وسلم عليهم وقال: «كل منكها محسن» (٦٢) فأنكر الاختلاف وصوب الجميع في الآية.

الثانية: إذا أم رجل قوماً وهم يرون القنوت أو يرون الجهر بالبسملة وهو يرى غير ذلك والأفضل ما رأى، فموافقتهم أحسن ويصير المفضول هو الفاضل (٦٤).

⁽٦٣) رواه البخارى في كتاب الخصومات ٧٠/٥ رقم الحديث ٢٤١٠ وأيضاً في كتاب الأنبياء حديث ٣٤٧٦

⁽٦٤) الدرر السنية ج٤ صفحة ٦

«الفصل السادس»

وأيضا مما يدل على اعتاد الشيخ على الكتاب والسنة قوله لابن معمر عندما أخبره عن خطة محاولة بن عريعر وتهديده لابن معمر ليمنع الشيخ، قال الشيخ: (إن هذا الذي أنا قمت به ودعوت إليه كله «لا إلله إلا الله» وأركان الإسلام والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر) فإن أنت تمسكت به ونصرته فإن الله يظهرك على أعدائك، فلا يزعجك سليان ولا يضرك، فإنى أرجو أن ترى من الظهور والتمكين والغلبة ما ستملك به بلاده وما وراءها وما دونها، فاستحيا عنهان وأعرض عنه... الخ(١٥٠).

وأيضاً كانت دعوة الشيخ بمجال لابد له من الدليل ، ولا يسعه غيره لأنه ينكر ما يفعله الجهال من البدع والشرك والأقوال والأفعال، وكثر منه الإنكار لذلك ولجميع المحظورات.

وهذه الأمور لابد لها من دليل ولتمكنها من النفوس والقلوب يصعب قلعها بالدليل في بالك بغيره) (٢٦٠).

⁽٦٥) عنوان المجد ص ١٧.

⁽٦٦) عنوانِ المجد ص ١٨ .

الفصل السابع

 $\frac{1}{1+\frac{2}{3}}\frac{\mathcal{H}_{1}}{\mathcal{H}_{2}} = \frac{1}{2}\frac{\mathcal{H}_{2}}{\mathcal{H}_{2}} = \frac{1}{2}\frac{\mathcal{H}_{2}}{\mathcal{$

كلامه في المدينة لما سئل عن الأصوات عند قبر الرسول

وأيضاً مما يدل على أن الشيخ يستدل بالكتاب والسنة، أنه عندما كان في المدينة المنورة يسمع الاستغاثات برسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاءه من دون الله فكاد مرجل غبظه ينفجر، فقال الشيخ محمد حياة السندى: ما تقول يا شيخ في هؤلاء؟.. فأجابه: "إِنَّ هَـنَّوُلاً وَ مُتَّبِّرٌ مَا هُمْ فِيهِ وَبُلطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ » (٦٧) الخ. (٦٨)

وإذا سمعنا ما قبل هذه الآية اتضح لنا استدلال الشيخ وظهوره، والتي قبلها ما حكاه الله عن قوم موسى:

«وَجُوْزَنَا بِبِنِي إِسَرَ عِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأْتَوْاْ عَلَى قَوْمِ يَعْكُفُونَ عَلَىَ أَصْنَامِ لَمُمُ اللهُ قَالُ إِنْ مُكُفُونَ عَلَىَ أَصْنَامِ لَمُمُ اللهُ قَالُ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ فَالُواْ يَعْمَلُونَ »(١٦).

ولقد شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم قول أصحابه لما مروا بسدرة قالوا: اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط (٧٠) بمقالة بنى اسرائيل ليدل على بطلان مقالتهم فقال صلى الله عليه وسلم: «والذى نفسى بيده قلتم كما قالت بنو اسرائيل لموسى ...

٦٧) الأعراف آية ١٣٦.

⁽٦٨) كتاب الشيخ محمد بن عبدالوهاب لأحمد بن محمد بن حجر آل بوطامي ص ١٨.

⁽٦٩) الأعراف أية ١٣٨ ـ ١٣٩.

٧٠) رواه الترمدي في كتاب الفتن ٤٧٥/٤ حديث ٢١٨٠ وأحمد في مسنده ٢١٨/٥.

«أَجْعَلَ لَنَ آ إِلَاهُا كَمَا هُمُ عَ الْهَا أَ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهَ اللَّهُ اللَّ اللَّهُ اللَّ

وأيضاً عندما كان يدرس العلم بالبصرة نشر علمه النافع حول موضوع البدع.. والخرافات، وإنزال التضرع والحاجات بسكان القبور من عظام نخرة وأوصال ممزقة، وعزز كلامه بالآيات الساطعات والبراهين الواضحات (٧١).

فياترى أيقدر على إنكار مثل هذا من غير آية أو حديث، وألف في ذلك كتابه المسمى «كتاب التوحيد» وسيأتي إن شاء الله نموذج منه.

⁽٧١) كتاب الشيخ محمد بن عبدالوهاب لأحمد بن محمد بن حجر أل بوطامي ص ١٧ .

الفصل الثامن في قاله أحفاد الشيخ في اعتاده على الكتاب والسنة

كلام ابنيه حسين وعبدالله في عقيدة الشيخ وطريقته في الاستدلال، وطريقتهم، وأنهم سالكون مسلك الأثمة في التاس الأدلة، وقرر هذان الابنان موقف الشيخ من اختلاف الفقهاء.

وجوزوا الانتقال إذا اتضح الدليل.

وسيتبين لك أخى القارئ من كلامهم الذى سأنقله ما يدل على اتباع الشيخ للدليل على أى مذهب كان: «عقيدة الشيخ رحمه الله التى يدين بها هى عقيدتنا وديننا الذى ندين الله به، وهى عقيدة سلف الأمة وأنمتها والصحابة والتابعين لهم بإحسان، وهو اتباع ما دل عليه الدليل من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وعرض أقوال العلهاء على ذلك.

فها وافق كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم قبلناه وأفتينا به، وما خالف ذلك رددناه على قائله، وهذا هو الأصل الذي أوصانا به في كتابه حيث قال تعالى:

﴿ يَنَأَيُّ اللَّهِ مَا اللَّهِ وَاللَّهُ وَأَطِيعُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُولِي ٱلْأَمْرِ مِنكُرُ فَإِن ﴿ يَنَا اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَٱلْبَوْمِ ٱلْآخِرِ ذَلْكَ خَيْرٌ وَأَخْسَنُ تَأُو يلًا ﴾ (٧٢).

أجمع المفسرون على أن الرد إلى الله هو الرد إلى كتابه، وأن الرد إلى الرسول هو الرد إلىه في حياته وإلى سنته بعد وفاته، والأدلة على هذا الأصل في الكتاب والسنة.

⁽٧٢) سورة النساء أية ٥٩.

وإذا تفقه رجل في مذهب من المذاهب الأربعة ثم رأى حديثاً مخالف مذهبه فاتبع الدليل وترك مذهبه عكان هذا مستحباً بل واجباً عليه إذا تبين له الدليل.

ولا يكون بذلك مخالفا لإمامه الذي اتبعه، فإن الأثمة كلهم متفقون على هذا الأصل، أبوحنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد، رضى الله عنهم أجعين.

قال الإمام مالك رحمه الله تعالى (كل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم).

وقال الشافعي لأصحابه: (إذا صح الحديث عندكم فاضر بوا بقولى الحائط)، وفي لفظ (إذا صح الحديث عندكم فهو مذهبي).

وقال الإمام أحمد: (عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته يذهبون إلى رأى سفيان). والله سبحانه وتعالى يقول:

﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ ۚ أَنْ تُصِيبُمْ فِتْنَةً أَوْ يُصِيبُمْ عَذَابُ أَلِيمٌ ١٧٣)

أتدرى ما الفتنة؟.. الفتنة: الشرك.

لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شي من الزيغ فيهلك.

وقال لبعض أصحابه: (لا تقلدوني ولا تقلدوا مالكا ولا تقلدوا الشافعي وتعلموا كما

وكلام الأئمة في هذا كثير جداً ومبسوط في غير هذا الموضوع) (٧٤).

فاسمع أخى القارى واعدة ابنى إمام الدعوة حسين وعبدالله في موقف طالب العلم من أقوال العلماء السابقين إذا لم يخالف دليل.

وفى بيان ما ينكر من طالب العلم (وأما إذا لم يكن عند الرجل دليل فى المسألة يخالف القول الذى نص عليه العلماء أصحاب المذاهب، فنرجو أنه يجوز العمل به لأن رأيهم لخير من رأينا لأنفسنا، وهم إنما أخذوا الأدلة من أقوال الصحابة فمن بعدهم.

⁽٧٣) سورة النور ـ آية (٦٣)

⁽٧٤) الدرر السنية ج ٤ ص ٦ ـ ٧ .

ولكن لا ينبغى الجزم بأن هذا شرع الله ورسوله حتى يتبين الدليل الـذى لا معارض له فى المسألة، وهذا عمل سلف الأمة وأئمتها قديماً وحديثاً.

والذى ننكره هو التعصب للمذاهب وترك اتباع الدليل (٧٠).

ولهما كلام آخر فى هذا المعنى وبيان المجتهد والمستخرج لمسائل العلم والذى لا يقدر على ذلك كيف يسير وكيف يهتدى؟ بينا موقفه، وهو سؤال العلماء،واستدلوا (٢٦) على ذلك بقوله تعالى:

(.. فَسْعَلُواْ أَهْلَ ٱلدِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) (٧٧).

والمقصود من هذا بيان حرص الشيخ وأحفاده على الدليل، والقرب من الشريعة بقواعد أو كلام علماء موثوقين بأن اشتهرت علميتهم وثقتهم بين المجتمعات.

فمن كانت هذه طريقته هل يدعو ويجادل ويناضل بغير دليل؟

وإليك أخى القارى ما قاله عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب في موقفهم نحو مسائل الفروع.

يريد بذلك طريقتهم، وطريقة والدهم، وكيف نفى التقليد المذموم وبين التقليد الجائز،وأنه لا مانع أن يدرس الإنسان الفقه على مذهب أحد الأثمة ويعدل إلى قول إمام اخر إذا ترجح له الدليل.

فمن كانت هذه قاعدتهم ومبدأهم ونصوص كلامهم.. هل يرمون بالتعصب المذموم؟ وهل يتهمون بالجمود على مذهب معين؟ أو يتجاهل الدليل؟ .. قال:

«ونحن فى الفروع على مذهب الإمام أحد بن حنبل، ولا ننكر على من قلد أحد الأئمة الأربعة دون غيرهم لعدم ضبط مذاهب الغير كالرافضة والزيدية والإمامية ونحوهم، بل لا نقرهم ظاهراً على شى من مذاهبهم الفاسدة، ولا نستحق مرتبة الاجتهاد المطلق ولا أحد يدعيها، إلا أننا فى بعض المسائل إذا صح لنا نص جلى من كتاب أو سنة غير منسوخ ولا مخصص ولا معارض بأقوى منه، وقال به أحد الأئمة الأربعة، أخذنا به وتركنا المذهب،

⁽٧٥) الدرر السنية ج ٤ ص ٧.

⁽٧٦) الدرر السنية ج ٤ ص ٧ ـ ٨ .

⁽٧٧) سورة النحل آية ٤٣، وسورة الأنبياء آية ٧.

ومن كلام عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب أيضاً ما أوضحه في رسالته إلى عبدالله بن عبدالله الصنعاني الذي يكشف طريقة أثمة الدعوة بكل وضوح ويبعدهم عن التقليد، ويبين أنهم مع الدليل، إلا أن الصنعاني استشكل قول الشيخ عبدالله «ونحن في الفروع على مذهب أحمد.. قال الشيخ: «أما بعد فقد وصل جوابكم وسر الخاطر وأقر الناظر حيث أخبرتم أنكم على ما نحن عليه من الدين، وهو عبادة الله وحده لا شريك له، ومتابعة الرسول الأمجد سيد ولد آدم صلى الله عليه وسلم، وما أوردتم على ذلك من الآيات الواضحات والأحاديث الباهرات، وأن الرد عند الاختلاف إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم بإحسان، فذلك ما نحن عليه فهو ظاهر عندنا لكن كل قول له حقيقة، وحقيقة العلم وثمرته العمل.

(قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَا تَبِعُونِي يُحْبِبُكُرُ اللَّهُ) (٧٨). (لَرَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ) (٧٩).

وكال يدعى وصلا لليلى وليالى لا تهر لهم بذاك

فنحن أقمنا الفرائض والشرائع والحدود والتعزيرات، ونصبنا القضاة، وأمرنا بالمعروف ونهينا عن المنكرات، ونصينا علم الجهاد على أهل الشرك والعناد، فلله الحمد والمنة (^^.)

ثم أجاب الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب أن استشكال الشيخ الصنعانى على قول الشيخ «ومذهبنا مذهب الإمام أحمد بما يشفى ويكفى ويوضح المراد وهو أنهم يتخذون أقوال أحمد معروضة على الدليل، وينكرون على الذى يأخذ الآراء فقط، ويجعل أقوال العلماء أصولاً للدين، ولطول جواب الشيخ عبدالله أقتصر على نقل هذه الحملة:

«فإن هذا من توهمكم أن قولنا مذهبنا مذهب الإمام أحمد، أننا نقلده فيا رأى» وقال: «و إن خالف الكتاب والسنة، والإجماع، فنعوذ بالله من ذلك والله المستعان».

⁽٧٨) سورة ال عمران أية (٣١).

⁽٧٩) سورة الصف أية (Y).

⁽٨٠) الدرر السنية ج ٤ ص ٨ ـ ٩ .

ويحسن بك أيها القارى في اعتاد الشيخ وأحفاده على الكتاب والسنة أن ترجع إلى جوابه للشيخ عبدالله الصنعاني»(٨١). أ. هـ .

ثم استطرد الشيخ عبدالله في بيانه قاعدة الأثمة الأربعة في تقريرهم الأقوال واستنادهم على الدليل، وساق أقوالهم التي تقضى بأنه يقبل منهم ما وافق الدليل، وأن ما خالفه يضرب به الحائط، ثم اختتم جوابه للصنعاني بقوله:

«انتهى كلامكم فهل أنتم مجتهدون، أم تأخذون عن أقوال المفسرين وشراح الحديث وأتباع الأئمة الأربعة؟.. فإن كان الثانى فأخبرونى عن أكثر ما تأخذون عنه وترضون قوله من علماء أهل السنة وفقنا الله وإياكم من العمل ما يرضيه، وجنبنا وإياكم العمل بمناهيه، وسامحنا وإياكم عند الوقوف بين يديه، وجعل أعمالنا مقبولة، والله أعلم»أ.ه. (٨٢).

وللشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب كلام كثير في هذا المعنى يدل على اعتنائهم بالدليل، كما رسمه لعلماء مكة لما دخلوها سنة ١٢١٨ هـ وجمع لهم الأمير علماء مكة ليبين لهم هدفهم.

قال الشيخ: «ولما تمت عمرتنا جمعنا الناس ضحوة الأحد وعرض الأمير على العلماء ما نظلب من الناس ونقاتلهم عليه _ وهو إخلاص التوحيد لله وحده.

وعرفهم أنه لم يكن بيننا وبينهم خلاف له وقع إلا في أمرين:

أحدها: إخلاص التوحيد لله ومعرفة أنواع العبادة وأن الدعاء من جملتها وتحقيق معنى الشرك الذى قاتل عليه الناس نبينا محمد صلى الله عليه وسلم واستمر دعاؤه برهة من الزمان بعد النبوة إلى ذلك التوحيد، وترك الإشراك قبل أن تعرض عليه أركان الإسلام الأربعة.

والثانى: الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر الذى لم يبق عندهم إلا اسمه وانمحى أثره واندثر.

فوافقونا على استحسان ما نحن عليه جملة وتفصيلا، وبايعوا الأمير على الكتاب والسنة.

⁽٨١) الدرر السنية ج ٤ ص ١٠.

⁽٨٢) الدرر السنية ج ٤ ص ١٣.

ومما قاله هو وإبراهيم وحسين وعلى وحمد بن ناصر: [وأما قولكم هل يجب على المكلف في المسائل المختلف فيها، فهذا يحتاج إلى تفصيل وبسط ليس هذا موضعه الكن الواجب على المكلف أن يتقى الله ما استطاع، كما قال تعالى:

« فَأَتَّقُواْ ٱللَّهُ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ »(٨٣).

وقال تعالى:

«لَا يُكِلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا » (٨٤).

فإن كان المكلف فيه أهلية لمعرفة دلائل المسائل من كتاب وسنة، وجب عليه ذلك باتفاق العلماء، وإن لم يكن فيه أهلية كحال القوم الذين لا معرفة لهم بأدلة الكتاب والسنة، فهؤلاء يجب عليهم التقليد وسؤال أهل العلم فقط .. كما قال تعالى:

« فَسْعَلُواْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ » (٨٥).

وهذا في غير أصول الدين، وأما أصول ما بعث به من التوحيد، وما أخبر به عن الله من البعث بعد الموت، والجنة والنار، ومثل وجوب الفرائض من الصلاة، والزكاة، والحج، والصوم ونحو هذا فلا يجوز في هذا التقليد، والمقلد فيه معذب في البرزخ كما ثبت ذلك في الأحاديث، ومنها قول الرسول صلى الله عليه وسلم:

«وأما المنافق والمرتاب فيقول: هاه.. هاه ـ لا أدرى ـ سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته» $(\Lambda^{(\Lambda)})$.

فهذه الأقوال ماذا تدل عليه؟ ما هي إلا دلالة واضحة على اعتاد إمام الدعوة وأحفاده على الكتاب والسنة.

وقال أيضاً الشيخ عبدالرحمن بن حسن حفيد الشيخ محمد بن عبدالوهاب فيمن ترك

⁽٨٣) سورة التغابن أية ١٦.

⁽٨٤) البقرة أية ٢٨٦.

⁽٨٥) سورة النحل أية ٤٣ ، والأنبياء أية ٧ .

⁽۸٦) رواه البخاري ۱۸۰/۱ كتاب العلم

⁽٨٧) الدرر السنية ج ٤ ص ١٣ ـ ١٤

العمل بالحديث الصحيح إذا خالف المذهب.. هذا من محدثات الأمور التي ما أنزل الله بها من سلطان،قال تعالى:

« أَتَّبِعُواْ مَا أَنزِلَ إِلَيْكُمْ مِن رَّبِكُمْ وَلا نَتَبِعُواْ مِن دُونِهِ مَ أُولِيآ ۚ قَلِيلًا مَا تَذَكُونَ » (٨٨).

وقال تعالى:

«فَإِنْ تَنَكْزَعْتُمْ فِي شَيْءِ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا »(٨٩).

ويترك إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا القول الذى يقوله هؤلاء يقضى إلى هجران الكتاب والسنة، وتبديل النصوص، والتقليد الأعمى المفضى إلى هذا الإعراض عن تدبر الكتاب والسنة فيه شبه عن قال الله فيهم:

«ٱتَّحَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَنَهُمْ أَرْبَابُامِن دُونِ ٱللَّهِ» (٩٠). وقوله تعالى:

«أَمْ هُمُ شُرِكَةُ أُ شَرَعُواْ هُمُ مِنَ ٱلدِينِ مَالَدَ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ » (٩١).

وأهل الاجتهاد من العلماء وإن كانوا معذورين باجتهادهم إنما هو في معنى أدلة الكتاب والسنة وينهون عن تقليدهم.

فالأئمة رحمهم الله اجتهدوا ونصحوا، قال الشافعي رحمه الله: «إذا صح الحديث بخلاف قولي فاضربوا بقولي الحائط فهو مذهبي» أ. هـ (١٢).

⁽٨٨) سورة الأعراف أية ٣.

⁽٨٩) النساء أية ٥٩ .

⁽٩٠) التوبة أية ٣١.

⁽۹۱) الشوري أية ۲۱.

⁽٩٢) الدرر السنية ج ٤ ص ٣٣.

فدل هذا الكلام من عبدالرحمين بن حسين على حرصهم على الكتاب والسنة، والاستدلال بهما وتبديع من أخذ بأقوال الناس، وترك الأحاديث الصحيحة، فما بالك بهم وبدعوتهم مفهى معتمدة على الكتاب والسنة.

(وقال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب في الرد على من مدح الخلاف، وإنما يلجأ إلى مثل هذا ناقص العلم والدين إذا أفلس من الأدلة والبراهين، إلى أن قال «فصل» فأما مدحه الاختلاف وزعمه أنه رحمة، فالعبارة فيها عموم لا يخفى، وهي متناولة مدح جميع أهل الشقاق والأهواء الذين تواترت النصوص النبوية بذمهم وعيبهم، ودلت عليه الآيات القرآنية كقوله تعالى:

« وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَآءَتُهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ » (٩٣)

«فَتَقَطَّعُواْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبِراً كُلُّ حِزْبِ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ» (٩٤) (٩٥).

وقال: الواجب على المكلفين في كل زمان ومكان الأخذ بما صح وثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا لأحد أن يَعْدِل عن ذلك إلى غيره، ومن عجز عن ذلك في شيء من أمر دينه فعليه بما كان عليه السلف الصالح والصدر الأول، فإن لم يدر شيئاً عن ذلك، وصح عنده ما عند أحد الأثمة الأربعة المقلدين الذين لهم لسان صدق في الأمة، فتقليدهم سائغ حينئذٍ) (٩٦) وأى دلالة أصرح من هذا الكلام الذي نقلناه عن الشيخ عبداللطيف حفيد إمام الدعوة في الاعتاد على الكتاب والسنة، ولا ينكر هذا إلا مكابر.

(وقال أيضاً الشيخ عبدالله بن عبداللطيف في بيان أخذ الشيخ محمد بالدليل ونقده بعض كتب المذهب الحنبلي، وهذا من الشيخ يدل على عدم تقليده حينا يجد دليلاً من كتاب وسنة، ولو كان متعصباً لأخذ أقوال العلماء ولو خالفت النصوص.

قال الشيخ عبدالله (ولو كان هنا عناية بما استقر عليه الحال في زمن الدعوة

⁽٩٣) البنة أية ٤.

⁽٩٤) المؤمنون أية ٥٣.

⁽٩٥) 'الدرر السنية ج ٤ ص ٣٨.

⁽٩٦) الدرر السنية ج ٤ ص ٥٢ .

الأسلامية وعلمائنا ومشايخنا رحمهم الله أكان بهم قدوة لنا وأسوة بخصوصاً بعد ما فهموا من تقريرات شيخهم محمد رحمه الله، وقوله في رسائله أكثر ما في الإقناع والمنتهى مخالف لنص أحمد فضلاً عن نص رسول الله صلى الله عليه وسلم».

يعرف ذلك من عَرفَه ... أ. هـ.

وقال الشيخ إبراهيم بن عبداللطيف رحمها الله، واختيار بعض المتأخرين لا يقضى بأولويته ولا رجحانه ولو ذهب المخالف إلى الأخذ بكل ما صححوه وإلزام الناس بجميع ما رجحوه لأوقعهم في شباك، وأفضى بهم إلى مفاوز الهلاك، وهذا على سبيل التنبيه، والإشارة تكفى اللبيب) (١٧٠).

(وقال الشيخ محمد بن عبداللطيف رحمهما الله تعالى: «ونعتقد أن الله أكمل لنا الدين وأتم نعمته على العالمين ببعثه محمد الرسول الأمين خاتم الأنبياء والمرسلين، صلاة الله وسلامه عليه دائما إلى يوم الدين.

قال تعالى:

« ٱلْيَوْمَ أَحْمَلْتُ لَكُرْ دِينَكُرْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُرْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُرُ الْإِسْلَامَ دِينًا» (٩٨).

إلى أن قال: «وإذا بانت لنا سنة صحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عملنا بهاءولا نقدم عليها قول أحد كائنا من كان، بل نتلقاها بالقبول والتسليم، لأن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدورنا أجل وأعظم من أن نقدم عليها قول أحد، فهذا الذي نعتقده وندين الله به.) (١٦).

⁽٩٧) الدرر السنية ج ٤ ص ٥٤ ـ ٥٥ .

⁽٩٨) المائدة أية ٣.

⁽٩٩) الدرر السنية ص ٥٥.

«الفصل التاسع»

فيا قاله غير أحفاد الشيخ مما يدل على اعتاد الشيخ وأحفاده على الكتاب والسنة.. جواب الشيخ حمد بن ناصر بن معمر عن عدة أسئلة منها هذا السؤال:

«ما قولكم نور الله قلوبكم لفك المعضلات، ووفقكم للأعمال الصالحات، هل يلزم المبتدئين المتعلمين الترقى إلى معرفة الدليل الناص على كل مسألة، ومعرفة طرقه وصحته أم تقليد المخرجين للحديث أنه صحيح أو حسن، ويكفيهم العمل بالفقهيات المجردة عن الدليل ويغنيهم؟

وهذا فيمن طلب العلم وتأهل له، فها حال العوام هل يجزيهم مجرد التقليد؟

وأيضا حكى بعض المتأخرين الإجماع على تقليد الأئمة الأربعة: أبسى حنيفة، ومالك ،والشافعي، وأحمد؟ فأفيدونا؟ واحتسبوا فإن الحاجة ماسة إلى هذه المباحث، فإن تفضلتم بطول الجواب، وذكر الدليل ومن قال به، فهو المطلوب؟».

فكان من أجوبته رحمه الله : «لا ريب أن الله سبحانه فرض على عباده طاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم، قال تعالى:

« أَتَبِعُواْ مَا أَنزِلَ إِلَيْكُمْ مِن رَّبِكُرْ وَلا نَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِ مَ أُولِيا عَلى (١٠٠)

إلى أن قال رحمه الله «ولم يوجب على هذه الأمة طاعة أحد بعينه في كل ما يأمر به وينهى عنه إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم».

وقال في جوابه أيضاً «واتفق العلماء على أنه ليس أحد معصوماً إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهؤلاء الأئمة الأربعة قد نهوا الناس عن تقليدهم في كل ما يقولون».

«وأما القادر على الاستدلال فقيل يحرم عليه التقليد مطلقاً، وقيل يجوز عند الحاجة، كما إذا ضاق الوقت عن الاستدلال، وهذا القول أعدل الأقوال».

⁽١٠٠) سورة الأعراف أية ٣.

ثم رد الشيخ حمد على من حكى عن بعض المتأخرين الإجماع على تقليد الأثمة الأربعة رحمهم الله فأشار إلى ما يأتى: _

- ١ ـ أن هذه الجملة حكاها الوزير أبو المظفر يحيى بن هبيرة،ومن حكاها بعده فنقلاً
 عنه.
- ٢ ـ بين مراد الوزير من حكاية جملة الإجماع على تقليد الأثمة الأربعة وأنه لا يريد
 الوجوب، ولا ينفى الاجتهاد عن من بعدهم.
- ٣ _ أن الوزير يحيى بن هبيرة أراد الرد على من اشترط الاجتهاد المطلق في القاضي.
 - ٤ _ أراد الوزير أن يبين أن المقلد ينفذ قضاؤه.
- ٥ _ أوضح الوزير كلام من اشترط في القاضى أن يكون مجتهداً على ما كانت عليه
 الحال قبل استقرار المذاهب الأربعة.
- آن الوزير بين جواز التقليد بعد استقرار المذاهب الأربعة ولم يوجبه، ووجه الجواز
 أن كل واحد من الأئمة الأربعة لا يعدم الدليل وإن أخطأ في الاستدلال، أو خفى
 عليه الدليل الآخر.
- ٧ _ نقل الشيخ حمد كلام الوزير من الإفصاح.. وما أجمل صنعه في نقله كلام صاحب
 الإفصاح ليستوضح القارئ فأنقل عنه.

وبعد هذه المقدمة إليك رد الشيخ حمد على من حكى عن بعض المتأخرين الإجماع على تقليد الأثمة الأربعة،ونقله كلام ابن هبيرة فقال: هذا الإجماع حكاه غير واحد من المتأخرين،وكلهم نسبوه إلى الوزير أبى المظفر، يحى بن هبيرة صاحب الإفصاح عن معانى الصحاح فانه ذكر نحوا من هذه العبارة وليس مراده أن الإجماع منعقد على وجوب تقليد هؤلاء الأثمة الأربعة وأن الاجتهاد بعد استقرار هذه المذاهب لا يجوز، فإن كلامه يأبى ذلك وإنما أراد الرد على من اشترط في القاضى أن يكون مجتهدا وأن المقلد لا ينفذ قضاؤه، كها هو مذهب كثير من العلهاء المتقدمين والمتأخرين،وحمل كلام من اشترط في القاضى أن يكون مجتهدا على ما كانت عليه الحال قبل استقرار هذه المذاهب الأربعة، وأما بعد استقرار هذه المذاهب،فتجوز تولية المقلد لأهلها،وينفذ قضاؤه،وليس في كلامه ما يدل على أنه يجب التقليد لمؤلاء الأثمة بحيث أن يلزم الرجل أن يتمذهب بأحد هذه المذاهب الأربعة،ولا يؤخرج عن مذهب من قلده كها قد يُتوهم، بل كلامه بخلاف ذلك ولا يوافقه،

وعبارته في الإفصاح: اتفقوا على أنه لا يجوز أن يولى القضاء من ليس من أهل الاجتهاد، إلا أبا حنيفة فإنه قال مجوز ذلك، قال الوزير، والصحيح في هذه المسألة أن قول من قال لا يجوز تولية قاض حتى يكون من أهل الاجتهاد فإنه إنما عنى به ما كانت الحال عليه قبل استقرار هذه المذاهب الأربعة،التي أجمعت الأمة أن كل واحد منها يجوز العمل به ، لأنه مستند إلى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فالقاضى الآن وإن لم يكن من أهل الاجتهاد ولا يسعى في طلب الأحاديث وابتغاء طرقها، ولا عرف من لغة الناطق بالشريعة صلى الله عليه وسلم مالا يعوزه معه معرفة ما يحتاج إليه فيه وغير ذلك من شروط الاجتهاد، فإن ذلك مما قد فرغ منه ودأب له فيه سواه وانتهى له الأمر من هؤلاء الأثمة المجتهدين إلى ما أراحوا به من بعدهم، وانحصر الحق في أقاويلهم، ودونت العلوم، وانتهت إلى ما اتضح فيه الحق،فإذا عمل القاضي في أقضيته بما يأخذ عنهم أو عن الواحد منهم فإنه في معنى من كان أدَّاه اجتهاده إلى قول قاله، وعلى ذلك فإنه إذا خرج من خلافهم متوخياً مواطن الاتفاق ما أمكنه ،كان آخذا بالحزم وعاملاً بالأولى، وكذلك إذا قصد في مواطن الخلاف وتوخى ما عليه الأكثر منهم والعمل بما قاله الجمهـور دون الواحد، فإنه قد أخذ بالحزم والأحوط والأولى، مع جواز علمه أن يعمل بقول الواحد، إلا أننى أكره له أن يكون ذلك من حيث أنه قد قرأ مذهب واحد منهم أو نشأ في بلدة لم يعرف فيها إلى مذهب إمام واحد منهم، أو كان شيخه ومعلمه على مذهب فقيه من الفقهاء فقصر نفسه على إتباع ذلك المذهب حتى أنه إذا حضر عنده خصيان، وكان ما تشاجرا فيه مما يفتى الفقهاء الثلاثة فيه بحكم نحو التوكيل بغير رضا الخصم،وكان الحاكم (حنفيا)، وقد علم أن مالكا والشافعي وأحمد اتفقوا على جواز هذا التوكيل، وأن أبا حنيفة يمنعه، فعدل عما اجتمع عليه هؤلاء الأثمة الثلاثة إلى ما ذهب إليه أبو حنيفة بمجرد أنه قاله فقيه هو في الجملة من فقهاء الاتباع له ومن غير أن يثبت عنده بالدليل ما قاله ولا أدَّاه اجتهاده إلا أن أبا حنيفة أولى بالإتباع مما اتفق الجهاعة عليه، فإنى أخاف على هذا من الله عز وجل بأنه اتبع في ذلك هواه وأنه ليس من «الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه»، وكذلك إن كان القاضي (مالكيا) فاختصم إليه اثنان في سؤر الكلب فقضي بطهارته مع علمه بأن الفقهاء كلهم قضوا بنجاسته، فعدل إلى مذهبه، وكذلك إن كان القاضى (شافعياً) فاختصم إليه اثنان في ترك التسمية عمداً فقال أحدها هذا منعنى بيع

شاة مذكاة فقال الآخر إنما منعته من بيع الميتة، فقضى عليه بمذهبه وهو يعلم أن الأثمة الثلاثة على خلافة، وكذلك إن كان القاضى (حنبلياً) فاختصم إليه اثنان فقال أحدها لى عليه مال، فقال الآخر كان له على مال فقضيته، فقضى عليه بالبراءة من إقراره مع علمه بأن الأثمة الثلاثة على خلافة، فإن هذا وأمثاله مما يتوخى اتباع الأكثرين فيه أقرب عندى إلى الإخلاص وأرجع في العمل، وبمقتضى هذا فإن ولايات الحكام في وقتنا هذا صحيحة، وأنهم قد سدوا ثغرا من ثغور الإسلام سده فرض كفاية، ولو أهملت هذا القول ولم أذكره، ومشيت على الطريق الذي يمشى عليه الفقهاء الذين يذكر كل منهم في كتاب إن صنفه أو كلام إن قاله أنه لا يصح أن يكون قاضياً إلا من كان من أهل الاجتهاد، ثم يذكر من شروط الاجتهاد أشياء ليست موجودة في الحكام، فإن هذا كالإحالة أو التناقض، وكأنه تعطيل للأحكام وسد لباب الحكم وأن لا ينفذ حق ولا يكاتب به ولا يقام بينة إلى غير ذلك من القواعد الشرعية، وهذا غير صحيح، بل الصحيح في المسألة أن يقام بينة إلى غير ذلك من القواعد الشرعية، وهذا غير صحيح، بل الصحيح في المسألة أن ولايات الحكام جائزة، وأن حكوماتهم اليوم صحيحة نافذة، وولاياتهم جائزة شرعاً. هـ (١٠٠١)

ثم أوجز الشيخ حمد آل معمر كلام ابن هبيرة في النقاط التالية.

- جواز تولية المقلد إذا تعذرت تولية المجتهد، وبين السبب وهو صعوبة توفر شروط
 الاجتهاد المطلق، ولربما يؤدى طلب شروط الاجتهاد إلى ترك الأحكام.
- ٢ ـ أن إجماع الأئمة الأربعة حجة، وأن الحق لا يخرج عن أقوالهم، فلا يخرج القاضى عن
 ما أجمعوا عليه.
- ٣ الإجماع على انعقاد تقليد كل واحد من المذاهب الأربعة دون من عداهم من الأئمة
 لأن مذاهبهم مدونة قد حررت ونقحها أتباعهم.
- ٤ أوضح ابن معمر بأن حكاية الإجماع عند ابن هبيرة على جواز التقليد لا على
- ٥ ـ أوضح أيضاً بأن القاضى ومثله المفتى لا ينبغى له الاقتصار على مذهب واحد
 منهم بحيث يلتزم الفتوى به، بل عليه أن يتوخى مواطن الاتفاق وإلا توخى ما
 عليه الأكثر.

⁽١٠١) الدرر السنية ج ٤ ص ٢٤ _ ٢٥ _ ٢٦

- ٦ أن على القاضى والمفتى أن يتوخى ما عليه الدليل من أقوال الأثمة،وحينئذ يكون
 من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.
- ٧ _ أن على المقلد أن يتنبه وأن يفطن فى أقوال الأثمة، فيأخذ بما عليه الدليل ولو كان مع إمام غير إمامه، وبهذا لا يكون خارجا عن التقليد لأنه لا يعد مجتهداً اجتهاداً مطلقاً، فهو مقلد للإمام باستدلاله ودلالته مع الدليل، فأخذه بهذا القول من أجل دليله.
- ٨ ـ بين ابن معمر بأن الشخص الذى لم تتوفر فيه شروط الاجتهاد ففرضه التقليدة قال عبدالله بن الإمام أحمد: «سألت أبى عن الرجل تكون عنده الكتب المصنفة فيها قول الرسول عليه الصلاة والسلام واختلاف الصحابة والتابعين، وليس للرجل بصر بالحديث الضعيف المتروك ولا الإسناد القوى من الضعيف.. أفيجوز أن يعمل بما شاء و يتخير ما أحب منها فيفتى به و يعمل به؟.. قال: لا، لا يعمل حتى يسأل ما يؤخذ به منها فيكون يعمل على أمر صحيح، يسأل عن ذلك أهل العلم» (١٠٠٠).
- ٩ ـ بين أيضاً وصف الذي يجد دليلاً عند بعض الأئمة ولم يجد ما يدفعه من الأدلة
 عند الآخرين، فإنه يكون بذلك مقلداً باتباعه الدليل الذي عرفه من هذا الإمام.
- ١٠ _ نقل ابن معمر عن شيخ الإسلام ابن تيمية في هذا الصدد ما يشفى ويكفى في الجزء الرابع من الدرر السنية جمع (ابن قاسم) صفحة ٢٧.
- ۱۱ ـ علق ابن معمر على كلام صاحب الإفصاح في هذا الموضوع قائلاً بما يوضع مقصده ويبطل الكثير من الشبه قائلاً: «وليس في كلام صاحب الإفصاح ما يقتضى التمذهب بمذهب لا يخرج عنه، بل كلامه صريح في ضد ذلك، وهذه الشبهه ألقاها الشيطان على كثير ممن يدعى العلم، وصال بها أكثرهم فظنوا أن النظر في الأدلة أمر صعب لا يقدر عليه إلا المجتهد المطلق، وأن من نظر في الدليل وخالف إمامه لمخالفة قوله لذلك الدليل فقد خرج عن التقليد، ونسب نفسه إلى الاجتهاد المطلق، واستقرت هذه الشبهة في قلوب كثير حتى آل الأمر بهم إلى أن رتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون)، وزعموا أن هذا هو الواجب

⁽١٠٢) الدرر السنية ج ٤ ص ٢٦ ـ ٢٧

عليهم وأن من انتسب إلى مذهب إمام فعليه أن يأخذ بعزائمه ورخصه، وإن خالف نص كتاب أو سنة، قصار إمام المذهب عند أهل مذهبه كالنبى فى أمته، لا يجوز الخروج عن قوله، ولا يجوز مخالفته، فلو رأى واحدا من المقلدين قد خالف مذهبه وقلد إماما آخر فى مسألة لأجل الدليل الذى استدل به قالوا:هذا قد نسب نفسه إلى الاجتهاد ونزل نفسه منزلة الأئمة المجتهدين، وإن كان لم يخرج عن التقليد، وإنما قلد إماما دون إمام آخر لأجل الدليل،وعمل بقوله تعالى:

«فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِذَاكَ خَيرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿(١٠٢) (١٠٤).

والقصد من استعراض أقوال هؤلاء العلماء الإشارة إلى أن أنصار أئمة الدعوة يؤيدون الدليل ويعتمدون عليه، ويشنون الغارة على من خالفه وقلد أحداً مع وضوح الدليل.

وهذا الفهم تبعاً لإمامهم محمد بن عبدالوهاب رحمه الله.

ومما قاله الشيخ حمد بن ناصر بن معمر رحمه الله: أن المقلد الذي لم تجتمع فيه الشروط ففرضه التقليد وسؤال أهل العلم.

منم أوضح رحمه الله الرد على من تعصب لإمام من الأئمة وحاول أن يتملص عن الأخذ بالدليل بما يشفى ويكفى ويجفظ لنا سلامة الأخذ بالدليل وكرامة الأئمة:

(فالمتعصبون للمذاهب إذا وجدوا دليلاً ردوه إلى نص إمامهم،فإن وافق الدليل نص الإمام قبلوه،وإن خالفه ردوه واتبعوا نص الإمام.

واحتالوا في رد الأحاديث بكل حيلة يهتدون إليها، فإذا قيل لهم هذا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.. قالوا: أأنت أعلم بالحديث من الإمام الفلاني؟

مثال ذلك : إذا حكمنا بطهارة بول ما يؤكل لحمه، وحكم الشافعي بنجاسته وقلنا له قد دل على طهارته حديث العربيين، وهـو حديث صحيح، وكذلك حديث أنس في

⁽١٠٣) سورة النساء أية ٥٩ .

[.] YA = YY onumber o

الصلاة في مرابض الغنم، فقال هذا المنجس لأبوال مأكول اللحم: أأنت أعلم بهـذه الأحاديث من الإمام الشافعي؟ فقد سمعها ولم يأخذ بها.

فنقول له: قد خالف الشافعى في هذه المسألة من هو مثله أو هو أعلم منه، كمالك والإمام أحمد رحمها الله وغيرهما من كبار الأثمة، فنجعل هؤلاء الأثمة بإزاء الشافعى ونقول: إمام بإمام، وتسلم لنا الأحاديث، ونرد الأمر إلى الله والرسول عند تنازع هؤلاء الأثمة، ونتبع الإمام الذي أخذ بالنص، ونعمل بقوله كها قال تعالى:

«فَإِن تَنَازَعْتُمُ فِي شَيْءٍ فُرْدُوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ»(١٠٥)

فنمتثل ما أمر الله به، وهذا هو الواجب علينا، ولسنا في هذا العمل خارجين عن التقليد، بل خرجنا من تقليد إمامهم إلى تقليد إمام آخر لأجل الحجة التي أدلى بها من غير معارض لها ولا ناسخ.

فالانتقال من مذهب إلى مذهب آخر لأمر دينى بأن تبين له رجحان قول على قول، فيرجع إلى القول الذى يرى أنه أقرب إلى الدليل، مثاب على فعله، بل واجب على كل أحد إذا تبين له حكم الله ورسوله فى أمر ألا يعدل عنه ولا يتبع أحدا فى مخالفة أحد فى مخالفة حكم الله ورسوله، فإن الله فرض على الخلق طاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم) (١٠٠٦).

وللشيخ عبدالله بن عبدالرحمن أبابطين جواب يقضى بوجوب الأخذ بالكتاب والسنة والاعتاد عليهما، ورد ما سواهما مما يخالفهما فيقول: (لا ريب أن الله سبحانه وتعالى فرض على عباده طاعته وطاعة رسوله)،قال تعالى:

« البَّعُواْ مَا أَنزِلَ إِلَيْكُمُ مِّن رَّبِكُمْ وَلَا نَتَبِعُواْ مِن دُونِهِ مَ أَوْلِيَا ۚ قَلِيلًا
مَا تَذَكِّرُونَ » (۱۰۷)

⁽١٠٥) سورة النساء أية ٥٩.

⁽١٠٦) الدرر السنية ج ٤ ص ٢٨.

⁽١٠٧) الأعراف آية ٣.

وقال تعالى:

«يَنَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ عَامَنُواْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُواْ نَتُمْ تَسْمَعُونَ» (١٠٨)

وقال تعالى:

«قُلْ أَطْيِعُواْ ٱللَّهُ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّواْ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَاحِّلُوعَكَيْتُمُ مَّا حُمِّلُمُ

ولم يوجب الله سبحانه وتعالى على الأمة طاعة أحد بعينه فى كل ما يأمر به إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال ابن عبدالبر: أجمع العلماء على أن المقلد ليس معدوداً من أهل العلم وأن العلم معرفة الحق بدليله، وقال الشافعي رحمه الله تعالى: أجمع المسلمون على أن من استبانت له سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن له أن يدعها لقول أحد من الناس)(١١٠٠)

وكذلك الشيخ سليان بن سحيان حيث قال رحمه الله تعالى: (فالواجب على من نصح نفسه وأراد نجاتها وكان من أهل العلم أن ينظر القول الذى يدل عليه الكتاب والسنة من الأقوال المتنازع فيها، اتباعا لقوله تعالى:

«فَإِن تَنْنَزَعْتُمْ فِي شَيْءِ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ»

فإن طاعة الله ورسوله واجبة على كل واحد فى كل حال، وأقوال أهل الإجماع والمفتين والحكام وغيرهم إنما اتبعت لكونها تدل على طاعة الله ورسوله، وإلا فلا تجب طاعة مخلوق لم يأمر الله بطاعته وطاعة الرسول طاعة لله، وهذا حقيقة التوحيد الذى يكون كله لله، وإذا عرف أن القول قد قاله بعض أهل العلم ومعه دلالة الكتاب والسنة

⁽۱۰۸) الأنفال أية ۲۰.

⁽١٠٩) النور أية ١٤ .

⁽١١٠) الدرر السنية ج ٤ ص ٣٣ ـ ٣٤.

كان هو الراجح، وإن كان قد قال غيره ممن هو أكبر من قائل ذلك القول، فإن ذلك القول هو الذي ظهر أن فيه طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم)(١١١١).

وهؤلاء تلاميذ أئمة الدعوة ينهجون منهج شيخهم محمد بن عبدالوهاب قدس الله روحه ونور ضريحه، ويبينون بأن طريقتهم الاعتاد على الكتاب والسنة، فدل ذلك على أن إمام الدعوة محمد بن عبدالوهاب وأحفاده وتلاميذهم رحمهم الله لا يرون التقليد الجامد ولا الأخذ بأقوال العلماء بدون نظر في الدليل إلا عند العجز عن معرفة الدليل، أو للعامى الذي لا يعرف النظر في الدليل وليس له إلا ما قيل له، وهذا أمر لابد منه.

قال تعالى:

«فَسْتُكُواْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ »(١١٢).

و في الحديث الشريف «ألا: سألوا إذا جهلوا فإن شفاء العي السؤال».

وعلم مما تقدم الرد على من قال: إن إمام الدعوة وأحفاده وتلاميذه عندهم تعصب للمذهب كبعض أصحاب المذاهب.

وقال أحمد عبدالغفور عطار فى كتابه محمد بن عبدالوهاب: «نعرض الإسلام عرضا صحيحاً منزهاً من البدع مبرء من الخرافات، والإسلام دين التوحيد، والتوحيد ينافى الشرك، ومن هنا دعا إلى الله وحده، وإلى صرف العبادات كلها له دون سواه.

وبدأ الدعوة كها بدأ الرسل ولم يتجه إلى المجتمع يصلح نظامه وقوانين أعهاله ومكاسبه، بل اتجه إلى العقيدة، فأبان للناس عقيدة الإسلام كها يفصح عنها الوحى كتاباً وسنة، لا يتجاوزه إلى ما اتخذه علهاء الكلام من فلسفات يعسر معها فهم الإسلام السهل، وأصحب إفصاحه عن عقيدة الإسلام أركانه التي يقوم عليها.

وكان موفقاً فى منهجه الذى اتبعه، فهو مدرك أن إصلاح الظاهر دون الباطن طلاء مغشوش وبريق خادع، أما إصلاح الباطن فهو الذى يهدى إلى أن يكون إصلاح الظاهر إصلاحاً صحيحاً لا فحش فيه ولا خداع، ووفقه الله لما كان يتمنى من الإصلاح.

وبدأ محمد بن عبدالوهاب إصلاحه مع الأمير لأن الناس تبع السلطان، وحذر الناس الاتباع الأعمى وبصرهم بالإسلام، وعلمهم إياه في أسلوب سهل وإيجاز مستوعب

⁽١١١) الدرر السنية ج ٤ ص ٥٥ - ٥٦.

⁽١١٢) سورة الأنبياء آية (٧).

وهداهم إلى الرشد، فإذا الإسلام يعود من جديد إلى الدرعية، ويدوى القرآن في حجرات البيوت من قصر السلطان إلى أكواخ الفلاح) أ. هـ. (١١٣).

ومعلوم أن اعتاد الشيخ على الكتاب والسنة فى مؤلفاته، وهذا ما تفيده كتابة العطار لتطابقها مع دعوة الشيخ ومقتضاها، ولعل هذا الكاتب لم يكتب إلا بعد الاطلاع، ولهذا قال فى صفحة ١٥٩ من هذا الكتاب عن دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب:

(ودعوة محمد بن عبدالوهاب ليست دعوة خاصة ولا شخصية من مبتكراته ، بل هي الإسلام في حقيقته كها جاء به الوحى المقدس من كتاب وسنة، لا يزيد على الوحى شيئاً من عنده، لم يبتدع لأنه خصم البدعة العنيد) أ. هـ .(١١٤)

(لما تكلم على حقيقة الدعوة الوهابية وأشار إلى بطلان أقوال المتقولين عليه وقال: إذا نقدنا أقواله كلها ومحصنا جميع أعهاله، فإننا لا نجد فى ذلك كله إلا الحق الذى جاء به الإسلام وقرره وأقره، فهو لم يدع إلى غير الإسلام فى بلاد غيرت عقائده وشعائره ومعالمه، ولم يدع إلا إلى ما دعا إليه الكتاب والسنة، ولم يحكم فى حياته قط غيرها، ولم يدع إلى منكر أو باطل، ولم يتبع غير سبيل الرشد، وما عمله ليس إلا صلحاً وإصلاحاً فدعوته إلى الرجوع إلى الإسلام دون أن يأتى بتغيير فى أصوله وفروعه ومبادئه ولا فى نصوص أو تفسيرها تفسيراً جديداً) (٥١٠).

وخلط من عاصروا الشيخ بين دعوته ومذهبه ، أو فسروا دعوته على أنها مذهب خارج على الإسلام، وما كان له مذهب خاص به _ بل له دعوه، وما دعوته إلا الإسلام فى صفائه ونقائه.

ولقد قال له أعداؤه ما لم يقل، ونسبوا إليه قصصاً وروايات وأحاديثا وأقوالاً وأفعالاً لم تصدر منه، فكتبه ورسائله بين أيدى الناس ليس فيها شي مما زعموا، بل نقيض ما زعموا، وهو لا يحاسب على الأباطيل والأكاذيب المنسوبة إليه، وليس عليه وزر ما لم يقل أو لم يفعل، ومن خصومه العلماء الذين حرفوا أقواله».

هذه مقالات أحفاد الشيخ وغيرهم في الاعتاد على الكتاب والسنة والواقع يصدق ذلك.

⁽١١٣) كتاب محمد بن عبدالوهاب لأحمد عبدالغفور عطار ص ١٢٠ .

⁽١١٤) كتاب محمد بن عبدالوهاب لأحمد عبدالغفور عطار ص ١٥٩.

⁽١١٥) كتاب محمد بن عبدالوهاب لأحمد عبدالغفور عطار ص ١٦٨ .

« الفصل العاشر »

في ثناء العلماء على الشيخ..

أَكْثرَ العلماء السلفيون والمؤرخون المحققون من الثناء على الشيخ والتنويه بدعوته القائمة على دعائم الكتاب والسنة، من ذلكم قصيدة الشيخ محمد بن إسماعيل الصنعانى مؤلف سبل السلام..

سلامى على نجد ومن حل فى نجـــد :: وإن كان تسليمى على البعد لا يجـدى

قفى واسألى عن عالم حل سوحها :: به يهتدى من ضل عن منهج الرشد معمد الهادى لسنة أحمد الهادى لسنة أحمد الهادى لله الطوائف قول منه :: بلا صَدْر فى الحق منه ولا ورد وما كل قول بالقبول مقابل لا وما كل قول واجب الرد والطرد وما كل قول بالقبول مقابل المول منا أتى عن ربنا ورسول الله المول المرجال فإنها المرجال فانت المرح على قدر الأدلة فى النقد وقد جاءت الأخبار عنه بأنها يعيد لنا الشرع الشريف بما يبدى وينشر جهراً ما طوى كل جاهل المراكبة المركبة المناكبة المناكب

ومنهم الشيخ محمد بن أحمد الحفظى صاحب دوجال من قرى عسير . قال الشيخ:

الحمد حقاً مستحقاً أبــــدا :: للــه رب العالميــن سرمــدا إلى أن قال:

مصلياً على الرسول الشارع :: وأهله وصحبه والتاب

لما دعا الداعى من المسارق :: بأمر رب العالمين الخاليوب وبعث الله لنا مجتهدا :: من أرض نجد عالما مجتهدا شيخ الهدى محمد المحمدى :: الحنبلى الأثرى الأحمدى الأحمد فقام والشرك الصريح قد سرى :: بين الورى وقد طغى واعتكرا لا يعرفون الدين والتهليك النا :: وطرق الإسلام والسبيك إلا أساميها وباق الرسكم :: والأرض لا تخلو من أهل العلم

وكذلك رثاء الشيخ العلامة محمد بن على الشوكاني مؤلف نيل الأوطار للشيخ محمد ابن عبدالوهاب مثنياً عليه.. ومما قاله:

مصاب دها قلبى فأذكى غلائلى :: وأحمى بسهم الافتجاع مقاتلى إلى أن قال:

لقد مات طود العلم قطب رحا العلل :: ومركز أدوار الفحول الأفاضول الأفاضول وماتت علوم الدين طرا بموتسده :: وغيب وجه الحق تحت الجنادل

وممن أثنوا على الشيخ، حسين بن غنام الإحسائي مؤلف «روضة الأفكار والأفهام»

وقال الشيخ عمران بن على بن رضوان من سكان لنجة، من البلدان الفارسية مثنياً على الشيخ..

جاءت قصیدتهم تروح وتغمیدو :: فی سبب دین الهاشمی محمید لقد زخرفوها للطفام بقوله انتاب هو الهدی فیه اقتدی الله أن قال:

الشيخ شاهد بعض أهل جهالة :: بدعوة أصحاب القبور الهمسد

ورأى العتاد القبور تقرب الله المناه القبور تقرب المناه الله المناه المن

كذلك قال العلامة السيد/محمود شكرى الألوسي رحمه الله في آخر تاريخه لنجد.

كان الشيخ محمد من بيت علم فى نواحى نجد، وكان أبوه الشيخ عبدالوهاب عالماً فقيهاً على مذهب الإمام أحمد، ومما قاله: كان الشيخ شديد التعصب للسنة، كثير الإنكار على من خالف الحق من العلماء.

وقال عنه شكيب أرسلان في الجزء الرابع من حاضر العالم الإسلامي تحت عنوان «تاريخ نجد الحديث» بعد أن ذكر ولادة الشيخ ونشأته:

وأُخذ يفكر في إعادة الإسلام لنقاوته الأولى.. إلى أن قال: ولا أظنه أورد ثمة شيئا غير ما أورده ابن تيمية.

وممن قال عن الشيخ «حامد الفقى» رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية في كتابه «أثر الدعوة الوهابية» حيث قال:

كان علمه وجهاده لإحياء العمل بالدين الصحيح، وإرجاع الناس إلى ما قرره القرآن في توحيد الإلهية والعبادة لله وحده ذلاً وخضوعاً، ودعاء، ونذراً، وحلفاً، وتوكلاً، وطاعة لشم ائعه.

وفي كتاب «المجددون في الإسلام» للشيخ عبدالمتعال الصعيدى، قال عنه بعد ذكر ولادته ونشأته.. وأخذ يدعو إلى مثل ما دعا إليه ابن تيمية قبله من التوحيد بالعبادة لله وحده، وإنكار التوجه إلى أصحاب القباب والقبور، وإنكار التوسل بالأولياء والأنبياء إلى الله في قضاء الحاجات».

وقال عنه أيضاً الشيخ محمد رشيد رضا في التعريف بكتاب «صيانة الإنسان» بعد أن ذكر فشو البدع بعد ضعف العلم والعمل بالكتاب والسنة.

«ولقد كان الشيخ محمد بن عبدالوهاب النجدى من هؤلاء العدول المجددين، قام يدعو إلى تجريد التوحيد، وإخلاص العبادة لله وحده، بما شرعه فى كتابه وعلى لسان رسوله خاتم النبيين، وترك البدع والمعاصى ، وإقامة شعائر الإسلام المتروكة، وتعظيم حرماته المنتهكة المنهوكة.

قال عنه أحمد عبدالغفور الحجازي في كتابه «محمد بن عبدالوهاب».

كان محمد بن عبدالوهاب الشاب الناهض من أكبر أنصار الحرية الفكرية المتمشى على نهج الإسلام، يدعو إليها في إخلاص وحماس، واستطاع أن يتحرر من قيود البيئة، ويخرج على تقاليد قومه البالية».

كذلك قال عنه الدكتور/طه حسين ..

«والواقع أنه جديد بالنسبة إلى المعاصرين، ولكنه قديم فى حقيقة الأمر، لأنه ليس إلا الدعوة القومية إلى الإسلام الخالص النقى، المطهر من شوائب الشرك والوثنية، هو الدعوة إلى الإسلام كها جاء به النبى صلى الله عليه وسلم خالصاً لله، ملغياً كل واسطة بين الله وبين الناس».

قال عنه أيضاً حافظ وهبه.. في كتابه «جزيرة العرب»..

ولكنه مصلح مجدد، داع إلى الرجوع إلى الدين الحق، فليس للشيخ محمد تعاليم خاصة ولا آراء خاصة، وكل ما يطبق في نجد هو طبق مذهب الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، وأما في العقائد فهم يتبعون السلف الصالح، ويخالفون من عداهم»

ومما قاله الأستاذ/ منح هارون في الرد على الكاتب الإنجليزي (كونت ويلز) قال:

.. «وكل ما قاله الشيخ إبن عبدالوهاب قال به غيره ممن سبقه من الأئمة الأعلام، ومن الصحابة الكرام، ولم يخرج في شي عها قاله الإمام أحمد وابن تيمية _ رحمها الله».

وقال محمد كرد على في «القديم والحديث» بعد حديثه عن أصل الوهابية..

«وقلها رأينا شعباً من أهل الإسلام يغلب عليه التدين والصدق والإخلاص مثل هؤلاء القوم».

كذلك قال الزركلي في الأعلام «الجزء السابع»:

«وكانت دعوته الشعلة الأولى لليقظة الحديثة فى العالم الإسلامي كله، تأثر بها رجال الإصلاح في الهند ومصر والعراق والشام وغيرها».

وضمن كتاب «حاضر العالم الإسلامي» للدكتور محمد عبدالله ماضي وتحت عنوان «النهضة العربية السعودية» قال:

«.. أخذ المصلح الديني، والزعيم الإسلامي محمد بن عبدالوهاب في منتصف القرن

الثانى عشر الهجرى يدعو إلى تصحيح العقيدة والرجوع إلى مبادى الإسلام الصحيحة، واعتناقها من جديد بين النجديين، وكانوا قد فسدت عقيدتهم، وضلت سيرتهم».

وفى مجلة الأرشاد الكويتية التى كانت تصدر عام ١٣٧٣ هـ وبعددها السادس تحت عنوان: «الحركة الوهابية» قال الدكتور محمد ضياء الدين الريس أستاذ التاريخ الإسلامي بجامعة القاهرة.

«والمبادى الأساسية للدعوة الوهابية هي تنقية معنى التوحيد من شوائب الشرك، ظاهره وخفيه، وإخلاص الدين لله، وعدم الالتجاء إلى غير الله، وعدم الغلو في تمجيد الرسول تمجيداً يخرجه عن حدود الطبيعة البشرية وتحديد معنى الرسالة التي كلف بإبلاغها».

قال عنه أيضاً عبدالكريم الخطيب في كتابه «محمد بن عبدالوهاب» العقل الحر في الفصل الخامس.

«قام محمد بن عبدالوهاب يدعو إلى الله لا يبغى بهذا جاهاً، ولا يطلب سلطاناً، وإنما يضى للناس معالم الطريق، ويكشف لهم المعاثر والمزالق التى أقامها الشيطان وأعوان الشيطان».

وفى كتاب «الحلقة المفقودة فى تاريخ العرب» قال محمد جميل بيهم تحت عنوان (آل سعود فى حكم آل عثمان):

«دعا محمد بن عبدالوهاب معتمداً على القرآن، إلى شريعة بيضاء نقية، كما تركها محمد صلى الله عليه وسلم، ونهى عن الغلو في تقديس الأنبياء والأولياء».

وتعليقاً على كتاب «حاضر العالم الإسلامي» تأليف الأمريكي ستودارد.. قال الأمير شكيب أرسلان ضمن ما قاله:

«فكان الصاروخ هذا الصوت إنما هو المصلح المشهور الشيخ محمد بن عبدالوهاب الذي أشعل نار الوهابية فاشتعلت واتقدت، واندلعت ألسنتها إلى كل زاوية من زوايا العالم الإسلامي، ثم أخذ هذا الداعي يحض المسلمين على إصلاح النفوس واستعادة المجد الإسلامي القديم والعز التليد».

كذلك قال المستشرق «سيديو» في تاريخ العرب العام:

«ولم يكن للإصلاح الذي بدا زعياً له هدف سوى إعادة شريعة الرسول الخالصة

إلى سابق عهدها»... إلى أن قال «خلع الشيخ محمد بن عبدالوهاب على دين محمد رونقاً جديداً، وبدد الخرافات التي زالت مع الزمن، فأظهر القرآن خالياً من جميع ما عزى إليه من الشوائب».

كما أثنى على الشيخ محمد بن عبدالوهاب الشيخ على الطنطاوى في كتابه «محمد بن عبدالوهاب» بعد ذكره فشو البدع قبل ولادة الشيخ والاعتقادات الفاسدة.. قال:

«فقد حقق الله على يديه عودة نجد إلى التوحيد الصحيح والدين الحق، والألفة بعد الاختلاف، والوحدة بعد الانقسام، ولا أقول إن الرجل كامل، فالكهال لله، ولا أقول إنه معصوم فالعصمة للأنبياء، ولا أقول إنه عار عن العيوب والأخطاء ولكن أقول: إن هذه اليقظة التي عمت نجدا، ثم امتدت حتى جاوزته إلى أطراف الجزيرة، ثم إلى ما حولها، ثم امتدت حتى وصلت إلى آخر بلاد الإسلام،ليست إلا حسنة من حسناته عند الله إن شاء الله».

قال العالم الفرنسي «برناد لوسي» في كتابه العرب في التاريخ ما يلي:

وباسم الإسلام الخالى من الشوائب الذى ساد فى القرن الماضى، نادى محمد بن عبدالوهاب بالابتعاد عن جميع ما أضيف للعقيدة والعبادات من زيادات باعتبارها بدع خرافية غريبة عن الاسلام الصحيح».

كما قال شيخ المستشرقين «جولد سيهر» في كتابه العقيدة والشريعة ما يلى:

«إن الوهابيين أنصار للديانة الإسلامية على الصورة التي وضعها النبي وأصحابه، فغاية الوهابية هي إعادة الاسلام كما كان».

وأثنى الشيخ محمد عبده على الشيخ، فكان مما قاله لتلاميذه في الأزهر عن حياة الشيخ ودعوته:

إنه المصلح العظيم ـ ويلقى بالتبعة على الأتراك وعلى محمد على لجهلهم بحقيقة دعوته».

قال عنه أمين سعيد في كتابه «سيرة الإمام محمد بن عبدالوهاب»:

«إنه مصلح من كرام المصلحين، ومجاهد من كبار المجاهدين، وعالم من خيرة العلماء ـ أنار الله بصيرته وهداه سبله وألهمه التقوى، فدعا أمته إلى الرجوع إلى الله والعمل بكتابه وسنة رسوله، ونبذ الشرك، وعبادة القبور».

وبعد هذا الثناء الموجز من بعض العلماء على إمام الدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب هل يا ترى يصدر مثل هذا الثناء على مبتدع ضال، أو جاهل أو قائل بالرأى أو الهوى، إن مثل هذا لا يصدر إلا لمن كشف حقيقة ثابتة كاد ظلام الجهل يغطيها ويموهها.

وهؤلاء الذين أثنوا على الشيخ إما علماء ثبتت علميتهم وثقتهم، أو أدباء ومؤرخون يتابعون الحركات والحقائق، أو أعداء، والحق ما شهدت به الأعداء.

الفصل الحادى عشر الأصول التي دعا إليها الشيخ وهي أهم دعواته وأجلها مدعومة بالأدلة

وبها يتجلى أن دعوة الشيخ مبناها الكتاب والسنة:

قال ابن حجر آل بوطامى «المسائل التى دعا إليها الشيخ ووقع فيها الخلاف بينه وبين الأكثرين»:

١ _ توحيد العبودية:

ويقال له توحيد الألوهية، وهو الذي بعث الله من أجله الرسل، من نوح عليه السلام إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، كما قال تعالى:

«وَلَقَدُ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ آعَبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّاغُوتَ » (١١٦).

وحيث رأى الشيخ أهل نجد وغيرها كها سبق قد ألهوا قبور الأنبياء والصالحين وبعض الأحجار والأشجار، وصرفوا بعض العبادات إليها، كالنذر والحلف والنحر والاستعانة، والاستغاثة إلى غير ذلك مما لا ينبغى صرفه إلا لله. أنكر عليهم وبين لهم أن العبادة هي طاعة لله بامتثال ما أمر، وأنها اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعهال.

وأفراد العبادة كثير منها:-

الصلاة والصيام والصدقة والنذر والذبح والطواف والاستعانة والاستغاثة. فمن نذر منها شيئاً لغير الله يكون مشركاً، قال الله تعالى:

⁽١١٦) سورة النحل أية (٣٦) .

«وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَاهًا وَاخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ عَ فَإِنَّكَ حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ مَا ا إِنَّهُ لَا يُقْلِحُ ٱلْكَلْفِرُونَ »(١١٧)

فاتبعه بعضهم واعتنق مبدأه رغبة واختياراً، وأبى الأكثرون متمسكين بتقليد الآباء والخضوع للعادات، وفشو هذه الأعهال في سائر الأمصار والقرى. وسكوت الكثيرين من العلهاء.

٢ _ التوسل:

التوسل قسمان: قسم مطلوب ومرغوب فيه، وهو التوسل بأسهاء الله الحسنى وبالأعمال الصالحة، كما توسل الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة بصالح أعمالهم، ففرج الله عنهم.

والثانى: التوسل المبتدع وهو التوسل بالذوات الصالحة ، كأن يقول الشخص: اللهم إنى أسألك بجاه الرسول ، أو بحرمة فلان الصالح ، أو بحق الأنبياء والمرسلين، أو بحق الأولياء الصالحين.

فنهاهم الشيخ عن القسم الثاني، إذ لم يرد عن الرسول ولا أصحابه رضى الله عنهم، وهو دعاء _ والدعاء عبادة، ومبناها على التوقيف، ويعبد الله بما شرع لا بالأهواء والبدع.

وتمسك المجوزون بآيات لا تمت إلى دعواهم بصلة كقوله تعالى:

إن التفسير الوارد عن السلف وأجلاء المفسرين أن ابتغاء الوسيلة يكون بالأعمال الصالحة، كما تمسكوا ببعض أحاديث موضوعة ،كحديث توسل آدم بالنبى لما اقترف الخطيئة، وضعيفه كحديث الأعمى، وحديث فاطمة بنت أسد، ولا حجة في موضوع ولا ضعيف.

⁽١١٧) سورة المؤمنون اية (١١٧) .

⁽١١٨) سورة المائدة أية ٣٥.

٣ _ منعه شد الرحال:

منع من شد الرحال إلى غير المساجد الثلاثة، كما جاء في الحديث الصحيح «لا تشد الرحال إلا لثلاثة مساجد، المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى» (١١٩١).

ولم يلتفت الشيخ إلى تأويل المؤولين والمخالفين، كها أن شد الرحال لزيارة الأرحام، أو للسعى وراء الكسب خارج عن دائرة النزاع لأن هذه الأشياء وردت بها أوامر شرعية، وقد سبق الشيخ إلى منع شد الرحال شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، وابن القيم، والجويني، ولد إمام الحرمين من الشافعية، والقاضي عياض.

وليس للمجوز أية حجة يصح الاعتاد عليها.

٤ ـ البناء على القبور وكسوتها وإسراجها وما إلى ذلك:

حرم الشيخ البناء على القبور وكسوتها، وتعليق الستور عليها وإسراجها، والكتابة عليها، وإقامة السدنة حولها، وزيارتها الزيارة الشركية التي تنجم منها مفاسد عديدة، كالتمسح بالقبور في جلب نفع أو دفع ضر، واستند الشيخ في منعه وتحريمه إلى أدلة صحيحة من الأحاديث كحديث:

«لعن الله زائرات القبور والمتخذين عليها مساجد» (١٢٠).

وحديث «إن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد»...الخ.

وأمر الشيخ بهدم تلك القبب المشيدة اتباعاً بالأحاديث الصحيحة ، كحديث أبى الهيّاج الأسدى لما قال له على بن أبى طالب رضى الله عنه:

«ألا أبعثك على ما بعثنى عليه رسول الله، ألا تدع تمثالاً إلا طمسته ولا قبراً مشرفاً إلا سويته». (١٢١)

وفقهاء المذاهب الأربعة وغيرها قد سبقوا الشيخ بمنع هذه الأمور وتحريمها،وإن عبر بعضهم بالكراهة في بعض منها، فإنما القصد كراهة التحريم لا التنزيه،والكراهة في القرآن والسنة وعلى لسان السلف تطلق على التحريم.

⁽۱۱۹) رواه البخاري جـ ٣ ص ٦٣ في كتاب فضل الصلاة، ورواه مسلم في كتاب الحج جـ ٢ ص ٩٧٥.

⁽١٢٠) رواه الترمذي في أبواب الصلاة ١٣٦/٢ وابو داود في كتاب الجنائز ٢١٨/٣.

⁽١٢١) أخرجه مسلم في كتاب الجنائز ٦٦٦/٢ في باب الأمر بتسوية القبر.

(والكراهية بمعنى أنه لا يثاب فاعلها ولا يعاقب تاركها) اصطلاح حادث... لا عبرة له، كما لا عبرة بقول بعض الفقهاء بتحريم البناء على القبر، إن كان فى أرض مسبلة لئلا تضيق الأرض على الموتى، وإن كان فى ملكه بل يكره، وإنما قلنا لا عبرة به لأن الأحاديث مانعة من البناء، والأمر بهدمها عامة. وما أثر عن الرسول صلى الله عليه وسلم ما يخصصها.

وليست علة التحريم تضييق الأرض كها زعم أولئك ، بل العلة أن البناء يفضى إلى تعظيم المقبور ودعائه من دون الله، وهذا أمر شاهد وملموس لا يقبل الجدل أو النزاع.

٥ _ توحيد الأسهاء والصفات:

قد سبق ما جاء فى رسائل الشيخ، أنه فى المعتقد على ما كان عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين، وتابعيهم من الأئمة الأربعة وغيرهم وهو إثبات الأسهاء والصفات من غير تمثيل ولا تكييف، ولم يرق للمخالفين هذا الاعتقاد، حيث كانوا مؤولين ومقلدين للجهم بن صفوان والجعد بن درهم، مستمسكين بشبه فلسفية لا تتفق مع آى القرآن والأحاديث الصحيحة ومعتقد الصحابة والتابعين والأئمة المهتدين، رضوان الله عليهم أجمعين.

٦ _ إنكار البدع:

أنكر الشيخ البدع والمحدثات في الفروع، كالاحتفال بالمولد، والتذكير قبل الآذان، والصلاة على الرسول بعد الآذان جهراً، والتلفظ بالنيه، وقراءة حديث أبى هريرة عند صعود الخطيب إلى المنبر.

كها أنكر طرائق الصوفية المبتدعة، وما إلى ذلك من المبتدعات التسى لم يرد في استحبابها عن الرسول صلى الله عليه وسلم ولا عن أصحابه.

وقد ألَّف العلماء قبل الشيخ في إنكار البدع والمحدثات، كابن وضاح، والطرطوشي ، والشاطبي.

البيائي الثالث الاستدلال على اعتاده فى مؤلفات العقائد على الكتاب والسنة

وحان الآن الشروع في الاستدلال من مؤلفات الشيخ في اعتاده على الكتاب والسنة، ونبدأ بالأهم، وهو ما ألفه في العقائد وأصول الدين والايمان، وفي هذا خمسة عشر فصلاً:

«الفصل الأول» «فى ثلاث مسائل يجب تعلمها»

قال رحمه الله تعالى فيا يجب تعلمه ومعرفته على كل مسلم ومسلمة، وهو ضرورى من ضروريات الدين، فذكر ثلاث مسائل:

- ١ ـ أن الله خلقنا ورزقنا ولم يتركنا هملا، بل أرسل إلينا رسولاً، فمن أطاعه دخل
 الجنة، ومن عصاه دخل النار.
 - ٢ _ أن الله لا يرضى أن يشرك معه في عبادته أحد .
- ٣ ـ أن من وحد الله وأطاع الرسول وجبت عليه موالاة الله ورسوله، ووجب عليه
 بغض أعداء الله وأعداء رسوله.

ثم استدل على الأولى بقوله تعالى:

(۱۲۲) إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا »

⁽١٢٢) المزمل أية ١٥.

واستدل على الثانية بقوله تعالى:

«وَأَنَّ ٱلْمَسْاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا » (١٢٣).

ومعلوم أن الدعاء عبادة ،كما قال تعالى:

« وَقَالَ رَبُّكُ الْمُعُونِيَ أَسْتَجِبُ لَكُرُ ۚ إِنَّ اللَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْ خُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ »(١٧٤).

فجعل العبادة هي الدعاء.

واستدل على الثالثة بقوله تعالى:

« لَا يَجِدُ قَوْمًا يُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ, وَلَوْ كَانُوا ءَابَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أَوْلَئِكَ كَتَبَ فِي كَانُوا ءَابَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أَوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قَلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيْدَهُم بِرُوحٍ مِنْ فَوَيُدْخِلُهُمْ جَنَّتِ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَيُكُوبِهُمُ اللَّهِ عَلَيْهِ أَلَا إِنَّ جِرْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ جِرْبُ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » (١٢٥)

نزلت في أبى عبيدة رضى الله عنه لما قتل أباه في بدر.

فمن أنصف من نفسه وجد الأمر واضحاً، حيث استدل الشيخ محمد بن عبدالوهاب بالقرآن الكريم فلم يوجب شيئاً من بنات أفكاره، ولا مقتبساً من إعداده.

⁽١٢٣) الجن أية ١٨.

⁽١٢٤) غافر أية ٦٠ .

⁽١٢٥) المجادلة أية ٢٢.

«الفصل الثاني»

«في المسألة التي بها نجاة المسلم من الحسارة والهلاك»

وارشد إلى ما به الفلاح والنجاح، وجعل ذلك في أربع مسائل تعلمها من مقتضى الإسلام.

- ١ العلم ثم بين المراد به بأنه معرفة نبيه، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة.
 - ١ العمل به.
 - ٣ _ الدعوة إليه.
 - ٤ ـ الصبر على الأذى فيه.

ثم استدل على هذه المسائل الأربع بسورة من سور القرآن وهي قوله تعالى:

«وَٱلْعَصْرِ ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَانَ لَنِي خُسْرٍ ۞ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّلِحَاتِ وَتَوَاصَواْ بِآلصَّـبْرِ » (١٢٦).

والاستدلال من هذه السورة واضح (فآمنوا) أى عملوا، وهذا التفسير لاقتران العمل بالإيمان، وحيث أطلق الإيمان شمل العلم والقول والعمل، (وعملوا الصالحات) دلت على وجوب العمل بالعلم، و (تواصوا بالحق) دلت على وجوب الدعوة إليه، و (تواصوا بالصبر) دلت على وجوب الصبر على الأذى فيه.

فهل ينكر هذا الاستدلال ومطابقته بما استدل عليه إلا مكابر معاند، وهذا غير معتبر.

وقد سبق إلى هذا الاستدلال الإمام الشافعي رحمه الله بقوله: (لو ما أنزل الله حجة على خلقه إلا هذه السورة لكفتهم).

⁽١٢٦) سورة العصر أية ١ ــ ٣ .

«الفصل الثالث» «مراتب الدين»

أنه جعل الدين ثلاث مراتب:

المرتبة الأولى أعم من الثانية، والثانية أعم من الثالثة.

المرتبة الأولى: الإسلام.

المرتبة الثانية: الإِعان.

المرتبة الثالثة: الإحسان.

وبعد أن بين معنى الإسلام وهو: الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة، والخلوص من الشرك وأهله، وأن الإيمان هو التصديق بالباطن، إذ ذكر مقروناً مع الإسلام للن الإسلام إذا ذكر مع الإيمان فالمراد به الأعمال الظاهرة، وإذا أفرد كل واحد منها شمل الآخر.

وأن الإحسان أخص منها، وهو لا يحتاج إلى تفسير أوضح مما فسر به الحديث، ثم استدل رحمه الله على هذه الأصول بحديث عمر بن الخطاب الذي رواه مسلم في صحيحه، وفيه: أن جبريل سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن الإسلام فقال: أن تشهد أن لا إلله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وذكر له الصلاة والصيام والزكاة والحج، ثم سأله عن الإيان فقال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وأن تؤمن بالقدر خيره وشره، ثم سأل عن الإحسان فقال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.. الخ الحديث (۱۲۷)

ثم استدل رحمه الله على كل مسألة من أركان الإسلام والإيمان والإحسان التى ذكرت في الحديث وذلك في آية من القرآن، ومن شك في ذلك فليراجع ثلاثة الأصول من المجلد الأول قسم العقيدة من مؤلفات الشيخ والتي طبعتها الجامعة.

⁽١٢٧) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ج ١ ص ٣٧

وهذا نموذج مما استدل به على معنى لا إله إلا الله بقوله تعالى:

«وَ إِذْ قَالَ إِبْرَهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ } إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّنَا تَعْبُدُونَ ﴿ إِلَّا الَّذِي فَطَرِنِي وَالْهُ مَنَا اللهِ عَلَمُ اللهِ عَلَيْهُمْ يَرْجِعُونَ » (١٢٨). فَإِنَّهُ سَيَهْ لِدِينِ ﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةَ أَبَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لِعَلَمُهُمْ يَرْجِعُونَ » (١٢٨).

ثم بين معنى شهادة أن محمداً رسول الله، ثم استدل بقوله تعالى:

«لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَاعَنِيْمُ حَرِيضٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُونٌ رَّحِيمٌ» (١٢٩)

واستدل على وجوب التوحيد والصلاة والزكاة، بقوله تعالى:

ُ «وَمَآ أُمِرُواْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآ ءَ وَيُقِيمُواْ الصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلرَّكَوْةَ وَذَالِكَ دِينُ ٱلْقَيْمَةِ » (١٣٠)

واستدل على ركنية الصيام، بقوله تعالى :

«يَكَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُرُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُرُ ا لَعَلَّكُمْ لَتَقُونَ ﴿ إِنَّهُ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ ﴾ (١٣١).

واستدل على ركنية الحج، بقوله تعالى:

﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَنِ ٱلْعَلَمِينَ » (١٣٢).

⁽١٢٨) الزخرف أية ٢٦_ ٢٨.

⁽١٢٩) التوبة اية ١٢٨.

⁽١٣٠) البينة أية ٥.

⁽١٣١) البقرة أية ١٨٣ ـ ١٨٤.

⁽١٣٢) أل عمران اية ٩٧ .

وأركان الإسلام الخمسة المتقدمة وهي شهادة أن لا إله إلا الله،وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت الحرام.. بين الرسول صلى الله عليه وسلم بأنها مبنى الإسلام وجمعها بقوله:

«بنى الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت الحرام».

من حديث ابن عمر رضى الله عنها الذي رواه البخاري ومسلم.

فهل يمكن لأحد لديه مسكة من عقل أن ينكر اعتاد الشيخ محمد بن عبدالوهاب على الكتاب والسنة بعد استعراض هذه الأدلة على أركان الإسلام؟!

واستدل على بعث الناس بعد الموت، بقوله تعالى:

«مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُحْرِجُكُمْ تَارَةً أُنْحَرَىٰ » (١٣٣).

و في قوله تعالى:

(") إِنْكَ مَيِّتُ وَإِنَّهُم مَيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِينَمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَحْتَصِمُونَ إِنْكَ مَيِّتُ وَإِنَّهُم مَيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِينَمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَحْتَصِمُونَ

وحكم بالكفر على من أنكر البعث، واستدل بقوله تعالى:

﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُ وَأَ أَن لَن يُبِعَثُوا ۚ قُلْ بَلَى وَرَبِى لَتُبْعَثُنَ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِكَ عَمِلْتُمْ وَذَٰ لِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ (١٣٥).

فعقيدة الإيمان باليوم الآخر ركن من أركان الإيمان.

فهل يستطيع إنكار هذه الأدلة إلا كافر معاند لوضوحها ومطابقتها للمستدل عليه، وحكم بوجوب الهجرة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام.

⁽١٣٣) طه آية ٥٥ .

⁽١٣٤) الزمر أية ٣٠ ـ ٣١

⁽١٣٥) التغابن اية ٧.

واستدل بقوله تعالى:

«إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّلُهُمُ ٱلْمَلَيْكَةُ ظَالِمِيَ أَنفُسِمٍ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي ٱلْإِرْضَ قَالُواْ أَلَرْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهُا جُرُواْ فِيهَا ۚ فَأُولَيْكِ مَأْوَلُهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا» (١٣٦).

والمقصود ببلد الشرك الذي لا يستطيع المسلم أن يظهر فيه شعائر دينه من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر.

ووجه الاستدلال من الآية على وجوب الهجرة واضح، وذلك أن الله توعده بسوء المصير، ووصفهم بظلم أنفسهم ـ لأن المسلم لا يصح أن يبقى بين المشركين ذليلاً إلا إذا كان غير قادر، كما قال الله تعالى:

«إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَاءِ وَٱلْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِسلَةً وَلَا يَمْتَدُونَ سَيلِكُ » (١٣٧).

كما استدل رحمه الله على أن أعظم ما أمر به التوحيد، وأعظم ما نهى عنه الشرك، قال تعالى:

«وَأَعْبُدُواْ ٱللَّهُ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِ ع شَيْئًا وَبِٱلْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا»(١٣٨).

وبقوله جل وعلا:

«وَمَا خَلَقْتُ آجِلْنَ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿ مَا أَرِيدُ مِنْهُم مِن رِّزْقٍ وَمَا أَرِيدُ مِنْهُم مِن رِّزْقٍ وَمَا أَرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ » (١٣٩).

⁽١٣٦) النساء آية ٩٧.

⁽١٣٧) النساء آية ٩٨.

⁽١٣٨) النساء آية ٢٦.

⁽١٣٩) الذاريات آية ٥٦ ـ ٥٧ .

وبقوله تعالى:

«وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُواْ إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَلِدَيْنِ..(يا١٤)

وقوله تعالى:

«قُلْ تَعَالُواْ أَتُلُ مَا حَرَمَ رَبِّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَا تُشْرِكُواْ بِهِ عَشَيْعًا »(١٤١).

وما استدل به من هذه الآيات واضح جلى، وإذا يثبت عند العاقل أن هذه المسألة هي أساس الدين، وأصل دعوة محمد بن عبدالوهاب.

ويتبين له أن الشيخ محمد بن عبدالوهاب لم يدع إلى شي مجهول، ولم يأت بشي من عنده لاتباع ما يقول بالأدلة.

وبين رحمه الله أن أساس دعوته هي التي من أجلها أرسلت الرسل، وأنزلت الكتب، ثم استدل بقوله تعالى:

«وَلَقَدَ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ آعَبُدُواْ آللَهَ وَآجْتَنِبُواْ ٱلطَّاغُوتَ » (١٤٢).

⁽١٤٠) الإسراء أية ٢٣.

⁽١٤١) الأنعام أية ١٥١.

⁽١٤٢) النحل آية ٣٦.

الفصل الرابع في اعتناء الشيخ بتوحيد العبادة

واعتنى الشيخ رحمه الله فى تحقيق توحيد العبادة وبيان ما ينافيه أو ينافى كماله، وألف فى ذلك كتابا عظياً أسهاه «كتاب التوحيد»، جعله سبعة وستين باباً، وكل باب منها ليس له فيه إلا مجرد العنوان والترجمة المتضمنة للحكم، ثم يستدل على هذا بأيات قرأنية وأحاديث نبوية، وأعقب كل باب بمسائل عظيمة تستفاد منه، وقد صدر هذا الكتاب بوجوب توحيد العبادة، فاستدل على وجوب التوحيد بقوله تعالى:

« وَأَعْبُدُواْ ٱللَّهُ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِ ع شَيْعًا » (١٤٣).

ونظائرها من الآيات ومن الأحاديث النبوية ما اتفق عليه البخارى ومسلم من حديث معاذ بن جبل رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له:

«أتدرى ما حق الله على العباد، وما حق العباد على الله.. فقال معاذ: الله ورسوله أعلم، قال عليه السلام: حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا» (١٤٤١).

فدل هذا الحديث أن لله حق على العباد، وهو عبادته وعدم الشرك به، وبعد أن بين الشيخ وجوب التوحيد بين فضله.

قال الشيخ: باب فضل التوحيد، وما يكفر من الذنوب، ثم استدل بآية الأنعام: (١٤٥) «اللَّذِينَ عَامَنُواْ وَلَرْ يَلْبِسُواْ إِيمَـنَهُم بِظُلْمٍ أُولَدَيِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُـم مُهَتَدُونَ »

⁽١٤٣) النساء اية ٣٦.

⁽١٤٤) أخرجه البخارى فى كتاب اللباس. باب إرداف الرجل خلف الرجل حديث رقم ١٥٩٦٧، جـ١٠ ص ١٠٤٧، ومسلم فى كتاب الإيمان باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً حديث ٣٠ جـ١ ص ٥٨.

⁽١٤٥) الأنعام ٨٢.

وبجملة أحاديث كلها تدل على فضل التوحيد دلالة واضحة، منها ما أخرجاه في الصحيحين عن عتبان رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

«من قال لا إله إلا الله يبتغى بذلك وجه الله حرّم الله وجهه على النار» (١٤٦٠) فانظر إلى هذا الاستدلال ووضوحه من الآيات والأحاديث.

ثم قال : باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب ولا عذاب.

واستدل بآيات قرآنية وأحاديث نبوية لا يستطيع أحد أن ينكر الاستدلال بها، ثم قال: باب الخوف من الشرك.. واستدل بقوله تعالى:

«إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ ع وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَالِكَ لِمَن يَشَاءُ » (١٤٧).

فإذا حكم على المشرك بعدم المغفرة وجب الخوف من الشرك، واستدل بآيات أخرى وأحاديث نبوية كلها واضح فيها وجه الاستدلال، واستدل على وجوب الدعوة إلى التوحيد بقوله تعالى:

«قُلْ هَانِهِ عَسَبِيلِي أَدْعُواْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي» (١٤٨).

وحديث ابن عباس فى بعث معاذ إلى اليمن، وتعليمه كيف تكون الدعوة، واستدل أيضاً على وجوب الدعوة وفضلها فى حديث سهل فى فتح خيبر، والشاهد منه قول الرسول لعلى بن أبى طالب «ثم ادعهم إلى الإسلام» مبيناً فضل هذه الدعوة لقوله: «فوالله لأن يهدى الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم» (١٤٩١).

ثم قال رحمه الله: باب تفسير شهادة أن لا إله إلا الله، ثم استدل بقوله تعالى:

وَ إِذْ قَالَ إِبْرَهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ ۚ إِنَّنِي بَرَآءٌ ثَمَّا تَعْبُدُونَ ﴿ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِي وَالْهُ مَا يَعْبُدُونَ ﴿ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِي فَا اللَّهُ مُ سَيَهُدِينِ ﴿ وَهُ عَلَهَا كُلِّمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ ۗ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿ ١٥٠٠ .

⁽١٤٦) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة حديث رقم ٤٣٥ جـ١٩/١٥.

⁽١٤٧) النساء ٤٨.

⁽۱۶۸) يوسف ۱۰۸.

⁽١٤٩) أخرجه البخارى في كتاب الجهاد. باب دعاء النبى ـ صلى الله عليه وسلم الناس إلى الإسلام. حديث رقم ١٤٩٠ - ١١١/٦ .

⁽١٥٠) الزخرف أية ٢٦ ـ ٢٨

وبحديث «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإن فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله عز وجل»(١٥١).

ثم ابتدأ بجزئيات تنافى التوحيد وتنافى كهاله، منها: لبس الحلقة لجلب النفع أو لدفع الضر، وأبطل ذلك بقوله تعالى:

«قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ آللَّهِ إِنْ أَرَادَنِي آللَّهُ بِضُرِّ هَلْ هُنَّ كَنْشِفَاتُ ضَرِّهِ مَا تَدْعُونَ مِن دُونِ آللَّهِ إِنْ أَرَادَنِي آللهُ بِضُرِّهِ مَا تَعْمَ لَهُنَّ كَنْشِفَاتُ ضَرِّهِ مَا أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُسْكَنتُ رَحْمَتِهِ عِيهِ (١٥٢).

وبقوله صلى الله عليه وسلم للرجل الذى رأى عليه حلقة من صفر وأخبره بأنها عن الواهنة فقال له: «انزعها لا تزيدك إلا وهنا» واستدل على بطلان التائم بقوله عليه الصلاة والسلام: «من علق تميمة لا أتم الله له» (١٥٢) وغير ذلك من الأحاديث.

واستدل رحمه الله على بطلان التبرك بالأشجار والأحجار بآية

«أَفَرَءَ يُتُمُ ٱللَّكَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿ وَمَنَوْةَ ٱلنَّالِثَةَ ٱلْأَخْرَىٰ ١٠٥٠)؛

وبحديث فيه، أن الصحابة طلبوا من الرسول أن يجعل لهم شجرة يتبركون بها.فأنكر عليهم الرسول صلى الله عليه وسلم أشد الإنكار، واستدل على صرف الذبح لله وتحريمه لغير الله بآيات قرآنية وأحاديث نبوية.

وهكذا في سائر أبواب مؤلفه رحمه الله المسمى بكتاب التوحيد.

ومن شك فى ذلك فليراجع هذا المؤلف، فإنه سيجد ما يشفيه ويكفيه من الأدلة ويطمئنه ويؤكد له أن الشيخ يعتمد اعتاداً كلياً على الكتاب والسنة لاسيا فى باب التوحيد والعقائد وكشف الشبهات.

⁽١٥١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان حديث رقم ٢٥ جـ١/٥٧ ومسلم في الإيمان حديث ٢٠ جـ١/١٥.

⁽۱۵۲) الزمر ۳۸ .

⁽١٥٣) أخرجه ابن ماجه في كتاب الطب ـ باب تعليق النائم حديث رقم ٣٥٣١ جـ ٢ ص ١١٦٧٠

من مؤلفات الشيخ

كشف الشبهات بأدلتها

وهاك نموذجا مما قاله واستدل عليه في هذا المؤلف، ولعلك تراجع بقيته، فيتضح لك استدلال الشيخ على كل مسألة وشبهة إن كنت شاكاً في اعتاد الشيخ في دعوته على الكتاب والسنة.

ذكر إقرار الكفار بتوحيد الربوبية، وذكر أنه لم يدخلهم فى الإسلام بل قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أقروا بتوحيد العبادة، فإذا أردت الدليل على أن هؤلاء الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يشهدون بهذا فاقرأ قوله تعالى:

« قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِنَ السَّمَآءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَـٰرَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيْتِ ويُخْرِجُ الْمَيْتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَيِّرُ الْأَمْنَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا لَتَقُونَ » (١٥٤).

وقولسه:

«قُلْ مَن رَّبُ السَّمَوَاتِ السَّبِعِ وَرَبُ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿ مَنَ سَيَقُولُونَ لِلَهِ قُلْ الْعَظِيمِ اللهِ سَيَقُولُونَ لِلّهِ قُلْ الْعَكَ لَا تَعَلَيْهِ وَهُو يَجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ الْفَلَا نَتَقُونَ ﴿ وَهُو يَجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِلَّا كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿ وَهُو يَجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِلَى اللّهِ عَلَيْهِ إِلَى اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللللّهُ الللّهُ اللّهُ الللللللللّهُ الللللللللللللللللل

١٥٤١) يونس اية ٣١.

⁽١٥٥) المؤمنون من أية ٨٦ ـ ٨٩

وغير ذلك من الآيات، فإذا تحققت أنهم مقرون بهذا ولم يدخلهم في التوحيد الذي دعاهم إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وعرف أن التوحيد الذى جحدوه هو توحيد العبادة الذى يسميه المشركون فى زماننا الاعتقاد، كما كانوا يدعون الله سبحانه ليلاً ونهاراً، ثم منهم من يدعو الملائكة لأجل صلاحهم وقربهم من الله ليشفعوا له أو يدعو رجلا صالحاً مثل اللات أو نبياً مثل عيسى.

وعرفت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلهم على هذا الشرك، ودعاهم إلى إخلاص العبادة لله وحده، كما قال تعالى:

« فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهُ أَحَدُا » (١٥٦).

وقسال:

«لَهُ وَعُوةُ ٱلْحَقِ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ عَ لا يَسْتَجِيبُونَ لَفُم بِشَيْءٍ» (١٥٧).

وتحققت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلهم ليكون الدعاء كله لله، والنذر كله لله، والنذر كله لله، والاستغاثة كلها لله، وجميع أنواع العبادات كلها لله، وعرفت أن إقرارهم بتوحيد الربوبية لم يدخلهم في الإسلام، وأن قصدهم الملائكة والأنبياء والأولياء يريدون شفاعتهم والتقرب إلى الله بذلك، هو الذي أحل دماءهم وأموالهم.

عرفت حينئذ التوحيد الذي دعت إليه الرسل، وأبى عن الإقرار به المشركون، وهذا التوحيد هو معنى قولك «لا إلله إلا الله».

فدل هذا الكلام المتقدم والذى سننقله لك عن الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وقد فهمه من نصوص القرآن على ما يأتى:

١ ـ أن الكفار يقرون بتوحيد الربوبية.

٢ _ أنه لم يدخلهم في الإسلام.

⁽١٥٦) سورة الجن اية ١٨ .

⁽١٥٧) الرعد اية ١٤.

- ٣ ـ أن معنى «لا إله إلا الله» يشمل النوعين.
- ٤ ـ أن الكفار الذين قاتلهم الرسول يفهمون معناها، ولهذا قالوا كها حكى الله عنهم:
 « أُجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَــٰهُمَا وَ حِدًا إِنَّ هَــٰذَا لَشَيَءٌ عُجُابٌ » (١٥٨).
- ٥ ـ أن كفار أهل زماننا لا يفهمون معناها لأنهم يقولونها، ومع ذلك تخالفه أفعالهم، فيعبدون القبور، ويدعون الأولياء والصالحين، ولو عرفوا معناها حقيقة لما عبدوهم وما استغاثوا بهم، وأما الكفار لم ينطقوا بها لأنهم لم يعملوا بمعناها، وكل هذا ساق الشيخ عليه الأدلة، وبين أن الشرك لا يغفر لصاحبه، واستدل بقوله تعالى:

«إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ ع وَ يَغْفِرُ مَا دُونَ ذَالِكَ لِمَن يَشَآءُ » (١٥٩).

وبين أن من عرف دين الله الذي أرسل به الرسل من أولهم إلى آخرهم الذي لا يقبل الله من أحد دينا سواه، أنه يستفيد فائدتين.

الأولى : فضل الله ورحمته، ثم استدل بقول الله:

« قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ عَفِذَ الكَ فَلْيَفْرَ حُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَا يَجْمَعُونَ » (١٦٠)

الثانية : الخوف العظيم، فإنك إذا عرفت أن الإنسان يكفر بكلمة يخرجها من لسانه وقد يقولها وهو جاهل فلا يعذر بالجهل، وقد يقولها وهو يظن أنها تقربه إلى الله تعالى كها ظن المشركون، ثم استدل بطلب قوم موسى مع صلاحهم.

«أَجْعَل لَّنَآ إِلَاهًا كُمَّا لَهُمْ وَالْحَهُ "(١٦١).

⁽۱۵۸) سوره ص آیة ٥.

⁽١٥٩) النساء آية ٤٨.

⁽١٦٠) سورة يونس أَية ٥٨ .

⁽١٦١) الأعراف ١٣٨.

فاستدلال الشيخ على هاتين الفائدتين بهاتين الآيتين واضح لا يستطيع أحد إنكاره. وفى سياق كشف الشبهات بين رحمه الله بأن الله لم يبعث نبياً إلا جعل له أعداء. ثم استدل على ما قاله بقوله تعالى:

« وَ كَذَاكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِي عَدُوَّا شَيَنطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْحِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ أَنْ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرُهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ » بَعْضٍ زُنْحُرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرُهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ »

واستدل أيضاً رحمه الله بأن هؤلاء الأعداء قد يكون لهم حجج وعلوم، يقول تعالى:

«فَلَمَا جَاءَتُهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِنَ ٱلْعِلْمِ» (١٦٣).

ثم بين أن الواجب على المسلم أن يتعلم من دين الله ما يقاتل به الأعداء الذين قعدوا له على الطريق، كما قال إمامهم ومقدمهم:

« لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۞ ثُمَّ لَا يَبَنَّهُم مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِم وَعَنْ أَيْمَنْهِمْ وَعَن شَمَآ بِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَنكِرِينَ » (١٦٤).

ثم بين أن هؤلاء الأعداء يضعفون أمام من تسلح بدين الله، واستدل بقوله تعالى:

«إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا» (١٦٥).

ثم بين أن العامى من الموحدين يُغلب الألفُ من غيرهم، وأنه لا خوف عليه إذا سلك الطريق وإنما الخوف على ضعيف التوحيد، واستدل بقوله تعالى:

«وَ إِنَّ جُندَنَا لَمُهُمُ ٱلْغَالِبُونَ » (١٦٦).

⁽١٦٢) الأنعام ١١٢.

⁽۱٦٣) غافر ۸۳ .

⁽١٦٤) الأعراف ١٦ ـ ١٧ .

⁽١٦٥) النساء ٧٦ .

⁽١٦٦) الصافات ١٧٣.

ثم استدل رحمه الله على أنه مهما جاء أهل الباطل بشبهة ففى القرآن ما يبطلها، واستدل بقوله تعالى:

(﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلِ إِلَّا جِئْنَكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ (١٦٧). وهذه الآيات عامة في كل حجة يأتي بها أهل الباطل إلى يوم القيامة.

ثم ذكر الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله بأنه سيكشف هذه الشبه بأيات قرآنية، وأن لهم جوابين مجمل ومفصل، أما المجمل - فهو الأمر العظيم والفائدة الكبيرة لمن عقلها وذلك قوله تعالى:

«هُوَ ٱلَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكَتَابَ مِنْهُ ءَا يَنتُ مُحَكَّنَ هُنَّ أَمُّ ٱلْكَتَابِ وَأَنْحُرُ مُتَشَيْبَاتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْعٌ فَيَتَبِعُونَ مَا تَشَنَبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَاةَ ٱلْفِتْنَةِ وَأَبْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ٤ » (١٦٨)

وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله مناه فاحذر وهم» (١٦١٠).

مثال ذلك إذا قال بعض المشركين:

« أَلَا إِنَّ أُولِيكَ } آللهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ »(١٧٠)

وأن الشفاعة حق _ وأن الأنبياء لهم جاه عند الله.

وذكر كلاماً للنبى عليه الصلاة والسلام يستدل به على شى من باطله _ وأنت لا تفهم معنى الكلام الذى ذكره فجاوبه بقولك: إن الله ذكر في كتابه أن الذين في قلوبهم زيغ يتركون المحكم، ويتبعون المتشابه .

وهكذا استمر الشيخ محمد بن عبدالوهاب فى إيراد الشبه وجوابها، والاستدلال على بطلانها من القرآن والسنة، يجد ذلك واضحاً من أحب الحقيقة واطلع على كشف الشبهات، والمقصود ذكر نموذج منه كها تقدم.

⁽١٦٧) الفرقان اية ٣٣.

١٦٨١) ال عمران اية ٧.

⁽١٦٩) أخرجه البخاري في كتاب التفسير. باب منه أيات محكمات. حديث رقم ٤٥٤٧ جـ ٢٠٩/٨.

⁽۱۷۰) يونس ۲۲ .

الفصل الخامس القواعد الأربع التي قرر بها توحيد العبادة

من مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب: القواعد الأربع التي قرر بها توحيد العبادة وأنه لا يكون خالصاً إلا بنفي الشرك، وأن الشرك مع العبادة كالحدث مع الطهارة ضدان لا يجتمعان، فكما لا تصح الصلاة مع الحدث فإنها لا تصح عبادة مع الشرك.

وأوضح ذلك بهذه القواعد الأربع التي تدل على اعتاد دعوته وفقهه على الكتاب والسنة:

«القاعدة الأولى»:

أن الإقرار بتوحيد الربوبية دون توحيد العبادة لا يدخل في الإسلام، ثم استدل بقوله تعالى:

« قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَآءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَـٰرَ
وَمَن يُخْرِجُ الْحِيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَيِّرُ الْأَمْرَ
فَسَيْقُولُونَ اللّهُ فَقُلْ أَفَلَا نَتَقُونَ »(١٧١).

فأقروا بهذه الآيات الخلقية الكونية وأن القادر عليها هو الله، ومع ذلك قاتلهم الرسول عليه الصلاة والسلام، فلو كان كافيا لما قاتلهم، ولما طلب منهم توحيد العبادة _ فاستدلال الشيخ واضح واعتاده على الكتاب والسنة صريح.

«القاعدة الثانية»:

انهم يتوسلون بمعبوداتهم إلى الله ويتشفعون بهم ومع ذلك حكم عليهم القرآن بالكفر، فدل على أن المطلوب أن يعبدوا الله مباشرة دون واسطة، وأن يطلبوا منه شفاعة نبيهم لهم.

⁽۱۷۱) يونس أية ٣١.

واستدل على أن شفاعة الأنبياء والأولياء والصالحين والملائكة لا تطلب إلا من الله، وأنه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، ثم استدل على ذلك كله بآيات قرآنية منها قوله تعالى: « وَالَّذِينَ ٱتَّحَدُواً مِن دُونِهِ مَ أُولِياً مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى ٱللّهَ زُلَّفَى إِنَّ ٱللّهَ ﴾ « وَالّذِينَ ٱتَّحَدُواً مِن دُونِهِ مَ أُولِياً مَا نَعْبُدُهُمْ إِلّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى ٱللّهَ زُلُفَى إِنَّ ٱللّهَ كَالِيهُ لَا يَهْدِي مَنْ هُوكَاذِبٌ كَفّارٌ » أَي مَدْ مُوكَاذِبٌ كَفّارٌ » أَي مَدْ مُوكَاذِبٌ كَفّارٌ » أَي مَدْ مُوكَاذِبٌ كَفّارٌ » أَي مَا هُمْ فِيهِ يَحْتَلِفُونَ إِنَّ ٱللّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوكَاذِبٌ كَفّارٌ » أَي

ووجه الاستدلال أنه حكم على من اتخذ الواسطة بالكفر(١٧٢).

«القاعدة الثالثة»:

أن النبى صلى الله عليه وسلم ظهر على أناس متفرقين فى عباداتهم، منهم من يعبد الملائكة، ومنهم من يعبد الأولياء والصالحين، ومنهم من يعبد الأشجار والأحجار، ومنهم من يعبد الشمس والقمر، وقاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يفرق بينهم.

ومقصود الشيخ أن عبادة ما سوى الله على حد سواء بالكفر وبالمقاتلة للرجوع عن ذلك، ثم استدل على بطلان عبادة أى نوع من هذه المخلوقات بدليل من القرآن. «القاعدة الرابعة»:

فيها أن الشيخ حكم على أن شرك أهل زمانه أشد وأغلظ من شرك الأولين، لأن الأولين يشركون فى الرخاء ويخلصون فى الشدة، وأهل زمانه يشركون فى الرخاء والشدة، بل كلما اشتد عليهم الأمر ازدادوا لجوء وتضرعاً ودعاء لمعبوداتهم، ثم استدل بقوله تعالى: «فَإِذَا رَكِبُواْ فِى ٱلْفُلْكِ دَعُواْ ٱللَّهَ مُحْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَنْهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ " (١٧٧) .

فهل ينكر وجه الاستدلال واعتاد الشيخ على الكتاب والسنة إلا مكابر ومعاند.

⁽١٧١م) سورة الزمر اية ٣ .

⁽۱۷۲) راجع القواعد الأربع في القسم الأول من مطبوعات الجامعة من مؤلفات الشيخ في العقائد ص ١٩٧ تجد ذلك واضحا جليا وأن الشيخ لم يأت بشي من بنات أفكارد ولا استوردها من غيره.

⁽١٧٣) سورة العنكبوت اية ٦٥ .

الفصل السادس

ما ورد في مؤلفه كتاب

« فضل الإسلام » من اعتاده على الكتاب والسنة

ومن الأمثلة على اعتاد الشيخ في دعوته على الكتاب والسنة ما جاء في مؤلفة «فضل الإسلام»:

١ _ استدل على فضل الإسلام بقوله تعالى:

« ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَنْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا » (١٧٤)

ووجه الاستدلال على فضل الإسلام أن الله رضيه لنا دينا ندين الله به، ونتقرب به إليه، فلو كان هناك وسيلة أفضل من الإسلام لرضيها لنا.

ثم استدل الشيخ رحمه الله على فضل هذا الأسلام الذى رضيه لأمة محمد ديناً، أن ضلت اليهود والنصارى عن يوم الجمعة أفضل أيام الأسبوع، وهدى أمة محمد صلى الله عليه وسلم لهذا اليوم ليكون لهم عيد الأسبوع ـ لذا قال عليه الصلاة والسلام «نحن الآخرون السابقون» من حديث أبى هريرة الذى أخرجه البخارى (١٧٥).

⁽١٧٤) المائدة اية (٣).

⁽١٧٥) أخرجه البخاري في كتاب الوضوء حديث رقم ٢٣٨ جـ ٣٤٥/١٠.

٢ _ قال رحمه الله _ باب وجوب الإسلام _ ثم استدل على ذلك بقوله تعالى: (١٧٧) (١٧٦)

« وَمَن يَبْتَغ غَيْرًا لإِسْلَامٍ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْآنِحَةِ مِنَ ٱلْخَلْسِرِينَ »

فلو لم يكن الأسلام واجباً لما حكم بالخسران على من ابتغى غيره، ولا نفى قبول غيره، ومن السنة استدل بحديث عائشة رضى الله عنها عن رسول الله قال: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد» متفق عليه.. (۱۷۸)

فدل على وجوب الإسلام حيث حكم عليه الصلاة والسلام برد الأعمال التى ليست على أمره _ راجع وجوب الإسلام ص ٢٠٧ من كتاب فضل الإسلام للشيخ محمد بن عبدالوهاب.

٣ _ قال: باب تفسير الإسلام.. ثم استدل بقوله تعالى:

« فَإِنْ حَاجُوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ » (١٧٩).

فدلت الآية على أن الإسلام معناه..

الاستسلام والانقياد كها قال تعالى:

«بَكَيْ مَنْ أَسْلَمُ وَجْهَةُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ» (١٨٠)

⁽١٧٦) أل عمران ٨٥.

⁽١٧٧) راجع القسم الأول في العقائد من مؤلفات الشبيخ ص ٢٠٦.

⁽۱۷۸) رواه مسلم بهذا اللفظ في كتاب الاقضية حديث رقم ۱۷۱۸ جـ۱۳٤٣/، ورواه البخارى في كتاب الاعتصام معلقاً حديث ۲۰ جـ۳١٧/١٣.

⁽۱۷۹) ال عمران ۲۰.

⁽١٨٠) البقرة ١١٢ .

ومن السنة من حديث عمر رضى الله عنه أن السائل قال للرسول: ما الإسلام: فقال: «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتى الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا».

ففسر الإسلام بهذه الأعيال، وهكذا إذا قرأ المنصف هذا المؤلف ـ أعنى فضل الإسلام ـ وجد وضوح الاستدلال ومطابقته للترجمة وأن استدلالـ بالكتـاب والسنة.

الفصل السابع

فيما ألفه فى أصول الإيمان

ومن مؤلفات الشيخ رحمه الله «أصول الإيمان»، عنون لكل أصل واستدل عليه، وهاك نموذجاً من استدلالاته على تراجمه وعناوينه، وإن أردت المزيد فراجع القسم الأول في العقائد من مؤلفات الشيخ التي طبعتها جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

۱ _ قال رحمه الله: باب معرفة الله والإيمان به، ثم ساق حديث أبى هريرة الذى رواه مسلم، وفيه أن الله يقول: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً وأشرك معى فيه غيرى تركته وشركه» (۱۸۱).

فمن عرف الله حق المعرفة وأمن به أخلص فى عبادته، ولم يشرك معه غيره، وعلى هذا فاستدلال الشيخ بالحديث واضح، وهكذا استمر فى سرد الأدلة على وجوب معرفة الله والإيمان به، راجع قسم العقائد من مؤلفاته ص ٢٢٩.

٢ _ قال: باب الإيمان بالقدر، ثم استدل بجملة أيات منها:

« وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقَدُورًا »(١٨٢)

فإذا كان مقضياً وجب الإيمان به، كما قال تعالى:

«إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَى أَوْلَيْكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ » (١٨٣).

والأدلة على هذا المعنى _ أي الإيمان بالقدر كثيرة _ ساق الشبيخ منها جملة

and the second of the second o

⁽١٨١) رواه مسلم في كتاب الزهد والرقائق حديث رقم ٢٩٨٥ جـ ٢٢٨٩/٤.

⁽١٨٢) الأحزاب آية ٣٨.

⁽١٨٣) الأنبياء آية ١٠١ .

يستنير بها العاقل المنصف ويقوى بها إيمان المؤمن، ويعرف من خلالها أن عدم الايمان بالقدر مخل في أصول الايمان، بل ومناف له.

٣ - الإيمان بالملائكة من أصول الإيمان كها ترجم الشيخ لذلك ص ٢٤٨ من القسم
 الأول «العقائد» من مؤلفات الشيخ، استدل رحمه الله بقوله تعالى:

«لَّيْسَ ٱلْبِرَّأَن تُولُواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ الْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَكِنَ ٱلْبِرَّ مَنْ الْمُعْرِبِ وَٱلْمَكْيِكَةِ وَٱلْكِتَنْبِ وَٱلنَّبِيِّيَنَ » (١٨٤). عَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْبَيْتِيَنَ » (١٨٤).

والاستدلال من الآية واضح على وجود ملائكة ، والإيمان بهم إذ لو لم يوجدوا لما وجب الإيمان بهم.

عن أصول الإيمان «الإيمان بالقرآن وسائر الكتب المنزلة» ولما كان الأخذ بالقرآن واجباء عنون الشيخ بهذا العنوان «باب الوصية بكتاب الله» لأنه المهيمن على الكتب السابقة، فهى وإن وجب الإيمان بها فالعمل بالقرآن لهيمنته عليها.

ثم استدل الشيخ بقوله تعالى:

« أَتَّبِعُواْ مَآ أَنزِلَ إِلَيْكُمْ مِن رَّيِكُمْ وَلَا نَتَبِعُواْ مِن دُونِهِ ۗ أُولِيَآءَ قَلِيلًا مَا تَذَكِّوُنَ » (١٨٥).

ووجه الاستدلال واضح حيث أمر باتباع الكتاب، والأمر للوجوب ونهى عن اتباع غيره، والنهى للتحريم.

وهكذا كلما استمر القارى مع هذا المؤلف للشيخ _ أعنى _ أصول الإيمان- وجد الأدلة مطابقة للتراجم، وهي من الكتاب والسنة، فلا حجة لمن أنكر اعتاد الشيخ على الكتاب والسنة.

⁽١٨٤) البقرة اية ١٧٧ .

⁽١٨٥) الأعراف اية ٣.

الفصل الثامن

وجوب اعتقاد حق الرسول صلى الله عليه وسلم

واستدلاله على ذلك

ومن أصول الإيمان وجوب اعتقاد حق الرسول صلى الله عليه وسلم، واستدل الشيخ رحمه الله على ذلك بعدة أدلة منها:

ما يدل على طاعته بأسلوب الأمر، ومنها أن جعل طاعته سبباً للرحمة، أما الأولى فقوله تعالى:

«يَنَأَيُّهَ اللَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُولِي ٱلْأَمْنِ مِنكُرُ فَا فَإِن تَنْنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْاَيْرِ فَالْيَابُ اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الْالْاَيْرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأُو يلاً »(١٨٦).

وأما الثاني ففي قوله تعالى:

«وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوْةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكُوةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُوتَمُونَ »(١٨٧).

واستدل أيضاً بقوله تعالى:

« وَمَآ ءَاتَنْكُو ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُرُ عَنْهُ فَٱنْتَهُوا ۗ » (١٨٨).

⁽١٨٦) النساء اية ٥٩.

فمن حقوق الرسول صلى الله عليه وسلم الأيمان بما جاء فى هذه الآيات، وكما فى الحديث الذى رواه مسلم عن أبى هريرة «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، ويؤمنوا بى وبما جئت به».

فجعل من حقه الإيمان بما جاء به، وهذا أكبر دليل على اعتاد الشيخ على الكتاب والسنة.

الفصل التاسع

في لزوم السنة والتحذير من البدع واستدلاله على ذلك

ومن أصول الإيمان لزوم السنة والترغيب فى ذلك، وترك البدع والتفرق والاختلاف والتحذير من ذلك، كما ترجم الشيخ بهذا اللفظ، ثم استدل بأدلة واضحة على ما ترجم له، منها قوله تعالى:

«لَّقَدْ كَانَ لَكُرْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أَسْوَةً حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرُ اللَّهَ كَثِيرًا» (١٨٩٠).

وحديث العرباض بن سارية قال:

«وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة وجلت منها القلوب وفيه وإياكم ومحدثات الأمور».

راجع أصول الإيمان _ القسم الأول من مؤلفات الشيخ طبعة الجامعة ص ٢٦٢ .

⁽١٨٩) الأحزاب أية ٢١ .

الفصل العاشر

في وجوب عداوة أعداء الله واستدلاله على ذلك

قال رحمه الله: باب في وجوب عداوة أعداء الله من الكفار والمرتدين والمنافقين، قول الله تعالى:

«وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَنْبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَنِ اللَّهِ يُكْفَرُبِهَا وَيُسْتَهُزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ »

> وقوله تعالى: «يَنَأَيُّهَا ٱلَّذِينِ ، امَنُواْ لَا نَتَخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّ كُرِّ أَوْلِيَآ ، ١٩١٠).

وساق رحمه الله نصوصاً كثيرة في هذا الموضوع، واستدلالاته من هاتين الآيتين واضح في اعتاده على الأدلة.

⁽١٩٠) النساء آية ١٤٠ .

⁽١٩١) المتحنة آية ١ .

الفصل الحادي عشر

من كتابه «مسائل الجاهلية»

ومن تأليفاته رحمه الله «مسائل الجاهلية» التى خالف فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عليه أهل الجاهلية الكتابيين والأميين، عها لا غنى للمسلم عن معرفتها، فالضد يظهر حسنه الضد، وبضدها تتبين الأشياء. فأهم ما فيها وأشدها خطراً عدم إيمان القلب بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، فإن أضاف إلى ذلك استحسان ما عليه أهل الجاهلية، لحقت الخسارة، كها قال تعالى:

« وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْبَطِلِ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ أَوْلَيْبِكَ هُمُ ٱلْخَلَسِرُونَ »(١٩٢).

وننقل لك أيها القارى نموذجاً من هذه المسائل لتتأكد من اعتاد الشيخ على الكتاب والسنة في جميع مؤلفاته:

المسألة الأولى: أنهم يتعبدون بإشراك الصالحين في دعاء الله وعبادتهم لهم، يريدون بها شفاعتهم عند الله لظنهم أن الله يحب ذلك، وأن الصالحين يحبونه، كها قال تعالى:

« وَ يَعْبُدُونَ مِن دُونِ آللَهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَنَّوُلَآءِ شُفَعَنَّوُنَا عِندَ آللَهِ » (١٩٣).

⁽١٩٢١) العنكبوت اية ٥٣.

١٩٣١) يونس اية ١٨١) .

وقال تعالى:

«وَالَّذِينَ اتَّخَذُواْ مِن دُونِهِ } أَوْلِيآ عَمَانَعُبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَق »(١٩٤)

وهذه أعظم مسألة خالفهم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأتى بالإخلاص، وأخبر أنه دين الله الذى أرسل به جميع الرسل، وأنه لا يقبل من الأعمال إلا الخالص، وأخبر أن من فعل ما استحسنوا فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار.

وهذه المسألة تفرق الناس لأجلها بين مسلم وكافر، وعندها وقعت العداوة ،ولأجلها شرع الجهاد، كما قال تعالى:

المسألة الثانية : أنهم متفرقون في دينهم، كما قال تعالى:

المسألة الثالثة: أن مخالفة ولى الأمر وعدم الانقياد له عندهم فضيلة، والسمع والطاعة له ذل ومهانة.

فخالفهم رسول الله وأمر بالصبر على جور الولاة، وأمر بالسمع والطاعة والنصيحة لهم، وغلظ في ذلك وأبدى فيه وأعاد.

وهذه الثلاث جمع بينها الرسول في الصحيحين أنه قال: «إن الله يرضَى لكم ثلاثاً:

⁽١٩٤) سورة الزمر اية ٣.

⁽١٩٥) سورة البقرة اية ١٩٣.

⁽١٩٦) الروم اية ٣٢ .

أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم» (١٩٧٠).

ولم يقع خلل فى دين الناس ودنياهم إلا بسبب الإخلال بهذه الثلاث أو بعضها، فهذه المسائل الثلاث من مائة وثهان وعشرين مسألة كلها على هذا النمط من حيث الاستدلال بالكتاب والسنة.

⁽١٩٧) أخرجه مسلم في كتاب الأقضية حديث رقم ١٧١٥ جـ١٣٤٠/٣ وليس فيه (وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم). وأخرجه مالك في الموطأ بهذا اللفظ في كتاب الكلام حديث ٢٠ جـ١٩٩٠/٠

الفصل الثانى عشر

ستة موضوعات من السيرة لها صلة قوية بأسس الدعوة

من مؤلفات الشيخ رحمه الله ستة موضوعات من السيرة كلها باستناد من الكتاب والسنة، وأنقل لك موضوعاً من هذه الموضوعات «قال رحمه الله _ الموضوع الثانى _ أنه صلى الله عليه وسلم لما قام ينذرهم عن الشرك، ويأمرهم بضده وهو التوحيد، لم يكرهوا ذلك، واستحسنوه، وحدثوا أنفسهم بالدخول فيه إلا أنه لما صرح بنبذ دينهم، وتجهيل علمائهم، حينئذ شمروا له ولأصحابه عن ساق العداوة وقالوا؛

سفه أحلامنا، وعاب ديننا، وسب الهتنا، ومعلوم أن الرسول لم يسب عيسى وأمه ولا الملائكة ولا الصالحين، ولكن لما ذكر أنهم لا يدعون ولا ينفعون ولا يضرون، جعلوا ذلك سباً وشتاً _ فإذا عرفت هذا عرفت أن الإنسان لا يستقيم له إسلام ولو وحد الله وترك الشرك إلا بعداوة المشركين، والتصريح لهم بالعداوة والبغض كما قال تعالى:

«لَا تَجِدُ قُومًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآذُونَ مَنْ جَآدَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ, وَلَوْ كَانُواْ عَابَآءَهُمْ أَوْ أَبِنَآءَهُمْ أَوْ إِخُواْ بَهُمْ أَوْ عَشِيرَتُهُمْ أَوْلَنَتِ لَكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَانَ وَأَيْدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْ فَوَيْدَ خِلُهُمْ جَنَّتِ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ خَلِدِينَ فِيهَارَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ أَوْلَنَبِكَ حِرْبُ ٱللَّهِ أَلاّ إِنَّ حِرْبُ ٱللَّهِ

⁽١٩٨) المجادلة أية ٢٢.

الفصل الثالث عشر

من مؤلفاته تلقين أصول العقيدة للعامة على طريقة السؤال والجواب

ومن مؤلفاته رحمه الله (تلقين) أصول العقيدة للعامة على طريقة السؤال والجواب بالدليل بعد توضيح المعنى، وهذه الرسالة توجد فى المجلد الأول قسم العقيدة من مؤلفات الشيخ التى طبعتها الجامعة ص ٣٧٠،وهى رسالة عظيمة وقواعد ثابتة لا مدخل للتقليد ولا للاجتهاد، بل كل سؤال وجواب مصحوب بالاستدلال، وهاك نموذجا منها:

المثال الأول: أولا قال رحمه الله (إذا قيل لك من ربك؟ فقل ربى الله، فإذا قيل لك: ما أكبر ما ترى من مخلوقاته؟ فقل: السموات والأرض، فإذا قيل بماذا تعرفه به؟ فقل: أعرفه بآياته ومخلوقاته، وإذا قيل لك ما أعظم ما في آياته؟ فقل: الليل والنهار ،والدليل على ذلك...

«إِنَّ رَبَّكُو اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِنَّة أَيَّامِ ثُمَّ اَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْضِ يُعْشِى اللَّهُ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرُ وَالنَّجُومَ عَلَى الْعَرْضِ يُغْشِى اللَّهُ النَّهُ النَّهُ النَّهُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ» (١٩٩١) مُسَخِّرَاتٍ بِأَمْرِهِ عَلَيْنِ اللَّهُ الْخَالُقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ» (١٩٩١)

المثال الثاني: فإذا قيل لك: لأى شي خلقك؟ فقل: لعبادته، فإذا قيل لك ما الدليل على ذلك؟ فقل قوله تعالى:

⁽١٩٩) الأعراف ابة ٥٤ . (٢٠٠) الذاريات ابة ٥٦ .

المثال الثالث: وإذا قيل لك: أى شي فرض أولا عليك؟ فقل: كفر بالطاغوت وإيان بالله، والدليل على ذلك قوله تعالى:

«لَآ إِحْدَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَبَيْنَ الرَّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَهَن يَكْفُرْ بِالطَّعْفُوتِ وَيُؤْمِنُ الْغَيِّ فَهَن يَكْفُرْ بِالطَّعْفُوتِ وَيُؤْمِنُ إِللَّهِ فَقَدِ السَّنَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَكَ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ » (٢٠١).

وهكذا استوفى الشيخ رحمه الله الأصول التلاثة وهى: معرفة الرب _ ومعرفة الإسلام _ ومعرفة النبى محمد صلى الله عليه وسلم، بهذه الطريقة وبطريقة السؤال والجواب، وبعد قراءتها يتضح لنا أن الشيخ بين دعوته وفقهها للخاص والعام، وأنها قائمة على الكتاب والسنة.

⁽۲۰۱) البقرة إية ٢٥٦ .

الفصل الرابع عشر

في معنى الطاغوت

وقال رحمه الله: (معنى الطاغوت ورءوس أنواعه).

اعلم رحمك الله تعالى أن أول ما فرض الله على ابن آدم الكفر بالطاغوت، والإيمان بالله، والدليل قوله تعالى:

ثم استمر رحمه الله يشرح معنى الكفر بالطاغوت ـ ومعنى الطاغوت ـ والدليل على كل معنى، ومن شك في هذا الاستدلال فليراجع ص ٣٧٦ من قسم العقيدة من مؤلفاته. ومؤلفاته ورسائله كثيرة جداً ومصحوبة بالأدلة، ولعلنا نكتفى منها بهذا المقدار، وجزى الله من تسبب في جمعها وطبعها خير الجزاء.

⁽٢٠٢) النحل آية ٣٦.

الفصل الخامس عشر

فى كتابه « الكبائر »

من مؤلفات الشيخ رحمه الله ما أسهاه «بالكبائر»، وشمل بذلك كبائر القلوب واللسان والأعمال، فنص على كل كبيرة بعنوانها ودليلها، والمراد بها عند جمهور العلهاء ما تنقص الإيمان ولا تخرج منه، وفى الآخرة تحت مشيئة الله ولا يخلد صاحبها فى النار، وإليك الأمثلة من هذه الكبائر لتعرف أن الشيخ رحمه الله يعتمد فى مؤلفاته على الكتاب والسنة.

المثال الأول: استدل على وجود الكبائر وأنها غير الشرك والكفر بقوله تعالى:

« ٱلَّذِينَ يَجُنِّ نِبُونَ كَبَنِهِ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوْ حِشَ إِلَّا ٱللَّمَ إِنَّ رَبَّكَ

وَ اسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ » (٢٠٣).
وقوله تعالى:

«إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَايٍ مَا تُنْهُونَ عَنْهُ نُكَفِّرِ عَنكُرْ سَيِّعَاتِكُمْ » (٢٠٤)

فدلت هاتان الآيتان على أن في الذنوب كبائر غير الشرك، لأن الشرك لا يغفر لصاحبه إن مات عليه.

المثال الثانى: كبائر الأعهال-قال الشيخ-باب أكبر الكبائر-ثم استدل بحديث أبى بكر رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قلنا: بلى يارسول الله قال: الإشراك بالله وعقوق الوالدين وكان متكناً فجلس فقال: ألا وقول الزور، فها زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت» (٢٠٠٠ ودلالة هذا الحديث واضحة على ما عنون له الشيخ وهو أكبر الكبائر،

⁽۲۰۳) النجم ۳۲ (۲۰۳) النساء ۱

⁽٢٠٥) رواه البخارى في كتاب الشهادات حديث رقم ٢٦٥٤ جـ٥/٢٦١، ومسلم في كتاب الإيمان حديث ٨٧ جـ٩١/١٩.

المثال الثالث: على كبائر القلب، واستدل رحمه الله بحديث أبى هريرة الذى أخرجه مسلم: «إن الله لا ينظر إلى صوركم، ولا إلى أجسامكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعيالكم »(٢٠٦) وحديث النعيان بن بشير «ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب »(٢٠٧).

فدل هذان الحديثان على أن القلب أساس الأعمال والأقوال وأنه مبنى على المؤاخذة والمجازاة.

وهكذا استمر الشيخ في بيان الكبائر وجمعها، وإن دل هذا فإنما يؤكد على أنه كاشف وموضح ما جاء في الكتاب والسنة (٢٠٨).

⁽٢٠٦) رواه مسلم في كتاب البرأ والصلة حديث [٢٥٦٤]،واحمد في المسند ٢٨٥/٢

⁽۲۰۷) رواه البخاري في كتاب الايمان حديث رقم (۲۰۱)

⁽٢٠٨) راجع كتاب الكبائر ـ المجلد الأول في العقائد والآداب والأخلاق من مؤلفات الشيخ

الباب الرابع

فى مؤلفات الشيخ فيا عدا العقائد وفيه تمهيد وعشرون فصلاً

التمهيد:

الغرض من هذا الباب ما يأتى:

- ١ ـ لفت نظر المسلم إلى فقه هذا الإمام في العقيدة والفروع.
- ٢ إيقاف القارى على بعض مؤلفاته في غير العقيدة ليتضح له صلتها بالكتاب
 والسنة .
- ٣ الإشارة إلى الفنون الشرعية التى خاض فيها الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وأن كل فن قد ألبسه حليته من الكتاب والسنة أو ما هو مستمد منها.

الفصل الأول

في مؤلفات الشيخ في الحديث

لقد اعتنى الشيخ محمد بن عبدالوهاب بجمع الأحاديث وتبويبها في موضوعات شتى منها ما هو عام كنصيحة المسلمين وبيان فضل الإسلام، ومنها ما هو خاص في العقائد كأصول الإيمان، أو خاص بالكبائر لاسيا الكبائر التى هى من أعمال القلوب، وقد تقدم الإشارة إلى هذه المؤلفات في هذه الفنون في الباب الثالث، ومنها ما هو خاص في الأحكام ومنها ما هو خاص في الفتن والحوادث.

واشتدت عناية الشيخ محمد بن عبدالوهاب لجمع أحاديث الأحكام على أبواب الفقه كما سبقه غيره من الأثمة، وهذا دليل واضح على أن الفقه لا يستغنى عن الحديث. فسار على أبواب الفقه، وجمع فى كل باب من أبوابه جملة أحاديث من الأحكام.

والهدف من كتابة هذا إيضاح عناية الشيخ بالكتاب والسنة عقيدة وفقها، فبدأ بكتاب الطهارة إلى آخر موضوعات الفقه مما يتعلق بالقضاء ووسائل الاثبات، ثم ختم ما جمعه من أحاديث الأحكام بمجموعة أحاديث في الطب، وهذا المجموع في أحاديث الأحكام كان مخطوطاً، وطبعته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في أربع مجلدات بلغ مجموع الأحاديث (٤٥٥١) أربعة آلاف وخسمائة وواحد وخمسين حديثاً. فاستوفى جميع أبواب الفقه على ترتيب الفقهاء في العبادات والمعاملات.

وإليك يا أخى القارى أمثلة توضح طريقة الشيخ في جمع أحاديث الأحكام مما يبرهن اعتاد فقهه دائهاً في العبادات والمعاملات على السنة.

أولاً: ذكر في الطهارة في باب المياه جملة أحاديث دلت على ما ينجس به الماء الطاهر وطهارة البحر، وأن الماء المستعمل لا ينجس، والنهى عن تنجيس الماء الراكد أو تقذيره حسب القلة أو الكثرة، وحكم استعمال الرجل لفضلة المرأة، وغسل اليدين بعد نوم الليل

قبل غمسهما في الإناء، وجواز الوضوء من ماء زمزم، واستعمال الماء الحار.

وهذه الأحكام الفقهية كثيراً ما يذكرها الفقهاء عارية عن الدليل، ومنهم من يذكرها ثم يذكر الدليل، فالشيخ عمد إلى أدلة الفقهاء فجمعها في هذا الباب، ثم استوعب جميع أبواب الطهارة سالكاً هذه الطريقة وهي باب الآنية، باب التخلى، باب السواك، باب الوضوء، باب المسح على الخفين، باب نواقض الوضوء، باب التيمم، باب إزالة النجاسة، وباب الحيض.

فهل ترى تصويب من رماه بالتعصب وهو على هذه الطريقة، إن المتعصب هو الذى يأخذ أقوال الإمام بغض النظر عن الدليل.

وهذا أبعد ما يكون عن إمامنا الشيخ محمد بن عبدالوهاب.

ثانياً: وذكر في الصلاة الأدلة على وجوبها وفرضيتها، ومتى فرضت، وأنه لا يتم الإسلام إلا بإقامتها.

وذكر أن من صلى عصم دمه وماله ظاهراً وأن الباطن إلى الله، وذكر ما يدل على حكم تاركها وأنه كفر، واستدل على أهميتها وأنها أول ما يحاسب عنها يوم القيامة، واستدل الشيخ على ما يسقط وجوب الصلاة أو يسقط صحتها، كما استدل على وقت إبتداء الأمر بالصلاة عما يدل على أنها آكد الأعمال في الإسلام وأهمها.

واستدل على حكم من فوت وقت الصلاة بعذر أو بغير عذر، ومتى تقضى ومتى لا تقضى.

فها أعظمه من فقه.

كها استمر في سائر موضوعات الصلاة على أبواب الفقه، وأذكر لك عناوين الموضوعات التي ذكرها واستدل عليها وهي عناوين الفقهاء.

باب الآذان، باب المواقيت، باب ستر العورة، باب اجتناب النجاسة، باب استقبال القبلة، باب النية، باب صفة الصلاة، وباب سجود السهو.

الفصل الثاني

في فضائل الأعمال

مما يدل على فقه هذا الإمام أنه ذكر جملة أحاديث بلغت (٢٩) تسعة وعشر ون حديثاً في فضائل الأعمال، وجعل موضعها بعد ذكر حكم الصلاة وما يشترط لها، وصفتها وسجود السهو لها، وصنيعه هذا لم يسبقه أحد ممن اطلعت على مؤلفاتهم في جميع أحاديث الأحكام.

وأشار في هذا الباب إلى ما يتصل بفضل أركان الإسلام والإيمان بالله وما يتصل بالمخلوقين، وما يتصل بالأموال، وما فعله فضيل، وما تركه فضيل، وما يؤجر به على نيته إذا فاته عمله.

ففقه إمامنا في هذا الموضوع مما يدل على الرغبة الأكيدة والفقه العميق، وذلك لما يأتى:

- ١ _ اختياره للأحاديث الصحيحة والمحتج بها.
 - ٢ ـ إيمانه الواضح بوعد الله ووعد رسوله.
- ٣ انه أراد بذلك أن يرغب المسلم فى الأعمال الصالحة بحيث أنه لا يعملها لمجرد أنها لازمة فقط، فاللازم لا محيد عنه، ولكن من قام بهارغبة فى الثواب المرتب عليها، نال رضى الله وأدى الواجب، وتحصل على الثواب، وسلم من العقاب.
- ٤ مما يدل على فقه الشيخ في هذا الباب شمول هذه الأحاديث التي ساقها لشتى
 مجالات الأعمال فعلاً وكفاً،حقاً للخالق أو للمخلوق أو للنفس.

«انظر المجلد الأول في الحديث صفحة ٥٥٣»

الفصل الثالث

في صلاة التطوع

ومن فقه هذا الإمام أن جمع أحاديث في الصلاة غير المفروضة يبلغ عددها (٦٨) ثمانية وستون حديثاً اشتملت على النقاط التالية:

- ١ _ ما تأكد التطوع به من الصلوات، كرواتب الفرائض والوتر.
- ٢ ـ ما هو مستحب في بعض الأوقات كصلاة الضحى والتنفل قبل العصر وصلاة الليل.
 - ٣ ـ بيان أوقات المؤكد من صلوات التطوع.
 - ٤ بيان ما استحبت قراءته في بعض صلوات التطوع.
 - ٥ _ صفة التنفل المطلق في الليل أو النهار.
- ٦ بيان فضل التراويح في رمضان، وفضل الاجتاع فيها، وعدد ركعاتها، ومن أول
 من جمع الناس على إمام واحد لها. وغير ذلك.

وهذه وتلك مما يدل على فقه هذا الإمام .

«راجع المجلد الأول في الحديث صفحة ٥٦٨»

الفصل الرابع

في فقه الشيخ محمد بن عبدالوهاب في قراءة القرآن

وبعد أن ساق شيخنا محمد بن عبدالوهاب أحاديث الأحكام في صلاة التطوع،أعقبه بمجموعة أحاديث تتضمن الفقه في قراءة القرآن، منها ما يدل على جواز القراءة مع ملامسة الحائض، ومنها ما يدل على ترتيل القرآن وكراهية الهذ له كهذ الشعر وأنه لا ينفع إلا إذا رسخ في القلب، ومنها ما يدل على التسبيح في القرآن فيسبح عند آية التسبيح ويتعوذ عند آية الوعيد، ويسأل الله من فضله عند آية الوعد، ومنها أن قارى القرآن لا يتكلم حتى يفرغ منه، ومنها ما يدل على فضل القراءة ومقدار هذا الفضل، ومنها ما يدل على فضل سياع القرآن من غيره، ومنها ما يدل على كراهية التطريب للقرآن، ومنها ما يبين كيفية القراءة جهراً وإخفاء ونطقاً وتكراراً عندما تقتضي الحال ذلك.

كما ردد صلى الله عليه وسلم قوله: «إن تعذبهم فإنهم عبادك» حتى أصبح.

وذكر المؤلف آثاراً تدل على قراءة الناس بصوت واحد، ونهى من نسى شيئاً من القرآن لا يقول نسيت بل يقول أنسيتها.

ومنها ما يدل على تحريم القول في القرآن بغير علم، وأنه لا يقرب بعضه لبعض. وأن ما علم منه يقال وما جهل فيرد إلى عالمه.

ومنها ما يدل على عدم الغلو في القرآن وعدم جفوته وعدم التأكل به والاستكثار به، ومنها ما يدل على توقيت لقراءة القرآن كله بحيث يُفهم من هذا التوقيت عدم الغلو وعدم الجفوة.

ومن آداب قراءة القرآن عدم الإحداث والتثاؤب وهو يقرأ، واستدل الشيخ على ذلك من السنة.

ومن فقه هذا الباب أن ذكر شيخنا أنه يكره تأول شي من القرآن بأمر من أمور الدنيا.

ومن فقهه أيضاً التأدب بطريقة السؤال عن الآية بحيث يقرأ السائل الآية ويقف عند ما أشكل عليه ولا يقل هل هذه الآية كذا وكذا فإنه يلبس على المسئول.

فها أعظمها من دلالة على فقه شيخنا لهذه الأحاديث.

وساق شيخنا آثاراً تدل على فضل ختم القرآن والدعاء عند ختمه.

ولسجود التلاوة وسجود الشكر فقه وآداب،ذكر عليها المؤلف جملة من الأحاديث كبيان مواضع سجود التلاوة في القرآن، وسجود القارى والسامع والمصلى وغير المصلى وأن غير القاصد للاستاع لا يسجد، وأن سجود التلاوة ليس بلازم، وأنه يقوم ثم يخر ساجداً.

والدعاء أثناء سجود التلاوة، وأنهم إذا كانوا جماعة فالقارى هو الإمام وأن حكمها حكم النفل في السفر، ومن هذه الآثار ما يدل على أنها ليست صلاة.

وبين سجود الشكر متى يكون وما يدل على مشر وعيته.

ثم بين شيخنا أوقات النهى عن الصلاة وما يكره فيه دفن الموتى.

فمثل هذه الأحاديث في هذه الموضوعات يعز على غير الفقيه جمعها، ثم استمر الشيخ يجمع أحاديث صلاة الجهاعة والإمامة وأهل الأعذار، والخوف، والجمعة، والعيدين، والكسوف، والاستسقاء، وصلاة الجنائز.

ولم أتعرض لفقه هذه الأبواب كبعض الأبواب السابقة فى الطهارة وأول الصلاة مثل ما عرضت فقه فضل الأعمال، وصلاة التطوع وقراءة القرآن، لكون منهجه فى هذه الأبواب الأخيرة فيه شي من المغايرة عن منهج الفقهاء.

الفصل الخامس

في الزكاة

لما أنهى الشيخ جمعه لأحاديث الأحكام والصلاة في الجملة، شرع يجمع أحاديث .أحكام الزكاة على منهج الفقهاء، ولم يكد يهمل مسألة من مسائل الفقهاء إلا ذكر دليلها.

وعناوين الأبواب توضح لك هذا المنهج، ويتضح لك أكثر حينا تقرأ الأحاديث تحت هذه العناوين، وهي كالتالي.

١ _ ابتدأ بما يدل على وجوب الزكاة.

٢ - زكاة بهيمة الأنعام، وهي أحد الأموال الزكوية، ثم فصل في بهيمة الأنعام، وهي الإبل والبقر والغنم.

٣ - زكاة الخارج من الأرض.

٤ - زكاة الأثمان.

٥ ـ زكاة العروض.

٦ _ زكاة الفطر.

٧ - باب الصدقة.

الفصل السادس

فى بر الوالدين وصلة الأرحام

مما غاير به الشيخ محمد بن عبدالوهاب سائر العلماء الذين جمعوا أحاديث الأحكام أنه يذكر بعض الموضوعات عقب ما يناسبها من أركان الإسلام، فمثلاً فضائل الأعمال وقراءة القرآن ذكرهما في الصلاة ، وبر الوالدين وصلة الأرحام ذكرهما عقب الزكاة، لأن البر والصلة غالباً ما تكون في الأموال.

فناسب ذكر ذلك تلو هذه العبادة المالية وهي الزكاة.

وهذا فقه فى محله ودلالة واضحة على عنايته بالنصوص سواء فيا يتصل بحق الله أو ما يتصل بحق الله أو ما يتصل بحق المخلوقين.

والمنصف يراجع هذا المؤلف للشيخ يجد هذا الفقه واضحاً من خلال جمع هذه الأحاديث.

الفصل السابع

في الصيام

ومن فقه إمامنا أنه جمع أحاديث أحكام الصيام تحت عناوين أبواب الفقه، وسلك منهجاً لم يسلكه من اطلعت عليه من مؤلفى أحاديث الأحكام، حيث صدر كتاب الصيام بذكر شيء من فضائله وخصائصه، وخصائص شهر رمضان.

وإذا استقرأت هذا المؤلف بعين البصيرة وطلباً للحقيقة، وجدت العناية الشديدة بأحاديث الأحكام التي يستدل بها الفقهاء.

وعناية الشيخ بجمعها أكبر دليل على حبه للسنُّة، فهل يرمى بالتعصب بعد ذلك؟!

الفصل الثامن

في المناسك (أي في الحج والعمرة)

منهج شيخنا في جمع الأحاديث المتعلقة بالحج والعمرة كالآتي : _

١ _ جاء بما يفيد فضل الحج والعمرة .

٢ _ جاء بما يدل على الوجوب .

٣ _ جاء بما يدل على اكتفاء النساء بحجة الفرض.

٤ - جاء بما يدل على جواز الحج عن الغير إذا عجز.

٥ _ جاء بما يدل على صحة الحج من الصغير وثواب من قام بمساعدته .

٦ _ جاء بما يشير إلى أن الرقيق لا يجزئه حجه عن حجة الإسلام بل يحج إذا أعتق.

٧ _ جاء بما يدل على شرط وجوب الحج وهو استطاعة السبيل وبيان المراد به .

٨ _ جاء بما يدل على فضل العمرة في رمضان، وعدد عمر النبي صلى الله عليه وسلم .

على المتراط المحرم لوجوب الحج على المرأة.

١٠ _ جاء بما يدل على المبادرة بأداء فريضة الحج.

١١ _ جاء بما يدل على رمى الجمرات عن الصبيان.

۱۲ ـ جاء بما يدل على تجريد الصبى من المخيط إذا حج به وليه، وأنه يطوف به محمولاً إذا لم يقدر على المشى.

١٣ _ جاء بما يدل على أن المسلم يحج عن نفسه أولاً ثم عن غيره ثانياً.

١٤ ـ جاء بما يدل على صحة حج المكارى، وبما يدل عليه من القرآن والسنة، وهو قوله

« لَيْسَ عَلَيْكُمْ جَنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُواْ فَضَلًا مِن رَبِّكُمْ »

وأن الرسول صلى الله عليه وسلم قد تلاها أو قرأها على السائل.

- ١٥ _ جاء بما يدل على الاكتفاء بحجة الإسلام عن النذر عن من نذر أن يحج .
- ١٦ جاء بما يدل على عدم دخول ديار المعذبين الذين ظلموا أنفسهم مخافة أن يصيبهم ما أصابهم إلا أن يكونوا باكين.
- [ولعل مناسبة هذا الموضوع للحج للتنبيه على الحجاج، حيث أنهم قد يمروا بديار الذين ظلموا أنفسهم فعذبوا].
- ۱۷ ـ جاء بما يدل على حمل الزاد في الحج وأنه لا يكفى التوكل ـ كما صنع أهل اليمن،
 فإذا وصلوا مكة أخذوا بسؤال الناس، فنزل قوله تعالى:

« وَتَرَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ » (البقرة ١٩٧)

- ۱۸ ـ جاء بما يدل على الاقتصاد في راحلة الحج وأثاثه وأنه لا يدل على الشح وإنما يدل على التواضع، وعدم المباهاه في الحج وأن يتخذه نزهة وترفهاً.
- ١٩ _ جاء بما يبين أشهر الحج،ويوم الحج الأكبر،وأن الإحرام قبل أشهر الحج ليس من السنة،وكذلك بين كراهية الاحرام قبل المواقيت المكانية.
 - ٢٠ _ جاء بما يدل على المواقيت المكانية.
 - ٢١ _ جاء بما يدل على سنية الاغتسال عند الإحرام.

ثم استمر شيخنا يجمع الأحاديث في أحكام الحج كمنهج من سبقه من الذين جمعوا أحاديث الحج.

ولقد أشرت إلى موضوعات الباب الأول لكونه منهج شيخنا اختلف عن غيره وعن منهج الفقه، حيث ذكر موضوعات في الباب الأول لم يتطرق إليها بعض الفقهاء ولا بعض من جمع أحاديث الأحكام.

الفصل التاسع

في الحج والعمرة

استوفى شيخنا جميع الموضوعات المتعلقة بالحج من حيث الإحرام ومحظوراته وما يتصل بالحرم والمدينة وما يزار فيها، وحينا ينظر المنصف إلى الأحاديث والآثار التي جمعها الإمام محمد بن عبدالوهاب فإنه يكاد يحكم أن شيخنا لم يفلت حكماً فقهياً إلا وأورد له دليلا من حديث أو أثر.

وهذا بلا شك يدل على عنايته بالأدلة وسعة فقهه وبعد نظره ورحمة الله عليه وسائر المسلمين ونفعنا الله بعلومهم.

ثم بوب الشيخ لدخول مكة كغيره، ولكنه تتبع أفعال الرسول صلى الله عليه وسلم في حجته، فذكر ما يدل على سنية الاغتسال عند الدخول، ومن أين وصل، وأين أناخ راحلته، وبأى شي بدأ في مكة وهو الطواف، وذكر ما يدل على صفة وعدد أشواطه وتقبيل الحجر أو استلامه، وما يدل على الطواف وجوازه، وبيان ما يستلم من الكعبة، وما يدل على فضل الحجر الأسود.

واستمر شيخنا في جمع أدلة صفة الحج منذ دخل الرسول مكة حتى آخر خطبه في أيام منى.

تضمنت هذه الأدلة جميع ما حصل من عمرة وحج وتمتع وقران وحل الإحرام بعد العمرة، والإحرام من مكة لمن حل وإقامته بمكة حتى اليوم الثامن الذى سار فيه إلى منى، وإقامته بمنى حتى سار إلى عرفة، ثم استدل على كل ما حصل بعرفة، وانصرافه منها، وصفة سيره أثناء الانصراف، ومبيته بمزدلفة وإفاضته إلى منى.

واستدل على كل ما حصل في يوم النحر، وفي أيام مني.

وحقاً إن هذه الأحاديث التي جمعها الشيخ مستوفية لأحكام الحج. وهذا مما يدل على فقه الشيخ رحمه الله.

الفصل العاشر

في الهدى والأضاحي والعقيقة

كل باب جمع فيه شيخنا أحاديث أحكامه يكاد القارى أن يستوفى مسائل الفقه فيه الستقصائه أحاديثه وآثاره وتطرقه لحكاية الإجماع عن ابن المنذر أحياناً.

وهذا الصنيع يدرك المنصف أنه لا يصدر إلا من فقيه بدأ بالأضاحى من رقم ٥٤٠ إلى ٦٤٦ من آخر العقيقة.

جاء بالأدلة على مشروعية الهدى، وصفته، وأسعاره، ونوعيته. وصفة نحره وذبحه وتوزيعه، وبيان وقته، وكذا الأضحية استوفى فقهها فى الأحاديث والآثار ثم العقيقة، وكذلك بيان ما يستحب من الأسهاء ومايكره. وما يستحب لغيره، وما غيره الرسول عليه الصلاة والسلام.. لايكاد القارى يفقد حكها فقهيا فى هذه الأبواب المفصلة بالذبائح، ومن أحب التأكد فليراجعه فى مجموعة هذه الأحاديث التى طبعتها جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

الفصل الحادي عشر

في الجهاد

مما يدل على فقه الشيخ سياقه أدلة الجهاد فى شتى أحكامه، فذكر فضله ومتى استحب الجهاد، وتفضيل بر الوالدين على جهاد التطوع، وعناية الإمام بالجيش عند تجهيزه، وحكم الإغارة على العدو وهو غافل، وبيان وقت ابتداء القتال، وحكم قتل الأطفال والنساء والشيوخ، وحكم نصيحة الأمير للرعية، وبيان أين يمشى الأمير من الجيش، وحكم الاستعانة بالمشرك.

وذكر وصية الإمام لرعيته، كوصية أبى بكر ليزيد بن أبى سفيان، وهى عشر أولها حكم المبارزة.

وبين معنى قوله تعالى:

« وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلنَّهُ لُكَّةِ »

وبين حكم قطع النخيل والتحريق بالنار.

وهكذا استمر شيخنا في سياق أدلة أحكام الجهاد حينا ذكر باب الجزية والهدنة، وأحكام الذمة. ولم يترك شيئاً مما ذكره الفقهاء إلا وجاء بدليله من السنة النبوية.

وبهذا تمت العبادات وعدد ما ذكر فيها من الأحاديث (٣٢٤٠) ثلاثة آلاف ومائتين وأربعين حديثاً كلها تدل على أحكام فقهية.

فلا دلالة أكبر من هذا على فقهه.

الفصل الثاني عشر

فى البيوع

ولما انتهى شيخنا من جمع أحاديث أحكام العبادات: شرع فى أدلة أحكام المعاملات وصدرها بالبيع،وهو عبارة عن طريق من طرق كسب الرجل عملاً كان أو مبيعاً، ثم نوع أدلة أعمال اليد فذكر دليل تأجير النفس، والوظيفة لعمل المسلمين، والأكل من كسب الولد، ثم استدل على فضل التجارة وفضل الصدق فيها،والأدلة على أسباب محق البركة. منها كثرة الحلف، وذكر الأدلة على أفضل الأمكنة وهى المساجد،وما يدل على ذم الأسواق والاستعداد لدخولها والتحذير بما يحدث فيها، وأن التجارة لا بأس بها فى البحر، حيث أن ركوبه لغير مصلحة منهى عنه.

وجاء بما يدل على أفضلية أوقات البيع والشراء، وما يدل على السهاحة فى البيع والشراء، وما يدل على الحلال الواضح والحرام الواضح، ليفعل هذا ويجتنب هذا، وأن الأفضل اجتناب الشبهة، ومخافة الوقوع فى الحرام، وبعض هذه النقاط التى تقدمت معظمها لم يشر إليها أكثر مؤلفى الفقه.

وشيخنا قدمها على أدلة أحكام البيع مما يحرم ويجوز لأهميتها .

ثم استمر يسرد أدلة البيوع المحرمة ، ثم استوفى موضوعات أبواب الفقه .

وهكذا استمر يذكر أدلة الأحكام الفقهية في الوقف، والوصايا، والنكاح والطلاق وما يتعلق بها، والنفقات، والجنايات، والحدود، والقضاء وما يتعلق به.

ثم ختم كتابه بأحاديث تتعلق بالطب.

والمقصود أن مجموعة هذه الأحاديث مستوفية لأدلة أحكام الفقه، ثم أن طباعة هذه المجموعة حظيت بتخريج الأحاديث والآثار وشرح الكلمات الغريبة، وكل موضوع فيه يدل على فقه شيخنا ومحبته للدليل ورغبته فيه، وجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خيراً.

الفصل الثالث عشر

من مؤلفات الشيخ

ومن مؤلفات الشيخ في الحديث «أحاديث الفتن والحوادث» صدَّرها بالأحاديث التي تحث على المبادرة إلى أداء الأعمال الصالحة، ثم استمر في ذكر ما سيقع بعد الرسول صلى الله عليه وسلم من الفتن وأشراط الساعة وأخبارها بما يتصل بالدجال وعيسى عليه السلام والدابة وغير ذلك.

جمع فى هذه المعانى مائتى حديث،طبعتها جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وحظيت بالتخريج والتعليق والدلالة الواضحة للقارى بأنها مأخوذة من الصحاح والسنن والمسانيد، وكل ذلك يوضح لنا اعتاد شيخنا بفقهه على الكتاب والسنة،والعناية بهما،فجزاه الله خيراً، وجزى القائمين على جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية خير الجزاء،وأثابهم على جمعهم لمؤلفات الشيخ، وطبع ما لم يكن مطبوعا، ووفق الله دولتنا إذ وافقت على ذلك.

الفصل الرابع عشر

فى رسائل الشيخ الشخصية

ويمكن للقارى المنصف الاطلاع على رسائل هذا الإمام اليتضح له محبته للدليل وإنكاره على من استشهد بالموضوعات أو الضعيف الذى لا أصل له، وإليك أخى القارى غوذجا من أجوبته في الرسائل الشخصية العله يدعوك إلى قراءتها كى تتأكد من الحقيقة ولاسيا لما تيسرت بسبب جمع الجامعة لها وطبعها قال في صفحة ١٨ من مجلد الرسائل الشخصية في الرسالة الثانية:

«جزمك بأن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «اطلبوا العلم ولو من الصين» فلا ينبغى أن يجزم الإنسان على رسول الله صلى الله عليه وسلم بما لا يعلم صحته، وهو من القول بلا علم، فلو أنك قلت وروى، أو ذكر فلان، أو ذكر في الكتاب الفلاني لكان هذا مناسباً، وأما الجزم بالأحاديث التي لم تصح فلا يجوز فتفطن لهذه المسألة فيا أكثر من يقع فيها). فيا ترى من هذا كلامه يقل اعتناؤه بالدليل ويذهب إلى التقليد.

الفصل الخامس عشر

فى كتابة الشيخ بالسيرة النبوية

واختصر الشيخ محمد بن عبدالوهاب ما كتبه قبله في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم كابن هشام، واعتنى بالشي الثابت الذي يعرفه القاري من خلال هذا المختصر، ويلمح الطابع العام لمنهج محمد بن عبدالوهاب في محبته الدليل في أي مؤلف كان، وقد قدم لكتابه «مختصر السيرة» مقدمة عظيمة موجزة مفيدة يُفهم منها الالتزام والتقيد بالشي الصحيح والمحتج به.

وإليك يا أخى المسلم جزء من هذه المقدمة لعله يشوقك إلى قراءة هذا المختصر لتجد الأدلة الواضحة والساطعة على اعتاد الشيخ دائها وفى جميع موضوعاته على الكتاب والسنة، حيث قال صفحة ٧، ٨:

(اعلم رحمك الله: أن أفرض ما فرض الله عليك معرفة دينك. الذي معرفته والعمل به سبب لدخول النار.

ومن أوضح ما يكون لذوى الفهم: قصص الأولين والآخرين؛ قصص من أطاع الله وما فعل بهم.

فمن لم يفهم ذلك، ولم ينتفع به فلا حيلة فيه. كما قال تعالى:

« وَكُرْ أَهْلَكُنَا قَبْلَهُم مِن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَبُواْ فِي ٱلْبِلَادِ هَلْ مِن عَمِيضٍ ».

وقال بعض السلف: «القصص جنود الله» يعنى أن المعاند لا يقدر أن يردها.

فأول ذلك: ما قص الله سبحانه عن آدم، وإبليس، إلى أن هبط آدم وزوجه إلى الأرض. ففيها من إيضاح المشكلات ما هو واضح لمن تأمله. وآخر القصة قوله تعالى:

« قُلْنَ الْهِبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِينَكُمْ مِنِي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خُوفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَخْزَنُونَ رَبِي وَالَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِعَاينَا أَوْلَيْكِ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ فِيهَا خَلِدُونَ ».

(البقرة ٣٨-٣١)

وفى الآية الأخرى:

« فَمَنِ ٱ تَبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُ وَلَا يَشْفَى ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُ مُعِيشَةً ضَنكًا »

الى قوله:

(طه ۱۲۳ ـ ۱۲۳)

« وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْنَى ۖ ».

(طه ۱۲۷)

وهداه الذى وعدنا به: هو إرساله الرسل. وقد و في بما وعد سبحانه، فأرسل الرسل مبشرين ومنذرين، لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل.

فأولهم: نوح. وآخرهم: نبينا صلى الله عليه وسلم.

فاحرص ياعبدالله على معرفة هذا الحبل، الذي بين الله وبين عباده، الذي من استمسك به سلم، ومن ضيعه عطب).

الفصل السادس عشر

في التفسير

ويتضح اجتهاد الشيخ فى فتاواه لمن أمعن النظر فيها، وقوة فهمه لكتاب الله لمن قرأ الآيات التى فسرها، وجمعت هذه التفاسير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ورتبتها حسب السور، ولتيسر مؤلفات الشيخ بعد طبعها لم أنقل شيئاً من ذلك لعل المشكك فى اجتهاد الشيخ ينهل بنفسه ليجد الماء الزلال.

الفصل السابع عشر

في كتابه زاد المعاد

إنه الاختصار الجميل، فيه الفائدة العظيمة لرءوس المسائل لمن قصرت همته عن قراءة أصل الكتاب، وفي هذا المختصر اتضح لنا ميول الشيخ إلى الدليل وترك أقوال المذهب المرجوحة، يظهر هذا جلياً في مسائل التيمم صفحتى ١٦، ١٥ حيث أثبت أن التيمم رافع لا مبيح،وأنه يكفى ضربة واحدة للوجه والكفين وعلى ظهر الأرض مطلقاً، أي أنه لا يشترط التراب الذي له غبار، وهذا ظاهر النصوص كها أشار إليه.

فها أعظمه من منهج واضح، لاعتاد الشيخ في فقهه على الكتاب والسنة.

الفصل الثامن عشر فى مختصر الشرح الكبير والإنصاف

وأما منهجه في مختصره لهذين الكتابين فهو يلمح منه النقاط التالية:ــ

١ - الأدب مع العلماء عند ذكر أقوالهم.

٢ _ حكاية الأقوال وبيان الوجهه.

٣ ـ ذكر الدليل لما يرجحه.

فأى دليل أعظم من هذا المنهج لمحبة الكتاب والسنة:

الفصل التاسع عشر

في مؤلفاته المبتدأة

أما مؤلفاته المبتدأة التى جمعها فى القسم الثانى من الفقه فى مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ومؤلفات الشيخ تنبى عن نفسها، ولانتشارها قديماً، ودراستها فى أوساط الناس، وفى الدراسات النظامية، كشر وط الصلاة، وآداب المشى إلى الصلاة، لم أذكر منها مثالا لاستدلاله على كل مسألة.

نعم اللهم إلا كتاب الطهارة فإنه لم يظهر إلا في مطبعة الجامعة.

والمؤلفات المبتدأة أشير إليها في هذا الكتاب، لعل القارى، يتشوق للإطلاع عليها في القسم الثانى من الفقه (قواعد تدور عليها الأحكام- مبحث الاجتهاد والخلاف-كتاب الطهارة- شروط الصلاة وأركانها وواجباتها- كتاب آداب المشي إلى الصلاة-كتاب الزكاة- كتاب الصيام- أحكام الصيام- أحكام قنى الموت).

الفصل العشرون

في استنباطات الشيخ وتلخيصاته

وإذا أمعنت النظر في تجوال شيخنا في أنحاء العلوم، وجدت له الفكر الواسع والمدى الطويل، فتارة يؤلف، وتارة يختصر، وتارة يجمع، وتارة يلخص ويستنبط، كل هذا يحمل على القناعة باعتاده على الكتاب والسنة، وعلى فهمه وحسن فقهه، فهذه مسائل لخصها من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية تلخيصاً مقتضباً وافياً، أذكر لك مسألتين منها لتدعوك إلى الاطلاع عليها في ملحق المصنفات للشيخ محمد بن عبدالوهاب، التي طبعتها جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (قوله في العزل «لا عليكم» ثم ذكر القدر: أن هذا لا حجة فيه على ترك السبب لأن الحمل يحصل مع العزل).

والمسألة الثانية (قوله):

«لا يصيب المؤمن قضاء إلا كان خيراً له».

وردت عليه المعاصى فأجاب بأن المراد ما أصاب العبد لا ما فعله، وأنه يصير بعد التوبة خيراً منه قبل الخطيئة).

وهل يحصل مثل هذا إلا من فاهم بالكتاب والسنة.

وكذلك اختصاره فى تفسير سورة الأنفال، وذكره لبعض فوائد صلح الحديبية، وخطبه التى ملئت بالموعظة متضمنة الدليل واختتامها بقراءة آية.

فهل مثل هذا يصدر من غير عارف بالكتاب والسنة، بل لا يصدر إلا من عارف عامل، والذى عنده أدنى شك أو ريب، فليرجع إلى هذه المؤلفات التى طبعتها الجامعة فأوجدتها ويسرتها لكل طالب علم رائده الحقيقة، فلم يبق عذر لمن انطلت عليه وهميات ودعايات حاقدة، أو مقلدة تقليداً أعمى، أو كاذبة على هذا الشيخ الذى امتزج حب الكتاب والسنة بلحمه ودمه، وخلف أثره في مؤلفاته.

فنسأل الله أن ينفعنا بعلومه وسائر علماء المسلمين.. وهذا ما تيسر من الكتابة حول اعتاد فقه الشيخ محمد بن عبدالوهاب في دعوته على الكتاب والسنة، والذي سلكت فيه بيان شي من القواعد التي سار عليها في الفروع، واكتفيت فيها عن التمثيل بالجزئيات من مؤلفاته الفقهيه تلافيا للإطالة. وإنما استرسلت قليلاً في التمثيل من مؤلفاته في العقائد والأخلاق والآداب لكونها الأصل وأساس الدعوة، ومحط الأنظار، ولفت النظر في الباب الرابع إلى مؤلفاته ومصنفاته فيا عدا ذلك، معتذراً للقارئ عن قصور في التعبير،أو تقديم ما حقه التأخير،أو العكس أو تخريج بعض الأحاديث. وإمامنا غنى عن التعريف، فمؤلفاته واضحة تنبي عن نفسها لاسيا وأن جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية جمعتها ورتبتها ونسقتها،لتيسر للقارئ الاطلاع على ما يريد من مؤلفات الشيخ في العقائد والأخلاق والآداب وأحاديث الأحكام، والفقه الذي اختصره أو ابتدأ تأليفه تسهيلاً وتيسيراً على القارئ، وما كتبته إسهاماً فيا عزمت عليه جامعة الإمام محمد بن سعود على إقامة أسبوع عن الشيخ ودعوته.

والله ولى التوفيق .. وصلى الله على محمد ..

خصائصُ النفكيرُ الفقهيُ عند الثيخ محمد بن عبد الوهاب

للدڪتوں عبرالوهاب ابرا هيم أبوسليمان

أستاذ مشارك بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية

جامعة أم المتسرى



بب التدالرهم والرحيم

إن أهمية الدعوة السلفية التي نهض بها شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب،والتي تركت آثاراً فكرية واضحة في كثير من المجتمعات الإسلامية في الوقت الحاض، استقطبت الباحثين ووجهت أنظار المفكرين ، فاستقلت بدراسات موسعة وبحوث علمية مختلفة ، والجانب العقدى منها والمتمثل في حياة الشيخ نفسه وانتاجه العلمي فيها كان له منها النصيب الأوفى، وهذا عائد إلى طبيعة دعوته والأولوية التي تصدى لها وركز عليها في دعوته، وهو تصحيح العقيدة الإسلامية لدى المسلمين . فبسلامتها يسلم للمر كل شي ، و بفسادها يضيع كل شي .

وإذا كان هذا هو الجانب الأهم في دعوته ، فالجانب الثانى المهم هو تصحيح المسار الفقهى التشريعي بين المسلمين،والجوانب الإصلاحية التي نادى بها في هذا المجال، وخصائص تفكيره تجاه مسائله ، وهذا لم يتجه اليه أكثر الباحثين،وهذه الدراسة تهتم بصورة خاصة بالخصائص الفكرية في اتجاهه الفقهي للتعرف على طبيعة دعوته واتجاهاته .

وهذه بمثابة مقدمة من شأنها أن تجلى حقيقة هذه الدعوة في المجال الفقهى

و يركز البحث هنا على : ــ

أولا : الحالة الفقهية في العالم الإسلامي بعامة ونجد بخاصة .

شانيا: الروافد الفكرية في تكوين الشخصية العلمية في الشيخ محمد بن عبدالوهاب.

ثالثا : الخصائص والمميزات الفقهية عند الشيخ محمد بن عبدالوهاب .

و يعتمد البحث في هذا الجانب منه على فحص وبحث التراث العلمي الذي ورثنا عنه بطريقة استقرائية واستنتاجية في نفس الوقت ، مهمًا بالخصائص والموضوعات الرئيسية دون الوقوف لدى المسائل الجزئية إلا بالقدر الذي توضح فيه الفكرة الأساسية.

الحالة الفقهية في العالم الاسلامي بعامة ونجد بخاصة:

إن الباحثين في الفقه الاسلامي يختلفون في تسمية المراحل التي مر بها الفقه الاسلامي تطوراً وركوداً وإلا أُنهم يجمعون على أن الفقه الاسلامي دخل طور الشيخوخة والهرم منذ القرن الخامس الهجري، حيث بدأ في التدهور والضعف والاعتاد الكلى على ما خلفه الفقهاء قبلهم من تراث فقهي وثروة علمية دون أن تكون لهم فيه مساهمة بزيادة أو تجديد.

يعنون العلامة محمد بن الحسن الحجرى الثعالبي الفاسي هذه الفترة في تاريخ الفقه الإسلامي بقوله :

« القسم الرابع : في الطور الرابع للفقه وهو طور الشيخوخة والهرم القريب من العدم » .

ثم يذكر الظواهر العلمية الفقهية والأسباب التي أدت اليها بقوله: «هذا الطور مبدأه من أول القرن الخامس الهجري إلى وقتنا هذا الذي هو القرن الرابع عشر، وذلك أنه وصل إلى منتهى قوته في القرون الأربعة السابقة وتم نضجه فزاد بعد حتى احترق وذهبت عينه، ولم يبق إلا مرقه في القرن الخامس وما بعده إلى أن صار الآن أثراً بعد عين، ذلك لأسباب منها:

قصور الهمم عن الاجتهاد الى الاقتصار على الترجيح فى الأقوال المذهبية والاختبار منها... ثم قصروا عن ذلك فى هذه الأزمان واقتصروا على النقل عمن تقدم فقط، وانصرفت همتهم بشرح كتب المتقدمين وتفهمها ثم اختصارها، وفكرة الاختصار ثم التبارى فيه مع جميع الفروع الكثيرة فى اللفظ القليل هو الذى أوجب الهرم وأفسد الفقه بل العلوم كلها... إذ صاروا قراء كتب لا محصلى علوم، ثم فى الأخير قصروا عن الشرح، واقتصروا على التحشية والقشور ومن اشتغل بالحواشى ما حوى شيئا»(١).

والفقه، أصبح يعنى في العصور المتأخرة تعلما وتعلما ، حفظ متون معينة وترديد

⁽۱) الفكر السامى فى تاريخ الفقه الاسلامى ، خرج أحاديثه وعلى عليه عبدالعزيز بن عبدالفتاح القارى (الدينة المنورة المكتبة العلمية ١٩٧٧/١٣٩٧م ص ١٦٣)

عباراتها دون مجاوزة لها إلى غيرها من كتب الفقه فضلا عن الكتاب والسنة.

عكف الحنفية على كنز الدقائق، لحافظ الدين عبدالله بن أحمد بن محمود النسفى المتوفى سنة ٧١٠هـ.

وعكف المالكية على مختصر خليل، تأليف العلامة الشيخ خليل بن اسحاق المالكي، المتوفى سنة ٧٦٧هـ.

وعكف الشافعية على متن منهاج الطالبين، تأليف شيخ الإسلام زكريا الأنصارى، المتوفى سنة ٩٢٦هـ.

وعكف الحنابلة على كتاب المقنع في فقه الامام أحمد،من تأليف موفق الدين أبى عبدالله محمد بن أحمد بن قدامة،المتوفى سنة ٦٢٠هـ.

هذه الكتب وما يدور فى فلكها هى محور الدراسة والتعليم والتأليف، وكثيراً ما يعنى استنباط الأحكام مباشرة من الكتاب والسنة الزيغ والانحراف، فيتصدى لأى محاولة من هذا القبيل بالنقد الشديد، نظراً لسد الفقهاء باب الاجتهاد وإصرارهم على قفله، ومن لم يتبين منهم هذا المبدأ كفقهاء الحنابلة وقولهم باستمرار الاجتهاد وفتح بابه لمن أوتى القدرة العلمية المؤهلة. فقد كان هذا منهم نظرياً أكثر منه عمليا، يبرز هذا المعنى مأ ذكره أحمد بن حمدان الحرانى الحنبلى فى أقسام المجتهدين فى عبارته التالية:

« والمجتهد أربعة أقسام: مجتهد مطلق، ومجتهد في مذهب إمامه أو في مذهب إمام غيره، ومجتهد في نوع من العلم، ومجتهد في مسألة منه أو مسائل». وفي معرض حديثه عن المجتهد المطلق وتعريفه له يقول:

« وهو الذى اذا استقل بإدراكه للأحكام الشرعية من الأدلة الشرعية العامة والخاصة ، وأحكام الحوادث منها مع حفظه لأكثر الفقه ولا يقلد أحداً ولا يتقيد بمذهب أحد .. ومن زمن طويل عدم المجتهد المطلق ، مع أنه الآن أيسر منه في الزمن الأول لأن الحديث والفقه قد دونا ، وكذا ما يتعلق بالاجتهاد من الآيات والآثار ، وأصول الفقه، والعربية وغير ذلك ، لكن الهمم قاصرة والرغبات فاترة ، ونار الجد والحذر خامدة اكتفاء بالتقليد ، واستعفاء من التعب الوكيد، وهربا من الأثقال ، وأربا في تشية الحال وبلوغ

الآمال، ولو بأقل الأعمال، وهو فرض كفاية قد أهملوه وملوه ولم يعقلوه ليفعلوه»(٢).

هذه هي الحالة العلمية الفقهية التي كانت تعيشها البلاد الإسلامية عموما .

وهنا نريد من خلال هذه الصورة أن نتلمس ما كانت عليه الحالة العلمية والفقهية في مسقط رأس شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب خصوصاً لندرك مدى تأثره بها .

من الطبيعى أن تكون تلك الصورة للحالة العلمية والفقهية في العالم الإسلامي صادقة تماماً على نجد، فتعيش التخلف الفكرى الفقهى الذي يعيشه العالم الإسلامي صورة مطابقة ، وهذا الجانب العلمي وان لم يتعرض له الكثير من الدارسين لهذا الجزء في جزيرة العرب، فقد تعرض له البحاثة الفقيه الشيخ عبدالله البسام، وأعطى صورة وافية لما كانت عليه الحالة العلمية والفقهية فيها بقوله : « منذ عرفنا علماء نجد حتى قيام الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه الله تعالى ـ فإن علمهم يكاد ينحصر في الفقه، أي: في المسائل الفروعية الفقهية، والمذهب السائد لديهم هو مذهب الإمام أحمد بن حنبل ـ رضى السائل الفروعية الفقهية، والمذهب السائد لديهم هو مذهب الإمام أحمد بن حنبل ـ رضى الله عنه ـ فعلمهم لا يكاد يخرج عن تحقيق هذا النوع من العلم ، فعلوم التفسير والحديث والتوحيد مشاركتهم فيها قليلة جداً ، وعلوم اللسان لا يهتمون منها إلا بعلم النحو في مختصرات كتبه التي يتعلمون فيها ما يقوم ألسنتهم عن اللحن، وماعدا هذا فيعتبرون تعلمه مضيعة للوقت ومشغلة عما هو أولى منه ، ويندر منهم من يتعدى الفقه فيعتبرون تعلمه مضيعة للوقت ومشغلة عما هو أولى منه ، ويندر منهم من يتعدى الفقه الى غيره من العلوم فيشارك في تحصيله مشاركة قليلة .

أما فقه الإمام أحمد فهم يجيدونه إجادة تامة، ويعنون به عناية فائقة، حيث يدرسون كتبه دراسة إمعان ، ويبحثونها بحث تحقيق وتدقيق (٢) .

وفيا يتصل بالوسط العائلي للشيخ محمد بن عبدالوهاب، فإنه عاش وسطاً علمياً متشبعاً بالفقه في عائلة توارثت القضاء ، فوالده الشيخ عبدالوهاب تولى قضاء العيينة

⁽٢) صفة الفتوى والمستفتى، الطبعة الأولى (بيروت: منشورات المكتب الاسلامي ١٣٨٠) ص ١٦، ١٧

 ⁽٣) علماء نجد خلال ستة قرون، الطبعة الأولى (مكة المكرمة ـ مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة ١٣٩٨ ج ١
 ص ١٧)

ثم حريملاء، وكذلك جده من قبل الشيخ سليان بن على انتهت اليهم الرئاسة في العلم والفقه في نجد (1).

في هذا الوسط العلمي العام والخاص المتميز بمظهر فقهي معين يدور في أفاق تقليدية محدودة وإطارات فكرية ملتزمة، عاش الشيخ محمد بن عبدالوهاب حياته العلمية الأولى وتدرج في مراحلها.

وفى مثل هذه الأجواء التى تحكم فيها الانفلاق التام، ليس بالوسع أن يتكون بين أحضانها فقيه يتمتع بحرية فكرية واجتهاد محلق ، بل سيكون بالضرورة وقانون الحياة صورة عصره ومرآة جيله، فقيها تقليديا متمسكا بحرفية النصوص لا يتجاوزها ولا إلى الكتاب والسنة .

والشيخ محمد بن عبدالوهاب عضو في ذلك المجتمع وجزء من تلك البيئة، يتأثر بها و يتجاوب فكراً وشعوراً بإيجابياتها وسلبياتها .

ولكن إلى أي مدى كان منه هذا التجاوب استقبالا أو رفضا ؟

إن التاريخ يثبت أنه لم يكن هناك أى صدى وتأثير لتلك البيئة العلمية والاجتاعية على تفكير الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، بل كان أقوى من أن يتأثر بسلبياتها أو يخضع لمؤثراتها، فأفلت منها ومن أغلالها وأثقالها، فتميز بتفكير منطلق وعقلية مستقلة بدأت تتبين ملامحها في مرحلة شبابه .

الروافد الفكرية في تكوين الشخصية العلمية للشيخ محمد بن عبدالوهاب:

إن أول ما يثير فضول الباحث قبل أى شى آخر، هو التعرف على المصادر العلمية والروافد الفكرية التى أسهمت فى تكوين شخصيته العلمية والفقهية بصورة متباينة عن أبناء جيله وفقهاء عصره.

إننا لا نجده بين مشائخه الذين تتلمذ عليهم في صباه ومدارج شبابه عنير أن العلاقة والتأثر بشيخ الإسلام عبدالحليم بن تيمية، وتلميذه شمس الدين أبى عبدالله بن أبى بكر، المعروف بابن قيم الجوزية واضح قوى.

عثمان بن عبدالله بن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد الطبعة الثانية (الرياض: وزارة المعارف السعودية،
 ۱۳۹۱ ج ۱ ص ۱۱۵)

واذا كانت كافة الدلائل تشير إلى هذا فإنه مما يستحق البحث تحديد الفترة التى تعرف بها على فكر هذين العالمين الجليلين، هل حدث له هذا أيام طلبه العلم ببلدته العيينة وقبل رحيله إلى الحجاز والبصرة،أم أن اهتامه بفكرها جاء صدى ونتيجة تنقله واحتكاكه بالعلماء في تلك البلاد ؟

إن هذه التساؤلات تبدو للوهلة الأولى غير ذات جدوى ، ولكن الباحث كما يهمه أن يعرف مصدر هذا الاستقلال الفكرى الجديد، يهمه أن يعرف متى وكيف ظهر، وهل هو ذاتى صادر من داخل رغبة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ؟ أم هو بعامل خارجى شجعه على تبنيه والتحمس له ؟

إن المؤرخين للشيخ محمد بن عبدالوهاب لم يحققوا هذه النقطة كما ينبغى ولهذا جاءت رواياتهم متضاربة

١ - ففريق لم ينوه عن هذه الصلة قصداً ولا استطراداً :
 ويتبين هذا من عرض نصوصهم لحياته العلمية .

يذكر المؤرخ عثمان بن بشر في معرض حديثه عن نشأته وحياته العلمية قوله «وكان رحمه الله في صغره كثير المطالعة في كتب التفسير والحديث وكلام العلماء في أصل الإسلام، فشرح الله صدره في معرفة التوحيد وتحقيقه ومعرفة نواقضه المضلة عن طريقه، وكان الشرك إذ ذاك قد مشى في نجد وغيرها .. فلما تحقق الشيخ - رحمه الله معرفة التوحيد ومعرفة نواقضه وما وقع فيه كثير من الناس من هذه البدع المضلة، صارينكر هذه الأشياء ... ولما رأى أنه لا يغنى القول، ولم يتلق الرؤساء الحق بالقبول، تجهز من بلد العيينة إلى حج بيت الله الحرام، فلما قضى حجه سار الى المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، فلما وصلها وجد فيها الشيخ العالم عبدالله بن ابراهيم بن سيف من رؤساء بلد المجمعة، القرية المعروفة في ناحية سدير من نجد ... فأخذ الشيخ عنه، قال الشيخ الشيخ عنه، قال الشيخ عنه، قال الشيخ عنه، قال الشيخ عنه، قال الشيخ العلامة عمد حياة السندى المدنى فأخبره بالشيخ محمد وعرفه به وبأهله، فأخذ عنه ،

وحكى أن الشيخ وقف يوما عند الحجرة النبوية عند أناس يدعون ويستغيثون عند قبر النبى صلى الله عليه وسلم فرآه محمد حياة السندى فأتى إلى الشيخ وقال ما تقول ، قال : إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون ، فأقام في المدينة ما شاء ، ثم خرج منها إلى نجد (٥).

وهنا لم يحدد هذا المؤرخ الجليل تأثر الشيخ بكتاب أو عالم معين ، وإنما شمل وعمم دون الإشارة إلى شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم .

ومن الكتاب والمؤرخين الذين تتجه كتاباتهم هذا الاتجاه الأستاذ أحمد عبدالغفور العطار فيقول:

« ولما تجاوز محمد سن الطفولة زاد شغفه بالعلم، واستظهر أحاديث من الصحيحين والأمهات، وكلما تقدمت به السن تقدم في علمه وربا عقله، وما كاد يتم العشرين من عمره حتى صار عالما مرموقا في بلده... (٦).

٢ ـ وفريق آخر أثبت تعرفه وتعلقه بكتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم
 منذ صباه وقبل مغادرته مسقط رأسه تحديداً وتعييناً ، ومن هؤلاء عبدالله بن سعد
 الرويشد ، ففي معرض حديثه عن نشأة الإمام العلمية يقول :

« تعلم على والده فدرس القرآن وحفظه على يديه ،وعليه تعلم علوم العربية والفقه الحنبلى ، وهكذا نشأ نشأة صالحة وظهرت عليه مخايل الذكاء والنجابة منذ صباه ،وأكثر من قراءة القرآن والاطلاع على الكتب المتداولة ، وظهرت بوادر ألمعيته واتقاد ذهنه ، وأعجب بكتب ابن تيمية وابن القيم ومال اليها ، ورأى كثيراً ثما نعاه ابن تيمية على أهل عصره من البدع والضلالات ما ثلا أمام عينيه في معتقدات وأعمال أهل عصره وبخاصة العامة منهم ، ولما بلغ السادسة عشرة من عمره رآه والده أهلا للإمامة في الصلاة، فقدمه إماماً للناس في المسجد» (٧).

فى هذا الاتجاه يسير أحمد بن حجر بن محمد آل أبوطامى فيقول: «درس على والده الفقه الحنبلي والتفسير والحديث، وكان في صغره مكباً على كتب

⁽٥) عنوان المجد ج ١ ص ١٩، ٢٠، ٢١

⁽٦) محمد بن عبدالوهاب، الطبعة الرابعة ـ بيروت: منشورات مكتبة العرفان ١٩٧٢/١٣٩٢م ص ٣٢

⁽V) الإمام الشيخ محمد بن عبدالوهاب في التاريخ: مصر مكتبة عيسي البابي الحلبي جدا ص١١٠.

التفسير والحديث والعقائد، فكان يعتنى بكتب شيخ الاسلام ابن تيمية وابن القيم رحمها الله و يكثر من مطالعة كتبهها.. ولما آب الشيخ من رحلته الطويلة وراء العلم والتحصيل لازم أباه واشتغل عليه في علم التفسير والحديث وغيرها ، وعكف على كتب الشيخين، شيخ الإسلام ابن تيمية والعلاّمة ابن القيم رحمها الله ، فزادته تلك الكتب القيمة علماً ونوراً وبصيرة ونفخت فيه روح العزيمة، ورأى الشيخ بثاقب نظره ما بنجد وبالأقطار التى رحل اليها من العقائد الضالة والعادات الفاسدة ، فصمم على القيام بالدعوة » (٧٠).

" وممن يذهبون إلى أن لرحلة الشيخ محمد بن عبدالوهاب إلى البلاد الحجازية والبصرة دوراً كبيراً في دعوته الاصلاحية، وأن احتكاكه بالعلماء السلفيين في مكة المكرمة والمدينة المنورة والبصرة أثر في اتجاهه العلمي، إذ أثار فيه نوازع الإصلاح الديني والاجتاعي، فعاد إلى بلاده وهو ممتلئ حماسالإعادة أهل بلاده الى الدين الإسلامي الصحيح، وكان هذا أحد الآثار المباركة لارتحاله خارج نجد.

وممن تبنى هذا الموقف الدكتور عبدالله صالح العثيمين إذ يقول في هذا الصدد:

«وبالرغم من أن محمد بن عبدالوهاب كان قد حضر _ بدون شك _ دروس عدة من العلماء في المسجد النبوى، فإن صلته بالشيخين عبدالله بن سيف ومحمد حياة كانت أوثق من صلته بسواهها من العلماء، وكان لهذين العالمين الجليلين أثر كبير على الشيخ محمد لا بالنسبة لتحصيله العلمي فقط إنما بالنسبة لاتجاهه الإصلاحي أيضا، وقد أتت صلته بها في مرحلة من مراحل عمره القابلة للتأثر والتوجيه، وكانت معرفته بابن سيف أسبق من معرفته بالسندي، وإن كان تأثير هذا الأخير عليه أعمق _ فيا يبدو _ من الأول.

وكان ابن سيف عالماً بالفقه الحنبلى والحديث الشريف، وقد أجاز محمد بن عبدالوهاب في كل ما حواه ثبت الشيخ عبدالباقى أبى المواهب الحنبلى قراءة وتعلما وتعلما، وكان من المعجبين بالإمام المشهور ابن تيمية، ولاشك أنه شجع تلميذه على قراءة كتب هذا العالم الجليل، وكان أيضا مدركاً للحالة التى وصلت اليها الأوضاع في نجد من الناحيتين الدينية والاجتاعية، وكان يرى أن إصلاحها لا يتم إلا بالتعليم.

 ⁽٧م) الشيخ محمد بن عبدالوهاب-عقيدته السلفية ودعوته الاصلاحية وثناء العلماء عليه (مكة المكرمة. مطبعة المحكومة، ١٩٨٥) ص ١٨،١٥.

أما محمد حياة السندى فكان حجة في الحديث وعلومه،وصاحب مؤلفات مشهورة في هذا الحقل، وكان أستاذاً لعدد من الطلاب الذين أصبح بعضهم دعاة إصلاح أو شخصيات علمية مشهورة في مناطق إسلامية مختلفة،وكان من المعارضين للتعصب للمذاهب الفقهية، ومن الداعين للاجتهاد في ميدان الشريعة، وبالإضافة الى ذلك كان من أشد المحاربين للبدع في الدين والأعهال التي قد تؤدى إلى الشرك...» ويستمر الدكتور العثيمين في تأكيده هذه النقطة فيقول:

«وحين اقتنع الشيخ محمد بكفاية المدة التى قضاها متعلما فى المدينة،عاد الى العيينة، ومن الممكن ملاحظة أمور كان لها تأثير فى نفسه فى أثناء إقامته فى المدينة، منها:المناخ التعليمى الذى كان حافزاً على الدراسة ومهيئاً لمعرفة أنواع من العلوم، ومنها: بدءه قراءة كتب ابن تيمية المهمة وتتلمذه على محمد حياة السندى المحارب للبدع والتعصب المذهبى والداعى إلى الاجتهاد، وكان ذلك فى مرحلة هامة من مراحل تكوينه الفكرى» (٨).

والذى يبدو أن هذا التضارب بين الروايات السابقة هو نتيجة الاجتهاد الفردى حول هذه النقطة،دون أن يؤيد أحد من أولئك الكتاب والمؤرخين ما دونه بشئ من التوثيق العلمى التاريخي.

إلا أنه من الممكن اعتبار ما كتبه المؤرخ عثهان بن بشر الرواية المعتمدة الموثقة الاعتبارات متعددة أهمها:

أنه أقدم المصادر التاريخية وأقربها تاريخاً لحياة الشيخ محمد بن عبدالوهاب حتى قبل عن تاريخه ب «أنه المصدر الوحيد لما وقع في نجد من الحوادث منذ فجر النهضة الإصلاحية وظهور الدعوة السلفية إلى ما قبل وفاة الإمام فيصل بن تركى بن عبدالله ابن محمد بن سعود بخمس عشرة سنة» (١) أى من سنة ألف ومائة وثبان وخمسين من الهجرة إلى سنة ألف ومائتين وسبع وستين ، كها أنه اعتنى في سوابقه بذكر حوادث ما قبل ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب من منتصف القرن التاسع الهجرى إلى نهاية سنة ألف ومائة وست وخمسين من الهجرة (١٠). فهو كتاب متخصص و وثيقة تاريخية صحيحة ألف ومائة وست وخمسين من الهجرة (١٠).

⁽٨) الشيخ محمد بن عبدالوهاب، حياته وفكره (الرياض: دار العلوم) ص ٣٣، ٣٥، ٣٥.

⁽٩) عنوان المجد تحقيق عبدالرحن بن عبداللطيف آل الشيخ، ج ١، ص ٧

⁽١٠) انظر المصدر نفسه جـ١، ص ٢.

فى تاريخ الدعوة السلفية، ومن ثم ستكون رواية ابن بشر موضع الفحص والدراسة فى تعرف الشيخ محمد بن عبدالوهاب على فكر ابن تيمية .

لم يرد في رواية ابن بشر في تاريخ نشأة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ما يشير إلى توجيه خاص من أحد ممن تلقى العلم على أيديهم إلى دراسة كتب شيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، وإنما تشير الى أن الشيخ محمد بن عبدالوهاب بدافع شخصى ورغبة ذاتية تولدت عنده الى إعادة الإسلام إلى صفائه ونقائه كها عاشه الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وكان هذا نتيجة انكبابه على كتب التفسير والحديث وكثرة ملازمته لهما وتأمله لمعانيهما، والمقارنة بين ما جاء فيهما من عقيدة وتشريع، وبين ما عليه العمل بين المسلمين من انحراف عن جادة الإسلام عقيدة وتشريعا. وهذا هو الذي تشير اليه عبارة المؤرخ عثمان بن بشر في قوله السابق.

«.. وكان رحمه الله في صغره كثير المطالعة في كتب التفسير والحديث وكلام العلماء في أصل الإسلام، فشرح الله صدره في معرفة التوحيد وتحقيقه ومعرفة نواقضه المضلة عن طريقه..» (۱۱) الخ عبارته، وهو في هذا المنحى والاتجاه يختلف عن الكثيرين من بنى جيله وعصره، اذ كانت الأهمية القصوى والتركيز الشديد على دراسة الفقه المذهبى وحفظ نصوصه، وبذلك يكون قد فتح الشيخ محمد بن عبدالوهاب لنفسه آفاقاً أوسع هيأته بالفعل لدعوته الإصلاحية التى انتدب نفسه لها.

وأما تعرفه على فكر ابن تيمية وتلميذه ابن القيم خاصة، فمن المهم عرض الحقائق التالية بين يدى هذا الموضوع:

أولا: إن الصلة بين نجد والشام كانت قوية،حيث كانت الأخيرة بالنسبة لبلاد نجد مركزاً تجارياً وعلمياً في آن واحد،وكان لهذا أثره العلمى الكبير، فالعدد الكبير من علماء نجد تلقوا علومهم وإجازاتهم من علماء الحنابلة بالشام، «وصار من هؤلاء التلاميذ النجديين علماء كبار كالشيخ أحمد بن يحيى بن عطوة تلميذ مؤلف الإنصاف الشيخ على ابن سليان المرداوى، وصاحب جمع الجوامع الشيخ يوسف بن عبدالهادى، ومن العلماء النجديين الذين تلقوا العلم على حنابلة الشام الشيخ أبوغى بن راجح تلميذ الشيخ مرعى

⁽١١) المصدر نفسه، ج١، ص ١٩

ابن يوسف مؤلف الغاية (غاية المنتهى فى الجمع بين الإقناع والمنتهى)، وكذلك الشيخ زامل بن سلطان تلميذ الشيخ موسى الحجاوى مؤلف الإقناع. فأمثال هؤلاء العلماء النجديين الكبار بلغوا فى العلم مبلغاً كبيراً وانتهت اليهم الرئاسة العلمية فى بلدان نجد، وهم قد اعتنقوا المذهب الحنبلى، فأثروا فى أهل بلادهم، فصار جمهور النجديين حنابلة» (١٠٠).

ثانيا: إن ابن تيمية وابن القيم أعلام مشهورون وفقهاء نابهون فى المذهب الحنبلى الهم اجتهاداتهم وترجيحاتهم المشهورة، فالتعرف على فكرهم من قبل طالب العلم والتمذهب بالمذهب الحنبلى أمر بديهى وحقيقة ميسورة.

ثالثا: إن الاتصال الفكرى بين الحنابلة في الشام والحنابلة في نجد قوى ووثيق، اذ كانت مؤلفات الشاميين تصل إلى نجد بصورة مستمرة،وكان لهؤلاء تآليف عن شيخ الإسلام ابن تيمية في اجتهاداته وجهاده للبدع والخرافات، مما جعله رمزاً لبطولة العلماء وكفاح المخلصين في وسط الحنابلة أين كانوا، ولعل في (سابقة) التي ذكرها ابن بشر ما يشير الى هذا المعنى إذ يقول: «وفي سنة ثلاث وثلاثين وألف توفي الشيخ العالم العلامة مرعى بن يوسف الحنبلي المقدسي الأزهري. كانت له اليد الطولي في معرفة الفقه وغيره، صنف مصنفات عديدة في فنون من العلوم.. فمنها دليل الطالب.. وصنف غاية المنتهى في جمع الإقناع والمنتهى.. وذكر لي شيخنا عثمان بن منصور أنه بيضها مرتين، واحدة أرسلها إلى نجد وواحدة أرسلها الى الشام، فلهذا نجد في بعض النسخ منها زيادة ونقصانا عن الأخرى.. وصنف مرعى غير ذلك مصنفات كثيرة منها: كتاب بهجة الناظرين في العالم العلوى والسفلي، وصفة الجنة والنار، وكتاب المرجان في الناسخ والمنسوخ من القرآن، وكتاب الدرة المضيئة في مناقب ابن تيمية.. "(١٢).

ونخلص من هذا إلى أن الشيخ محمد بن عبدالوهاب قد تعرف على فكر ابن تيمية وابن القيم من قبل رحلته إلى الحجاز والشام، إذ أن هذين العلمين كانا من أشهر أعلام

⁽۱۲) عبدالله البسام، ج، ص ۱۹ ـ ۲۰

⁽۱۳) السوابق، ص ۱۹۸، ۱۹۸

الحنابلة في الوسط العلمي للحنابلة، ولم تكن شهرتهم لدى علماء الحنابلة بنجد بأقل من أي وسط حنبلي آخر.

الا أن انتاء الشيخ محمد بن عبدالوهاب ودراسته للمذهب الحنبلى، سهل له التعرف على فكر شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم فى وقت مبكر جداً أثناء طلبه للعلم فى بلاده مسقط رأسه، ووقوفه على جهادها ما قوى فيه العزيمة للدعوة إلى الإسلام الصحيح عقيدة وشريعة، فرحل الى ما رحل من أقطار وهو متشبع بفكر الدعوة الإصلاحية التي أصبح يعيشها فكراً، ووطن نفسه للدعوة لها جهراً، وأن احتكاكه بعلهاء السلف بمكة المكرمة والمدينة المنورة زاد من حماسه لها وتفانيه فى سبيلها. فأعطته دفعة قوية للاستمرار فى اتجاهاته الفكرية العقدية والفقهية، وضاعفت من ملازمته وعكوفه على كتب الشيخين ابن تيمية وابن القيم رحمها الله، فتشبع بمنهجها أسلوباً وفكراً، فورث عنها خصائصها العلمية واتجاهاتها المنهجية والنزعة الاجتهادية .

يتفق السلف والخلف من فقهاء الحنابلة على وجوب الاجتهاد في من تحققت فيه شروط، يقول القاضى أبويعلى الفراء من متقدمى الحنابلة في كتابه العدة «مسألة في صفة المفتى في الأحكام الذي يحرم عليه التقليد»، ثم يذكر هذه الصفة بقوله: «الذي يحرم عليه التقليد فيها أن يكون عارفاً بالقرآن ناسخه ومنسوخه، ومجمله ومحكمه، وعامه وخاصه، ومطلقه ومقيده، وهو المعرفة بما قصد به بيان الأحكام الحلال والحرام، فأما ما قصد به أخبار الأولين وقصص النبيين والوعد والوعيد فلا حاجة به إليه... ويعرف أيضاً المتقدم والمتأخر، والناسخ والمنسوخ، والمطلق والمقيد، والمجمل والمفسر، والعام والخاص للمعنى الذي ذكرناه، ويحتاج أن يعرف إجماع أهل الأعصار عصراً بعد عصر، لأنه يكون الأصل ما أجمعوا عليه فيرد الفرع اليه، ويحتاج أن يعرف من لغة العرب والإعراب ما يفهم عن الله تعالى وعن رسوله معنى خطابها، وأن يكون عارفاً باستنباط معانى الأصول والطرق الموصلة اليها،ليحكم في الفروع بحكم أصولها،ويكون عارفا براتب الأدلة، وما يجب تقديمه منها. فإذا كان بهذه الصفة وجب عليه أن يعمل في الأحكام الأدلة، وما عليه تقليد غيره» (١٤).

⁽١٤) أبويعلي محمد بن الحسين بن محمد الفرا، العمدة في أصول الفقه. مصور.

ويأتى شيخ الإسلام ابن تيمية ليقرر هذا المبدأ ويؤكده فى أكثر من مؤلف فينقل نص القاضى أبى يعلى فيقره لفظاً ومضموناً (١٥٠)، ويعرض هذا الموضوع فى فتاويه بأسلوبه وطريقته الخاصة فيقول:

«نقل عن غير واحد الإجماع أنه لا يجوز للعالم أن يقلد غيره إذا كان قد اجتهد واستدل وتبين له الحق الذي جاء به الرسول، فهذا لا يجوز له تقليد من قال خلاف ذلك بلا نزاع» (١٦).

كها يقرر هذا المبدأ من الحنابلة المتأخرين: أبوالعباس أحمد بن عبدالعزيز الفتوحى فيقول:

«ويحرم تقليد على مجتهد أداه اجتهاده الى حكم» (٧٠) وهكذا فإن نصوص الحنابلة متواترة على وجوب الاجتهاد ممن استوفى شروطه وتحققت فيه مؤهلاته.

وإذا كان شيخ الإسلام ابن تيمية يدعو المؤهلين من الفقهاء إلى الاجتهاد وتحريم التقليد، فقد مارسه تأسيساً وترجيحاً، بل إن اجتهادات الفقهية معروفة لدى فقهاء المذاهب الأخرى ، وترجيحاته في إطار المذهب الحنبلي مشهورة بين فقهائه معلومة لديهم . ولاشك أن الاجتهاد الفقهي إحدى خصائص التفكير الفقهي عند شيخ الإسلام ابن تيمية ، والتي كان لها تأثير كبير على فكر الشيخ محمد بن عبدالوهاب.

إن الشيخ محمد بن عبدالوهاب لم يدع الاجتهاد، ولكنه يدعو إليه عندما تختلف الآراء وتتعارض الأقوال، فحينئذ يتوجب الرجوع إلى الكتاب والسنة يستخلص منها الحكم الذي تطمئن اليه نفسه.

ففى جوابه عن سؤال وُجِّه إليه بخصوص الروايات المختلفة عن الإمام أحمد أو تعدد الأقوال عن أصحابه واستدلال كل بدليل يقول:

«اذا اختلف كلام أحمد وكلام أصحابه فنقول: في محل النزاع التراد الى الله والرسول

⁽١٥) المسودة، تحقيق محيى الدين عبدالحميد (مصر: مطبعة المدنى) ص ٥١٤

⁽١٦) فتاوي شيخ الاسلام ابن تيمية، جـ ١٩ ص ٢٦٢.

⁽١٧) شرح الكوكب المنير. الطبعة الأولى (مصر: مطبعة السنة المحمدية ١٣٧٢ ـ ١٩٥٣)، ص ٤٠٦

لا إلى كلام أصحابه، ولا إلى الراجح المرجح من الروايتين والقولين، خطأ قطعا (١٠٠٠) وقد يكون صوابا، وقولك: إذا استدل كل منها بدليل فالأدلة الصحيحة لا تتناقض بل يصدق بعضها بعضا، لكن قد يكون أحدها أخطأ الدليل لأنه إما استدل بحديث لم يصح، وإما لأنه فهم من كلمة صحيحة مفهوما مخطأ.

وبالجملة فمتى رأيت الاختلاف فرده الى الله والرسول، فإذا تبين لك الحق فاتبعه فإن لم يتبين واحتجت الى العمل فقلد من تثق بعلمه وديند..»(١٦).

والشيخ محمد بن عبدالوهاب وإن لم يؤثر عنه اجتهادات لم يسبق اليها إلا أن منحاه منحى اجتهادى، بمعنى أنه يسلم بالرأى اذا كان يعتمد على استدلال قوى مبنى على فهم سليم، وهذا هو الموقف الذى أعلنه ونثره في مؤلفاته ومراسلاته الى كل من يرغب الوقوف على حقيقة أمره.

فمن ذلك كتابه الى عبدالله بن محمد بن عبداللطيف الذي جاء فيه:

«ولا خلاف بينى وبينكم أن أهل العلم اذا أجمعوا وجب اتباعهم، وإنما الشأن اذا اختلفواءهل يجب على أن أقبل الحق ممن جاء به وأرد المسألة الى الله والرسول مقتديا بأهل العلم؟ أو انتحل بعضهم من غير حجة وأزعم أن الصواب فى قوله؟ فأنتم على هذا الثانى وهو الذى ذمه الله وسهاه شركا وهو اتخاذ العلماء أرباباً، وأنا على الأول أدعو اليه وأناظر عليه، فإن كان عندكم حق رجعنا اليه وقبلناه منكم، وإن أردت النظر فى أعلام الموقعين فعليك بالمناظرة التى فى أثنائه عقدها بين مقلد وصاحب حجة،وان ألقى فى ذهنك أن ابن القيم مبتدع وأن الآيات التى استدل بها ليس هذا معناها فاضرع الى الله واسأله أن يهديك لما اختلفوا فيه من الحق،وتجرد الى الله ناظراً أو مناظراً واطلب كلام أهل العلم فى زمانه» (٢٠٠). وعلى أساس هذا المبدأ كان اختيار الشيخ محمد بن عبدالوهاب وترجيحه لاختيارات شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية فى أكثر الأحيان،وترجيحه لغيرها أحياناً

على أن ما خلفه من تراث علمي يشير الى معرفته بعلم أصول الفقه الذي يعتبر

⁽١٨) هذا هو نص العبارة ولعل ثمة سقط

⁽١٩) مؤلفات محمد بن عبدالوهاب، مختصر سيرة الرسول والفتاوى، ص ٢٧، ٣٢ ـ ٣٣

٢٠) مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب، الرسائل الشخصية القسم الخاص، ص ٢٥٤

شرطاً أساسياً فى بلوغ درجة الاجتهاد حتى قيل (لا ثقة بفقه لا يعتمد على أصول)، ومظاهر هذا عنده تتجلى فى أمرين اثنين:

الأول: مناقشته لأهم المسائل والقواعد الأصولية.

الثانى: تلخيصه وعرضه لبعض المسائل الأصولية من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، ولا يستطيع الخوض فيها إلا عالم متمرس بمسائله عارف بقوانينه، وفي كلا الحالين لا يمكن أن يقتحم أسوار هذا العلم إلا عالم ذو دراية وممارسة له.

ففى مناقشته لنسخ القرآن بالسئة يتعرض لهذا الموضوع من خلال الأمثلة التى يوردها العلماء في هذا الصدد، فيقول:

«ثبت أنه يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب وأن يجمع بين المرأة وعمتها وخالتها فقال طائفة هذا نسخ للقرآن، فإن أرادوا النسخ العام الذى هو تقييد المطلق فصحيح، وإن أرادوا النسخ الذى هو رفع الحكم فضعيف، فإنه لم يثبت أن الله أراد بقوله:

تعليل ذلك، فإن قيل هو عام بين الدليل المخصص أن الله لم يرد تلك الصورة كقوله: (الزانية والزاني) الآية لم يرد به الأمة، وقوله: (يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء) لم يرد الحامل ولا التي لم يدخل بها، ولم يثبت أن السنة نسخت القرآن، قال تعالى: (ما ننسخ من آية) الآية، فالقرآن لا ينسخه إلا مثله، وقال كثير: السنة خصصت القرآن وهم أكثر وأفضل من أولئك، وقد يقال: السنة فسرت القرآن، ولهذا في حديث معاذ وكلام عمر وابن مسعود وغيرها أن يحكم بكتاب الله فإن لم يوجد فبسنة رسول الله، فلو كان في السنة ما يقدم على دلالة القرآن لم يكن كذلك بل السنة تفسر المراد منه... (٢١).

وفى موضوع التعارض والتعادل والترجيح الذى هو ثمرة أصول الفقه ونقطة

⁽٢١) مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ملحق المصنفات، ص ٧٥ ـ ٧٦

الارتكاز فيه، يلخص موقف ابن القيم في معضلة من معضلاته بتقرير الفاهم وأسلوب العالم فيقول:

«قال ابن القيم في أعلام الموقعين: اذا قال الصحابى قولا فإما أن يخالفه صحابى آخر أولا، فإن خالفه مثله لم يكن قول أحدها حجة على الآخر، وإن خالفه أعلم منه كالخلفاء الراشدين أو بعضهم، فهل يكون الشق الذى فيه الخلفاء أو بعضهم حجة على الآخرين؟ فيه قولان للعلماء. هما روايتان عن أحمد، والصحيح أنه أرجح، فإن كان الأربعة في شق فلاشك أنه الصواب، وإن كان أكثرهم في شق، فالصواب فيه أغلب، وإن كانوا اثنين واثنين، فشق أبى بكر وعمر أقرب الى الصواب، فإن اختلفا، فالصواب مع أبى بكر... (۲۲) وقد استغرق هذا البحث خمسا وثلاثين صفحة، وقدم لإثباته والاستدلال له ستة وأربعين وجها. كما نفذ من هذا البحث الى بحث الاحتجاج بفتوى التابعي (۲۲).

النزعة المذهبية:

وهذا الجزء من البحث يقودنا إلى التعرف على موقفه من قضيتين هامتين هما: اختلاف المذاهب الفقهية أولا، والتقيد بها ثانيا.

والحقيقة المسلمة أن الشيخ محمد بن عبدالوهاب ينتمى إلى أسرة عريقة فى المذهب الحنبلى، اذ غالب أفرادها من الفقهاء والقضاة الحنابلة، ولكنه يتميز عنها بأنه أضاف إلى حنبليته عنصراً جديداً:هو ما اكتسبه من دراسته وعكوفه على التراث العلمى لشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، فأمدته بخصائص فكرية وفقهية خاصة برزت بنتائجها وآثارها على مواقفه من كثير من القضايا الفقهية.

وقبل التعرف على موقفه خاصة من تلك القضيتين اللتين كانتا ولاتزالان مثار جدل وخصومة يحسن أن نتعرف قبل ذلك على موقف سلفه أعنى شيخ الإسلام ابن تيمية خاصة حتى يتضح مدى عمقها وتأثره بها فى نفسه.

أما فيا يتصل بالقضية الأولى: اختلاف المذاهب الفقهية فقد ألف ابن تيمية كتاب

⁽٢٢) المصدر نفسه القسم الثاني (الفقه)، ج ٢ ص ٥

⁽٢٣) المصدر نفسه، القسم الثاني (الفقه)، ج ٢ ص ٣٥

(رفع الملام عن الأثمة الأعلام)، وهذا الكتاب بهذا العنوان يعتبر فريدا في صياغته فريدا في موضوعه، فلئن شاركته كتب أخرى موضوعا إلا أنه مؤلف أساسا وبالذات للدفاع عن الأثمة، وعرض الأسباب التي أدت الى اختلافهم، ليلتمس لدى القارئ والدارس الأعذار عا قد تحدثه نفسه من إدانتهم في التفرق والاختلاف، وفي نفس الوقت يعرفنا قدر هؤلاء الأثمة والجهد المخلص الذي بذلوه في فهم الكتاب والسنة، وأقتبس هنا جزء من مقدمة هذا الكتاب لندرك مدى إنصاف ابن تيمية للأثمة الفقهاء وتقديره للتراث العلمي الذي تركوه، فيقول:

«.. وليعلم أنه ليس أحد من الأئمة المقبولين عن الأمة قبولا عاما، يتعمد مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في شيء من سنته دقيق ولا جليل.

فإنهم متفقون اتفاقاً يقينياً على وجوب اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم، وعلى أن كل أحد من الناس يؤخذ من قوله ويترك الا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن اذا وجد لواحد منهم قول قد جاء حديث صحيح بخلافه، فلابد أن يكون له من عذر فى تركه، وجميع الأعذار ثلاثة أصناف:

أحدها: عدم اعتقاده أن النبى صلى الله عليه وسلم قاله. والثانى: عدم اعتقاده إرادة تلك المسألة بذلك القول .

والثالث: اعتقاده أن ذلك الحكم منسوخ (٢٤).

وهذا اعتراف بفضل الأثمة وإنصاف لهم وتقدير لجهودهم العلمية، وهو أقصى المطلوب، ومن ثم فلم يؤثر عن الإمام ابن تيمية قول أو تأليف يمس جانب الأثمة أو يعرض بهم، بل انه عند الاختلاف يناقش الدليل مناقشة علمية هادئة.

ويؤكد ابن تيمية هذا المبدأ في مؤلفاته وكتاباته في أكثر من موضع من هذا قوله:

«وقد اتفق الصحابة على إقرار كل فريق للفريق الآخر على العمل باجتهادهم فى مسائل تنازعوا فيها كمسائل فى العبادات، والمناكح، والمواريث، والعطاء، والسياسة وغير ذلك.. وهم الأئمة الذين ثبت بالنصوص أنهم لا يجتمعون على باطل ولا ضلالة، ودل

الكتاب والسنة على وجوب متابعتهم، وتنازعوا في مسائل علمية اعتقادية كساع الميت صوت الحي، وتعذيب الميت ببكاء أهله، ورؤية محمد صلى الله عليه وسلم ربه قبل الموت مع بقاء الجهاعة والألفة.. ومذهب أهل السنة والجهاعة أنه لا إثم على من اجتهد وإن أخطأ..

فالمذاهب والطرائق والسياسات للعلهاء والمشايخ والأمراء اذا قصدوا بها وجمه الله تعالى دون الأهواء ليكونوا مستمسكين بالملة والدين الجامع الذى هو عبادة الله وحده لا شريك له، واتبعوا ما أنزل اليهم من ربهم من الكتاب والسنة بحسب الإمكان بعد الاجتهاد التام هى لهم من بعض الوجوه بمنزلة الشرع والمناهج للأنبياء على عبادتهم الله وحده لا شريك له، ويثابون على طاعة الله ورسوله فيا تمسكوا به من شرعة رسوله ومنهاجه،كها يثاب كل نبى على طاعة الله في شرعه ومنهاجه.

ثم يتحدث في عبارة واضحة عن الموقف الذي يجب أن يتخذه المسلم بالنسبة للأثمة ومذاهبهم فيقول:

«فمن ذمهم ولا مهم على ما لم يؤاخذهم الله عليه فقد اعتدى، ومن أراد أن يجعل أقوالهم وأفعالهم بمنزلة قول المعصوم وفعله وينتصر لها بغير هدى، فقد اعتدى واتبع هواه بغير هدى من الله، ومن فعل ما أمر به بحسب حاله من اجتهاد يقدر عليه أو تقليد اذا لم يقدر على الاجتهاد وسلك في تقليده مسلك العدل فهو مقتصد، اذ الأمر مشر وط بالقدرة (لا يكلف الله نفسا إلا وسعها) (٢٥).

ولقد جاء موقف الشيخ محمد بن عبدالوهاب متطابقا مع موقف شيخه ابن تيمية فى هذه القضية، مقدرا لجهود الأئمة الفقهاء، ومعتزا بانتسابه اليهم وانتائه الى جمهورهم. هذا ما أعلنه صراحة وأعرض هنا له بعض هذه المواقف التى تكشف عن هذا الجانب فى تفكيره.

فى ختام إجابته على عبدالعزيز الحصين عن مسائل شرعية يقول: «فينبغى للمؤمن أن يجعل همه ومقصده معرفة أمر الله ورسوله فى مسائل الخلاف

⁽۲۵) مجموعة فتاوى ابن تيمية، جـ ۱۹، ص ۱۲۲.

والعمل بذلك، ويحترم أهل العلم ويوقرهم ولو أخطأوا، ولكن لا يتخذهم أرباباً من دون الله، هذا طريق المنعم عليهم، أما اطراح كلامهم وعدم توقيرهم فهو طريق المغضوب عليهم..) (٢٦).

كها جاء في افتتاحية خطابه الى علماء مكة:

«إلى العلماء الأعلام في بلد الله الحرام، نصر الله بهم سيد الأنام وتابعي الأثمة الأعلام...» الى أن يقول:

" وأنا أخبركم بما نحن عليه خبرا لا أستطيع أن أكذب بسبب أن مثلكم لا يروج عليه الكذب على أناس متظاهرين بمذهبهم عند الخاص والعام، فنحن ولله الحمد متبعون غير مبتدعين على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، وحتى من البهتان الذى أشاع الأعداء أنى أدعى الاجتهاد ولا أتبع الأئمة، فإن بان لكم أن هدم البناء على القبور، والأمر يترك دعوة الصالحين لما أظهرناه، وتعلمون أعزكم الله أن المطاع فى كثير من البلدان لو تبين بالعمل بهاتين المسألتين أنها تكبر على العامة الذين درجوا هم وإياهم على ضد ذلك، فإن كان الأمر كذلك فهذه كتب الحنابلة عندكم بمكة مثل (الإقناع) و(غاية المنتهى) و(الإنصاف) التى عليها اعتاد المتأخرين وهو عند الحنابلة (كالتحفة) و(النهاية) عند الشافعية، وهم ذكروا فى باب الجنايز هدم البنا على القبور... وبعضهم يحكى الإجماع على ذلك، فإن كانت المسألة إجماعاً فلا كلام، وإن كانت مسألة اجتهاد فمعلومكم أنه لا إنكار فى مسائل الاجتهاد، فمن عمل بمذهبه فى محل ولايته لا ينكر عليه...» (٢٧).

وفى رسالة له إلى أحمد بن محمد العديلى البكبكى، صاحب اليمن جاء فى افتتاحيته قوله:

«... سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد:

لفانا (وافانا) كتابكم وسر الخاطر بما ذكرتم فيه من سؤالكم، وما بلغنا على البعد من أخباركم وسؤالكم عما نحن عليه وما دعونا الناس اليه ، فأردنا أن نكشف عنكم الشبهة بالتفصيل ونوضح لكم القول الراجح بالدليل ، ونسأل الله أن يسلك بنا و بكم أحسن منهج وسبيل...» إلى أن يقول:

⁽٢٦) مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب، القسم الثالث، مختصر سيرة الرسول والفتاوى، (فتاوى ومسائل)، ص

⁽٢٧) مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب، القسم الخامس، الرسائل الشخصية ص ٤٠

«وأما ما ذكرتم من حقيقة الاجتهاد فنحن مقلدون الكتاب والسنة وصالح سلف الأمة وما عليه الاعتاد من أقوال الأئمة الأربعة أبى حنيفة النعمان بن ثابت، ومالك بن أنس، ومحمد بن ادريس، وأحمد بن حنبل رحمهم الله تعالى..» (٢٨).

كها بعث الى اسهاعيل الجراعى باليمن خطابا يوضح فيه موقفه من كتب المتأخرين فيقول:

«وأما المتأخرون رحمهم الله فكتبهم عندنا، فنعمل بما وافق النص منها وما لايوافق النص لا نعمل به».

وفي كتابه إلى عبدالله بن عبدالله الصنعاني يقول:

«وأما مذهبنا فمذهب الإمام أحمد بن حنبل، إمام أهل السنة. ولا ننكر على أهـل المذاهب الأربعة اذا لم يخالف نص الكتاب والسنة وإجماع الأمة وقول جمهورها..»(٢٩).

ولقد دلل الشيخ محمد بن عبدالوهاب على هذا عمليا بمؤلفاته الفقهية التي تنتمي معنى ومضمونا إلى المذهب الحنبلي.

وينفرد المؤرخ عثمان بن عبدالله بن بشر (٣٠) برواية تحمل الكثير من الـدلالات للباحث في هذا الصدد، فقد جاء في معرض الحديث عن مؤلفاته العلمية قوله:

«واختصر من الشرح الكبير والإنصاف مجلدًا لبيان الخلاف وأمر بالقراءة فيه ، فلها سمع بذلك المنتسبون للعلم من أهل نجد كذبوا عليه أنه طعن في كتب المذهب كالإقناع والمنتهى التي على قول واحد، فأخذ من شرح الإقناع نبذة في أحكام الصلاة والزكاة والصيام من باب آداب المشى الى الصلاة الى باب ما يفسد الصوم، وأمر بالقراءة فيها

⁽۲۸) المصدرنفسا

⁽٢٩) المصدر نفسه، ص ١٠٧

⁽٣٠) هو الشيخ عثبان بن عبدالله بن عثبان بن أحمد بن بشر النجدى الحنبلى ولد في بلدة جلاجل من بلدان سدير بنجد سنة ١٢١٠ وتوفى بها سنة ١٢٩٠ هـ . صنف مؤلفات عديدة هى: سهيل في ذكر الخيل، الاشارة في منازل السبع السيارة، بغية الحاسب، الخصائص ومبدأ النقائص في الطفيليين، والثقلاء ، وفهرس طبقات الحنابلة لابن رجب على حروف المعجم، وكتاب عنوان المجد في تاريخ نجد. انظر ترجمته للشيخ عبدالرحن ابن عبداللطيف آل الشيخ في تصديره لكتاب بعنوان المجد في تاريخ نجد، ص١١ طبعة وزارة المعارف السعودية عام ١٣٩١هـ.

وتعليم العامة ما يلزمهم معرفته من أحكام صلاتهم وصيامهم وتكذيبا لأولئك فيا قاله ...»(٣١).

ومن جملة هذه الوثائق والمواقف تتحدد مبادى الشيخ محمد بن عبدالوهاب نحو المذهبية واختلاف الفقهاء في العبارات التالية:

أولا: اتباعه لمذهب الإمام أحمد بن حنبل الشيباني.

ثانيا: اعتبار اجتهادات الفقهاء المتقدمين منهم والمتأخرين ما لم تخرج عن آفاق الكتاب والسنة.

ثالثا: اذا تعارضت أقوالهم وتباينت أحكامهم فالمرجع في ذلك هو الكتاب والسنة.

ونستطيع في عبارة موجزة أن نطلق على هذا الموقف المعتدل المنصف بأنه (الاجتهاد في التقليد).

وهذه المبادئ والأسس أخذ الشيخ محمد بن عبدالوهاب بها نفسه في فتاواه ومؤلفاته.

ومن الناذج الكثيرة المتعددة التي تبين التزامه هذه الأسس والمبادي سؤالمه عن العروض وإجزائها في الزكاة إذا أخرجت بقيمتها.

والمسألة الثانية عن صحة المضاربة بها في الشركة.

وفي الجواب عن هاتين المسألتين يقول:

«فأما المسألة الأولى ففيها روايتان عن أحمد، إحداهها: المنع لقوله: في كل أربعين شاة شاة، وفي مائتي درهم خمسة دراهم وأشباهه.

والثانية: يجوز قال أبوداود: سئل أحمد عن رجل باع ثمر نخلة فقال: عشره على الذى باعه فهل يخرج تمراً، أو ثمنه؟ قال: إن شاء أخرج تمراً وإن شاء أخرج من الثمن.

وإذا أثبت هذا فقد قال بكل من الروايتين جماعة وصار نزاع فيها فوجب ردها الى الله ورسوله، قال البخارى في صحيحه في أبواب الزكاة (باب العروض في الزكاة) وقيل طاووس قال معاذ لأهل اليمن ائتونى بعرض ثياب خبيص أو لبيس في الصدقة مكان الشعير والذرة أهون عليكم وخير لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة، وقال

⁽٣١) المصدر نفسه، ص ١١٦

صلى الله عليه وسلم (وأما خالد فقد احتبس أدراعه وأعتاده في سبيل الله) ثم ذكر في الباب أدلة غير هذا فصار الصحيح أنه يجوز.

واستدلال من منعه بقوله: في كل أربعين شاة شاة وأمثاله لا يدل على ما أرادوا، لأن المراد هو المقصود وقد حصل كها أنه صلى الله عليه وسلم لما أمر المستجمر بثلاثة أحجار بل نهى أن ينقص عن ثلاثة أحجار لم يجمدوا على مجرد اللفظ بل قالوا: اذا استجمر بحجر واحد له ثلاث شعب أجزأه.

ولهذا نظائر أنه يؤمر بالشي فإذا جاء مثله أو أبلغ منه جاز.

وأما المسألة الثانية: فعن أحمد أن المضاربة لا تصح بالعروض، واختاره جماعة ولم يذكروا على ذلك حجة شرعية نعلمها، وعن أحمد أنه يجوز، وتجعل قيمة العروض وقت العقد رأس المال، قال الأثرم سمعت أبا عبدالله يسأل عن المضاربة بالمتاع فقال جائز، واختاره جماعة، وهو الصحيح لأن القاعدة في المعاملات أن لا يحرم منها الا ما حرمه الله ورسوله لقوله:

(وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها)(٣٢).

الأمثلة على هذا الاتجاه الفكرى واضحة في مؤلفاته وفتاواه، وهو يعطى معنى الاعتزاز بالتراث الفقهى مع المحافظة على الاستقلال الفكرى والشخصية العلمية.

النزعة الانتخابية:

يأتى انسجاماً مع المبادى والمواقف السابقة ظاهرة فكرية أخرى فى التفكير الفقهى السيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب، ذلك هو انتخاب الآراء واختيار الأقوال حسب الأصول والأسس السابقة التى اتخذ منها ميزاناً ومقياساً للترجيح، ليس هذا فحسب بل إنها واضحة أيضاً فى مؤلفاته عامة والفقهية خاصة، ولن يكون أقل إثباتا على هذا الاتجاه اختياره لشخصية شيخ الإسلام تقى الدين، عبدالحليمابن تيمية مثلا يحتذى به، وعنواناً يعتز به من بين أمثلة كثيرة من علماء السلف الصالح.

أما انتخابه لقول من الأقوال وترجيحه له ولو خالف المذهب الحنبلي فهو ما توفرت عليه مؤلفاته الفقهية وفتاواه.

⁽٣٢) مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب، القسم الثالث، مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم والفتاوى، ص ٩٤

على أنه من الجلى الواضح في هذا الصدد ميله الكبير الى اختيارات شيخ الإسلام تقى الدين، عبدالحليم ابن تيمية ،ولم يمنعه إنصافه في كثير من الأحيان اختياره لآراء أخرى سواء في إطار المذهب الحنبلى أو المذاهب الأخرى، من ذلك اختياره تقديم بينة الداخل اذا تداعى خصهان والكل معه بينة في قوله:

«إذا تداعيا عينا والكل معه بينة قدمت بينة الداخل لقول أهل المدينة» (٣٣). وفي السؤال عن جواز إخراج الجدد في الزكاة يجيب بقوله:

«فهذه المسألة أنواع، أما إخراجها عن جدد مثلها فقد صرحوا بجوازه فقالوا: اذا زادت القيمة بالغش، أخرج ربع العشر مما قيمته كقيمته، وأما إخراج المغشوش عن الخالص مع تساوى القيمة كها ذكر في السؤال، فهذه هي التي ذكر بعض المتأخرين المنع منها، وبعضهم يجيز ذلك، وهو الصحيح، بدليل ما تقدم في إخراج القيمة أنه يجزئ فإن إخراج المغشوش يجيزه من لا يجيز القيمة، بل قال الشيخ تقى الدين، نصاب الأثهان هو المتعارف في كل زمن من خالص ومغشوش وصغير وكبير..» (٢٤).

وغير هذا كثير منثور في كتبه الفقهية وفتاواه.

أما في مجال التأليف فإن السمة البارزة لنشاطاته في هذا المجال أنه عمد إلى مؤلفات هامة في موضوعها ذات اهتامات خاصة في فروع علمية متعددة، لخصها وبسطها للقارئ لتكون سهلة التناول قريبة الفهم، ويهمنا هنا من هذه المؤلفات ما يقع في إطار الدراسات الفقهية.

وقع اختياره على تلخيص كتابين من أهم كتب المذهب الحنبلى هما كتاب «الشرح الكبير» من تأليف شمس الدين، أبى الفرج، عبدالرحمن بن أبى عمر بن قدامة، المقدسى، المتوفى سنة ٦٨٢، وكتاب «الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف».

الأول منها مدونة واسعة في الفقه الحنبلي، يعنى مؤلفه الى ذكر اختلاف الآراء مع سرد الدليل لكل قول، والآخر يعرض لآراء الفقهاء الحنابلة عموماً في المسائل التي بحثها.

ويلاحظ بشكل ملموس أن الشيخ محمد بن عبدالوهاب أعطى اهتاماً خاصاً لآراء

⁽٣٣) المصدر نفسه، ص ١٢٨

⁽٣٤) المصدر نفسه، ص ٩٦

شيخ الإسلام ابن تيمية في هذا الكتاب، اذ عرضها بشكل بارز مميز دون غيرها، واختارها بالتدوين عن بقية الآراء تجسيداً لتقديره وقناعته بآرائه.

كها تجلت نزعته الانتخابية بشكل بارز ودقيق فى تلخيصه لموضوع أصولى هام يوهو حجية قول الصحابى من كتاب أعلام الموقعين، وسنعرض بالدراسة والتحليل لهذين الكتابين فى دراسة مؤلفاته الفقهية إن شاء الله.

وكل هذه الاتجاهات والأعمال تدل بوضوح على عمق وأصالة هذه النزعة فيه.

المرونة الفقهية:

الفقه الإسلامى فى حد ذاته نظام تشريعى كامل ، يفترض سلوكاً وتصرفات معينة وفق فلسفة تشريعية خاصة، وهو من قبل الأفراد التزام المسلم المكلف بسلوك وتصرف خاضع لأحكام الإباحة أو التحريم،أو الوجوب أو الندب أو الكراهة، وهذا هو مجال تباين الآراء، واختلاف الفقهاء.

ومن ثم يقاس تفاوت أحكامهم وتباين آرائهم بما يتناسب والرؤية الاجتاعية لها يسرا وسهولة أو عنتا وصعوبة،فيحكم عليها بالمرونة أو التشدد.

وقد لازم كلمة (فقه) و(فقيه) في العصور المتأخرة في أذهان العامة معنى التشدد والتزمت، كما أن كلمة (حنبلي) و(حنابلة) مفهوم التعصب والتزمت الديني في كامل معناه.

وشيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب كها هو فقيه فهو ينتمى إلى المذهب الحنبلى دماً وفكراً ونضالاً، وهي صفات تضفى على شخصيته كثيراً من تلك الظلال والانطباعات.

وإذا جاز أن ينطلى مثل هذا القول على العامة،فإنه لا يمكن أن يجد سبيله إلى أذهان المتعلمين والدارسين، فالدراسات العلمية كشفت عن مرونة فقهية تشريعية عند الحنابلة وبين علمائهم ما عز نظيرها عند غيرهم في المذاهب الأخرى.

جاء في كتاب (مصادر الحق في الفقه الإسلامي) العنوان التالى:

«المذهب الحنبلى أبعد المذاهب تطوراً فى تصحيح الشروط» ثم يستطرد بعد ذلك قائلا:

«ولعل أبعد تطور للفقه الإسلامي في مسألة اقتران الشرط بالعقد كان في مذهب

الإمام أحمد بن حنبل لاسيا إذا استكملنا هذا المذهب بما أضافه اليه ابن تيمية، وهو من أكبر فقهائه.

فالمذهب الحنبلى كالمذهب المالكى تخطى مبدأ وحدة الصفقة،ولم يتقيد بهذا المبدأ كها تقيد به المذهبان الحنفى والشافعى، ومن ثم استطاع أن يسير أشواطاً بعيدة في هذا التطور.

والحنابلة كالمالكية، الأصل عندهم في الشرط أن يكون صحيحا ويصح معه العقد، بل هم يسيرون في هذا الأصل إلى مدى أبعد من المالكية في تصحيح الشروط.. أما الجمع بين شرطين في العقد فممنوع في مذهب أحمد... والشرطان المنهى عنها الشرطان اللذان فيها منفعة لأحد المتعاقدين دون أن يقتضيها العقد أو يلائها، بقول ابن تيمية: إن الأصل في العقود والشروط الجواز والصحة، ولا يحرم و يبطل منها إلا ما دل على تحريمه نص أو قياس عند من يقول به..» (٣٥).

إلى أن يقول:

«ونرى من ذلك أن ابن تيمية لا يجعلى الشرط فاسداً إلا إذا كان منافياً للمقصود من العقد، وهذا طبيعى ، وإلا إذا كان مناقضاً للشرع فيحل حراماً، وهذا أشبه فى الفقه الغربى بالشرط الذي يخالف القانون، أو النظام العام، ولم يعرض ابن تيمية لتحريم اجتاع البيعتين فى بيعة أو اجتاع البيع والسلف، ومن ثم يكون تطور الفقه الاسلامى فى تصحيح الشروط قد وصل على يد ابن تيمية إلى غاية تقرب مما وصل إليه الفقه الغربى الحديث» (٢٦).

والشيخ محمد بن عبدالوهاب ورث خصائص هذه المدرسة في قمة تطورها فكرا والمتمثلة في تفكير شيخ الإسلام ابن تيمية.

وتبدو مظاهر المرونة الفقهية واضحة عند الشيخ محمد بن عبدالوهاب في جانبين رئيسيين:

الأول: موقفه من أراء مخالفيه في الفروع.

الثاني: مسائل الأحكام والفتاوي.

⁽٣٥) عبدالرزاق السنهوري، مصادر الحق في الفقه الاسلامي، الطبعة الثالثة (جامعة الدول العربية: معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٦٧، ج ٣، ص ١٦٦، ١٦٦

⁽٣٦) المصدر نفسه، ج٣، ص ١٧٢

أما الجانب الأول فموقفه من مسائل الخلاف التي لم يتبين فيها وجه الصواب أنه لا يجوز الإنكار على المخالف أو الاعتراض عليه، وهذا النوع من الاختلاف هو الذي يمكن أن ينطبق عليه الحديث «اختلاف أمتي رحمة» وعلى العكس من ذلك ما تبين فيه وجه الصواب.

ففى جوابه عن قولهم «لا إنكار في مسائل الاجتهاد ولا على من قلد مجتهداً حياً أو ميتاً ؟ يقول:

فإن أراد القائل مسائل الخلاف فهذا باطل يخالف إجماع الأمة، فهازال الصحابة ومن بعدهم ينكرون على من خالف وأخطأ كائنا من كان ولو كان أعلم الناس وأتقاهم، واذا كان الله بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق، وأمرنا باتباعه وترك ما خالفه، فمن قام ذلك أن من خالفه من العلماء مخطى ينبه على خطئه وينكر عليه، وإن أريد بمسائل الخلاف التي لم يتبين فيها الصواب، فهذا كلام صحيح لا يجوز للإنسان أن ينكر الشي لكونه مخالفاً لمذهبه أو لعادة الناس، فكها لا يجوز للإنسان أن يأمر إلا بعلم، وهذا كله داخل في قوله تعالى:

(وَلَا تَقْفُ مَالَيْسَ لَكَ بِهِ عَ عِلْمٌ)

(الأسراء ٣٦)

إلى أن يقول:

(فإذا رأيتم من يعمل ببعض هذه الأقوال المذكورة بالمنع (٣٧)، مع كونه قد اتقى الله ما استطاع لم يحل لأحد الإنكار عليه اللهم الا أن يتبين الحق فلا يحل لأحد أن يتركه لقول أحد من الناس، وقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يختلفون فى بعض المسائل من غير نكير ما لم يتبين النص.

فينبغى للمؤمن أن يجعل همه وقصده معرفة أمر الله ورسوله فى مسائل الخلاف، والعمل بذلك، ويحترم أهل العلم ويوقرهم ولو أخطأوا، لكن لا يتخذهم أربابا من دون الله، هذا طريق المنعم عليهم، وأما اطراح كلامهم وعدم توقيرهم فهو طريق المغضوب عليهم واتخاذهم أربابا من دون الله، وإذا قيل: قال الله قال رسوله قال: هم أعلم منا بهذا هو طريق الضالين» (٢٨).

⁽٣٧) لعل هذه الكلمة (بالمنع) لا معنى لها هنا، وهذا واضح من سياق الكلام

⁽٣٨) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٤

أما الجانب الثانى: فلعل الأهم من سرد مسائل جزئية الاستدلال بالقواعد الأصولية الاستنباطية التى قررها وأكدها والتى تدخل تحتها فروع ومسائل لا حصر لها، ففى رسالته المعنونة بـ «أربع قواعد تدور عليها الأحكام» يقرر فى القاعدة الثانية ما نصه:

«القاعدة الثانية: أن كل شي سكت عنه الشارع فهو عفو لا يحل لأحد أن يحرمه أو يوجبه، أو يستحبه أو يكرهه لقوله تعالى:

(يَنَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْعَلُواْ عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبَدُّ لَكُمْ تَسُؤَّكُمْ (المائدة ١٠١)

وقال النبى صلى الله عليه وسلم: "وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تسألوا عنها (٢٦٠).

وهو في هذا الاتجاه في تأسيس الأحكام يقتفى آثار كبار فقهاء المسلمين أمثال ابن تيمية والشاطبى وغيرهم من الأثمة الذين أثبتوا أفقاً واسعاً في تفكيرهم الفقهى، فالحكم هو العفو فيا سكت عنه الشارع، فسكوته ليس نسيانا وإنما هو منفذ رحمة وعطف من الله جل وعلا، وبعد تقرير الشيخ للقواعد الأربع التي بدأها أولا بتحريم القول على الله بلا علم، وثانيا: بأن ما سكت عنه الشارع فهو عفو، وثالثا: التمسك بالدليل الواضح والانصراف عن المتشابه، ورابعا: أن بين الحلال والحرام أمور متشابهة يقدم عليها أمثلة فقهية ويدلل على صحتها بمسائل يقول في نهايتها:

«وهذه القواعد تدخل في جميع أنواع العلوم الدينية عامة وفي علم الفقه من كتاب الطهارة إلى باب الإقرار خاصة» (٤٠٠).

وفى المسألة السابقة صحة المضاربة بالعروض،يعلل لها بقوله:

«لأن القاعدة في المعاملات أن لا يحرم منها إلا ما حرمه الله ورسوله لقوله»:

(وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها).

وهذا الاتجاه الفقهى المرن يغطى كل مسائل المعاملات من هذا النمط،كما تتجلى هذه المرونة بأوضح صورها فى تبنيه واختياره لآراء ابن تيمية الذى أبدى مرونة فقهية منقطعة النظير فى مجال العقود بالذات.

⁽٣٩) المصدر نفسه، ص ٢، ٤، ٥، ١٠

⁽٤٠) المصدر نفسه، مختصر سيرة الرسول والفتاوي ص ٩٤

وكل هذه الحقائق تثبت أن (الحنبلية الفقهية) عنوان المرونة ومظهر مشرف على اتساع الأفق الفقهى وتطوره.

هذه جملة من أبرز خصائص التفكير لمدرسة شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليما بن تيمية الفقهية، وهي تبدو منسجمة متوافقة، ففيها المذهبية المعتدلة وفيها الإنصاف والتقدير الكامل لتراث السلف في غير ما إفراط أو تفريط وهي المدرسة التي أعجب بها شيخ الإسلام محمد بن عيدالوهاب وانصهر في بوتقتها، وكان لها أكبر الأثر على أعماله الفكرية، وهو ما نحاول تبينه في الدراسة التالية.

مؤلفاته الفقهية:

« مختصر الإنصاف والشرح الكبير »: يعتبر هذا الكتاب أكبر مؤلف بين مؤلفاته الفقهية، وهو يستدعى وقفة خاصة ودراسة موضوعية لاستخراج بعض الحقائق التى تهمنا في موضوع هذا البحث.

إن النسخة المطبوعة التى قامت جامعة الإمام محمد بن سعود بضمها إلى مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب، جاءت خلوا من مقدمة الكتاب أو خطبة الكتاب، وهى التى عادة ما يوضح فيها المؤلف الباعث على تأليفه، والمنهج الذى يسير عليه والتعريف بالمصطلحات المدونة في ثناياه.

اعتمد المحققون في طبع هذه النسخة على نسختين، نسخة مطبوعة بالمطبعة السلفية بمصر، وأخرى مخطوطة بالمكتبة السعودية بالرياض برقم ٨٦/٤٦٥.

وبخلو هذا الكتاب عن جزء هام فيه يترك المجال مفتوحا للباحثين لتلمس أهداف وتبين منهج المؤلف استنتاجا أو استقراء، وقد أثبت المحققون لهذا الكتاب العبارة التى وجدوها مدونة على غلاف النسخة المخطوطة بالمكتبة السعودية وهى كالتالى:

«بسم الله الرحمن الرحيم، هذا منقول من الشرح الكبير والإنصاف أول كل باب من الشرح وآخر كل باب من الإنصاف...» (٤١).

ويذكر المحققون في مقدمة الكتاب أن مؤلفات الشيخ رحمه الله على قسمين: منها ما ألفه ابتداء، ومنها ما اختصره من أصوله المطولة لتيسير الانتفاع به، وقد اتجهت الرغبة منه _ رحمه الله _ إلى اختصار كتابين من أشهر وأوسع ما صنفت في الفقه الحنبلي لما رأى

⁽٤١) مؤلفات الشبيخ محمد بن عبدالوهاب القسم الثاني (الفقه) ج ١، ص ٥

فى زمنه من الحاجة لذلك هما الإنصاف فى معرفة الراجع من الخلاف، على مذهب الإمام أحمد بن حنبل ومؤلفه الفقيه علاء الدين على بن سليان المرداوى الحنبلى (٨١٧ ـ ٨٨٥ هـ) والثانى: الشرح الكبير، ومؤلفه شمس الدين،أبوالفرج،عبدالرحمن بن أبى عمر بن قدامه المقدسى (٥٩٧ ـ ٦٨٢ هـ). وتم ما أراده رحمه الله بمختصر لطيف بدأ كل باب منه بما اختاره من الشرح وختمه بما استدركه من الإنصاف (٤٢).

إن هذين الكتابين يمثل كل واحد منهما مرحلة معينة في تطور المذهب الحنبلي حتى وصل إلى ما وصل اليه عند المتأخرين.

أما كتاب الشرح الكبير فهو شرح لكتاب المقنع، من تأليف موفق الدين أبى عبدالله محمد عبدالله بن أحمد بن قدامة (٥٤١ هـ ٦٢٠ هـ). وقد ذكر المؤلف في مقدمته بأنه اعتمد في جمعه على كتاب المغنى من تأليف موفق الدين ابن قدامه السابق، وزاد فيه من غيره ما لم يجده فيه من الفروع والروايات، ولم يترك من كتاب المغنى إلا شيئاً يسيرا.

والمعروف أن كتاب المغنى كتاب حجة واستدلال، وهو موسوعة فى أقوال أئمة السلف وعلياء الأمصار، أصحاب المذاهب المختلفة ومسائل الإجماع، نحا فيه مؤلفه منحى المجتهدين فى اتباع الدليل، فمن ثم جاء كتاب الشرح صورة كاملة لكافة ملامح ومميزات كتاب المغنى، وسلك فى معالجة المسائل والبحوث الفقهية مسلك عمه الموفق فى كتاب المغنى، فهو يذكر المسألة من المقنع فيجعلها كالترجمة، ثم يذكر مذهب الموافق فيها والمخالف لها ويذكر ما لكل من دليله ثم يستدل ويعلل للمختار، ويزيف دليل المخالف، فمسلكه مسلك الاجتهاد إلا أنه اجتهاد مقيد فى مذهب أحمد» (٢٤٠).

وهو معدود في طبقة المتوسطين من الحنابلة.

أما كتاب الإنصاف لأبى سليان المرداوى فهو أيضا شرح لكتاب المقنع، ضم بين دفتيه كل ما قيل فى المذهب الحنبلى من أقوال ووجوه وروايات، ثم بين فيه الصحيح من المذهب والراجح من الأقوال دون التعرض للدليل، وقد بين فى مقدمة الكتاب المصادر الفقهية التى اعتمدها والمنهج الذى سلكه فى الترجيح بشكل مفصل مفيد. ومما جاء فى هذا قدله:

⁽٤٢) المصدر نفسه، ج ١، ص ٤

⁽٤٣) عبدالقادر بن بدران، المدخل الى مذهب الامام أحمد (مصر ادارة الطباعة المنيرية) ص ٢٢٢

«إن طريقتى فى هذا الكتاب النقل عن الإمام أحمد والأصحاب، أعزو الى كل كتاب ما نقلت منه وأضيف الى كل عالم ما أروى عنه، فإن كان المذهب ظاهرا أو مشهورا، أو قد اختاره جمهور الأصحاب وجعلوه منصورا، فهذا لا إشكال فيه، وإن كان بعض الأصحاب يدعى خلافه... (12).

ويتحدث بن بدران عن خصائص هذا الكتاب بقوله: «وطريقته فيه أنه يذكر في المسألة أقوال الأصحاب، ثم يجعل المختار ما قاله الأكثر منهم، سلك في ذلك مسلك قاضي عجلون في تصحيحه لمنهاج النووي وغيره من كتب التصحيح، فسار كتابه مغنيا للمقلد عن سائر كتب المذهب..» (٥٠) وهو معدود في طبقة المتأخرين.

ومن طبيعة الكتابين يتضح أن الأول يهتم بالاختلاف وتعدد الروايات في دائرة الفقه الإسلامي عامة، وينتهي بالاختيار والترجيح، وهو مسلك اجتهادي واسع، يفتح للقارئ مجالات وآفاقاً متعددة من التفكير وكسر القيود الفكرية المذهبية، وهو المرتبة الأعلى في التفكير الإسلامي ومطمح كل فقيه لم ينلها مع الاعتراف على مدى الأجيال والعصور الإسلامية إلا عدد محدود. بينا يهتم الكتباب الثاني (الإنصاف) بعرض الروايات والأقوال المتعددة في نطاق المذهب الحنبلي حتى آخر مراحل تطوره، والترجيح بينها، وهذا لا يتيح للباحث تلك الآفاق وإنما يفتح له مجالات التفكير في حدود محصورة تأخذ بيده في النهاية الى درجة الاجتهاد المذهبي.

فكلا الكتابين يؤهلان الباحث الطموح في النهاية الى الخروج عن ربقة التقليد المحض إلى أفاق الاجتهاد المحدود واللا محدود.

ومن هنا نستطيع أن نستخلص هدف الشيخ محمد بن عبدالوهاب من تأليفه لهذا الكتاب، ذلك هو فتح مجال للتفكير الفقهى المنطلق بين تلاميذه حتى تتسع صدورهم لمذاهب غيرهم فيجنبهم هذه العصبيات المذهبية، وهى وسيلة مجدية مثمرة في التخفيف من غلوائها في عصور سيطرت فيها على تفكير العالم الإسلامي فأثرت على علاقاتهم العلمية والاجتاعية والسياسية فكان لها أسوأ الآثار.

منهجه وأسلوبه:

عنون كتابه هذا بـ (مختصر الإنصاف والشرح الكبير)، والاختصار تقريب الشيء

⁽٤٤) أبوسليان علاء الدين المرداوي، الانصاف في معرفة الراجع من الخلاف الطبعة الأولى ١٩٧٤ جـ١، ص١٦.

⁽٤٥) ابن بدران، ص ۲۲۲.

ويكون بتقليل المسائل وحذف بعضها أو بتقليل الألفاظ مع تأدية المعنى كاملا كها يكون أحيانا بكلتا الطريقتين معا تقليل المسائل والألفاظ مع استكهال المعنى. يقول موفق الدين ابن قدامه:

«وفائدة الاختصار التقريب والتسهيل على من أراد تعلمه وحفظه فإن الكلام يختصر ليحفظ »(٤٦).

وتصرف الشيخ محمد بن عبدالوهاب في الشرح الكبير بتقليل العبارات وحذف التعليلات، والأدلة أحيانا، والاستغناء بالبعض منها أحياناً كثيرة، وحذف بعض الأقوال، أما المسائل والموضوعات الفقهية التي وردت بعنوان مستقل في الشرح الكبير فإنه لم يتصرف فيها بالحذف، بل أوردها مدمجة مع بعضها البعض دون تمييز بينها في التبويب، الأمر الذي خالف به صنيع مؤلف كتاب الشرح الكبير (الأصل).

والأسلوب الذى اتبعه فى اختصاره أسلوب محكم متاسك لا يشعر القارى ويه بفجوة أو بتر للأفكار والمعانى.

وبنظرة فاحصة على المسائل التى تذكر فى نهاية الأبواب الفقهية المعنونة بخط بارز فى هذه العبارة «ومن هنا إلى آخر الباب من الإنصاف» فليست فى الحقيقة اختصارا من هذا الكتاب (الإنصاف) بالمعنى الدقيق المعروف والذى سبق بيانه، فالباحث يدرك من تتبعه لها ومقابلتها مع ما فى الإنصاف أنها مسائل مختارة من مواضيع مختلفة من كل باب جرى عرضه، يربط بينها أمران موضوع الباب واختيارات الشيخ تقى الدين ابن تيمية، بالإضافة إلى أنه لم ينقل من الإنصاف شيئا فى أربعة وعشرين بابا فقهيا، تتبين من الرجوع الى الكتاب نفسه.

وان هذه الأمور مجتمعة ترجح أن يكون مقصود المؤلف بهذه العنونة «ومن هنا إلى آخر الباب من الإنصاف» هو مجرد الإشارة الى مصدر المسائل المدونة تحتها لا غير، وإذا جاء عنوان الكتاب بـ «مختصر الإنصاف والشرح الكبير» فهو من قبيل التغليب. وإلا فها جاء نقله من الإنصاف هو بالأصالة تجميع لاختيارات شيخ الإسلام تقى الدين ابن تيمية في موضوعات فقهية خاصة من كتاب الإنصاف تشير إلى الجانب الاجتهادى في شخصيته العلمية.

⁽٤٦) المغنى، المدينة المنورة، منشورات المكتبة السلفية ج ١، ص ٤ تصوير

وهذا يدل على منتهى الإقناع والإخلاص والتقدير من الشيخ محمد بن عبدالوهاب لآراء شيخ الإسلام ابن تيمية، يسلك نفس هذا المنهج ويتخذ مثل هذا الموقف بالنسبة لآراء ابن تيمية في كتابه (كتاب الطهارة)،اذ كثيرا ما ينوه عن اختياراته دون تجاوز.

وإذا كان قد نقم عليه خصومه ووجدوا لهم طريقا فى الطعن عليه بادعائه الاجتهاد ونبذ المذاهب متمثلا هذا فى تأليفه المختصر والإنصاف وغيره من المؤلفات الفقهية،فلأنها تحمل آراء شيخ الإسلام ابن تيمية واختياراته وللاعتبار الخاص الذى ميزه به دون باقى الفقهاء مما أثار حفائظهم عليه.

وكان رد شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب كها جاء في رواية المؤرخ بن بشر تأليفه (كتاب آداب المشي إلى الصلاة).

كتاب آداب المشي إلى الصلاة:

جاء هذا الكتاب خلوا من مقدمة التأليف التي من خلالها نتبين هدف المؤلف ومنهجه فيه، ومن أجل هذا كانت رواية ابن بشر السابقة هي مفتاح هذا الكتاب وفيها الغناء في إشباع فضول وتطلع الباحث.

ألف الشيخ هذا الكتاب بعد تأليفه كتاب (مختصر الإنصاف والشرح الكبير) جوابا لخصومه، وردا لدعواهم الباطلة في نبذ المذهب الحنبلي، وكان جوابا عمليا دامغا، فقد استخلصه من كتاب معتمد في المذهب الحنبلي هو (كشاف القناع عن متن الإقناع) تأليف الشيخ منصور بن يونس بن ادريس البهوتي، وهو في الحقيقة اختصار منه لمجموع الأبواب التي حواها هذا الكتاب ابتداء من باب آداب المشي إلى الصلاة إلى باب ما يفسد الصوم.

وفى هذا الكتاب يلتزم فى عرض الأحكام المذهب الحنبلى كها هو فى كتاب كشاف الإقناع، تأكيدا لالتزامه وتحقيقا فى انتسابه له،فإنه فى هذه المرة لم يحاول أن يخص آراء شيخ الإسلام ابن تيمية بالذكر كها عهدنا صنيعه فى كتاب (مختصر الإنصاف والشرح الكبير) و(كتاب الطهارة).

ومنهجه في هذا الكتاب عرض المسائل المختلفة في الموضوع الفقهى في عبيارة

مختصرة على أنه وإن كان اختصارا من الكشاف فإنه لم يخل من ذكر أدلة الأحكام في أسلوب موجز ، لا يحرم الدارس من معرفة الحكم مع الدليل المستنبط منه .

وهذه أحسن الأحوال التى يكون عليها التقليد الفقهى فهو تقليد ولكن تقليد المتبصر المدرك للدليل الذى يعتمد عليه الحكم، وتدرج بالمقلد إلى أفق أوسع.

وهذا الأسلوب يشير إلى المنزع الاجتهادى فى تفكير الشيخ محمد بن عبدالوهاب إذ أنه الأسلوب الذى لم يحد عنه فى التأليف الفقهى، فإننا نجده فى مؤلفات، ورسائل فقهية أخرى.

كتاب الطهارة:

عرض فقهى كامل لأحكام وأبواب الطهارة فى أسلوب واضح مبسط اعتنى فيه بذكر الخلاف فى إطار المذهب الحنبلى حينا، والإشارة الى بعض المذاهب اتفاقا أو اختلافا أحيانا أخرى، ووجه اهتاما خاصا بالتنويه عن اختيارات شيخ الإسلام ابن تيمية، كها لم تفته الإشارة الى ذكر أدلة المسائل الفقهية كثيراً.

وأسلوب الشيخ محمد بن عبدالوهاب فى هذا الكتاب أو الرسالة شكلا ومضمونا يأتى منسجها ومتجانسا مع مؤلفاته الأخرى، ولذا فإنه لم يصعب على المحققين تبينه، اذ أن اسمه لم يرد فى صلب المخطوطة، فقد جاء فى مقدمة التحقيق قولهم:

«فهذا كتاب الطهارة للإمام الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله استندنا في نسبته اليه الى فهارس المكتبة السعودية المدون فيها باسمه تحت رقم ٨٦/٥٢٠، حيث لم يرد في صلب المخطوطة ما يشير الى ذلك الا عبارة نعتقد أن فيها شيئا من التحريف، حيث قال في نهاية المخطوطة، ولهذا سئل الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ولعل صحة العبارة: وعن هذا سئل الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، ثم ان أسلوب المخطوطة يتطابق تماما مع أساليب كتاباته وتصانيف ورسائله رحمه الله، وخاصة كثرة الإشارة الى اختيارات شيخ الاسلام» (٧٤).

كتاب شروط الصلاة وأركانها:

هو استكمال للتأليف في موضوع الصلاة، فيكون هذا الكتاب كالتتمة للموضوع

⁽٤٧) مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب، القسم الثاني (الفقه) ج ٢، ص ٣

السابق وهو فى نفسه موضوع تمهيدى سابق على (كتاب أداب المشى إلى الصلاة)، ولهذا فإنه يمكن اعتبار الكتب الثلاثة (كتاب الطهارة، وكتاب شروط الصلاة وأركانها، وكتاب أداب المشى إلى الصلاة) مؤلفا واحدا فى موضوع فقهى واحد.

مبحث الاجتهاد والخلاف:

عنوان هذا الكتاب يختلف عن موضوعه، إذ أن محتواه هو حجية قول الصحابى والاختلاف في ذلك، وهذا العنوان أثبته المصححان كها وجداه على النسخة الأصلية ويتحدثان عن هذا في قولهم:

«وقد كتب على الصفحة الأولى منها بخط الناسخ هذه العبارة: هذه الرسالة تأليف الشيخ محمد بن عبدالوهاب النجدى وهي مبحث الاجتهاد والخلاف».

و يبدو أن المصححين غير مقتنعين بسلامة هذا العنوان، وما دوناه هو أداء للأمانة العلمية ،ولاشك أن مضمون الرسالة يمثل جزء من العنوان، فلعل لهذه الرسالة بقية فيتطابق العنوان والمحتوى.

وموضوع حجية قول الصحابى من الموضوعات الأصولية التى شغلت حيزا كبيرا في هذا العلم، وأنتج القول به وعدمه اختلافا بين الفقهاء لخصه الشيخ محمد بن عبدالوهاب من كتاب أعلام الموقعين لابن القيم، وهو تلخيص مركز متين بأسلوب سهل مبسط، توصل فيه الى نفس النتائج التى توصل اليها ابن القيم، وذلك: (أن الصحابى اذا لم يخالفه فى قوله صحابى آخر واشتهر بينهم فإنه يعتبر حجة)، وذكر ستة وأربعين وجها ودليلا على هذه النتيجة، ثم نفذ من ذلك الى بحث حجية قول التابعى، وفى نهايته يعرض رأيه بأسلوب هادى متزن فى قوله:

«وقد اختلف السلف: فمنهم من يقول: يجب اتباع التابعي في أفتى به كذلك، ومن تأمل كتب الأثمة ومن بعدهم، وجدها مشحونة بالاحتجاج بتفسير التابعي».

وينتقل من هذا الموضوع إلى بحث أمور هامة تتعلق بالفتوى والمفتى، ما خلاصته أن على المفتى الجواب عن المسألة بقدر الإمكان فإن لم يأمن غائلة الفتوى وخاف أن يترتب عليها شيء أكبر من الإمساك عنها،أمسك ترجيحا لدفع أعلى المفسدتين.

كها له العدول عن جواب المستفتى عها سأله عنه الى ما هو أنفع منه (١٤٠).

⁽٤٨) مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب، القسم الثاني (الفقه) ج ٢، ص ٣٦، ٣٧

ومن أهم النقاط التي تعرض لها خلال هذا العرض مسألة جديرة أن يعيها المنتصبون للإفتاء وذلك في قوله :

«ومن فقه المفتى إذا سأله عن شئ فمنعه أن يدله على ما هو عوض منه، ورأيت شيخنا يتحرى ذلك في فتاواه، وقد منع النبى صلى الله عليه وسلم بلالا أن يشترى صاعا من التمر الجيد بصاعين من الردى ثم دله على الطريق المباح» (٤١).

وهذه دقائق لا يدركها إلا الراسخون في العلم وفهم المجتمع.

من خلال الدراسات السابقة للتراث الفكرى الفقهى لشيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب، تجلت لنا خصائصه الفكرية في هذا الجانب متميزة بتقدير التراث الفقهى، تعطيه حقه من التقدير في غير مبالغة أو مغالاة تؤدى الى الجمود وذويان الشخصية، فهو متذهب وهو حنبلى ولكنه بعيد عن الجمود. فالواجب في نظره اتباع العلماء في إجماعهم، فإذا اختلفوا فالمرجع والمرجح هو الكتاب والسنة مع مرونة فقهية في تطبيق أحكامها، فالأحكام على العفو والإباحة ما لم يرد دليل صريح بالتحريم، ولا اعتراض على المخالف في مسائل الاجتهاد.

إنها صورة مثالية تأخذ من التراث وتستفيد منه وتعتمد عليه في اعتدال لا جمود، واجتهاد يتمشى وروح الشريعة الإسلامية، ومرونة لا يغير ملامحها التشريعية بواقعية تعيش ظروف عصرها.

إن هذه النوعية من الفقه والفقهاء هي ضالة العصر المنشودة، وهي أيضا المثل الوسط الذي لا يجمد على القديم لدرجة العبادة والتقديس، ولا يتمرد عليه لحد الإنكار والجمود.

إن الأمة الإسلامية لو اهتدت الى ايجاد جيل من الفقهاء يحمل هذه الخصائص والصفات، فإنها ستعيد للفقه الإسلامي إشراقه وحيويته ودوره في حياتنا الحاضرة ولم يعدم الإسلام عبر قرونه تقديم نماذج متجددة من هذه الأمثلة لإبقائه حياً متجدداً، مهما تقادم الزمن، والله يقضى بالحق وهو الهادي الى سواء السبيل.

⁽٤٩) المرجع السابق

مصادر البحث

ابن قدامه، موفق الدين محمد المغنى، المدينة المنورة: منشورات المكتبة السلفية، تصوير.

ابن تيمية، عبدالحليم بحموعة فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، الطبعة الأولى، الرياض. رفع الملام عن الأثمة الاعلام، الطبعة الأولى.

ابن حدان، أحد صفة المفتى والمستفتى الطبعة الأولى، بيروت، منشورات. المكتب الاسلامي، الطبعة الأولى.

ابن عبدالوهاب، محمد، مؤلفات محمد بن عبدالوهاب، الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود.

ابن بدران، عبدالقادر المدخل إلى مذهب الإمام أحد مصر: ادارة المطبعة المنيرية.

ابن بشر، عثمان بن عبدالله عنوان المجد في تاريخ نجد، الطبعة الثانية الرياض: وزارة المعارف السعودية. السوابق: الطبعة الثانية. الرياض: وزارة المعارف السعودية.

أبوطامى، أحمد بن حجر بن محمد السلفية ودعوته الاصلاحية وثناء العلماء عليه. مكة المكرمة: مطبعة الحكومة، ١٣٩٥هـ.

المسودة تحقيق محيى الدين عبدالحميد مصر مطبعة المدنى.

البسام، عبدالله علماء نجد خلال ستة قرون، الطبعة الأولى. بيروت: منشورات المكتب الاسلامي، ١٣٨٠.

الحجوى، محمد بن الحسن الثعالبي الفكر الاسلامي في تاريخ الفقه الاسلامي في تاريخ الفقه الاسلامي تحقيق: عبدالعزيز بن عبدالفتاح القارى المدينة المنورة: المكتبة العلمية ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

الرويشد، عبدالله بن سعد الإمام الشيخ محمد بن عبدالوهاب فى التاريخ مصر: مكتبة عيسى البابى الحلبى.

السنهورى، عبدالرزاق مصادر الحق في الفقه الاسلامي، الطبعة الثالثة جامعة الدول العربية: معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٦٧م.

العطار، أحمد عبدالغفور محمد بن عبدالوهاب الطبعة الرابعة بيروت: منشورات مكتبة العرفان ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.

العثيمين، عبدالله صالح الشيخ محمد بن عبدالوهاب حياته وفكره الرياض: دار العلوم

الفــراء، أبويعلى محمد بن الحسين بن محمد العدة في أصول الفقه.مصورة خاصة

الفتوحى، أحمد بن عبدالعزيز الكوكب المنير مصر: مطبعة السنة المحمدية ١٣٧٢هـ/١٩٥٣م

> المرداوى، أبوسليان علاء الدين الإنصاف فى معرفة الراجح من الخلاف الطبعة الأولى ١٩٧٤م.

مطابع بمعتركون محدور سبعود العيشلوتية